

2020

4.1.2020

دُونَالِدَرِي بُولوك

# شَهْطَانِ أَبَدِ الدَّهْرِ

ترجمة: مهدي سليمان

رواية

مسلم

دُونَالِدَرِي بُولوك

شَهْطَانِ أَبَدِ الدَّهْرِ

ترجمة: مهدي سليمان



شَیْطَانِ أَبَدَ الدَّهْرِ

عنوان الكتاب الأصلي المعتمد في هذه الترجمة

The Devil All the Time

By Donald Ray Pollock

الكاتب: دونالد رَني بولوك  
الكتاب: شيطان أبد الدهر  
ترجمة: مهدي سليمان

---

تصميم الغلاف: نبيل زغدودي  
خط الغلاف: الفنان سمير قوبعة  
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

---

ر.د.م.ك: 8-052-24-9938-978  
الطبعة العربية الأولى: 2019

Copyright © 2011 by Donald Ray Pollock

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©



مسكيليانا للنشر والتوزيع

15 نهج أنقلترا تونس- تونس العاصمة

الهاتف: (+216)21512226 أو (+216)93794788

الإيميل: masciliana\_editions@yahoo.com

**أهدي هذه الرواية، مرّة أخرى، إلى باتسي**

## استهلال

في صباح كديرٍ أو آخر شهرٍ من شهور أكتوبر المطيرة، كان أرفن إيوجين رَسِل يَحِث الخطى مُسْرِعًا خلف أبيه ولارد على شفا مرعى يطلُّ على وادٍ صخريّ طويل في شمال أوهايو؛ وادٍ يُدعى نوكمِسْتِف. كان ولارد طويل القامة هزيلًا أعجف. شقَّ على أرفن مجاراته في المشي. الحقل مغطى بمساحات صغيرة من أشجار الخلنج وأجمات ذابلة من أعشاب عين الهدهد وشجيرات الشوك. وصل الضباب المعانق للأرض الكثيف كثافة الغيوم الرمادية في السماء إلى ركبتني الصبي ذي الأعوام التسعة. بعد بضع دقائق، انعطفا فجأة صوب الغابة وسارا في درب ضيق تسلكه الغزلان عبر التلّة إلى أن وصلا إلى جذع شجرة جاثم في بقعة أرضٍ مقلوعة الشجر صغيرة المساحة. لم يكن الجذع سوى بقايا شجرة بلوط حمراء كبيرة تهاوت قبل عدّة سنوات. في التربة الطرية على مسافة بضع ياردات منها انتصب صليبٌ فعلت فيه العوامل الجوية فعلها؛ صليبٌ منحني قليلاً إلى الشرق. رُكِّبَتْ خشبته معاً بعد أن انتزعتا من الألواح الخشبية المشكّلة للجدار الخلفي لحظيرة متداعية تقع خلف منزلها الريفي.

أراح ولارد جسده على الطرف المرتفع لجذع الشجرة، وتحرك ليفسح المجال لابنه حتى يركع قُربه فوق الأوراق الميتة الرطبة. اعتاد

ولادر المجيء إلى هذه البقعة المقلوعة الشجر في الغابة كل صباح ومساء ليكلّم الله باستثناء الأوقات التي تكون فيها آثار الوِسكي سارية في عروقه. لم يعرف أرفن أيهما أكثر سوءاً من الآخر؛ الشرب أم الصّلاة. بحسب ما أسعفته به ذاكرته على تذكّر الأيام السّالفة، بدا له أنّ أباه ما انفكّ يحارب الشيطان بوتيرة لا تنقطع. سرّت رعيته خفيفة في جسد أرفن بسبب الرطوبة، فشدّ معطفه شدّاً محكماً. تمنّى لو أنّه بقي نائماً. فالمدرسة، بكلّ ما فيها من بُوسٍ ومشقّة، تبقى أفضل من المجيء ها هنا. ولكن اليوم يوم سبت وما من سبيل للتخلّص من القدوم إلى هنا.

كان بإمكان أرفن أن يرى من خلال الأشجار العارية في معظمها المنتصبة خلف الصليب كتل الدخان المتصاعد من بضع مداخن تبعد مسافة نصف ميل. كان هناك أربعمئة نسمة، أو زهاء ذلك، يعيشون في بلدة نوكمستيف في عام 1957، تربطهم جميعاً تقريباً صلة عائلية ناجمة عن مصيبة من المصائب وقعت أحداثها في مكانٍ موحش وناء؛ سواء أمّلتها الشهوة أم الضرورة أم مجرد الجهل الصّارخ بالأمور. بالإضافة إلى الأكواخ المدهونة بالقطران والمنازل المبنية من الآجر البركاني، كان في الوادي بقالتان عموميّتان وكنيسة المسيح التابعة للاتحاد المسيحي<sup>(1)</sup> ومبنى معروف في أرجاء البلد باسم حانة بلّ بن. ورغم أنّ عائلة ريسل كانت قد استأجرت المنزل الواقع في أعلى حيّ ميتشل فلاتس منذ خمس سنوات، ما يزال معظم جيرانهم في البلدة ينظرون إليهم غرباء عنها.

(1) وهي منظمة دينية أسسها جيمس مكيبان عام 1909 في مدينة كولومبس في ولاية أوهايو، ويشتر أتباعها في 15 ولاية وتتبع لها 200 كنيسة تقريباً. (المترجم)



كان أرفن الطفل الوحيد في حافلة المدرسة الذي لم يكن له أي أقارب.  
قبل ثلاثة أيام، عاد إلى المنزل متورّم العين مرّة أخرى.

قال له أبوه مساء ذلك اليوم:

- أنا لا أتسامح مع عدم دفاعك عن نفسك لمجرّد الرّغبة في أن  
تشاجر مع الطّلاب، ولكن كلّ ما في الأمر أنّك تكون أحياناً  
لئن العريكة سهلّ المنال. ربّما يفوقك هؤلاء الصّبيّة حجماً،  
ولكن في المرّة القادمة حين يُبادر أحدهم بالتهجّم عليك،  
أريدك أن توقفه عند حدّه بنفسك.

كان ولادر واقفاً على الشّرفة الأماميّة للمنزل وهو يبدّل ثياب  
العمل التي كان يرتديها. أعطى لأرفن البنطال البنيّ المتّيسّر بفعل الدّم  
والشّحم النّاشفين العالقين به. كان الأب يعمل في مسلخ في غرينفيلد؛  
وقد ذبحوا في ذلك اليوم ألفاً وستّمائة خنزير، وهو رقم قياسيّ جديد  
لشركة آر. جي. كارول لتعبئة اللّحوم. ورغم أنّ الصّبي لم يكن يعرف  
بعُد أيّة مهنة سيّمتهنّ عندما يكبر، فقد كان على يقين بأنّه لا يرغب في  
قتل الخنازير ليكسب قوت يومه.

كانا قد شرعا في تلاوة صلواتهما للتوّ عندما انبلج من ورائهما  
صوت قرّعة شديدة لغصن شجرة يتكسر. حالما بدأ أرفن في الالتفات  
للوراء، مدّ ولادر ذراعه وزجره. بيّد أنّ ذلك لم يحلّ دون قدرة أرفن  
على ملح صيادّين في الصّوء الشاحب. رجلان أشعثان أغبران كان قد  
رأهما بضع مرّات يسترخيان بكسلٍ في المقعد الأماميّ لسيّارة صالون  
قديمة يعلوها الصّدأ في مرأب بقالة مود سيكمان. كان أحدهما يحمل  
كيس خيش بُنيّاً، وقد تلطّخ في أسفلّه ببقعةٍ حمراء قانية.

قال ولارد بهدوء:

- لا تكثرث بهما. نحن الآن في الوقت المخصّص للربّ؛ هذه ساعة الربّ لا أحد سواه.

زاد من توتره معرفته باقتراب الرّجلين منها، ولكن أرفن عاود ركوعه وأغمض عينيه. عدّ ولادر جذع الشجرة بقعة مقدّسة كأبي كنيسة بناها بنو البشر. ولم يكن أرفن يرغب في إغضاب والده على الإطلاق، رغم أنّ ذلك بدا أحياناً كخسارة معركة. عادت الغابة إلى صمتها مجدداً؛ اللهم باستثناء الرطوبة التي كانت تقطر من أوراق الأشجار وسنجاب يمرّ مسرعاً إلى شجرة قريبة. ظنّ أرفن في دفينه نفسه أنّ الرّجلين قد ذهبا. ثمّ ما لبث أحدهما أن قال بصوت أجشّ:

- أنظر إليهما! إنهما يُقيمان جلسة إحياء دينية مصغرة.

ثمّ سمع أرفن الرّجل الآخر يقول لصاحبه:

- إخفض صوتك.

- اللّعة. أظنّ أنّ الوقت مناسب الآن تماماً لزيارة زوجته. على الأرجح أنّها مستلقية في المنزل في سريرها لتبتّ فيه الدّفء انتظاراً لقدمي عليها.

- كفالك هراء يا لوكاس!

- ماذا؟ لا تقل لي إنك ستمانع في تذوّق طعمها. إنّها امرأة باهرة الجمال، اللّعة إنّ لم تكن كذلك.

نظر أرفن إلى أبيه نظرةً خاطفة يعوزها الاطمئنان. بقيت عينا ولادر مُغمضتين؛ يدها الكبيرتان مشبوكتان معاً فوق جذع الشجرة. تحرّكت شفتاه بسرعة، ولكنّ الكلمات التي كان يقوها كانت خفيفة

جدًا، ولن يتمكن من سماعها سوى الرب. فكَّر الصَّبي بما قاله له أبوه منذ أيام قلائل عن كيفية الصَّمود والدِّفاع عن النَّفس عندما يتفوَّه أحدهم ضدَّنا ببعض الكلمات النَّابية. واضحٌ بشكلٍ لا لبس فيه أنَّ ما تفوَّه به الرِّجلان كلمات نابية أيضًا. تملَّكهُ شعورٌ يائس عميق بأنَّ الرِّحلة الطويلة التي يقضيها في حافلة المدرسة لن تصبح أفضل حالًا ممَّا هي عليه الآن.

قال الرِّجل الآخر لصاحبه:

- هيا بنا من هنا. لست سوى ابن عاهرةٍ أحمق. لقد زادَ عيارُ وقاحتك.

أصغى أرفن إليهما وهما يغيَّران وجهتهما ويعودان أدراجهما عبر التلَّة من الاتجاه نفسه الذي جاءا منه. حتَّى بعد مدَّة طويلة من اختفاء أصوات وقع أقدامهما، كان لا يزال يسمعُ ضحكةَ الرِّجل الثرثار.

بعد بضعة دقائق، وقف ولارد وانتظر ابنه لكي يؤمِّن وراءه على ما تلاه من صلوات. ثم قفلا راجعين إلى المنزل بصمت. مسح الطين عن حذاءيهما على الدَّرَج المؤدِّي إلى الشَّرفة الأمامية للمنزل، ودلَّفا إلى المطبخ الدَّاخِل. كانت شارلوت، والدة أرفن، تقلي شرائح لحم الخنزير المقدَّد في مقلاة حديدية، وكانت تَحْفِقُ البَيْض بشوكة في زبدية زرقاء. صبَّت فنجان قهوة لولارد، ووضعت كأسًا من الحليب أمام أرفن. شعرها الأسود اللامع مسرَّحٌ إلى الخلف تسريحة ذيل الفرس، ومربوط برباط مطاطي. إزتدَّت منامةٌ وردية باهتة اللون وزوجًا من الجوارب الزَّغباء، في أحدهما ثقبٌ عند عقب قدمها. بينما كان أرفن ينظر إليها وهي تتحرَّك في الغرفة، حاول أن يتخيَّل ما الذي كان سيحصل لو جاء

الصيَّادان إلى المنزل بدلاً من العودة من حيث جاءا. كانت أمُّه أجمل امرأة رآها في حياته. تساءل إن كانت ستدعوها للدخول إلى المنزل.

حالمًا فرغ ولارد من طعامه، دفع كرسيه وذهب خارج المنزل، تعلق وجهه نظرة مكفهرّة. لم ينبس ببنت شفة منذ أن فرغ من صلواته. قامت شارلوت من أمام الطاولة حاملة قهوتها وسارت صوب النافذة. نظرت إليه وهو يمشي متأقلاً الخطى على أرضية فناء المنزل ويدخل إلى الحظيرة. فكّرت باحتمالية أن يكون قد أخفى قنينة مشروب إضافية هناك. فالقنينة التي وضعتها تحت المجلى لم يمسهها أحد منذ أسابيع. التفتت ونظرت إلى أرفن وقالت له:

- أبوك غاضبٌ منك لسببٍ ما؟

هزَّ أرفن رأسه وقال:

- لم أفعل أي شيء يستحق الغضب.

قالت شارلوت، وهي تتوكأ على طاولة المطبخ:

- لم يكن هذا ما سألتك عنه. فكلانا يعرفه عندما يغضب.

فكّر أرفن لهنيهة بإخبارها بما حصل عند جذع الصلاة، ولكن عازًا ما حصل لا يُداني. إذ شعر بالغثيان من مجرد التفكير بأن أباه سمع رجلاً يتحدث عن أمه بسوء بتلك الفظاظ ولم يحرك ساكنًا. لا بل كان جلُّ ردة فعله التجاهل.

- كنّا في جلسة إحياء دينية مصغرة. هذا كل ما في الأمر.

- جلسة إحياء؟ ومن أين جاءتكم تلك الفكرة؟

- لا أعرف، سمعتُ هذه الكلمة في مكان ما.

نَهَضَ أَرْفَن وَسَارَ مَجْتَازًا تَمَرَّ الصَّلَاةَ إِلَى غُرْفَتِهِ. أَغْلَقَ الْبَابَ وَاسْتَلْقَى عَلَى السَّرِيرِ، وَسَحَبَ الْبَطَانِيَّةَ الْعُلْوِيَّةَ عَلَى جَسَدِهِ. بَيْنَمَا كَانَ مُسْتَلْقِيًا عَلَى جَنْبِهِ، حَمَلَتْ فِي الصُّورَةِ الْمُؤَطَّرَةَ لِيَسُوعَ الْمَصْلُوبَ الَّتِي عَلَّقَهَا أَبُوهُ فَوْقَ خَزَانَةٍ مَلَأَتْ أَدْرَاجَهَا الْخَدُوشَ وَالضَّرْبَاتِ. كَانَ فِي كُلِّ غُرْفَةٍ مِنْ غُرْفِ الْمَنْزِلِ، بِاسْتِثْنَاءِ الْمَطْبَخِ، صُورٌ مُشَابِهَةٌ تَمَثَّلُ صَلْبِ الْمَسِيحِ الْمُخْلِصِ. كَانَتْ شَارْلُوتُ قَدْ مَنَعَتْ مَنَعًا بَاتًا وَضَعَتْ أَيَّ صُورَةٍ فِي الْمَطْبَخِ، وَهُوَ أَسْلُوبُ الْمَنَعِ نَفْسَهُ الَّذِي اتَّبَعْتُهُ عِنْدَمَا شَرَعَ الْأَبُ فِي اصْطِحَابِ أَرْفَنَ إِلَى الْغَايَةِ لِلصَّلَاةِ. قَالَتْ لَهُ وَقَتِيذًا:

- خُذْهُ إِلَى هُنَاكَ فَقَطْ فِي عَطَلَةِ نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ، يَا وِلَارْدِ. نَقْطَةٌ -  
انْتَهَى.

فَالطَّرِيقَةُ الَّتِي نَظَّرَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ هِيَ أَنَّ الْمُبَالِغَةَ فِي التَّدِينِ تَنْطَوِي عَلَى الْقَدْرِ ذَاتَهُ مِنَ السُّوءِ الَّذِي تَحْمَلُهُ قَلَّةُ التَّدِينِ؛ لَا بَلَّ إِنَّ كَثْرَةَ التَّدِينِ أَشَدُّ وَطَاءَةً مِنْ قَلَّتِهِ؛ وَلَكِنْ الْوَسْطِيَّةُ لَمْ تَكُنْ مِنْ طَبِيعَةِ زَوْجِهَا.

بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، اسْتَيْقِظَ أَرْفَنَ عَلَى صَوْتِ أَبِيهِ فِي الْمَطْبَخِ. قَفَزَ مِنَ السَّرِيرِ وَسَوَّى طَيَّاتِ الْبَطَانِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ، ثُمَّ ذَهَبَ وَوَضَعَ أُذُنَهُ بِجَانِبِ الْبَابِ. سَمِعَ أَبَاهُ يَسْأَلُ أُمَّهُ مَا إِذَا كَانَتْ تَرِيدُ أَيَّ شَيْءٍ مِنَ الْبِقَالَةِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهَا:

- يَجِبُ أَنْ أَعْبِي خَزَانَ الْبِكِّ أَبَ بِالْوُقُودِ لِأَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِلْعَمَلِ. عِنْدَمَا سَمِعَ أَرْفَنَ صَوْتَ وَقَعِ أَقْدَامِ أَبِيهِ فِي الصَّلَاةِ، تَحَرَّكَ سَرِيعًا مُبْتَعِدًا عَنِ الْبَابِ دَاخِلَ الْغُرْفَةِ. وَقَفَّ بِجَانِبِ النَّافِذَةِ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ مَلِيًّا فِي رَأْسِ سَهْمٍ رَفَعَهُ بِيَدِهِ مِنْ مَجْمُوعَةِ التَّحْفِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يَمْلِكُهَا الْمَوْضُوعَةُ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَةِ. فُتِحَ الْبَابُ، وَقَالَ وِلَارْدُ:

- هيا بنا نخرج في جولة بالسيارة. لا معنى لجلوسك هنا طيلة اليوم كقطعة البيت.

أثناء خروجها من الباب الأمامي للمنزل، صاحت شارلوت من داخل المطبخ قائلة: «لا تَنْسِيَا السَّكَّرَ». صعدا سيارة البك أب، وساق الأب صوبَ نهاية الدَّرب المليء بالحُفَر، ثم انعطف على طريق بوم هِل. عند إشارة الوقوف، انحرف ولارد يسارًا على امتداد طريق معبَّد يمرّ وسط بلدة نوكمِسْتِيف. رغم أن المشوارَ إلى بقالة مود لم يكن ليستغرق أكثرَ من خمس دقائق، فقد بدا دائئًا لأرْفَن وكأنَّه دَخَلَ دولةً أخرى عندما كانا يأتیان إلى حيِّ ميتشل فلاتس. في مكانٍ يُدعى باترسُن، كانت مجموعة من الصَّبيَّة، بعضهم يصغره سنًا، يقفون في المدخل المفتوح لمراب سيارات مهدوم وهم يمرّرون السَّجائر جيئةً وذهابًا، ويتبادلون الأدوارَ وهم يلکمون جثةَ غزالٍ مذبوح متدلّية من دعامة. صاح أحد الصَّبيَّة جَدلاً، وتمرّج عدّة مرّات في الهواء الشَّدید البرودة عندما تجاوزتهم سيارة ولارد. سارعَ أرْفَن إلى حشر نفسه قليلاً في مقعد السيارة. أمام منزل جيني فاغنر، كان طفلٌ متورّد البشرة يَجْبُو في فناء المنزل تحت شجرة قَيْقَب. كانت جيني تقف على شرفة مدخل المنزل الواطئة مشيرةً إلى الطفل، وهي تصرخُ على أحدهم في الداخل من خلال نافذة مكسورة استبدل زُجاجها بألواح من الورق المقوى. ارتدَّت الملابس ذاتها التي اعتادت ارتدائها للمدرسة كلَّ يوم؛ تنورة حمراء مقلّمة وكنزة بيضاء منسّلة الخيوط. رغم أنَّها كانت تسبق أرْفَن بصفِّ دراسيٍّ واحد، فقد كانت تجلس دومًا في مؤخّرة الحافلة مع الصَّبيّان الأكبر سنًا أثناء العودة من المدرسة. كان أرْفَن قد سمعَ بعض الفتيات الأخريات وهنّ يتهاَمسن بأنَّ الصَّبيَّة سمحوا لها بالجلوس في

الخلف لأنّها كانت تفرد ساقينها وتَدْعُهُمْ يُدَاعِبُونَ فَرَجَهَا بِأَصَابِعِهِمْ.  
كان الأمل يُخَدِّوه بِأَنَّهُ رَبِّهَا فِي يَوْمٍ مَا، وعندما يكبر قليلاً، سيكتشف  
ماذا يعني ذلك بالضبط.

بدلاً من التوقّف عند البقالة، انعطف ولارد انعطافةً حادةً نحو  
اليمين على طول الطريق المفروش بالحصى المسمّى طريق شيدي غلين.  
ضَغَطَ على البنزين وسَاقَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الفناء الطيني الخالي المحيط بمبنى  
حانة بل بن. كان المكان مليئاً بقمامة مكوّنة من أغطية القناني وأعقاب  
السجائر وكراتين البيرة. هناك كان يعيشُ موظّفٌ سابقٌ في السكك  
الحديدية اسمه سنوكس سنايدر. بشرته مبقّعة ببثورٍ ناجمة عن إصابته  
بسرطان الجلد. كان يُقيم مع شقيقته أجاثا، وهي فتاة كبيرة في السنّ  
اعتادت الجلوسَ في نافذة علوية طيلة النهار متّسحة بالسّواد ومتظاهرةً  
بأنّها أرملة قتلها الحزن. إِمْتَهَنَ سنوكس بَيْعَ البيرة والنيذ في القسم  
الأماميّ من المنزل. وفي حال كان وجهك مألوفاً حتّى ولو قليلاً  
عنده، فبإمكانك الحصول على المزيد من البضاعة في الجزء الخلفيّ من  
المنزل. وحتّى يوفّر الرّاحة لزيّائنه، زوّد المكان بعدّة طاولات نزهات  
تحت بعض أشجار الجميز العالية الواقعة إلى جانب المنزل. وكان هناك  
وهدة بشكلٍ حذوة الحصان ومرحاض خارجيّ بدأ دائماً أنّه على وشك  
السقوط. كان الرّجلان اللذان رأهما أرفن في الغابة صباح ذلك اليوم  
جالسين إلى إحدى الطاولات يُخْتَسِمَانِ البيرة. أسندَا بُنْدَقَيْهِمَا إِلَى  
شجرة خلفهما.

قبل أن يتوقّف البِكْ أب وقوفاً نهائياً، فَتَحَ ولارد الباب بقوةٍ وَوَتَبَ  
منه. وَقَفَ أَحَدُ الصيادَيْنِ وَرَمَى قَنِينَةً إِصْطَلَمَتْ بِسُرْعَةٍ بِالرّجَاجِ  
الأماميّ للبِكْ أب، وارتدت لِتَسْتَقِرَّ عَلَى الطريق مُحْدِثَةً جَلْجَلَةً قَوِيَةً.

ثُمَّ اسْتَدَارَ الرَّجُلُ وَبَدَأَ يَرْكُضُ وَيُجْرِجِرُ مِعْطَفَهُ الْقَدْرَ وَرَاءَهُ وَغِيُونَهُ  
الْمُحْتَبَسَةَ بِالْدَّمِ تَنْظُرُ نَظْرَاتٍ مَتَوَحِّشَةً صَوَّبَ الرَّجُلُ الضَّخْمَ الَّذِي كَانَ  
يُطَارِدُهُ. أَمْسَكَ بِهِ وَلَارِدَ وَطَرَحَهُ أَرْضًا عَلَى الْوَحْلِ الزَّلِقِ الْمَتَجَمِّعِ أَمَامَ  
بَابِ الْمَرْحَاضِ الْخَارِجِيِّ. وَبَعْدَ أَنْ قَلَبَهُ، ثَبَّتَ كَتْفَيْهِ الْهَزِيلَتَيْنِ بِرُكْبَتَيْهِ  
وَإِنهَالًا عَلَى وَجْهِهِ الْمُلْتَحِي بِقَبْضَاتِهِ. هَرَعَ الصَّيَادُ الْآخَرَ وَأَمْسَكَ بِإِحْدَى  
الْبُنْدُقِيَّتَيْنِ وَجَرَى بِسُرْعَةٍ إِلَى سَيَّارَةِ بِلْمَاوْثِ خَضِرَاءِ اللَّوْنِ، وَمَعَهُ كَيْسُ  
وَرَقِيٍّ بَنِي تَحْتِ ذِرَاعِهِ. زَادَ مِنْ سُرْعَةِ سَيَّارَتِهِ. تَطَايَرَتْ الْحَصَى بِفِعْلِ  
إِطَارَاتِهَا الْمُتَهَالِكَةِ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الْمَمْتَدِّ إِلَى مَا بَعْدَ الْكَنِيسَةِ.

بَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقَ، تَوَقَّفَ وَلَارِدَ عَنِ ضَرْبِ الرَّجُلِ. فَرَكَ يَدَيْهِ  
بِبَعْضِهَا حَتَّى يُرِيحِهَا مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ وَسَحَبَ نَفْسًا عَمِيقًا، ثُمَّ  
مَضَى نَحْوَ الطَّائِلَةِ حَيْثُ كَانَ الرَّجُلَانِ جَالِسَيْنِ قَبْلًا. أَمْسَكَ بِالْبُنْدُقِيَّةِ  
الْمَسْنُودَةِ إِلَى الشَّجَرَةِ، أَفْرَغَ مِنْهَا طَلْقَتَيْنِ حَمْرَاوِينِ، ثُمَّ أَزْجَحَهَا كَعَصَا  
الْبَيْسَبُولِ بِأَتْجَاهِ شَجَرَةِ الْجَمِيزِ، وَقَذَفَهَا إِلَى أَنْ تَحَطَّمَتْ إِلَى عِدَّةِ قِطَعٍ.  
بَيْنَمَا اسْتَدَارَ وَقَفَّلَ رَاجِعًا إِلَى سَيَّارَتِهِ، حَمَلَتْهُ وَهُوَ يَرَى سَنُوكَسَ سَنَائِدِرَ  
وَاقِفًا بِالْبَابِ حَامِلًا مَسَدَسًا قَصِيرَ السَّبْطَانَةِ مُوجَّهًا إِلَيْهِ. تَقَدَّمَ وَلَارِدَ  
بِضْعِ خَطَوَاتٍ بِأَتْجَاهِ الشَّرْفَةِ الْأَمَامِيَّةِ لِلْمَنْزِلِ، وَقَالَ بِصَوْتِ جَهْوَرِيٍّ:

- يَا مَعْلَمُ! أَتُرِيدُ أَنْ يَنَالَكَ نَصِيبٌ مِمَّا نَالَهُ؟ مَا عَلَيْكَ سِوَى أَنْ  
تَتَقَدَّمَ إِلَى هُنَا. سَأَحْشُو ذَلِكَ الْمَسَدَسَ بِكَامِلِهِ فِي مَوْخَرَتِكَ.

وَقَفَّ مُنْتَظِرًا إِلَى أَنْ أَغْلَقَ سَنُوكَسَ الْبَابِ.

عِنْدَمَا عَادَ وَلَارِدَ وَصَعِدَ إِلَى سَيَّارَتِهِ، مَدَّ يَدَهُ أَسْفَلَ الْمَقْعَدِ، وَأَخْرَجَ  
خِرْقَةً مَسْحَ بِهَا آثَارَ الدَّمَاءِ عَنِ يَدَيْهِ. ثُمَّ سَأَلَ ابْنَهُ أَرْفَنَ:

- أَتَذْكَرُ مَا قَلْتُهُ لَكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ؟



- تقصد بخصوص الصَّبِيَّة في حافلة المدرسة؟

- نعم، هذا ما قَصَدته.

في تلك اللَّحظة أوماً ولارد برأسه باتجاه الصَّيَّاد، وألقى بالخرقة من النافذة.

- كل ما عليك فعله اختيارُ اللَّحظة المناسبة.

أجابَ أرفن:

- حاضر يا أبي.

- يوجد عددٌ كبير من أولاد العاهرات السيِّئين هناك.

- أكثر من مائة؟

ضحك ولارد قليلاً، وحرَّك ناقل حركة السيَّارة وقال:

- نعم، يوجد على الأقل ذلك العدد الكبير منهم.

ثم بدأ بتخفيف ضغطه على الدبرياج وتابع قائلاً:

- أظنَّ أنه من الأفضل أن تُبقي ما حَصَلَ سرّاً بيننا، موافق؟ فلا

جدوى من إغضاب أمك إن عَلِمَتْ بما جرى.

- لا، أمي يكفيها ما فيها.

- جيد. والآن ما رأيك في أن أشتري لك قطعةً من الحلوى؟

غالبًا ما بقي أرفن يفكّر لمُدَّة طويلة بأن ذلك اليوم كان أجمل

يوم قضاه مع أبيه. بعد عشاء ذلك المساء، تبع أباه راجعين إلى جذع

الصَّلَاة. كان القمرُ يطلع في اللَّحظة التي وصَلَ فيها، كأنه شريحةٌ رقيقةٌ

من عظمةٍ قديمةٍ ومثقوبة تراقفها نجمةٌ واحدة برّاقة. ركَّعا وألقى أرفن

نظرةً خاطفةً على براجم أصابع أبيه الهزيلة. عندما استفسرت شارلوت

ولارد عمًا حصَل ليدِه، أجاِبها بآنه جَرَحها وهو يُبدَل إطارَ السيارَة الَّذي  
تعطَّل. لم يشهد أرفن أباه يكذب من قبل، ولكنّه كان مُتيقَّنًا من أن الله  
سيغفر له. في أثناء ذلك، ومع هبوط العتمة في الغابة، كانت الأصوات  
المرتحلة من الوادي صَوَّب التلّة مسموعةً بكلِّ وضوح. وهناك في مبنى  
حانة بَل بن، بدتْ أصوات طرق حذوات الخيول على الأوتاد المعدنية  
وكأنتها تشبه صوت قرع أجراس الكنيسة. وذكّرت أصوات صباح  
السكارى وسخريتهم الصّبي بالصياد المضرّج بدمه في الطين. لقد لَقن  
أبوه ذلك الرّجل درسًا لن ينساه في حياته البتّة. في المرّة القادمة التي  
يعبث فيها أحدهم معه، فإنّ أرفن سيفعل ما فعله أبوه للرّجل. أغمض  
عينه وبدأ الصّلاة.

الجزء الأول  
القربان



ذات عصر أربعاء من خريف عام 1945، بعد مدّة قصيرة من اليوم الذي وَصَعَتْ فيه الحرب أوزارها، توقّف الباص التابع لسفريات غريهاوند وِقَفْتَه المعتادة في بلدة ميد بأوهايو. وميد هذه بلدة صغيرة تشتهر بمصنع للورق يوجد فيها، وتقعُ البلدة على مسافة ساعة جنوب مدينة كولومبُس؛ منها تفوحُ رائحةُ كرائحة البيض الفاسد. اشتكى الغُرباء من تلك الرائحة التّنة، ولكنَّ سكان البلدة لطالما تفاخروا بأنّها ليست سوى الرائحة العَطِرة للمال. توقّف سائق الباص، وهو رجلٌ ناعم الهيئة قصير القامة يرتدي حذاءً مرتفعاً وربطة عنق فرنسيّة مرتخية في زقاق بجانب محطة الباصات، وأعلن عن استراحة لمدة خمسةٍ وأربعين دقيقة. كان يُمني النفس باحتساء كوب من القهوة، ولكنّ آلام القرحة عاودته مرّة أخرى. ثنّأب، وشرب جرعة كبيرة من قنينة فيها دواء وردّي اللون كان يحتفظ بها فوق التابلو. كانت مدخنة المصنع المقابل للبلدة؛ وهي بلا شك أكثر المباني ارتفاعاً في هذا الجزء من الولاية، تنفثُ هَبَاب دُخانها نحو الأعلى مكونة غيمةً بيّنةً قدرة تلحق بسابقتها. كان بالإمكان مشاهدتها على بعد أميال، كان دخانها كَبُرْكانِ يوشك أن يفجّر قَمَمته الضئيلة الحجم.

أنزل سائق الباص قبّعته الجلديّة وهو مسترخٍ في كرسيّه، وغطّى

بها عينيه. كان يعيش على مقربة من فيلادلفيا، وظنَّ بأنَّه لو قدَّر له أن يعيشَ في مكانٍ مثل بلدة ميد في أوهايو، فلن يكون منه إلا أن يَمْضِي وَيُطْلِق النار على نفسه. إذ لا يمكنك العثور ولو على زبديّة من الخس في هذه البلدة. بدا أن كلَّ ما كان يأكله القوم هنا لم يكن سوى الشحم والمزيد من الشحم. سيموت خلال شهرين إن أكل ما يأكلون من طعام لا طعمَ له ولا مذاق. قالت زوجته لصديقاتها بأنَّه كان طريَّ العود، ولكن كان شيء ما يعترى نبرة صوتها وهي تتكلَّم، وهو ما جعله أحيانا يتساءل فيما إذا كانت تشعر بالتعاطف مع حالته حقًا. لو لم يكن يعاني من القرحة، لالتحق بالجيش وحارب مع بقيّة الرّجال. يمكنه أن يذبح فصيلةً كاملة من الألمان لكي يُثبت لها طراوة العود اللّعينة التي كانت تنعته بها. كان عظيمُ نَدَمِه يدورُ حول كلِّ الميداليات ونياشين النّصر التي ضاعت منه فرصة الظفر بها. حَصَلَ والده ذات مرّة على شهادة من شركة السكك الحديدية لأنَّه لم يتغيَّب ولو ليوم واحد عن العمل خلال عشرين سنة. وما انفك الأب يتحدّث عن تلك المفخرة أمام ابنه المصاب بالقرحة كلِّما رآه خلال العشرين السنة التي تلت حصوله على تلك الشهادة. عندما مات أبوه أخيرًا، حاول سائق الباص أن يقنع والدته بدفن الشهادة في التابوت مع جثة أبيه حتى لا يضطرَّ لرؤيتها مرّة ثانية. ولكنها أصرت على تركها معروضةً في غرفة الجلوس كمثالٍ عمّا يمكن للمرء أن يَجْنِيه في حياته إن هو حاول ألاَّ يسمح لعلّة هضميّة بسيطة بالوقوف عائقًا في طريقه. وتحوّلت الجنازة، وهي حدثٌ كان سائق الباص يتوق إليه منذ مدّة طويلة، إلى جحيمٍ بسبب كلِّ ذلك الجدل الذي أثير حول مصير تلك النفاية القميّة من الورق. سيكون سعيدًا عندما يصل كافة الجنود المسرّحين أخيرًا إلى بيوتهم بحيث لن

يضطرّ للنظر في وجوه هؤلاء الأوغاد الحمقى بعد الآن. فإنجازات الآخرين قد تُلقَى بظلالها عليك بعد برهة من الزمن.

كان المجنّد ولارد رَسِل يشرب في مؤخّرة الباص مع بحّارين من جورجيا، ولكن أحدهما فقد وعيه فيما تقيّاً الآخر في آخر قنينة كانا يشربانها. لم يتوقف ولارد عن التفكير في أنّه لو قدّر له الوصول إلى المنزل، فإنّه لن يغادر بلدة كول كريك في فرجينيا الغربية مرّة أخرى أبداً. كان قد رأى بعض مظاهر الحياة القاسية أثناء نشأته بين ربيّ التلال، بيّد أنّها لا تُقارَن من قريب أو بعيد بما شهده من أهوال في جنوب المحيط الهادي. ففي إحدى جزر سليمان، التقى صدفةً هو وثُلّة من الجنود الآخرين من سرّيته بجنديّ من جنود البحرية وقد سلّخه اليابانيون حيّاً وصلبوه على صليبٍ مُكوّن من شجرتيّ نخيل. كانت الجثة غير المتحلّلة المدمّاة مغطّاة بالذباب الأسود. استطاعوا رؤية قلب الرّجل وهو لا يزال ينبض في صدره. كانت بطاقة تعريفه المعدنية معلّقةً بما بقي من إصبع رجليه الكبير وقد كُتِبَ عليها: الرقيب في سلاح المدفعية ميلر جونز. لم يكن بإمكان ولارد أن يقدّم له أيّ شيء سوى نزرٍ يسير من الرّحمة. أطلق ولارد النار على الرقيب خلف أذنه، ثمّ أنزلوه عن الصليب وأهالوا عليه الحجارة عند قاعدة الصليب. تغيّرت كلّ أفكار ولارد منذ تلك الحادثة ولم يعد الشّخص الّذي كانه.

عندما سمع سائق الباص القصير السمين يصبح متفوهاً بشيء ما عن التوقف للاستراحة، وقف ولارد ومضى باتجاه الباب وأمارات التقزُّز باديةً عليه بسبب سلوك البحّارين. فحسب رأيه، البحرية هي الفرع من الجيش الّذي ما كان يجب أبداً السماح لمتسبيه بالشرب. خلال

السنوات الثلاث التي خدمها في الجيش، لم يقابل ولو بحارًا واحدًا يمكنه أن يشمل من المشروب. أخبره أحدهم بأن سبب ذلك يعود إلى مادة نترات البوتاسيوم التي كانوا يُجَبِّرون على تناولها لمنعهم من الجنون واغتصاب بعضهم البعض عندما يكونون في عرض البحر. تجوّل خارج محطة الباصات ورأى مطعمًا صغيرًا في الجهة المقابلة من الشارع اسمه مطعم وودن سبون. كانت هناك قطعة من الكرتون الأبيض مثبتة على نافذته تعلن عن تقديم وجبة اللحم الملفوف بالخبز بسعر خاص يبلغ خمسة وثلاثين سنتًا. كانت أمّه قد حضّرت له الوجبة ذاتها قبل يوم من ذهابه للالتحاق بالجيش، وقد عدّ ذلك بمثابة فآلٍ حسن. جَلَسَ وأشعل سيجارة في ركنٍ بجانب النافذة. امتدّ رفٌّ عبر أرجاء المطعم، رُتِّبَ عليه قنآنٍ قديمة وأدوات مطبخ عتيقة وصورٌ متشققة بالأبيض والأسود اجتمع عليها الغبار. كان ملصقًا على الجدار المحاذي للركن الذي جلس فيه تقرير باهت اللون مأخوذ من الجريدة يتحدث عن ضابط شرطة من بلدة ميد لقي حتفه على يد لصٍّ من لصوص البنوك أمام محطة الباصات. نظر ولارد من كئيب، ورأى أن تاريخ الخبر يرجع إلى الحادي عشر من فبراير سنة 1936. كان ذلك التاريخ يصادف يومًا يسبق عيد ميلاده الثاني عشر بأربعة أيام وفق حساباته. الزبون الوحيد الآخر في المطعم رجل عجوز. كان منحنيًا فوق طاولة في منتصف المطعم وهو يلتهم زبديّة من حساء أخضر مصدرًا صوتًا أثناء الأكل. كانت بدلة أسنانه موضوعة أمامه فوق قالب من الزبدة.

فرغ ولارد من سيجارته وهمّ بالمغادرة عندما دلفت من المطبخ أخيرًا نادلّة داكنة الشعر. سحبت قائمة الطعام من رزمة موضوعة قرب آلة تسجيل النقود. أعطته إيّاها قائلة:



- أعتذر منك، لم أسمعك أثناء دخولك المطعم.

عندما كان ولارد ينظر إلى وجنتيها المرتفعتين وشفتيها المكتنزتين وساقينها الطويلتين النحيفتين، اكتشف، عندما سأله عما يرغب في أكله، بأن الرقيق نشف في فمه. أصبح شبه عاجز عن الكلام. لم يحصل معه ذلك أبداً قبل ذلك؛ لم يحصل حتى في أشد المعارك ضراوة في بوغانفل<sup>(1)</sup>. وأثناء ذهابها لتقديم طلبه وإحضار كوب من القهوة له، جالت الفكرة في رأسه بأنه وقبل بضعة أشهر كان متأكداً من أن حياته لن تنتهي سوى فوق صخرة حقيرة شديدة الرطوبة والحرارة في وسط المحيط الهادي. والآن ها هو هنا؛ لا يزال حياً يُرزق وعلى مسافة بضع ساعات من منزله، وتقوم على خدمته في المطعم امرأة بدت بالنسبة إليه كصورة حيّة عن ملاك من أولئك اللواتي يظهرن في إعلانات أفلام السينما. إن جاز لكلماته أن تصف حاله آنئذٍ، فإن تلك اللحظة التي وقع فيها في الحب هي أجمل لحظات حياته. لم يكثرث لوجبة اللحم الناشفة والفاصولياء الخضراء اللينة ورقاقة الخبز القاسية التي كانت كقطعة من الفحم المستخرج من المنجم رقم (5)<sup>(2)</sup>. رأى الأمر وكأنها قدّمت له أفضل وجبة طعام تناولها في حياته. بعد أن فرغ من الطعام، قفل راجعاً إلى الباص دون حتى أن يعرف أن اسمها كان شارلوت ولوباي.

(1) جزيرة بوغانفل أكبر الجزر في أرخبيل جزر سليمان في المحيط الهادي. جرت فيها معارك بحرية وبرية شرسة جداً بين قوات الحلفاء والجيش الياباني إبّان الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945). (المترجم)

(2) منجم فحم يقع في بلدة سنتراليا في ولاية إلينوي حصل فيه انفجار بتاريخ 25 مارس 1947 أودى بحياة 111 شخص. (المترجم)

على الجهة المقابلة من النهر في هنتنغن، وَجَدَ محلاً لبيع الخمر  
عندما توقّف الباص في المرّة التالية. ابتاع خمسَ قنانٍ صغيرة من الوسكي  
المضمونة ودسّها في حقيبته. كان يجلس في تلك اللّحظة في مقدّمة  
الباص، خلف السائق مباشرة، وهو يفكّر بالفتاة التي رآها في المطعم  
ويبحث عن بعض العلامات التي تشي بأنّه اقترب من البيت. كان لا  
يزال ثملاً بعض الشيء. على حين غرّة، قال سائق الباص:

- هل عدتم ومعكم أيّ نياشين نصر؟

نظر إلى ولارد من خلال مرآة الحافلة الواقعة في منتصف الواجهة  
أمامه. هزّ ولارد رأسه وقال:

- عدتُ ومعى هذا الجسد الهزيل الذي أمشي به على غير هدى.

- أردتُ الذهاب للقتال، ولكنهم لم يأخذوني.

- أنت محظوظ.

في اليوم الذي صادفوا فيه جنديّ البحريّة، كان القتال في الجزيرة  
قد انتهى تقريباً. كان الرقيب قد أرسلهم في مهمّة عساهم يجدون بعض  
الماء الصّالح للشرب. بعد بضع ساعات من دفنهم لجثة ميلر جونز  
المسلوخة، خرج من بين الصّخور أربعة جنود يابانيون أُنهكهم الجوع  
وأثار دماء حديثة العهد لا تزال على حراهم. خرجوا يرفعون أيديهم  
للأعلى ومُستسلمين. عندما همّ ولارد وصاحبا به بالرجوع بهم إلى موقع  
الصليب، جثا الجنود على ركبهم وبدؤوا بالتوسل أو الاعتذار. ولارد  
نفسه لم يعرف ما إذا كانوا يتوسلون أم يعتذرون. كذب ولارد على  
الرقيب في المعسكر فيما بعد عندما قال له:

- حاولوا الهرب، لم يكن لدينا أيّ خيار آخر.

بعد أن أعدموا الياپانيين، قَطَعَ أحد الجنود الَّذِينَ كانوا معه آذانهم بموسى حلاقة. كان فتىً من لوزيانا ويضع قدم جُرْدٍ من جردان المستنقعات حول عنقه علَّه يدرأ عنه الرصاصات الطائشة. كان لديه علبة سيجار ممتلئة بالأذان التي جفَّها مسبقًا. كانت خطته تقتضي بيع نياشين الحرب تلك مقابل خمسة دولاراتٍ للأذن الواحدة حالما يعودون أدراجهم إلى عالم الحضارة.

قال سائق الباص:

- أنا مصابٌ بالقرحة.

- ما من شيء فاتك في تلك الحرب حتى تحزن عليه.

- لا أعرف. كنت أرغب بالتأكيد بالحصول على نيشان تكريم.

ربما بضعة نياشين. أظنّ أنه كان بإمكانني قتل ما يكفي من هؤلاء

الأوغاد آكلة الملفوف<sup>(1)</sup> للحصول على نياشينٍ على أيّ حال.

أنا سريع جدًّا في استعمال يديّ.

كان ولارد ينظر إلى قفا رأس سائق الباص وهو يتذكّر الحديث

الذي دار بينه وبين القسيس الشابّ العابس الوجه على ظهر السفينة

بعد أن اعترف له بأنّه أطلق النار على جنديّ البحريّة ليرجحه من عذاباته.

كان القسيس قد سئم كلّ مشاهد الموت التي رآها، وسئم كلّ الصلوات

التي أدّاها على طوابير من الجنود الموتى وأكوام من الأعضاء البشرية.

قال لولارد بأنّه لو فرضنا بأنّ نصف ما يذكره التاريخ كان صحيحًا،

---

(1) في الأصل (Kraut) وهو مصطلح دخل اللغة الإنكليزية بحدود عام 1918 ويشير بازدرء إلى الألمان، وخصوصًا الجنود الألمان في الحربين العالميتين الأولى والثانية. (المترجم)

عندها يكون الشيء الوحيد الذي أفلح فيه هذا العالم السافل الفاسد هو  
تهيئة الإنسان للعيش في الحياة الآخرة.

قال ولارد للسائق:

- هل تعلم بأن الرومان اعتادوا أن يستأصلوا أحشاء الحمير  
فيضعون داخلها المسيحيين وهم أحياء، ثم يخيطنون جثثها  
ويتركونها تحت أشعة الشمس حتى تتعفن؟

كان القسيس قد حكى له العديد من أخوات تلك القصص.

سأله سائق الباص:

- وما شأن ذلك بالحصول على نيشان تكريم في الحرب؟

- فكّر بالأمر فقط. تخيل نفسك مربوطاً بإحكام مثل ديك حبش  
في مقلاة ورأسك فقط يبرز من مؤخرة حمار فاطس؛ ومن ثمّ  
تُباشر الديدان أكلك إلى أن تموت.

عبس سائق الباص، وأمسك بالمقود بإحكام أكثر وقال:

- أيها الصديق، لا أفهم ما ترمي إليه. كنتُ أتحدّث عن العودة

للوطن ونيشان كبير يزيّن صدري. هل قلّد الرومان أولئك الناس

نياشين قبل أن يحشروهم داخل جثث الحمير؟ أذلك ما تقصده؟

لم يفهم ولارد ما كان يقصده السائق. فوفقاً للقسيس، الله وحده

من يحدّد سبب البشر. لعق شفّته الجافتين، وفكّر بالوسكي الموجودة في

حقيبتة ثمّ قال:

- ما أودّ قوله هو أنّه عندما يتعلّق الأمر بذلك، فإنّ الجميع يعانون

في نهاية المطاف.

قال سائق الباص:

- طيّب، كنت أودّ الحصول على نيشاني قبل ذلك. يا لسوء الحظ!  
لديّ زوجة في البيت يطير صوابها في كلّ مرّة ترى فيها نيشاناً.  
وذلك يقودني إلى حديث عن معاناتي من ذلك. إذ أنّني في أيّ  
وقتٍ أكون فيه خارج البيت على الطريق يعتريني قلق كبير  
إذ أهجسُ بأنّها ربّما تخونني مع أحدهم ممّن حصّل على وسام  
القلب الأرجواني<sup>(1)</sup>.

انحنى ولارد للامام وشعر السائق بنفسه الحارّ على قفّاء رقبته  
الغليظة. شمّ رائحة الوِسكي ورائحة فم بائسة بعد تناول وجبة غداء  
رخيصة. قال له ولارد:

- أتظنّ أنّ ميلر جونز سيكثرث لو خائته زوجته؟ يا صاحبي،  
سيحلّ بك ما حلّ به ذات يوم قميء.  
- من هو ميلر جونز بحقّ جهنّم؟

نظر ولارد خارج النافذة في الوقت الذي بدأت فيه القمّة غير  
الواضحة لجبل غرينبيرير بالظهور على مدّ النظر. كانت يدها ترتجفان،  
وحاجبه يلمع بسبب العرق المتصبّب عليه. أردف ولارد:

- ليس سوى وغد مسكين مضى وقاتل في الحرب التي خدعوك  
بالحديث عنها، ذلك كلّ ما في الأمر.

كان ولارد يهّم بالاستعداد لإخراج إحدى قناني الوِسكي وفتحها  
عندما مرّ خاله إيرسكل بسيّارته الفورد الصاخبة أمام محطة باصات

---

(1) وسام عسكري أمريكي يمنح باسم الرئيس الأمريكي تكريماً لمن يجرح أو يقتل أثناء  
تأدية الخدمة العسكرية. (المترجم)

غريهاوند في بلدة لويسبرغ عند زاوية شارع واشنطن أند كورت. كان قد مضى على جلوسه على المقعد في الخارج حوالي ثلاث ساعات، محتسبًا قهوة باردة في كوب ورقي ومراقبًا المازة وهم يعبرون أمام صيدلية بيونير. أصابه الخجل من الأسلوب الذي تحدّث به مع سائق الباص، نادمًا على ذكر اسم جنديّ البحريّة مثلما فعل؛ وأقسم أغلظ الأيمان أنّه لن يذكر اسم الرقيب في سلاح المدفعية ميلر جونز أمام أيّ كان مرّة أخرى رغم أنّه لن ينساه أبدًا. حالما صعد سيارة خاله وانطلقا بها، مدّ يده إلى حقيبته القماشية التي كانت معه وأعطى خاله قنيّة من القناني ومعها مسدّس ألمانيّ من طراز لوغر كان قد قايضه بسيفٍ تقليديّ يابانيّ في القاعدة العسكرية في ميريلاند قبل تسريحه من الجيش بأيّام معدودات. قال ولارد وهو يحاول أن يجبس عبوسًا اجتاحت حياّه:

- يفترض أنّ هذا هو المسدّس الذي فجّر به هتلر رأسه عند انتحاره.

قال إيرسكل:

- ما هذا الهراء!

ضحك ولارد وقال:

- ماذا؟ تظنّ أنّ من باعني إياه كذب عليّ؟

قال إيرسكل العجوز:

- ها!

أدار غطاء القنيّة وفتحها. وشرب منها شربةً مديدة. ارتعش ثمّ قال:

- أقسم بالربّ أنّها وسكيّ طيبة.

فتح ولارد قنينة أخرى وأشعل سيجارة، ثم قال:

- اشرب المزيد. معي ثلاث قنانٍ أخرى في حقيبتني.

أخرج ذراعاه خارج نافذة السيّارة وقال:

- وكيف حال أمي؟

- حسنًا، يجب عليّ القول إنّها... عندما أرسلوا جثة جوننيور كارفر

إلى أهله، أصيبت لُبْهةٍ بمقدار ضئيل من الجنون. ولكن يبدو

أنها بصحة جيّدة الآن.

شرب إيرسكل شربةً أخرى من القنينة، ثمّ وضعها بين ساقيه

وأضاف:

- كانت قلقةً عليك، ذلك كلّ ما في الأمر.

صعدت سيّارة الفورد التلال باتجاه بلدة كول كريك ببطء. أراد

إيرسكل سماع بعض قصص الحرب، ولكن الشيء الوحيد الذي

تحدّث عنه ابن أخته في الساعة التّالية كان سيرة بعض النساء اللّاتي

التقى بهن في أوهايو. كان أفضل حديثٍ يسمعه من ولادر طيلة حياته

كلّها. كان يودّ سؤاله إن كان صحيحًا أنّ اليابانيين يأكلون جثث

موتاهم، كما ورد في الجريدة، ولكنّه ارتأى أن يترثّ قبل توجيه ذلك

السؤال. ناهيك عن أنّه يجب عليه الانتباه أثناء سياقته. كان مفعول

الويسكي يسري في عروقه بهدوءٍ وقوّة، ولم يكن بصره قويًا كعهده به

في غابر الأيام. كانت إيما تنتظر عودة ابنها إلى البيت منذ زمن طويل،

وسيكون عازًا عليه إن ارتكب حادثًا ألقاه وابن أخته إلى التهلكة قبل

أن تراه. ضحك إيرسكل ضحكة خفيفة مع نفسه عندما فكّر بحصول

ذلك الأمر. كانت أخته من أكثر النّاس الذين رأهم في حياته خوفًا من

الله، ولكنها ستبعه مباشرة إلى جهنم حتى تجعله يدفع ثمن فعلته تلك إن حصلت.

سألت إيما ريسل ابنها ولارد:

- حسناً، ما الذي أعجبك على وجه التحديد في تلك الفتاة؟

كان منتصف الليل قد حلَّ تقريباً عندما ركن هو وإيرسكل سيارة الفورد في أسفل التلة وصعدا الدرب باتجاه المنزل الخشبي الصغير. عندما اجتاز ولارد الباب، مضت صوبه لبرهة، ضمته وبللت مقدمة بزته العسكرية بدموعها. نظر من فوق كتفها بينما دلف خاله إلى المطبخ. غزا الشيب شعرها منذ آخر مرة رآها فيها. قالت له:

- فلتجلس معي ونُصَلِّ شكراً ليسوع.

تابعت وهي تمسح الدموع عن وجهها بطرف مئزرها:

- ولكنني أشم رائحة خمر في أنفاسك.

أوما ولارد برأسه. لقد تربى تربية جعلته يعتقد بأنه على المرء ألا يتكلم أبداً مع الله عندما يكون تحت تأثير الخمر. فالإنسان في حاجة إلى أن يكون مخلصاً للرب في كل الأوقات لأنه يحتاج إلى عون في وقت الضيق؛ أيًا كان ذلك الوقت. لم يكن ولارد الوحيد الذي يؤمن بذلك، بل كان أبوه يؤمن بذلك أيضاً. كان والده، توم ريسل، بائع خمر غير نظامي، وقد لزمه سوء الطالع والمشكلات حتى آخر يوم في حياته، في ذلك اليوم الأخير من حياته مات بسبب مرض في الكبد في سجن في بلدة باركرسبرغ. وبصرف النظر عن سوء أحواله - إذ لم يكن أبوه يخرج من أزمة إلا ويدخل أزمة أخرى - فإنه ما كان ليطلب المساعدة من سكير حتى ولو كان في جسده مقدار ملعقة صغيرة من خمر.



قالت إيميا:

- طيّب. فلنذهب إلى المطبخ. باشر الأكل وسأحضّر بعض القهوة.  
لقد أعددت لك وجبة لحم ملفوف بالخبز.

مع حلول الساعة الثالثة فجراً، كان ولارد وإيرسكل قد أتيا على  
أربع قناني وسكي اشترياهما من محلّ الخمر وهما يشربانها بأكواب،  
وكانا يعملان على إنهاء القنينة الأخيرة.

كان رأس ولارد مشوشاً، وواجه صعوبة شديدة في ترتيب كلماته  
مع بعضها، رغم أنّه ذكر لأمه بشكلٍ واضح سيرة النادلة التي رآها في  
المطعم. قال لأمه:

- ماذا كان السؤال الذي سألتنيه؟

- سألتك عن تلك الفتاة التي كنت تتحدّث عنها. ماذا أعجبك  
فيها؟

كانت أمّه تصبّ له كوباً آخر من القهوة المغلّاة من إناء. رغم أنّ  
الخدر كان يسري في لسانه، فقد كان متأكّداً بأنّه أحرّقه بالقهوة الساخنة  
أكثر من مرّة. تلىّ مصباح كيروسين معلق بعارضة من السقف وأضاء  
الغرفة. كان ظلّ أمّه الواسع يتمايل على الجدار. بصق بعض القهوة على  
الغطاء المشمّع الذي كان يغطّي المائدة. هزّت إيميا رأسها ومدّت يدها  
خلفها لكيّ تجلب خرقة لمسح المائدة.

- أعجبتني من كافّة النواحي. يجب أن تريبها.

رأت إيميا بأنّ الوِسكي من كان يتكلّم، ولكنّ إعلان ابنها بأنّه قابل  
امرأة لا يزال يُقضّ مضجعها. كانت ملدرد كارفر، وهي امرأة طيبة كما  
يجب أن تكون المرأة المسيحية على الدوام في بلدة كول كريك، تصلّي من

أجل ابنها جونيور كل يوم، ومع ذلك رَجَعَ إليها في تابوت. وبعد أن تنهى إلى مسامعها بأن حَمَلَة النَّعْش في الجنازة شَكُّوا بأنَّ التابوت كان فارغًا، إذ أنه كان خفيف الوزن وكأنها لا جثة فيه، بدأت إيما في البحث عن علامة تخبرها بما يجب أن تفعله لكي تضمن سلامة ولارد. كانت لا تزال تبحث عندما احترقت عائلة هيلن هاتون في حريق اندلع في منزلها، وبقِيَت الفتاة المسكينة وحيدة بعد وفاة جميع أفراد أسرتها. بعد يومين، وبعد الكثير من التفكير، جَثَّت إيما على ركبتيها وَنَدَّرت نذرًا لله إن أعاد لها ابنها سالمًا معافي، فإنها لا شك ستزوِّج هيلن ويوليها كل الرعاية. ولكن الآن أدركت، وهي تقف في المطبخ ناظرة إلى شعره الدّاكن المتموّج، وملاحه الجميلة وكأنها نُحِتت نُحِتًا، بأنها كانت مجنونة عندما نَدَّرت ذلك النذر وأبرمت ذلك العهد مع الله. ارتدت هيلن قلنسوة نسائية قدرة مربوطة تحت ذقنها المربّع، وكان وجهها الطويل الذي يشبه وجه الحصان صورة طَبَّق الأصل عن وجه جدتها ريتشيل، التي يعتبرها الكثيرون أقبح امرأة مشت على الإطلاق في أطناف بلدة غرينبيرير. في غضون ذلك، لم تفكّر إيما بما قد يحصل في حال نكّثت بوعدها. تمّت في قرارة نفسها لو أنّ الرّب وهبها ولدًا قبيحًا. فالرّب لديه بعض الأفكار المضحكة عندما يريد إبلاغ البشر بأنّه غير راضٍ عنهم.

قال إيما:

- جمال الشكل ليس كل شيء.

قال إيرسكل:

- ومن قال ذلك؟

- أخرس، يا إيرسكل. ما اسم تلك الفتاة مرّة أخرى؟

هزَّ ولا رد كتفيه لامبالياً. نَظَرَ بعينين شبه مغمضتين إلى صورة يسوع المعلقة فوق الباب وهو يحمل الصليب. منذ دخوله المطبخ، كان قد تجنَّب النظر إلى تلك الصّورة خشيةً من أن يفسد على نفسه فرحة عودته إلى المنزل بمزيد من الأفكار عن ميلر جونز. ولكن الآن، وللحظة واحدة فقط، أسلم نفسه لتأمل الصّورة. كانت الصّورة معلقة هناك منذ زمن بعيد وفق ما أسعفته به الذاكرة. كانت مبقّعةً بسبب قدمها وموضوعة في إطار خشبي رخيص. بدت الصّورة وكأنها حية في الضوء المرتعش المنبعث من المصباح. كان بإمكانه تقريباً سماع وقع الشياطين، وسخرية جنود بيلاطس<sup>(1)</sup>. ألقى نظرةً خاطفة على المسدّس الألماني الموضوع على المائدة بجانب صحن إيرسكل.

- ماذا؟ أنت لا تعرف حتى اسمها؟

قال ولارد:

- لم أسألها عن اسمها. ومع ذلك تركتُ لها دولارًا واحدًا إكراميةً.

قال إيرسكل:

- لن تنسى ذلك طيلة حياتها.

قالت إيما:

- حسناً، ربّما ينبغي لك أن تصلّي بخصوص هذا الأمر قبل أن تعود للتسكّع في أوهايو. فتلك طريق طويلة.

ما فتئت إيما تعتقد طيلة حياتها بأنّ البشر يجب أن يتبعوا إرادة الربّ وليس إرادتهم هم. يجب على الإنسان أن يثق بأنّ كلّ شيء مآله تماماً

(1) بيلاطس البنطي هو الحاكم الروماني لمنطقة يهودا، ووفقاً للأنجيل المسيحية فهو المسؤول عن محاكمة السيد المسيح وصلبه. (الترجم)

ما كان يفترض أن يكونه في هذا العالم. ولكنها فقدت ذلك الاعتقاد، وانتهى بها الأمر وهي تحاول أن تجري مقايضة مع الله، وكأنتها تقايض تاجرَ خيولٍ يمضغ تبغه في فكّه أو مصلحَ أدواتٍ منزلية متجولٍ رث الثياب يبيع الأواني المبعوجة على قارعة الطريق. الآن، وبغض النظر عن كيفية تغيير الأحوال، توجب عليها على الأقل أن تبذل جهداً لتنفيذ ما يترتب عليها لتبرّ بوعددها مع الله. ومن ثمّ، ستترك تدبير الأمر له. استدارت وبدأت بتغطية ما بقي من وجبة اللحم الملفوف بالخبز ببشكيرٍ نظيف وقالت:

- أظنّ أنّ ذلك لن يضرّ أحدًا كائنًا من كان، ما رأيك؟ هلاّ صلّيت وطلبت مشورة الربّ؟

نفخ ولارد على قهوته، ثمّ رشف رشفةً وقطّب وجهه عابسًا. طار بفكره إلى النادلة، وإلى تلك البثرة الصغيرة الحجم فوق حاجبها الأيسر التي لا تكاد تُرى. رأى أنّه لن يمرّ أسبوعان إلاّ وهو يسوق سيارته راجعًا إلى هناك ليتحدّث معها. نظر إلى خاله الذي كان يحاول أن يلفّ سيجارة. كانت يدا خاله إيرسكل مليئتين بالعقد والانشاءات بسبب التهاب المفاصل، كانت له براجم أصابع كبيرة تشبه قطع نقدية من فئة رُبع دولار. قال ولارد وهو يصبّ قليلًا من الوِسكي في كأسه:

- لا، لن يضرّ ذلك أحدًا كائنًا من كان.

جلس ولارد مخمورًا مرتجفًا لوحده على أحد المقاعد في مؤخره  
كنيسة الروح القدس في بلدة كول كريك. كانت الساعة تقارب السابعة  
والنصف مساء يوم خميس، ولكن مراسم الصلاة لم تبدأ بعد. كانت  
تلك الليلة الرابعة من جلسة الإحياء الدينية السنوية للكنيسة التي  
تمتد على مدى أسبوع، وكانت تستهدف بشكل رئيس أولئك الذين  
حادوا عن جادة الصواب وأولئك الذين لم ينالوا بعد خطوة الخلاص.  
مر أكثر من أسبوع على عودة ولارد للبيت، وكان ذلك أول يوم لم  
تعافر فيه أنفاسه رائحة الخمر. ذهب في الليلة الماضية مع إيرسكل إلى  
سينما لويس لمشاهدة جون وين في فلم (العودة إلى باتان). غادر صالة  
السينما في منتصف الفلم، بشعور من التقزز بسبب الزيف في تفاصيل  
الفلم من ألفه إلى يائه. انتهى به الأمر إلى مشاجرة في صالة البلياردو  
الواقعة على ناصية الشارع. ملّم رباطة جأشه ونظر حواليه، ثم ثنى يده  
المتورمة. كانت أمه لا تزال في زيارتها للكنيسة في الصفوف الأولى.  
تدلّت على طول الجدران مصابيح ينبعث منها الدخان؛ واستوى موقد  
حطبٍ متشقق في منتصف المسافة أسفل ممر الكنيسة إلى اليمين. تأكلت  
المقاعد المصنوعة من خشب الصنوبر بدرجة خفيفة بسبب ما ينيف على  
عشرين عامًا من العبادة. وعلى أن الكنيسة لم يتغير فيها شيء منذ لحظة

إنشائها، كانت الخشية تعترني ولارد من أنه هو من تغير قليلاً مذ غادر إلى الحرب في الأصقاع النائية.

أنشأ الأب ألبرت سايكس الكنيسة في عام 1924، بعد مدة وجيزة من انهيار منجم للفحم واحتجازه فيه وسط العتمة مع رجُلَيْن آخرين لِقِيَا مصرعَهُمَا في الحادثة على الفور. أُصِيبَتْ رجلاه بكسورٍ في عدة مواضع. استطاع الوصول إلى علبة التبغ المضغوط من ماركة فايف برذرز الموجودة في جيب فل دروري، ولكنه لم يستطع أن يمدَّ جسده بالقدر الكافي لكي يمسك بسندويشة الزبدة والمربى التي عرف أن برُل ميدوز كان يحتفظ بها في معطفه. قال بأن الروح القدس نزلت عليه في الليلة الثالثة من محتته. أدرك أنه سيلقى قريباً مصير صاحبيه، وكانت رائحة الموت قد بثَّت فيه الرعب سلفاً، ولكن الأمر لم يعد بتلك الأهمية بعد الآن. بعد بضع ساعات، استطاع عمال الإنقاذ اختراق الركام بينما كان نائماً. كان مقتنعاً للحظة بأن الضوء الذي أرسلوه في عينيه كان نور وجه الرب. كانت تلك قصةً جيّدة ليحكيتها في الكنيسة، كان هناك دائماً الكثير من صيحات التعظيم «هللوييا» عندما كان يسرد ذلك الجزء من الحكاية. حسب ولارد أنه سمع الواعظ العجوز يحكي تلك القصة مئات المرات على مرّ السنين، وهو يعرج للخلف والأمام على منبره المطلي بالدهان اللّامع. في نهاية القصة، كان دائماً يُخْرِج علبة التبغ من ماركة فايف برذرز من سترة طقمه الرث، يرفعها للأعلى باتجاه السقف ويحملها في راحة يديه. كان يحملها معه في حلّه وترحاله. العديد من النسوة في بلدة كول كريك، وخصوصاً أولئك اللاتي لا يزال أزواجهن وأبناؤهن يعملون في المناجم، كنّ يعتبرن علبة التبغ بمثابة أيقونة دينية، وكنّ يُقبَلْنَها كلّما واتهنّ الفرصة. ومن الحقائق المعروفة في البلدة أنّ

ماري إيلين تومبسن، طَلَبْتُ وهي على فراش الموت إحضار العلبة لتراها بدلاً من أن تطلبَ الطَّيِّب.

راقبَ ولارد أمَّه وهي تتحدَّث مع إمراةٍ نحيفة تضع نظارةً صنَّع إطارها من الأسلاك، وقد ثَبَّتتها بشكلٍ مائلٍ على وجهها الطويل النحيف. كما كانت ترتدي قلنسوةً بنيةً باهتةً مربوطة من طرفيها تحت ذقنها المدبَّبة. بعد بضع دقائق، أمسكت إيما بيد المرأة وجاءت بها إلى الخلف حيث كان ولارد جالسًا، وقالت لابنها: «طلبتُ من هيلن أن تجلس معنا». وقف وطلب منها التفضُّل بالجلوس. لحظة مرور الفتاة قربه، أسالت رائحة عرقها المتكدِّس الدَّمع من عينيه. كانت تحمل إنجيلًا ذا غلافٍ جلديٍّ بالٍ. أطرقت برأسها عندما عرَّفت إيما ابنها عليها. أدرك في تلك اللحظة سرَّ إصرار أمِّه في الأيام القليلة الماضية على أن الشكل الجميل لا يحمل في مضامينه كلَّ تلك الأهمية. كان سيَتفق مع صحَّة ذلك الرأْي في معظم الحالات؛ وبأنَّ الرُّوح أهمُّ من الجسد، ولكن يا إلهي! حتَّى خاله إيرسكل كان ينظِّف تحت إبطيه بين الفينة والأخرى.

ولأنَّ الكنيسة لا ناقوس فيها، مضى الأب سايكس نحو الباب المفتوح عندما حان وقت بداية الصَّلَاة وصاح بأولئك الذين لا يزالون يمشون متباطئين بسجائرهم وثرثرتهم وشكوكهم. وقف أفراد كورالٍ صغير مكوَّن من رجلين وثلاث نسوة، ورثم ترنيمة «أيتها المذنب، الأفضل لك أن تعدَّ العدة». ثم مضى الأب سايكس إلى منبر الوعظ. نظر مليًّا في الحضور، مسح العرق عن جبينه بمنديل أبيض. كان هناك ثمانية وخمسون شخصًا يجلسون على المقاعد. أحصى عددهم مرَّتين. لم

يكن الأب طمّاعًا، ولكنه كان يمْنِي النفس بأن تكون حصيلة التبرعات لهذه الليلة ربّما ثلاثة دولارات أو أربعة. إذ لم يأكل وزوجته طيلة الأسبوع الفائت سوى البسكويت اليابس ولحم السناجب الذي نخرته الديدان. قال متجهّما:

- يا ويلي! الجوّ حارّ. ولكن من المرجّح أن الحرارة سترتفع، صحيح؟ وخصوصًا بالنسبة إلى أولئك الذين ليسوا على علاقة طيبة مع الربّ.

قال أحد الحاضرين: آمين.

قال آخر: سترتفع بالتأكيد.

تابع الأب سايكس حديثه:

- حسنًا. سننظر في موضوع الجوّ الحارّ بعد مدّة وجيزة. هناك شابان من ضواحي منطقة توبرفل سيتراًسان الصّلاة اللّيلة، ومن خلال ما أخبرني به الجميع، لديهما رسالة طيبة يوّدأن بثّها بين النّاس.

نظرَ إلى الغريين الجالسين في الظلّ بجانب صليب المذبح، تخفيهما عن جموع المصلّين ستارة سوداء بالية. ثمّ قال وهو يجهّما على التقدّم إلى الأمام بيده:

- الأخ روي والأخ ثيودور، تعالوا إلى هنا ومُدّا لنا يد العون في تحقيق خلاص بعض الأرواح التّائهة.

وقف شابٌ طويل هزيل، ودفع الكرسي المتحرّك الذي يصدر صريرًا وقد جلس عليه شابٌ آخر سمين، وخرجا من خلف الستارة قرب منتصف صليب المذبح. ارتدى الشابّ السليم الرّجلين بذلة



سوداء فضفاضة وحذاء خشناً مهترئاً ثقيلاً. شعره البني ممّلس إلى الخلف  
بالزيت، ووجنتاه الغائرتان محفّرتان وتكسوهما البثور الأرجوانية النّاجمة  
عن حبّ الشّباب. قال بصوتٍ هادئ:

- اسمي روي ليفرتي، وهذا ابن خالتي، ثيودور دانييلز.

أوما الكسيح برأسه وابتسم للحضور. كان يمسك بغيتار بالٍ في  
حضنه، شعْرُ رأسه مخلوقٌ بطريقةٍ تشبه زبديّة الحساء. كان الأقرول  
الذي يرتديه مرقعاً برُقَعٍ مقصوفةٍ من شوالٍ علف. كانت ساقاه  
الهزيلتان مشنيتين للأعلى تحتَه بزوايا حادة. ارتدى قميصاً أبيضَ قذراً  
وربطة عنق عليها أشكال زهور لامعة. فيما بعد، وصف ولارد أحدهما  
بأنّه بدا كأمر الظلام<sup>(1)</sup> فيما بدا الآخر كمهرج لم يبتسم له حسن الطالع.

أنهى الأخ ثيودور بصمّتٍ دوزنةٍ وتر من أوتار غيتاره. تشاب  
بعض الحاضرين، فيما بدأ الآخرون بتبادل الهمسات فيما بينهم، وقد  
أخذ التملّمل يسري بينهم مسبقاً بسبب ما بدا أنّه مطلع صلاة عملةٍ  
يؤدّيها غريبان خجولان وتائهان. تمّنّى ولارد لو ينسلّ خارجاً نحو  
مرأب السيّارات ويجد شخصاً ما معه شربة نبيذٍ قبل أن تبدأ مراسم  
الصلاة. لم يشعر البتّة بالراحة وهو يعبد الله بشكلٍ جماعيٍّ مع غرباء  
محشورين داخل مبنى. قال الأخ روي أخيراً بعد أن أشار له الكسيح  
بأنّه بات جاهزاً:

- أيّها النّاس لن نمرّر عليكم اللّيلة سلّة جمع التبرعات. نحن لا  
نريد أيّ مالٍ مقابل خدمة الربّ. يمكنني وثيودور أن نقتات

(1) ويقصد به الشيطان ذاته. أوّل ما ظهر هذا المصطلح في قصيدة «الفردوس المفقود»  
للشاعر الإنكليزي جون ملتون (1608 - 1674). (المترجم)

على حلاوة الإيمان ولطافة الجوّ إن لزم الأمر! صدّقوني، لقد فعلنا ذلك عدّة مرّات. إنّ تخليص الأرواح التائهة لا يرتبط بدولارٍ حقير.

نظر روي إلى الأب سايكس العجوز، الذي بدرت منه ابتسامة مشوبة بعدم الاطمئنان، وأوماً برأسه في موافقةٍ ممتعضة على ما قاله. تابع روي قائلاً:

- سنقوم في ليلتنا هذه باستحضار الرّوح القدس إلى هذه الكنيسة الصغيرة، أو، وأقسم لكم جميعاً على ذلك، أنّنا سنموت دون ذلك ونحن نحاول.

وما كاد يتمّ قوله حتّى نقرّ الفتى السمين نكرةً على الغيتار واسترخى الأخ روي للخلف وأطلق العنان لعويلٍ مرتفع رهيب بدا منه، وكأنّه كان يحاول هزّ بوابات السّماء الثقيلة وإرخاءها. تقافز نصف الحاضرين تقريباً من مقاعدهم. ضحك ولارد ضحكةً خافتة عندما ارتجفت أمّه والتصقت به من الخوف.

بدأ الواعظ الشاب يمشي جيئةً وذهاباً عبر منتصف الممرّ، ثمّ سأل الحضور بصوتٍ عالٍ:

- والآن ما هو أكثر شيء تخشونه؟

لوح بذراعيه ووصف فظاعة الجحيم، بكلّ ما فيه من القذارة والرّعب واليأس، ومن ثمّ تحدّث عن الخلود الممتدّ أمام الجميع إلى الأبد ودون أن تكون له نهاية. وتابع قائلاً:

- إن كان أكثر ما تخشونه هي الجرذان، عندها سيتأكد الشيطان من أنّه سيرسلها إليكم أسراباً. أيها الإخوة والأخوات، ستقضم

الجرذان وجوهكم وأنتم تستلقون هناك غير قادرين على تحريك ولو إصبع واحد في وجهها، ولن يتوقف الأمر أبدًا. إن مليون سنة في عالم الخلود لا تساوي حتى فترة ما بعد الظهر هنا في بلدة كول كريك. لا تحاولوا حتى مجرد حساب هذه الأرقام وخذوا الأمر عني. إذ لا يوجد أي دماغ بشري حاز ما يكفيه من الذكاء ليحسب مثل ذلك البؤس. أتذكرون أفراد تلك الأسرة في ميلرسبرغ الذين قُتلوا وهم في أَسْرَتهم السنة الماضية؟ أولئك الذين اقتلع ذلك المجنون عيونهم؟ تخيلوا أن تتعدبوا مثل ذلك لمدة تريليون عام دون أن تموتوا أبدًا. التريليون يساوي مليون مليون، أيها الناس، لقد تأكدت من هذه المعلومة. تخيلوا أن تُقتلَ عيونكم من رؤوسكم بسكين قديمة مدماة المرة تلو الأخرى، وللأبد. أمل أن تلك الأسرة المسكينة كانت على صلة طيبة مع الله عندما تسَلَّ ذلك المهووس عبر نافذة بيتهم، أمل ذلك بكل تأكيد. وبالفعل، أيها الإخوة والأخوات، لا يمكننا حتى أن نتصورَ الطرق التي يمكن للشيطان أن يعدبنا بها. ما من إنسان أبدًا حاز ذلك المقدار من الشرّ، ولا حتى هتلر الجزّار، يمكن له أن يبتدع طرقًا كالطرق التي يجعل بها الشيطان العُصاة يدفعون الثمن حتى يوم القيامة.

بينما تابع الأخ روي موعظته، حافظ ثيودور وهو يدندن على الغيتار على إيقاع متناغم مع انسياب كلمات روي. وكانت عيونه تتبع كل حركة أتى بها. رغم أن روي كان ابن خالته، فقد كان ثيودور، الفتى السمين، يتمنى أحيانًا لو أتهمها لم يكونا قريين عائلتيًا كل ذلك القرب. ورغم رضا ثيودور لمجرد قيامه بنشر الحقّ معه، فقد تملكته مشاعر

لمدة طويلة بأنه لا يستطيع أن يصلي. كان يعرف ما ورد في الإنجيل، ولكنه لم يستطع أن يقبل بأن الرب ينظر إلى علاقته بروي على أنها إثم وخطيئة. فالحب هو الحب، تلك هي الطريقة التي كان ثيودور يرى بها الأمر. يا للعجب! ألم يثبت هو بنفسه ذلك؟ ألم يظهر الله بأنه كان يحب ابن خالته أكثر من أي أحد آخر؟ وقد تجرّع سم ذلك الشعور حتى استثيرت نفسيته كشخص كسيح، وقد أظهر الله أنه يمتلك الإيمان، رغم أنه أحياناً لم يتوقف عن التفكير بأنه ربياً قد تحمّس إيمانياً بشكل كبير جداً. ولكن الآن، لديه في صفه الله، وروي، وغيتاره، وذلك كل ما كان يحتاجه لكي يعيش في هذا العالم حتى وإن لم يستطع أن يقف على قدميه مرة أخرى. وإن اضطرّ ثيودور أن يثبت لروي مقدار حبه له، فإنه سيفعل بكل سرور، أيضاً، أي شيء يطلبه منه. فالله محبة، والله في كل مكان، وفي كل شيء.

ثم وثب روي راجعاً إلى صليب المذبح. وصل إلى ما دون الكرسي المتحرك الذي جلس عليه الأخ ثيودور، وأخرج حوالة حجمها قريب من غالون واحد. اشرب الجميع نحو الأمام قليلاً وهم جالسون على المقاعد. بدا أن مادة سوداء كانت تغلي فيها. صاح أحدهم: «المجد للرب»، وقال الأخ روي: «صحيح، يا صديقي، صحيح». رفع الحوالة وهزها هزاً عنيفاً ثم قال:

- أيها الناس، دعوني أبلغكم شيئاً. قبل أن أعثر على الروح القدس، كنت أخاف خوفاً رهيباً حتى الموت من العناكب، أليس ذلك صحيحاً، يا ثيودور؟ منذ كنتُ صغيراً ضئيل القامة وأنا أختبئ تحت تنورة أمي الطويلة. كانت العناكب تزحف في أحلامي

وتضع بيوضها في كوابيسي، ولم يكن بإمكانها حتى الذهاب إلى المرحاض الخارجي للمنزل دون أن يمسك أحدٌ بيدي. كانت العناكب معلقةً في شباكها في كلِّ مكانٍ وهي تترصدني. عيشتي كانت مقرفة؛ فقد كنت خائفًا طيلة الوقت، سواء أكنت مستيقظًا أم نائمًا، لم يكن هناك فرق. ذلك الشعور يشبه الجحيم في حقيقته. أيتها الإخوة والأخوات، لم أهنأ براحة البال بسبب تلك المخلوقات الشيطانية الشائنة الأرجل إلا بعد أن اهتديت إلى الربِّ وعثرتُ عليه.

جثا روي على ركبتيه ورجَّ الحوجلة مرّةً أخرى، ثم فتح غطاءها. أبطأ ثيودور إيقاع الموسيقى حتى سيطرت على المشهد ترنيمة حزينة تبعث على الشؤم ناهيك عن أتها بثت الرعب في المكان. نعم، لقد أثارت الرعب في كلِّ من كان حاضرًا. نظر روي إلى الحضور وهو ممسك بالحوجلة فوق رأسه وتنفس نفسًا عميقًا ثم قلبها رأسًا على عقب. سقطت على قمة رأسه وكتفيه كتلة مبرقشة الألوان من العناكب البنية والسوداء والمخططة بالبرتقالي والأصفر معًا. سرت ارتعاشة في جسده كتيار كهربائي، ثم وقف ورمى الحوجلة على الأرض، مرسله فتات الزجاج الذي تطاير في كلِّ مكان. ثم ما لبث أن أطلق ذلك الزعيق الرهيب من عقاله ثانية، وبدأ يهزُّ ذراعيه وساقيه، والعناكب تنهمر على الأرض ثم تعدو مسرعةً في كافة الاتجاهات. وثبت إحدى النسوة الملتحفات شالاً منسوجًا، وأسرعَتْ نحو الباب فيما صرخت عدّة نساء أخريات. وفي أتون المهرج والمرج، تقدّم روي إلى الأمام، ويضعه عناكب لا تزال متشبّثةً بوجهه المتعرق، وصاح:

- تذكروا كلامي أيها الناس، سَيُزِيلُ الرَّبُّ كُلَّ مَخَافِكُمْ إِنْ  
سَمَّحْتُمْ لَهُ بِذَلِكَ. انظروا ما فعله الربُّ بي.  
ثُمَّ كَمَّمْ فَمَهُ قَلِيلًا، وَبَصَقَ شَيْئًا مَّا أَسْوَدَ مِنْ فَمِهِ.

طفقت امرأةٌ أخرى تضرب على ثوبها، وهي تصرخ بأنَّ شَيْئًا مَّا  
عَضَّهَا، وبدأت ثلثةً من الأولاد بالعويل. ركض الأب سايكس جيئةً  
وذهابًا محاولاً استعادة بعض الهدوء. ولكن في تلك اللَّحظة كان النَّاسُ  
يتزاحمون للوصول إلى الباب الضيق مذعورين. سحبت إيما هيلين من  
ذراعها، محاولةً أن تخرجها خارج الكنيسة. بيَّد أنَّ الفتاة تخلَّصت من  
يدها واستدارت ومشت إلى الممرِّ الفاصل بين مقاعد الكنيسة. وضعت  
إنجيلها على صدرها المستوي وهي تُحْمَلِقُ بالأخ رُوي. كان ثيودور لا  
يزال يداعب أوتار غيتاره، وكان يراقب ابن خالته وهو يزيح دون أدنى  
مبالاة عنكبوتًا عن أذنه، ومن ثمَّ رآه وهو يتسم للفتاة الهزيلة العادية  
الجمال. لم يتوقَّف عن العزف إلى أن رأى روي يومئ إليها بيديه للتقدِّم  
إلى الأمام.

قال ولارد وهما عائدان إلى البيت بالسيارة:

- أرايتِ ذلك؟! عرض هؤلاء الفتية للعناكبِ كان فيه لمسة  
ظريفة.

رفع يده اليمنى إلى الأعلى، وبدأ يحرك أصابعه بشكلٍ خفيف فوق  
الذراع السمينية المرتجفة لأمه.

أطلقت خنَّة حادةً ونهرتُه بعنفٍ قائلة:

- كُفَّ عن ذلك. لن أستطيع النوم اللَّيلة كما اعتدتُ أن أنام.

- هل سمعتِ ذلك الفتى وهو يعظُّ من قبل؟

- لا، ولكنهم يقومون بأشياء مجنونة في تلك الكنيسة في توبرفل.  
أراهن أن الأب سايكس قد ندم على دعوتها إلى كنيستنا من  
الأساس. ذلك الفتى الجالس في الكرسي المتحرك شرب مقداراً  
كبيراً من الإستركين<sup>(1)</sup> أو من محلولٍ مانعٍ للتجمد أو شيء ما  
يمنعه من الكلام. أسلوبها مثيرٌ للشفقة ليس إلّا. يسميان ذلك  
اختباراً للإيمانها. ولكن ذلك ليس سوى مبالغة كبيرة في النظر  
إلى الأمر، هكذا أرى الأمر.

ثم تنهّدت، وأسندت رأسها إلى المقعد، وقالت:

- أتمنى لو جاءت هيلن معنا.

- حسناً، لم ينم أحدٌ خلال طقوس الصلاة، وذلك أمرٌ يُحسبُ له.

- أترى؟ كانت ستأتي لو أنك أعزتها قليلاً من الاهتمام.

- أوه، يبدو الأمر لي وكأنّ الأخ روي سيوليها من الاهتمام أكثر  
مما تُطبق.

- هذا ما أخشاه.

- أمي، سأرجعُ إلى أوهايو بعد يومٍ أو يومين. تعرّفين ذلك.

تجاهلتهُ إيها وقالت:

- ستكون زوجةٌ صالحة، نعم هيلن ستكون زوجةٌ صالحة.

بعد مرور عدّة أسابيع على مغادرة ولارد إلى أوهايو لتقصّي أخبار

النّادلة، قرّعت هيلن باب منزل إيها. حصل ذلك مع حلول الظهر في  
يوم نوفمبري دافئ. كانت العجوزُ جالسةً في حجرة الضيوف مستمعةً

(1) مادة سامة. (الترجم)

إلى المذيع وهي تقرأ مرةً أخرى الرسالة التي وَصَلتها صباح ذلك اليوم. تزوج ولارد والتادلة منذ أسبوع. قرّرا البقاء في أوهايو، على الأقل في الوقت الزاهن. حصل على وظيفة في مصنع لتعليب اللحوم، وقال بأنه لم يُشاهد مثل ذلك العدد الكبير من الخنازير في حياته. كان الرجل المتحدث في المذيع يُلقي باللائمة على ظروف الطقس التي جاءت في غير موعدها والتي تسببت في انتشار الغبار النووي النَّاجم عن القنابل النووية التي أُطلقت بهدف الانتصار في الحرب.

قال هيلن:

- أردتُ أن أخبركِ أولاً لأنّي أعرف أنّك كنتِ قلقةً عليّ.

كانت تلك المرة الأولى على الإطلاق التي ترى فيها إيما هيلن دون أن تكون قُلنسوتها على رأسها.

- أخبريني ما الأمر، يا هيلن؟

- طلب منّي روي أن أتزوَّجه. قال إن الله أرسل له علامةً بأننا خلّقنا أحداً للآخر.

بينما هي واقفة في مدخل الباب ورسالة ولارد في يدها، فكّرت إيما بالنذر الذي لم تستطع أن تفي به. كانت تخشى حصول حادثةٍ عنيفة، أو حلول مرضٍ رهيب، ولكن هذا الخبرُ خبرٌ عظيم. ربّما تعودُ الأمور إلى مجاريها في نهاية المطاف. بدأت تُشعرُ بعينها وقد أصابتها غشاوةٌ واغروقتا بالدموع. ثمّ سألتها، وهي غير قادرةٍ على التفكير بأيّ شيءٍ آخر لتقوله:

- وأين ستعيشون جميعكم؟



- أوه، لدى روي بيتٌ يقعُ خلفَ محطّةِ الوقودِ في توبرفل. أمّا  
ثيودور فسوف يسكنُ معنا على الأقلِ لبرهةٍ قصيرة.

- تقصدين ذلكَ الفتى الجالسَ على الكرسيّ المتحرّك؟

- نعم، هما مع بعضهما منذ مدّةٍ طويلة.

خطّت إيما خارجَ الشرفةِ الأماميّةِ للبيتِ وعانقت الفتاة. انبعثت  
منها رائحةٌ خفيفةٌ لصابونِ ماركةِ آيفوري. يبدو أنّها استحمّت مؤخرًا.

- أترغبين في الدخولِ والجلوسِ لبعضِ الوقت؟

- لا، يجب أن أذهب. روي ينتظرنِي.

نظرت إيما صوبَ التلّةِ متجاوزةً إيّاها. كانت هناكَ سيّارةٌ لونها  
بلونِ الروثِ وشكلها كالسّلحفاةِ جاثمةٌ في موقفِ السيّاراتِ الجانبيّ  
خلفَ سيّارةِ إيرسكلِ الفوردِ القديمة.

- سيُلقي روي موعظةً في بلدةِ ميلسبرغِ اللّيلة، حيثُ يَحْمَلِقُ  
فيه النَّاسُ وقد خَرَجَتْ عُيُونُهُمْ من مآقيها. قضينا الصّباحَ  
كلّه ونحنُ نجمعُ العناكب. الحمد لله، فبسببِ حالةِ الطّقسِ  
المستمرّةِ منذَ أيّامٍ، لا يزالُ من السّهلِ جدًّا العثورُ عليها.

- عليكِ توخّي الحذرِ يا هيلن.

- أوه، لا تقلقي.

ثمّ ما لبثت هيلن أن أضافت وهي تمضي من شرفة البيت.

- العناكبُ ليست سيّئةً جدًّا إذا ما تعودتِ عليها.



في ربيع عام 1948، وَصَلَ النَّبَأُ إِلَى إِيْمَا مِنْ أَوْهَابِو بِأَتْهَا أُخِيرًا غَدَّتْ جَدَّةٌ؛ وَوَلَدَتْ زَوْجَةً وَوَلَارِد، شَارِلُوت، مَوْلُودًا ذَكَرًا وَهُوَ بِكَامِل عَافِيَتِهِ، وَأَسْمُوهُ أَرْفَن إِيُوجِين. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَتْ إِيْمَا الْعَجُوز رَاضِيَةً بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهَا تِلْكَ الْمَرْحَلَةَ الْقَصِيرَةَ مِنْ فِقْدَانِ الْإِيْمَانِ. اِمْتَدَّتْ تِلْكَ الْمَرْحَلَةُ لِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا، وَلَمْ يَحْصُلْ أَيُّ مَكْرُوهِ فِيهَا. بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ ذَلِكَ، كَانَتْ لَا تَزَالُ تَحْمَدُ الرَّبَّ بِأَنَّ حَفِيدَهَا لَمْ يُوَلِّدْ أَعْمَى أَوْ مَعْتُوْمًا مِثْلَ أَبْنَاءِ إِدِثْ مَآكْسُولِ الثَّلَاثَةِ فِي بَلَدَةِ سَبْدَرَنَ عِنْدَمَا ظَهَرَتْ بِبَابِهَا هِيلِنَ وَهِيَ تُبَلِّغُهَا بِنِيًّا أُخْرَى يُخْصِّصُهَا هِيَ. كَانَتْ هَذِهِ إِحْدَى الْمَرَّاتِ الْقَلَائِلَ الَّتِي تَرَاهَا فِيهَا مِنْذَ أَنْ تَزَوَّجَتْ رُويَ وَانْتَقَلَتْ مَعَهُ إِلَى الْكَنِيسَةِ فِي تُوْبَرْفَل. قَالَتْ هِيلِنُ:

- أَرَدْتُ الْمُرُورَ بِكَ وَإِبْلَاغَكَ النَّبَأَ.

كَانَتْ ذِرَاعَاهَا وَرِجْلَاهَا شَاحِبَةً وَهَزِيلَةً، وَلَكِنْ بَطْنُهَا كَانَ مَتَفَخًّا بِسَبَبِ الْحَمْلِ.

قَالَتْ إِيْمَا وَهِيَ تَفْتَحُ سُدْفَةَ الْبَابِ:

- الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَرَمِهِ. تَفَضَّلِي، يَا حَبِيبَتِي، وَارْتَاحِي لِبَعْضِ الْوَقْتِ. كَانِ الْوَقْتُ مَتَأَخَّرًا، وَقَدْ غَطَّتِ الظَّلَالُ الرَّمَادِيَّةُ الزَّرْقَاءُ الْفَنَاءَ الْمَعْشُوشِبَ. قَاقَتْ دِجَاجَةً بَهْدُوِّ تَحْتَ الشَّرْفَةِ الْأَمَامِيَّةِ لِلْبَيْتِ.

- لا أستطيع البقاء الآن.

- أوه، لا تستعجلي. دعيني أحضر لك شيئاً ما لتأكله. لم نتحدث منذ زمن بعيد.

- شكراً لك، سيّدة رَسَل، ولكن ربّنا في وقتٍ آخر. يجبُ أن أعود.  
- هل سيلقي روي موعظةً اللّيلة؟

- لا، لم يُلقِ أيّ موعظٍ منذ بضعة أشهر. ألم تسمعي ماذا حدث؟  
عَضَّتْهُ عنكبوتٌ عَضَّةٌ رهيبة. انتفخَ رأسه وأصبح كاليقطينة.  
كان أمراً مريعاً. لم يستطع فتح عينيه لأُسبوعٍ أو يزيد.

قالت العجوز:

- حسناً، ربّنا يُمكنه أن يحصل على وظيفةٍ في شركة الكهرباء.  
أخبرني أحدهم أن الشركة في حاجةٍ إلى موظّفين الآن. يُفترض  
بهم أن يوصلوا الكهرباء إلى هنا منذ مدّةٍ طويلة.

- أوه، لا أظنّ ذلك. روي لن يترك الوَعْظ. هو ينتظر فقط وصول  
رسالة.

- رسالة؟

- لم يُرسل له أيّ رسالة منذ مدّة، وهذا ما أقلق روي.

- من هو الذي لم يُرسل له ولا رسالة؟

- لماذا لم يرسل الرّبُّ ولا رسالةً له يا سيّدة رَسَل؟ الرّبُّ هو  
الوحيد الذي يستمعُ له روي.

ثمّ بدأت هيلن تنزل عن الشّرفة الأماميّة للبيت.

- هيلن؟

توقفت الفتاة والتفتت وقالت:

- نعم، يا سيدي؟

تردّدت إليها غير عارفة بالضبط ما تقول لها. نظرت نظرة متجاوزة الفتاة عبر التلّة إلى السيارة التي لها لون الروث. استطاعت أن ترى شخصًا يجلس وراء المقود. قالت لها:

- ستكونين أمًا صالحة.

بقي روي حبيسَ خزانة غرفة نومه معظم الوقت منتظرًا مجيء علامة من الله بعد أن عصّته العنكبوت. كان على قناعة بأن الله تأخر في إرسال تلك العلامة لكي يُعده لشيءٍ أعظم. بالنسبة إلى ثيودور، كان إقدام روي على جعل الفتاة تحمل منه القشة التي قصمت ظهر البعير. فبدأ بالشرب والسهر طيلة الليل، والعزف في النوادي الخاصة والتجمّعات المشبوهة المتخفية في غياهب الغابة. تعلّم عشرات الأغاني الآثمة عن الخائنين والخائئات من الأزواج والزوجات والجرائم التي تُرتكب ببرودة أعصاب والحياة التي تضيع سدى خلف قضبان السجن. كان آخر شخص يكون معه عادة في تلك الليلة يقوم برميهِ أمام المنزل وهو سكران وقد بالَ في سراويله ولطّخها بالبول. كان يجبُ على هيلن الخروج مع حلول الفجر لمساعدته على الدخول بينما كان يشتُمها ويشتم ساقه الكسيتين وذلك الواعظ المدعي الذي كانت تُضاجعه. عَظُمَ خوفها على الفور منها معًا، وتبادلت العُرف مع ثيودور، وسمحت له بالنوم في السرير الكبير بجانب خزانة روي.

ذات عصرٍ بعد بضعة أشهرٍ أعقبَت ولادة الطفلة التي سمّاها

لينورا، خَرَجَ روي من غرفة النوم مقتنعًا بأن بإمكانه إحياء الموتى. قال له ثيودور:

- اللعنة على هذه الحال، أنتَ لستَ سوى معتوه.

قال ذلك وهو يشربُ علبةً من البيرة الدافئة ليخفف من ألم معدته. في حوضه مبرّدٌ معدنيّ صغير ومفكّ براغي يستخدمه الحرفيون. في الليلة الماضية، عزف لمدة ثماني ساعات متواصلة في حفلة عيد ميلاد في هنغري هولر مقابل عشرة دولارات وقنينة من الفودكا الروسية. حاولَ بعض الأوغاد السخرية من إعاقته، وحاولوا سحبه من كرسيه المتحرك وجعلّه يرقص. ووضِعَ ثيودور علبة البيرة وبدأ يبرّدُ رأس المفكّ مرّةً أخرى. كان يكرهها لهذا العالم القميء برمته. في المرّة القادمة التي يعبثُ فيها أحدهم معه بتلك الطريقة، فإنّ ابن العاهرة ذاك سينتهي به الأمر بحفرة في أحشائه.

- لن تأتيك أية رسائل منه يا روي، لقد تخلّى الربُّ عنك مثلما تخلّى عني تمامًا.

- لا يا ثيودور، لا. غير صحيح. لقد تكلمت معه منذ قليل. كان جالسًا معي هناك قبل دقيقة. وهو لا يبدو بالهيئة التي يظهر فيها في الصّور، أبدًا. ليس لديه حياةٌ مثلاً.

- لستَ سوى معتوه أحمق.

- وأستطيعُ إثباتَ ذلك!

- كيف يمكنكَ ذلك؟

خطا روي جيئةً وذهابًا لبضع دقائق، محرّكًا يديه وكأنّه يحاول إثارة الإلهام من خلال الهواء. ثم قال:

- فلنذهب ونقتل قطّة، وسأريك كيف يُمكنني أن أعيدها إلى الحياة مرّة أخرى.

كانت الققطُ المصدرَ الأكبر للخوف لدى روي بعد العناكب. ودائمًا ما ادّعت أمّه بأنه أمسك بقطّ يحاول أن يخنقه عندما كان طفلًا. ذبح هو وثيودور عشرات الققط خلال السّنوات الماضية.

قال ثيودور:

- أتمزح معي، صحيح؟ نذبُ قطّة قميئة؟  
ثم ضحك وأردف:

- لا، يجب عليك أن تتحلّى بالجدّيّة أكثر من ذلك لكي أصدّقك الآن.

ضغَطَ بإبهامه على رأس مفكّ البراغي. رأسًا حادًا كان. مسح روي العرق المتصبّب على وجهه بإحدى الحفاطات القدرة التي كانت الطفلة قد استخدمتها وقال:

- ماذا أفعل إذن؟

نظرَ ثيودور عبر النافذة نحو الخارج. كانت هيلن واقفةً في فناء المنزل والطفلة المتورّدة الوجه بين ذراعيها. كانت مستاءةً منه هذا الصّباح أيضًا، وقالت إنّها ضاقت به ذرعًا لأنّه يوقظ الطفلة من النّوم. زادَ تنكيدها عيشه بدرجة كبيرة مؤخرًا، وكان يرى بأنّها مصدرٌ كبير للهّمّ والغمّ. فلتنذهب إلى الجحيم، لو لم يكن هو من يكسب المال الذي كان يجلبه معه للبيت، ماتوا جميعًا من الجوع. رمقَ روي بنظرة خبيثة وقال له:

- ما رأيك أن نعبد هيلن للحياة؟ عندها ستأكد بأن ما تقوله أنت ليس محض جنون.

هزّ روي رأسه هزّاً عنيفاً وقال:

- لا، لا، لا أستطيع فعل ذلك.

ابتسم ثيودور ابتسامةً متكلّفة، وأمسك بعلبة البيرة وقال:

- أرايت؟ أعرف أنك لست سوى كيسٍ مملوءٍ بالخرّاء. وقد كنت دائماً كذلك. لستَ واعظاً ولا فرق بينك وبين أولئك السكارى الذين أعزف لهم كل ليلة.

- لا تقل ذلك، يا ثيودور. لماذا تنفّوه بالفاظٍ مثل هذه؟

- لأنّ أمورنا كانت على خير ما يرام. اللعنة على هذه الحال! ثم مضيت في سبيلك وتزوّجت. وقد أخرج ذلك الزواج النور الذي بداخلك، وأنت غيبيٌّ جداً لكي ترى النور. بين لي أنك استعدت النور الذي كان بداخلك، وسنبداً في نشر الحقّ مرّةً أخرى.

استرجع روي الحوار الذي دار بينه وبين الله في الخزانة، كان صوتُ الله واضحاً كناقوسٍ يقرعُ في رأسه. نظرَ خارج النافذة إلى زوجته الواقفة قرب صندوق البريد وهي تغني بصوتٍ ناعم للطفلة. ربّما أضمر ثيودور في نفسه شيئاً ما. قال لنفسه بأنّ علاقة هيلن مع الربّ علاقة طيّبة في نهاية المطاف، وكانت دائماً أبعد ما تكون عن السوء في علاقتها به على حدّ علمه. وقد تُساعدها علاقتها الطيّبة في قيامتها. ومع ذلك، كان يرغبُ في تجريبِ الأمر على قطعةٍ أوّل الأمر. قال لثيودور:

- يجبُ أن أفكّر بالأمر.

- ولا مجالٍ للحيل.



- الشيطان وحده من يحتاج الحِيل.

رشفَ روي رشفةً من الماء من حنفيّة المطبخ، رشفةً لا تكفي سوى لترطيب شفّتيه. بعد أن أنعشه الماء، قرّر أن يؤدّي بعض الصّلوات الإضافيّة، واتّجه إلى غرفة النوم.

- روي، إن نجحتَ في مهمّتك فلن نجدَ كنيسةً في فرجينيا الغربيّة تتسّع لحشود الجماهير الغفيرة الذين سيأتون للاستماع لموعظتك. يا إلهي! ستفوقُ شهرتك شهرةً بيبي سنّداي<sup>(1)</sup>.

بعد بضعة أيام، طلبَ روي من هيلن أن تترك الطفلة مع صديقتها السيّدة إيما رسل، وأن يذهباً في جولة بالسيّارة أثناء ذلك. سوّغ لها ذلك بقوله:

- كلّ ما في الأمر أنّي أريدُ الخروج من هذا المنزل المأفون لبرهة من الزمن. وأعدّك بأنني لن أعودَ للاختباء في تلك الخزانة.

انفرجتُ أساريُّ هيلن لسماح ذلك، فقد بدأ روي على حين غرةً يستعيدُ شخصيّته القديمة التي كانها مرّة أخرى، وبدأ يتحدّثُ عن عودته لإلقاء المواعظ كما كان عهداً. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إن ثيودور نفسه كفَّ عن الخروج ليلاً، وبدأ بالتدرّب على بعض الأغاني الدينيّة الجديدة وواظبَ على شرب القهوة. لا بل إنّه حملَ الطفلة لبضع دقائق، وهو شيءٌ لم يفعله أبداً قبل ذلك.

بعد أن أوصلوا لينورا إلى منزل السيّدة إيما، ساروا بالسيّارة لنصف ساعةٍ إلى حرشٍ من أحراش الغابة يبعد بضعة أميال إلى الشرق من

(1) بيبي سنّداي (1862 - 1935) لاعب بيسبول أمريكي شهير تحوّل ليصبح من أشهر الوعاظ الإنجيليين في مطلع القرن العشرين. (المترجم)

بلدة كول كريك. ركنَ روي السيارة وطلبَ من هيلن أن تمشي معه.  
بقي ثودور في المقعد الخلفي متظاهراً بالنوم. لم يكونا قد اجتازا بضعة  
ياردات فقط إلا وقال لها روي:

- ربّما ينبغي لنا أن نصلي أولاً.

كان قد دخل في جدلٍ مع ثودور بخصوص تلك المسألة، إذ قال  
روي بأنّه أرادها أن تكون لحظةً خاصّةً بينه وبينَ زوجته فقط في حين  
أصرَّ ثودور الكسيح على رغبته في مشاهدة الروح وهي تغادرُ صاحبتهَا  
بشكلٍ مباشرٍ ليتأكد بأنهما لم يكونا يمثلان. عندما ركعا تحت شجرة زان،  
سحبَ روي مفكّ ثودور من تحت قميصه الفضفاض. وضعَ ذراعه  
حول كتف هيلن وجذبها إليه بقوة. ظنّت بأنّه يُيادها حركةً عاطفيّةً،  
التفتت لتُقبّله في ذات اللحظة التي غرسَ فيها الرأس الحادّ للمفكّ في  
جانب رقبتهَا. أفلتها لتسقط على جانبها، ثم نهضت، وبهياج شديد  
أمسكت بالمفكّ. عندما أخرجته من رقبتهَا، انبجست الدماءُ سلالاً  
من داخل الجرح وغطت الدماء الجزء الأمامي لقميص روي. كان  
ثودور يُراقب المشهد من نافذة السيارة، وهيلن تُحاول الزحف بعيداً  
عن المكان. تقدّمت فقط لبضع خطواتٍ قبل أن تسقط على وجهها على  
أوراق الأشجار، وتتخبّط لدقيقةٍ أو اثنتين. سمعها وهي تلتفّظ باسم  
لينورا عدّة مرّات. أشعلَ سيجارةً وانتظرَ بضعة دقائقٍ قبل أن يسحبَ  
جسمه إلى خارج السيارة.

بعد ثلاث ساعات، قال ثودور:

- لن نُقومَ هيلن من جديد، يا روي.

جلسَ في كرسيّه المتحرّك على مسافة بضعة أقدامٍ من جُثة هيلن وهو

ممسكًا بالمفك. كان روي جاثيًا على ركبتيه بجانب زوجته، ممسكًا يدها، وهو لا يزال يحاول إقناعها بكلِّ لينٍ ولطفٍ لتعودَ للحياة من جديد. في البداية تردّد صدى توّسلاته في الغابة وهي مملوءة بالإيمان والحماسة، ولكن كلّما طال عليه الأمد وهو يفعل ذلك دون حصول حتّى اختلاجةٍ واحدة في جسدها البارد، أَصْبَحَا أَكْثَرَ تشويشًا واضطرابًا. شَعُرَ ثيودور بنوبية صداعٍ عنيفة. تَمَنَّى لو أَنَّهُ أَحْضَرَ شيئًا معه ليشر به.

نَظَرَ روي إلى ابن خالته الكسيح ودموعه تجري على وجهه، ثمّ قال باكيًا:

- يا يسوع! أَظنني قتلتها.

دَفَعَ ثيودور نفسه قريبًا منها، وَضَعَطَ بالجزء الخلفي من يده المتسخة على وجهها، وقال:

- لقد ماتت، قُضِيَ الأمر.

صاح به روي:

- لا تَلْمَسْهَا.

- أنا فقط أحاولُ تقديمَ المساعدة.

ضَرَبَ روي الأرضَ بقبضته وقال:

- لم يكن من المفروض أن يجري الأمر على هذا النحو.

- أكرهُ أن أقولَ لك ذلك، ولكن إن أمسك بك أفرادُ الشرطة في ماوندسفل بسببِ فعلتك هذه، فإنهم سيَشوونك كما تُشوى الخنازير.

هَزَّ روي رأسه، وَمَسَحَ المَخَاطَ عن وجهه بكُمِّ قميصه وقال:

- لا أعرف ما الخطأ الذي حصل. ظننتُ بالتأكيد أن...

تَلَأَسَى صَوْتُهُ، وتركَ يدها.

- اللعنة، لقد أخطأت في تقدير الأمر، هذا هي المسألة برمّتها.

يمكن لأيّ كان أن يخطئ في تقدير الأمر.

- ماذا عساي أن أفعل الآن بالله عليك؟

- يمكنك دائماً أن تهرب. ذلك هو الشيء الوحيد الذكي الذي

يمكنك فعله في حالة كهذه. أقصدُ، اللعنة على ذلك، ماذا

لديك لتخسره؟

- وإلى أين سأهرب؟

- لقد فكّرتُ بالأمر وأنا جالسٌ هنا، وأرى أن تلك السيارة

القديمة يمكنها أن تسير إلى فلوريدا إذا اعتنيتُ بها.

- لا أعرف.

- لا بل تعرف، اسمعني، حالماً نصِلُ إلى فلوريدا، نبيعُ السيارة

ونبدأُ بإلقاءِ المواعظِ مرّةً أخرى. ذلك ما كان ينبغي لنا أن نفعله

طيلة الوقت.

ثم نَظَرَ للأسفل صَوَّبَ هيلن الشاحبة السّابحة في دَمِها. ها قد

ولّت أيامها المأفونة بالتدمر إلى غير رجعة. لا بل إنه تمنى لو أنه قتلها

بنفسه. فقد دمّرت كلّ شيء. فلَوْلَاهَا، لكانا قد بنينا الآن كنيسَتَهُمَا

الخاصّة، لا بل وربّما أصبحا يُقدّمان برامج إذاعيّة.

- نحن؟

أجاب ثيودور:

- نعم، نحن. أنت ستحتاجُ إلى عازف غيتار، أليس كذلك؟

كان ثيودور يحلُمُ منذ مدّة طويلة بالذهاب إلى فلوريدا والعيش على شاطئ المحيط. كان من الصّعب، بالنّسبة إليه، أن يحيا حياةً مشلولةً تُحيط بها كلّ تلك الهضاب والأشجار القميّنة.

قال روي وهو يُشيرُ إلى جثة هيلين:

- ولكن ماذا نفعل بها؟

- يجبُ أن تدفنها على مسافة عميقة، يا أخي. لقد وضعتُ رفشاً في صندوق السيّارة في حالة جرّت الأمور على نحوٍ معاكسٍ لتوقّعاتك.

- وماذا سيحلُّ بلينورا؟

قال ثيودور:

- صدّقني، تلك الطفلة ستعيشُ حياةً أفضل مع المرأة العجوز. ليستُ لديك الرّغبة في أن تتربّي ابنتك هاربةً من الشرّطة، أليس كذلك؟

نظَرَ إلى الأعلى عبْر الأشجار. كانت الشّمس قد اختفتْ خلفَ جدار من الغيوم الدّاكنة، وتحوّلت السّماء إلى لون الرّماد. كانت رائحة المطر النديّة تعبّقُ في الأجواء. وصدَرَ من فوق منطقة روكي هزيم رعدٍ خافتٍ بطيء.

- والآن يفضّل أن تبدأ الحفر قبل أن يبللنا المطر.

عندما جاء إيرسكل تلك اللّيلة، كانت إيما جالسةً على كرسيّ قرب النافذة وهي تهدهدُ لينورا. كانت السّاعة الحادية عشرة تقريباً، وكانت حدّة العاصفة قد بدأت بالتراجع قُبيل لحظات.

قالت له إيما العجوز:

- أخبرتني هيلن بأنهما لن يغيبا سوى بضع ساعات. لقد تركت قنينة حليبٍ واحدة فقط للطفلة.

- أوه، أنتِ تعرفين هؤلاء الوعَّاظ. ربّما ذهبا للاستمتاع والشرب. اللعنة، بحسب ما سمعت، فذلك الفتى الكسيح يُمكن أن يفوقني في شرب الخمر بدرجة كبيرة.

هزّت إيما رأسها وقالت:

- يا كَيْت عندنا هاتف. هناك شيءٌ ما سبّب تأخرهما ولستُ مرتاحةً له.

حَمَلَقَ إيرسكل العجوز إلى الرضّيعَة النَّائمة وقال:

- يا للصّغيرة المسكينة، إنّها تُشبه أمها تمامًا، أليس كذلك؟

عندما بلغ أرفن الرابعة من عمره، قرّر ولارد بأنّه لا يريد لابنه أن يعيش في بلدة ميد محاطًا بكلّ أولئك السفلة. أقام ولارد وشارلوت في شقّتها القديمة الواقعة فوق محلّ غسيل الثياب منذ لحظة زواجهما. بدا له وكأن كلّ المنحرفين جنسيًا في جنوب أوهايو كانوا يعيشون في بلدة ميد. فقد امتلأت الجريدة في الآونة الأخيرة بأخبار مشكلاتهم المأفونة. قبل يومين فقط أُعتقل رجلٌ يُدعى كالفن كليثور في محلات سيرز أند روبك وقد ركّب إصبعًا من التّقانق البولنديّة على فخذه. ووفقًا لجريدة ميد غازيت، أُلقي القبض على المشتبه به، الذي كان يرتدي فقط أفرولاً مشقوقًا، وهو متلبّسٌ بفركٍ جسده بالنساء العجائز فيما وصّفه مُراسلُ الجريدة بعبارة «الأسلوب الخليع والعدواني». بالنسبة إلى ولارد، كان كليثور ابن العاهرة ذاك أكثر سوءًا حتّى من نائب الولاية المتقاعد الذي قبض عليه أمرُ الشرطة وقد ركّن سيّارته على الطريق السّريع على أطراف البلدة ودجاجةٌ ملتصقة بعضوه؛ دجاجةٌ من فصيلة دجاج رود آيلاند الأحمر اشتراها بخمسين ستّا من مزرعة قريبة. اضطرّوا لأخذّه إلى المستشفى لإخراجها. قال النّاس بأنّ نائب أمرِ الشرطة، واحترامًا منه للمرضى الآخرين أو ربّما احترامًا للضحية، غطّى الدّجاجة بستره بزّته الرّسميّة وهو يضطّحب الرّجل إلى غرفة الطوارئ.

قال ولادر لشارلوت:

- كان الوغدُ يقومُ بذلك الفعل لهؤلاء الأمهات.

سألت شارلوت وهي تقفُ بجانب الفرن أثناء تحريكها السباغيتي داخل وعاء الطبخ:

- أي واحد تقصد؟

- يا إلهي، شارلوت، أنا أتحدّث عن صاحب إصبع النقاتق. سيَحْشُون له إصبع النقاتق في فمه حتى يبلغ حُنْجَرَتَه.

قالت شارلوت:

- لا أعرف. لا أرى ما فعله على قدر من السّوء مقارنةً بِمَنْ يعبُثُ مع الحيوانات.

نظرَ إلى أرفن، الجالس على الأرض وهو يدحرجُ دميةً على شكل شاحنة. كافة المعطيات تُشير إلى أنّ الوضعَ الأخلاقيّ للبلد يتدهورُ بسرعة. فقبَل شهرين، أرسلت له أمّه رسالةً تقول فيها بأنهم عثروا أخيراً على جثة هيلين ليفرتي، أو الجزء اليسير الذي تبقى من جثتها على أيّ حال، مدفونةً في الغابة على بعد بضعة أميال من بلدة كول كريك. كان يعيدُ قراءة الرسالة كلّ ليلةً لمدة أسبوع. لاحظتُ شارلوت أنّ غَضَبَ ولارد بدأ يزدادُ بسبب الأخبار الواردة في الجريدة بعد ذلك الحدث مباشرة. رغم أنّ روي وثيودور كانا المشتبه فيهما الرئيسين، فلم يُعثر لهما على أثرٍ في أيّ مكانٍ لمدة ثلاث سنواتٍ تقريباً، ولذا لا يزال أمرُ شرطة المنطقة غير متأكد من أنّهما ربّما قُتِلَا أيضاً وألقيت جثّاهما في مكان ما.

قال أمرُ الشرطة لإيما عندما جاء حاملاً نبأ العثور على قبر هيلين

عن طريق اثنين من جامعي الجنسِنغ:



- لا نعرف، ربّما يكونُ القاتل هو الشّخص ذاته الّذي قتل الضحايا في بلدة ميلسبرغ في تلك المرّة. ربّما يكون هو من قتل هيلن، ثمّ قطع ثيودور وروي ونثر جثّتهما في مكانٍ ما. إذ من السهل جدًّا الإمساك بالفتى الجالس في الكرسيّ المتحرّك. ناهيك عن أنّ الجميع يَعْلَمُ بأنّ صاحبه الآخر على قدرٍ كبير من الغباء.

وَبِصْرٍ النَّظَرِ عَمَّا قَالَهُ أَمْرُ الشَّرْطَةِ، اقْتَنَعْتُ إِيْمًا بِأَنَّهَا كَانَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَهَمَا مِنْ ارْتِكَابِ الْجَرِيْمَةِ، وَلَنْ يَرْتَاخَ ضَمِيرُهَا حَتَّى يَسْجَنَا أَوْ يَقْتَلَا. أْبْلَغْتُ وَلا رَدَّ بِأَنَّهَا كَانَتْ تَرْبِي الطِّفْلَةَ الصَّغِيرَةَ أَفْضَلَ مَا تَسْتَطِيعُ. فَبَعَثَ لَهَا مِائَةَ دُولَارٍ لِلْمُسَاعَدَةِ فِي التَّحْضِيرِ لِنِجَازَةِ لَائِقَةٍ لِأُمَّهَا. بَيْنَمَا كَانَ جَالِسًا هُنَاكَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ، اجْتَاكَ وَلا رَدَّ رَغْبَةً جَامِحَةً فِي أَنْ يَصَلِّيَ. رَغِمَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ مَعَ اللَّهِ مِنْذُ سِنَوَاتٍ، وَلا حَتَّى طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَرَأْفَ بِحَالِهِ أَوْ يَثْنِي عَلَيْهِ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ مِنْذُ أَنْ التَّقَى بِجَنْدِيّ الْبَحْرِيَّةِ الْمَصْلُوبِ فِي الْحَرْبِ. شَعُرَ بِتِلْكَ الرَّغْبَةِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ تَتَأَجَّجُ دَاخِلَهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ؛ شَعُرَ بِحَافِزٍ لِعَقْدِ صُلْحٍ مَعَ خَالِقِهِ قَبْلَ أَنْ يَجْدُثَ شَيْءٌ سَيِّئٌ لِعَائِلَتِهِ. وَلَكِنَّهُ وَهُوَ يَجُودُ بِبَصْرِهِ فِي الشَّقَةِ الضَّيِّقَةِ، عَرَفَ بِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ التَّوَاصُلَ مَعَ اللَّهِ هَا هُنَا، فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَاصُلَ مَعَهُ أَبَدًا فِي الْكَنِيسَةِ، فَمَا بِالْكَانِ فِي هَذَا الْمَكَانِ! كَانَ فِي حَاجَةٍ لِلذَّهَابِ إِلَى الْغَابَةِ لِكَيْ يَعْْبُدَ اللَّهَ عَلَى طَرِيقَتِهِ.

قال لشارلوت وهو يَصْعُقُ الجريدة على طاولة القهوة:

- يجبُ أن نُغَادِرَ هَذَا الْمَكَانَ.

استأجرا منزلاً في مزرعة في أعلى حيّ ميتشل فلاتس مقابل ثلاثين دولارًا في الشهر من هنري ديلانو دَنلاب. وهو محامٍ سمين هَيئتهُ كهَيئَةِ

الفتيات، وله أظافر أصابع لامعة ونظيفة جدًا. كان يكسب قوت يومه من خلال امتلاكه نادي بلدة ميد كما تاجرَ في العقارات بدافع الهواية. ورغم أن شارلوت لم تُعجبها فكرة الرّحيل في بادئ الأمر، إلاّ أنّها أُغْرِمَتْ بالمنزل المتهاالك الذي ترشح منه المياه. لا بل إتمام لم تُمنع في ضخّ الماء بنفسها من البئر. خلال بضعة أسابيع تلت انتقالهم للمنزل الجديد، كانت تتمنى لو أنّهم يشترونه يومًا ما. ماتَ والدُها بالسّل عندما كان عمرها خمس سنواتٍ فقط، وماتت أمّها بسبب مرض أصابها في الدّم بعد أن دخلت شارلوت الصفّ التاسع بالضبط. عاشت شارلوت طيلة حياتها في شقق معتمّة تعشّش فيها الصّراصير وكانت تستأجرها أسبوعيًا أو شهريًا. الوحيدة من أفراد أسرتها التي لا تزال على قيد الحياة هي أختها فيليس، ولكن شارلوت لم تكن تعرف حتى أين هي. ذات يوم قبل ستّ سنوات، دخلت فيليس إلى مطعم وودن سبّون معتمرة قبةً جديدة وسلّمت شارلوت مفتاحها الخاصّ بالغرف الثالث التي تشتركان في ملكيتها فوق محلّ تنظيف الملابس في شارع وولنت. قالت فيليس:

- حسنًا يا أختي، لقد ربّيتك والآن حان دوري لأهتمّ بنفسِي.

ثمّ مضت في سبيلها. إنّ امتلاك منزل في مزرعة يعني في نهاية المطاف بعض الاستقرار في حياتها؛ وهو ما تآقت إليه دون سواه، خاصةً وأنّها الآن أصبحت أمًا.

قالت لولارد:

- أرفن في حاجةٍ إلى مكانٍ يستطيع أن يسمّيه بيته الدائم. أنا لم أملك بيتًا في حياتي. فقط انتظر وسترى. هذا المنزل سيصبح مُلكنا يومًا ما.

بَدَلًا أَقْصَى جُهُودَهُمَا لِتَوْفِيرِ ثَلَاثِينَ دُولَارًا أُخْرَى لِدَفْعِ أَجْرَةِ الْبَيْتِ  
الْوَاجِبَةِ الدَّفْعِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ.

اكتشفنا، على أي حال، بأن التعامل مع صاحب المنزل بخصوص  
أي أمر، صغيرًا كان أم كبيرًا، لم يكن أمرًا سهلاً. لطالما سمع ولارد بأن  
معظم المحامين هم من أراذل الخلق، ديدنهم الدسائس وقلة الشرف،  
ولكن هنري دنلاب أثبت أنه ينتمي إلى الفئة الأولى من الرذالة والدناءة.  
فحالمًا عرّف برغبتها في شراء المنزل، بدأ مشوار مكائده، برفع الأجرة  
في شهر، ومن ثم خفضها في الشهر التالي، ومن ثم يقلب لهم ظهر المجنّ  
ويلمّح إلى أنه غير متأكد مما إذا كان راغبًا في البيع من أساسه. وأزيدكم  
من الشعر بيتًا؛ كلما جاء ولارد ليدفع الأجرة في المكتب، وهي التي  
كان يجمعها من عمله في المسلخ حتى تكاد مؤخرته تنفلق من التعب،  
كان يروق للمحامي أن يُجبره بالضبط ما هي الأوجه التي سيصرف  
بها ذلك المال. مهما كان السبب، شعر المحامي الغني بالحاجة إلى جعل  
ولارد الفقير يفهم بأن تلك الحفنة من الدولارات التي يحسبها ثروة  
طائلة لم تكن تعني شيئًا مذكورًا بالنسبة إليه. كان يعبس في وجه ولارد  
بشفتيه البئيتين المحمرّتين، ويتبجح بأن مبلغ الأجرة لا يكاد يكفي ثمن  
قطعتين من شرائح اللحم الطيبة في عشاء يوم الأحد، أو ثمن مثلاًجات  
لأصحاب ابنه في نادي كرة المضرب. مرّت السنون، ولكن هنري لم  
يتورّع أبدًا عن مضايقة ولارد؛ إهانة جديدة كلّ شهر، مسوخ آخر  
لولارد حتى يركل مؤخره ذلك السمين. الشيء الوحيد الذي منعه من  
ذلك كان التفكير بشارلوت، وهي تجلس إلى طاولة المطبخ مع كوب  
من القهوة، منتظرة على أحر من الجمر عودته إلى المنزل دون أن يُطردوا  
منه. كانت تذكره المرّة تلو الأخرى بأنه من غير المهّم فعلاً ما يتفوه به

ذلك الطبل الأجوف. يظنّ الأغنياء دائماً بأنك تُريد أن تُنتزع منهم ما يملكون، رغم أن ذلك غير صحيح، على الأقلّ ليس في حالة ولارد. بينما كان جالساً مقابل المحامي على طاولة الزان الكبيرة مستمعاً له وهو يهذي بسفالاته، فكّر ولارد بجذع الصلّاة الذي هيأه لأداء الصلّاة في الغابة؛ بالسّلام والهدوء اللّذين سيحلّان به لحظة وصوله للبيت وتناول العشاء، ومن ثمّ التوجّه إلى الغابة لأداء صلّاته. كان أحياناً يحضّر بروفةً في رأسه لصلّاة كان يتلوها دائماً عند الجذع بعد زيارته الشهرية إلى المكتب؛ تقول الصلّاة:

«الحمدُ لك يا الله، لأنك منحتني القوّة لأبعدَ يدي عن الرّقبة اللّعينة السّمينة لهنري دنلاب. أزرُق يا ربّي ابن العاهرة ذاك كلّ ما يريده في حياته، بالرّغم من أنّه يجبُ أن أعترف، يا ربّي، بأنني على يقينٍ أنّي لا أمانعُ أن أراه مُحتنقاً يوماً ما».

ما لم يعلمه ولارد هو أنّ هنري دنلاب لجأ لعبارات التبيّح تلك ليُخفي حقيقةً مفادها أنّ حياته كانت خليطاً فوضويّاً من العار والجبن. ففي عام 1943، وبعد تخرّجه من كلّية الحقوق مباشرةً، تزوّج امرأةً اكتشف بعد مدّة ليست بعيدة جدّاً عن ليلة زفافهما بأنّها لا تشبع من مُضاجعة الغرباء. لم تترك زوجته إيّ رجلٍ إلّا وخائتُه معه؛ خائتُه مع فتّيانٍ توزيع الصّحف، ميكانيكيّ السيّارات، البائعين، بائعي الحليب، الأصدقاء، المؤكّلين، شريكه السّابق - والقائمة تطول وتطول. تأقلم مع الأمر، لا بل إنّه تقبّله؛ ولكن قبل مدّة ليست بالطويلة، استأجر رجلاً أسودّ ليعتني بعشب الحديقة، بدلاً من المراهق الأبيض الّذي ما انفكّت زوجته تضاجعه مراراً وقد ظنّ بأنّها لن تنحدر إلى مستوى

العامل الأسود. لم يمض أسبوعٌ واحد، وكان قد رَجَعَ إلى البيت في منتصف النهار دون سابق إنذار، إلا ورآها وهي تنحني على الأريكة في غرفة الجلوس ومؤخرتها ترتفع في الهواء والبستاني الهزيل يناولها ما تستحق من المضاجعة. كانت تتأوه مصدرةً أصواتًا لم يسمعها دنلاب أبدًا من قبل. بعد أن رأى ما رأى لبضع دقائق، انسلَّ بهدوءٍ مبتعدًا وعاد إلى مكتبه، حيث أتى على قنينة من الوِسكي الإسكتلندية، وأعادَ استحضار مشهد زوجته والفتى الأسود في ذاكرته مرّة تلو الأخرى. سَحَبَ مسدسًا مطليًا بالفضة من دُزجِ مكتبه وتأمله لمدة طويلة، ثم ما لبثَ أن أعاده إلى حيث كان في الدُزج. فكَرَّرَ بأنه من الأفضل أولاً التفكير بوسائل أخرى لحلّ مشكلته. لا منطلق في أن يفجّر رأسه متحرًا إن لم يكن مضطرًا لذلك. بعدَ ممارسته الحمامة في بلدة ميد لحوالي خمسة عشر عامًا، تعرّفَ من كثبٍ على عدّة رجال في جنوب أوهايو، وربّما كانوا يعرفون أشخاصًا سيخلّصونه من زوجته إديث مقابلَ حصولهم على بضع مئاتٍ من الدولارات، ولكنه لم يشعُرَ بأنه يمكن الوثوق ولو بواحدٍ منهم. قال في نفسه:

- لا تكن في عجلةٍ من أمرك الآن، يا هنري، فالناس لن يرحموك.  
 بعد بضعة أيام، استأجرَ الرَّجل الأسودَ ليعمَلَ في الحديقة بدوامٍ كامل، لا بل إنّه زادله أجره ربعَ دولار في الساعة. كان يكلفه بقائمةٍ من الأعمال في اللحظة التي اندفعت فيها إديث بسيارتها الكاديلاك الجديدة عبر الطريق الواصل بين المنزل والشارع العام. كانا واقفين في ساحة المنزل ونظرا إليها وهي تدلّفُ من سيارتها ومعها أكياسُ التسوق وتمشي إلى المنزل. كانت ترتدي بنطالاً أسودَ ضيقًا وكنزةً وردية اللون كشفتْ

عن نهديها الكبيرين المتهدلين. رَمَقَ البستاني المحامي بابتسامه ماكرة على وجهه المسطح المليء بالبثور. بعد لحظة، بادله هنري الابتسامه.

«هؤلاء القوم بكم كالمعيز» هذا ما قاله هنري دنلاب لأصحابه الذين يلعب معهم الغولف. كان دك تايلر قد سأله عن المستأجرين الذين يؤجرهم في نوكمستيف مرة أخرى. وباستثناء الاستماع إلى هنري وهو يتبجح ويسخر من نفسه، لم يكن الأغنياء الآخرون في بلدة ميد يستفيدون منه في ما خلا ذلك. كان أكبر مَثَارٍ للسخرية في نادي البلدة. وكل واحد منهم ضاجع زوجته في مرحلة ما. لم تستطع إدث حتى السباحة في حمام السباحة بعد ذلك دون محاولة بعض النسوة التهجم عليها ومناداتها ببذيء الكلام. سرت الشائعات بأنها مهووسة بالأجساد السوداء هذه الأيام. كانوا يتندرون فيما بينهم منذ مدة طويلة بأنها من المرجح أن تتقل مع زوجها هنري دنلاب إلى حي وايت هيفن<sup>(1)</sup>، وهو القسم الذي يقطن فيه السود في الجهة الغربية من البلدة.

تابع هنري دنلاب قائلاً:

- أقسم بأن زوجها يبدو وكأنه قد تزوج أخته اللعينة، ويبدو ذلك من أسلوب حبها لبعضهما. بالله عليكم، يجب أن تروها رغم ذلك. ستكون امرأة ممتازة إذا ما نظفتها قليلاً. إذا تأخرا في دفع أجرة المنزل، ربما سأضاجع زوجته حتى أستوفي الأجرة منها.

سأله إليوت سميت، وهو يغمز ليدك تايلر:

- ماذا ستفعل لها؟

(1) ويعني «الجنة البيضاء» رغم أنه حي يقطنه السود. (المترجم)

- اللعنة، سأميل ذلك الشيء الحلو الصغير، وسأ...-

قال بيرني هل:

- ها، أيها الكلب العجوز، أراهن أنك افترعتها مسبقاً.

أخرج هنري عصا غولف من حقيبتة. تنهد ونظر نظرة حاملة باتجاه حقل اللّعب في ملعب الغولف، وهو يضع يده على قلبه:

- يا رجال، وعدتها ألا أخبر أحداً بما حصل بيننا.

فيما بعد، بعد أن رجعوا إلى مبنى النادي، اقترب رجلٌ يُدعى كارتر أوكسلي من المحامي السمين المتصبّب عرفاً في حانة النادي وقال له:

- ربّما عليك أن تنتبه لما تقوله عن تلك المرأة.

التفت هنري وعبس. كان أوكسلي رجلاً جديداً في نادي بلدة ميد، مهندسٌ ارتقى في المناصب بعصاميّة ليحلّ في منصب الرجل الثاني في مصنع الورق. كان بيرني هل قد أحضره ليكون رابعهم في لعب الغولف. لم يتفوه بأكثر من كلمتين أثناء اللّعبة بكاملها.

قال هنري:

- أيّ امرأة؟

- كنت تتحدّث عن رجل اسمه ولارد ريسل وأنت تلعبُ الغولف، صحيح؟

- نعم، اسمه ولارد ريسل. ماذا تقصد؟

- يا صاحبي، هذا الرجل لا يؤذي أحداً، ولكنه كان على وشك أن يقتل رجلاً بقبضتي يديه في الخريف الماضي لأنه تحدّث بسوء عن زوجته. ولا يزال الرجل الذي ضربه في حالة سيئة؛ فقد

اضطرّ إلى وضع عليه من القهوة معلقة في رقبة حتى يتجمّع فيها رباله الذي لا يكفّ عن السيّلان من شدة الضرب الذي تلقاه منه. ربّما يجب عليك أن تفكّر بالأمر.

- أمتأكّد أنت أنّنا نتحدّث عن الرّجل نفسه؟ الرّجل الذي أتحدّث عنه لا ينسب بينتِ شفة؛ هذا إن كان في جعبته كلامٌ أصلاً.  
هزّ أو كسلي رأسه وقال:

- ربّما هو من النوع الهادئ. ولكن لا تخفّ إلا من المياه الرّاكدة.

- وكيف تعرف كلّ هذه المعلومات؟

- لست وحدك من يملك أرضاً في بلدة نوكمستيف.

سحبَ هنري علبة سجائر ذهبية من جيّبه، وعرّض على الرّجل أن يدخّن سيجارة. وقال:

- وماذا تعرف عنه أيضاً؟

في ذلك الصّباح أخبرته إدث بأنّها ترى أنّه يجب عليها أن يشتريا سيّارة بكّ أب للبهستانيّ ويّلي. كانت تقف إلى نافذة المطبخ وهي تأكل معجنات منفوشة. لم يفتّ هنري أن يلاحظ بأنّ المعجنات كانت مغطّاة على سطحها بطبقة من الشوكولا. قال بينه وبين نفسه يا له من لونٍ مناسبٍ أيتها العاهرة اللّعيّنة. كان سعيداً، مع ذلك، لأن يرى وزنتها وقد ازداد. قبل مدّة طويلة، كانت مؤخرتها تبدو بحجمٍ مقبض الفأس. فهنيئاً لذلك الوغد، جزّاز العشب ذاك. قالت لزوجها:

- ليس بالضرورة أن يكون بكّ أب جديد. اشتر له أيّ بكّ أب يستطيع استخدامه في تنقلاته. فقدّمنا ويّلي كبيرتان جدّاً ويشقّ عليه أن يمشي إلى العمل طيلة الوقت.



مدَّت يدها في الكيس لتناول قطعةٍ أخرى من المعجنات، وأضافت:  
- يا إلهي يا هنري! قدماه أكبرُ من قدميك بمرّتين.



منذ مطلع العام وشارلوت تحسّ بألم في جسدها. ما فتئت تقول لنفسها بأن ذلك ليس سوى إسهال، أو ربّما عُسر هَضْم. عانت أمّها معاناةً عظيمةً من القرحة، وتذكرت شارلوت أمّها التي كانت لا تأكل شيئاً سوى الخبز المُحمّص الحافّ ومحليّة الرزّ في آخر سنين حياتها. خفّفت ما كانت تأكله من الشحوم والفلفل، ولكن بدا أنّه ما من جدوى من ذلك. ثمّ في شهر إبريل، بدأت تنزف قليلاً. صرّفت ساعاتٍ وهي مستلقية على السرير أثناء ذهاب أرفن وولارد، وكانت التشنجات تحفّ بشكلٍ كبير إذا كوّرت نفسها على جنبها وبقيت ساكنة بلا حراك. ولأنّها كانت مشغولة البال بفواتير المستشفى وصرف كلّ ذلك المال الذي وفّروه حتّى الآن لشراء المنزل، فقد أبقت ألمها سرّاً، آملّة، بحماقةٍ منها، بأنّ ما ألمّ بها من داءٍ سيزول بنفسه؛ سيشفى من تلقاء نفسه. فقبل كلّ شيء، لا تزال في الثلاثين فقط؛ لا تزال صغيرةً جدّاً لتصاب بمرضٍ خطير. ولكن في منتصف مايو، بدأ التّزيف المتقطع يسيل باستمرار. ولكي تخفّف من الألم، شربت من قنيينة الوِسكي التي أخفاها ولاردتحت مجلي المطبخ من ماركة أولد كراو. مع اقتراب نهاية ذلك الشهر، وقبل انتهاء المدرسة وبداية الصّيف بالضبط، وجدّها أرفن فاقدة الوعي على أرضية المطبخ في بركةٍ صغيرة من الدّم الباهت. كانت مقلّاة البسكويت

تحترق في الفرن. لم يكن عندهم هاتف، لذا سَنَدَ رأسها بمخدَّةٍ ونظَّفَ  
 الدَّماءَ قَدْرَ استطاعته. اسْتَمَعَ إلى حشرات أنفاسها وهو جالسٌ على  
 الأرضيَّة بجانبها، ودعا الله بالألَّا ينقطع نفسها. كانت لا تزال فاقدةً  
 الوعي عندما عاد والدهُ إلى المنزل من العمل في ذلك المساء. وَفَّقَ ما قاله  
 الطبيب لولارد بعد بضعة أيام فقدت الأوان كثيراً. يموتُ إنسانٌ ما  
 دائماً في مكان ما، وفي صيف ذلك العام، عام 1958، العام الَّذي بلغ  
 فيه أرفن إيوجين رَسِل العاشرة من عمره، كان دَوْرُ المَوْتِ على أمه.  
 بعد أسبوعين في المستشفى، رَفَعَتْ شارلوت جسمها في سريرها  
 وقالت لولارد:

- أَظنَّتي رأيت حلماً.

- حلمٌ سعيد؟

- نعم.

مدَّت جسدها إلى الأمام وضغطت على يده قليلاً. نظرت إلى  
 الستارة البيضاء التي تَفْصِلُها عن المريضة في السرير المجاور، ثم قالت  
 بصوتٍ خفيض:

- أعرفُ أنَّ ما سأقوله ضربت من الجنون، ولكنني أريدُ العودة  
 للمنزل ونَظَاهِرَ بأننا نملكه لمدةٍ قصيرة.

- وكيف ستفعلين ذلك؟

- بهذه الثياب التي ألبسنيها كان بإمكانهم أن يجربوني أنني مَلَكةٌ  
 سبأ ولن أعرفَ الفرقَ بين هَيْئتي هذه وهيئة المَلَكة. كما أنك  
 سَمِعْتِ ما قاله الطبيب. بكلِّ تأكيد لا أريد أن أقضي ما تبقى  
 من أيام عمري في هذا المكان.

- أهذا ما رأيته في الحلم؟

رَمَقْتَهُ بِنظَرَةٍ مُسْتَعْرِبَةٍ وَقَالَتْ:

- أي حلم؟

بعد ساعتين، خَرَجَا بِالسَّيَّارَةِ مِنْ مَرَّابِ سَيَّارَاتِ الْمُسْتَشْفَى. وَبَعْدَ أَنْ اِنْعَطَفَا خَارِجَ الطَّرِيقِ رَقْمَ 50 صَوَّبَ الْمَنْزِلَ، تَوَقَّفَ وَارَادَ وَاشْتَرَى لَهَا حَلِييًّا مَخْفُوقًا مَعَ عَصِيرِ الْفَاكِهِةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَهْدِي مَنْ وَجَعِهَا. حَمَلَهَا إِلَى غُرْفَةِ النَّوْمِ الْخَلْفِيَّةِ لِتَسْتَرِيحَ، ثُمَّ أَعْطَاهَا بَعْضَ الْمُورْفِينِ. تَرَنَّحَ بَصْرُهَا وَغَطَّتْ فِي النَّوْمِ خِلَالَ دَقِيقَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

- ابْقِ هُنَا مَعَ أُمَّكَ، سَأَعُودُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

مَشَى عَابِرًا الْحَقْلَ، وَنَسِيمٌ بَارِدٌ يَدَاعِبُ وَجْهَهُ. رَكَعَ عِنْدَ جَذَعِ الصَّلَاةِ، وَأَضْغَى لِلْأَصْوَاتِ النَّاعِمَةِ الْمُسَالِمَةِ لِلْغَابَةِ عِنْدَ الْمَسَاءِ. مَرَّتْ عِدَّةُ سَاعَاتٍ وَهُوَ يُحْمَلُتُ فِي الصَّلِيبِ. أَمَعَنَ التَّأْمَلَ فِي تَعَاسَتِهِمْ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ يُمْكِنُ تَصَوُّرُهَا، بَاحِثًا عَنْ حَلِّ. وَلَكِنَّ الْأَمْرَ انْتَهَى بِهِ دَائِمًا بِالْوَصُولِ إِلَى الْإِجَابَةِ ذَاتِهَا. وَفَقًّا لِمَا قَالَهُ الْأَطْبَاءُ، حَالَةُ شَارْلُوتِ مِيُؤُوسَ مِنْهَا. وَقَدَّرُوا أَنَّهَا سَتَعِيشُ خَمْسَةَ، أَوْ رَبَّمَا سِتَّةَ أَسَابِيعٍ عَلَى أَكْثَرِ تَقْدِيرٍ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خِيَارَاتٌ أُخْرَى مُتَاحَةً. الْأَمْرُ الْآنَ بِيَدِهِ وَبِيَدِ اللَّهِ.

فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَادَ فِيهِ إِلَى الْمَنْزِلِ، كَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَلَّ، وَشَارْلُوتُ لَا تَزَالُ نَائِمَةً وَأَرْفَنُ جَالِسٌ بِجَانِبِ سَرِيرِهَا فِي كُرْسِيِّ ذِي ظَهْرٍ مُسْتَقِيمٍ. عَرَفَ بِأَنَّ الصَّبِيَّ كَانَ يَبْكِي. سَأَلَهُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ:

- هَلْ اسْتَيْقِظْتُ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً؟

- نَعَمْ، وَلَكِنْ، يَا بَابَا، لِمَاذَا لَمْ تَعْرِفْنِي أُمِّي؟

- ذلك فقط بسبب الدواء الذي وصفه لها الأطباء. ستعافى خلال بضعة أيام.

نَظَرَ الصَّبِيَّ إِلَى أُمِّهِ. قَبْلَ بَضْعَةِ أَشْهُرٍ، كَانَتْ أَجْمَلُ امْرَأَةٍ رَأَاهَا فِي حَيَاتِهِ، وَلَكِنْ مَعْظَمُ ذَلِكَ الْجَمَالِ أَقَلُّ الْآنَ. تَعَجَّبَ كَيْفَ سَيَبْدُو شَكْلُهَا عِنْدَمَا تَسْتَعِيدُ عَافِيَتَهَا.

قال ولارد:

- ربّما من الأفضل أن نأكل شيئًا ما.

حَضَرَ سِنْدُوِيْشَاتِ الْبَيْضِ لِيَأْكُلَ هُوَ وَأَرْفَنُ، ثُمَّ سَخَّنَ عِلْبَةً مِنَ الْحَسَاءِ لَشَارْلُوتِ. تَقِيَّتَاهَا، وَغَسَلَ وِلَارْدَ الْقِيءِ وَضَمَّهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ. شَعَرَ بِقَلْبِهَا يَدُقُّ بِسُرْعَةٍ عَلَى جَسَدِهِ. أَطْفَأَ الضُّوءَ وَانْتَقَلَ لِيَجْلِسَ فِي الْكُرْسِيِّ قُرْبَ سَرِيرِهَا. كَانِ يَنَامُ نَوْمًا مَتَقَطَّعًا أحيانًا طِيلَةَ اللَّيْلَةِ، وَلَكِنَّهُ مَا يَلْبِثُ أَنْ يَسْتَيْقِظَ بَعْدَ حَلْمٍ سَعِيدٍ يَرَى فِيهِ مِيلِرْ جُونزَ؛ رَأَى فِي الْحَلْمِ كَيْفَ كَانَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَهُوَ مَصْلُوبٌ عَلَى شَجَرَتِي النَخِيلِ بَعْدَ أَنْ سَلَخُوهُ حَيًّا. أَبْقَى وِلَارْدَ سَاعَةَ الْمُنْبَهَةِ قَرِيبَةً مِنْ وَجْهِهِ، وَرَأَى أَنْ السَّاعَةَ كَانَتْ تَقْرِبًا الرَّابِعَةَ فَجْرًا. لَمْ يَرْجِعْ لِلنُّوْمِ بَعْدَ ذَلِكَ.

بَعْدَ بَضْعِ سَاعَاتٍ، سَكَبَ كُلُّ مَا لَدَيْهِ مِنَ الْوِسْكِ عَلَى الْأَرْضِ وَذَهَبَ إِلَى الْحَظِيرَةِ وَأَحْضَرَ بَعْضَ الْأَدْوَاتِ: فَاسٌ، وَمِدْمَةٌ لَتَسْوِيَةِ الْأَرْضِ، وَمِنْجَلٌ. أَمْضَى بَقِيَّةَ النَّهَارِ وَهُوَ يَقُومُ بِتَوْسِيْعِ الْبَقْعَةِ الْمَقْلُوعَةِ الشَّجَرِ الْمُحِيْطَةِ بِجَذْعِ الصَّلَاةِ، وَجَزَّ بِمَنْجَلِهِ أَشْوَكَ الْخَلْنَجِ وَالْأَشْجَارِ الصَّغِيرَةِ، وَسَوَّى الْأَرْضَ لِيَمْنَحَهَا نِعْمَةً أَكْثَرَ. بَدَأَ بِانْتِزَاعِ الْأَلْوَاحِ الْخَشَبِيَّةِ مِنَ الْحَظِيرَةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ، وَطَلَّبَ مِنْ أَرْفَنَ أَنْ يُسَاعِدَهُ فِي حَمَلِهَا إِلَى جَذْعِ الصَّلَاةِ. اسْتَمَرَّ بِالْعَمَلِ أَثْنَاءَ اللَّيْلِ، وَنَصَبَا ثَمَانِيَةَ صَلْبَانِ

في البقعة المقلوعة الشجر. كانت جميعها بنفس ارتفاع الصليب الأصلي المغروس هناك. قال الأب لابنه وهما راجعان إلى المنزل في الظلام:

- لا يستطيع الأطباء شفاء أمك. ولكن عندي آمالٌ بأننا يمكن أن نُنقذها إذا بدلنا ما يكفي من الجهد الحثيث.

- هل ستموت؟

فكر ولارد للحظة قبل أن يجيبه ثم قال:

- يستطيع الربُّ فعلَ ما يشاء إن طلبتَ منه ذلك بالشكل الصحيح.

- وكيف نفعلُ ذلك؟

- سأبدأ بتعليمك الخطوة الأولى صباح الغد. لن يكون أمرًا سهلاً،

ولكن ما من خيارٍ آخر.

طلب ولارد إجازة من عمله، وأخبر المُشرفَ عليه بأن زوجته مريضة، ولكنها ستتحسن قريبًا جدًا. أمضى وأرْفَن ساعات وهما يُصليان عند الجذع كل يوم. في كلِّ مرّةٍ باشرًا مشوارهما عبرَ الحقل باتجاه الغابة، كان ولارد يشرحُ مرّةً ثانية لأرْفَن بأن أصواتهما يجبُ أن تصلَ عنانَ السماء، وأن السبيل الوحيدَ لحصول ذلك هو أن يكونا مخلصين إخلاصًا مطلقًا في طلبهما العون من الله. وهكذا وكلما تدهورت شارلوت أكثر، ارتفعت أصواتُ صلواتهما وانطلقت من التلة وامتدت عبرَ أرجاء الوادي. استيقظ أهالي بلدة نوكمستيف على أصواتِ تضرُّعِهما كلَّ صباح وناموا على وقعها كلَّ ليلة. أحيانًا، عندما كانت شارلوت تمرُّ بنوبةٍ سيئةٍ على وجه الخصوص، كان ولارد يتهم ابنه بِعَدَمِ رَغْبَتِهِ في شفاءِ أمه. كان ينهالُ على الصبِّي بالضرب والرَّفْس، ومن ثمَّ يغرقُ في بحارِ الندم على ما فعله به. بدا الأمرُ أحيانًا بالنسبة إلى أرْفَن وكأنَّ أبيه

كان يعتذرُ منه كلَّ يوم. بعدَ برهةٍ قصيرة، لم يُعُدْ يكثرُ بالأمر واستمرَّ الصَّفَعات والكلمات النابية والاعتذارات اللاحقة لها كمجرد جزءٍ من الحياة التي يعيشانها الآن. أثناء الليل، كانا يذهبان للصلاة حتى يجبو صَوَاتهما، ومن ثمَّ يعودان مترنِّحين للمنزل ويشربان ماءً دافئاً من دلو البئر الموضوع على طاولة المطبخ ويغطَّان في النوم وقد أرهقهما الإعياء. في الصِّباح، كانا يبدآن سيرتهما الأولى مرَّةً أخرى. ومع ذلك، زادَ هُزال شارلوت، وزادَ اقترابُها من الموت. كلِّما صحَّتْ من عَفْوَةِ المورفين، رجَّتْ ولارد أن يوقف هذا الهراء، وأن يتركها ترحل بِسَلَام. ولكنه لم يكن ليستسلم. لو احتاج الأمر أن يفديها بكلِّ ما يملك، فليكن. في آية لحظة، كان يتوقَّع بأن روح الله ستنزل عليهم وتشفيها؛ ومع انتهاء الأسبوع الثاني من يوليو، شعُرَ بشيء من الرَّاحة، ولو قليلاً، نظرًا لأنَّها عاشت حتى الآن أكثر مما تنبأ به الأطباء لها.

في الأسبوع الأوَّل من شهر أغسطس أصبَحَتْ شارلوت غير مدركةٍ لما يجري حولها معظم الوقت بسبب تأثير الأدوية. وذات مساءٍ حارٍّ وخانق، بينما كان ولارد يحاول أن يخفِّف من ألمها باستخدام قطع قماشٍ مبلِّلة، حَطَرَ بباله بأنَّه ربَّما عليه القيام بما هو أكثر من مجرد الصَّلوات والإخلاص. عاد بعد ظهر اليوم التالي من سوق الماشية في البلدة ومعهُ خروفٌ في صندوق البِك أب. كانت رِجُلُ الخروف مصابةً لذا فقد اشتراه بخمس دولارات فقط. وثبَّ أرفن من الشرفة الأمامية للمنزل وركض باتجاه الفناء. سأل والده الذي كان أثناء ذلك يوقف البِك أب أمام الحظيرة:

- هل أستطيعُ أن أطلق عليه اسمًا؟



صَرَخَ فِيهِ وَلا رَد:

- يا يسوع المسيح! هذا الخروف اللعين ليس للتربية في المنزل.  
ارجع وابق بجانب أمك.

أرجع ولارد البك أب إلى داخل الحظيرة، ونزل منه وأسرع بربط الأرجل الخلفية للخروف بحبل. ثم رفع الخروف في الهواء رأساً على عقب باستخدام بكرّة رفع معلقة بإحدى الدعائم الخشبية التي كانت تسند مخزن التبن. حرّك البك أب بضعة أقدام نحو الأمام. ثم أنزل الخروف المرعوب حتى أصبح خطمه على مسافة بضعة أقدام من الأرض. ضرب عنقه بسكين اللحم وجمع الدم في سطل علف حجمه خمسة غالونات. جلس على حزمة من القش وانتظر حتى سالت آخر قطرة من دم الخروف. ثم حمل السطل واتجه به إلى جذع الصلابة وسكب عليه القربان بكلّ عناية وحرص. في تلك الليلة، وبعد أن خلد أرفن للنوم، سحب الذبيحة بصوفها إلى طرف الحقل وألقى بها في أخدود.

بعد بضعة أيام، بدأ ولارد يجمع الحيوانات المقتولة على الطرقات. جمع الكلاب، والقطط، والرواكين، وحيوانات الأبوسوم وجرذان الأرض والغزلان. جمع الجثث التي كانت متبسة جداً ومن المحال أن تنزف دمًا، وعلّقها لتتدلّى من الصّلبان وأغصان الأشجار المحيطة بجذع الصلابة. زادت الحرارة والرطوبة من سرعة تعفنها. وجعلتها الرّائحة التّنة المنبعثة منها يَحْتَنِقَان وَيَتَقَيَّان أثناء ركوعها وطلبها رحمة الربّ المخلص. تقاطرت الديدان من الصّلبان والأشجار كقطرات دهن أبيض متلويّة. بقيت الأرض المحيطة بالجذع موحلة بالدماء. تضاغف عدد الحشرات المتجمهرة حولها كل يوم. كان جسدهما

مغطين بالعضات التي أحدثها الذباب والبعوض والبراغيث. رغم أنه شهر أغسطس، فقد اعتاد أرفن ارتداء قميص قطني ناعم طويل الأكمام وزوج من قفازات الشغل كما وضع منديلاً على وجهه. لم يعد أي منهما يستحم بعد الآن. كانا يأكلان شرائح اللحم البارد وقطع البسكويت الهشة التي اشتريهاها من بقالة ميد. اخشوشنت عينا ولارد وتوحشتا، وبدا لابنه بأن لحيتته الشعثاء اشتعلت شيباً بين عشية وضحاها تقريباً.

قال ولارد بصوتٍ حزين ذات مساء بينما كانا يركعان على جذع الصلاة المتعفن المبلل بالدماء:

- هذا ما يعنيه الموت. أتريد أن يحدث شيء كهذا لأمك؟

- لا، أبداً يا أبتاه.

ضرب ولارد أعلى الجذع بقبضته ثم قال:

- صلّ إذن، لعنة الله على هذا الوضع!

سحب أرفن المنديل القذر عن وجهه وتنفس نفساً عميقاً مشوباً برائحة العفونة. منذ تلك اللحظة وما تلاها، كف أرفن عن محاولة تجنب القذارة، والصلوات التي لا نهاية لها، والدم المسفوح، وجث الحيوانات المتعفنة. مع كل ذلك، كانت أمه تدوي رويداً رويداً. انبعث رائحة الموت من كل شيء الآن، حتى من الممر المؤدي إلى حجرتها التي كانت مأكثة فيها خلال مرضها. بدأ ولارد يقفل باب غرفتها، وطلب من أرفن ألا يقلق راحتها وقال له:

- هي في حاجة إلى الراحة.

بينما كان هنري دنلاب يتهباً لمغادرة مكتبه بعد الظهر، دخل عليه ولارد، متأخراً أسبوعاً عن دفع أجرة المنزل. خلال الأسابيع القليلة الماضية، اعتاد المحامي على التسلل إلى بيته في منتصف النهار لوضع دقائق ليراقب زوجته وهي تحونه مع عشيقها الأسود. سيطر عليه شعورٌ بأن ذلك علامةٌ من علامات المرض التي ستحلّ به، ولكنه لم يستطع أن يتحمّل نفسه. ومع ذلك كان كلّ أمله مُعلّقاً على أن يورّط العشيق الأسود بجريمة قتل زوجته إدث. يعلم الله بأن هذا الوغد يستحقّ ذلك، فكيف له أن يضاجع زوجة ربّ عمله الأبيض؟ أثناء ذلك، كان ويلي الماشي على قدميه يزدادُ غروراً، وكان يصلُ إلى العمل صباحاً وقد فاحت منه رائحة الكونياك الذي كان يشربه من مجموعة هنري الخاصة وكذا رائحة معطرٍ ما بعد الحلاقة الفرنسي الخاصّ بهنري. كانت حديقة المنزل كالجحيم من الإهمال. أزمع هنري استئجارَ عاملٍ مخفي لكي يجزّ العشبَ المنتشرَ فيها. وكانت إدث لا تزالُ تنغصّ عيشته بطلبها منه أن يشتري سيّارة بكّ أب لابن العاهرة ذاك.

قال هنري لولارد بعد أن أدخلته السكرتيرة إلى مكتبه:

- يا يسوع المسيح! يا رجل، ما بالك لا تبدو بحالٍ جيّدة؟

أخرج ولارد محفظة نقوده ووضع ثلاثين دولاراً على الطاولة وقال:

- وكذلك أنت. لا تبدو بحالٍ جيّدة أيضًا.

- حسنًا، كنتُ مشغولَ البال بالعديد من الأمور مؤخرًا. أحضِرْ كرسيًا، واجلسْ لدقيقة.

- لا أريدُ الاستماعَ لشيءٍ من هرائك اليوم، أعطِني الوصلَ ودعني أذهب.

- أوه، لا عليك. فلنشرَب شيئًا. يبدو أنك لا تُمانع في شربِ ولو كأسٍ واحدة.

وقفَ ولاردٌ مُحمَلِقًا في هنري للحظة، غيرَ متأكّدٍ أنّه سمِعَهُ بشكلٍ صحيح. فهذه هي المرّة الأولى التي يعرّضُ فيها عليه أن يشربَ شيئًا، أو لنقل، كانت هذه المرّة الأولى التي يبدي فيها سلوكًا متحضّرًا بالشكل الصّحيح منذ أن وقّع معه عقدَ استئجار البيت منذ ستّ سنوات. جاء ولارد وهو جاهزٌ للاستماع إلى تأنيب المحامي له بسبب تأخره في دفع الأجرة. وكان قد حَزَمَ أمره سلفًا، وقرّر أن يمَسَحَ به الأرض إن هو بالغ في تطاوله عليه. نَظَرَ إلى السّاعة الموضوعه على الجدار. كانت شارلوت في حاجةٍ لشراءِ وصفةٍ طبّيّة، ولكنّ الصّيدليّة مغلقةٌ الآن حتّى السّاعة السّادسة. لذا قال ولارد:

- نعم، أظنّ أنّه يُمكنني الجلوس.

جلسَ على الكرسيّ الخشبيّ مقابلَ الكرسيّ الجلديّ الناعم الخاصّ بالمحامي، وأحضَرَ هنري كأسين وقتينّةً من الوِسكي الإسكتلنديّة من خزانة في المكتب. صبَّ المشروبَ، وناولَ ولارد كأسه.

بعد أن رَشَفَ رشفةً من مشروبه، استرخى هنري المحامي في كرسيّه وحدّق في المال الموضوع على الطاولة أمام ولارد. كان هنري

يُعاني من حموضةٍ في مَعِدته بسبب انشغالِ باله بسبب أفعال زوجته. أمضى أسابيع عديدة وهو يفكّر بما قاله له لاعب الغولف، كارتر أوكسلي، عن ولارد وكيف أشبع الرجل الذي تكلم بسوءٍ عن زوجته ضربًا.

سأله هنري:

- ألا تزال راغبًا في شراء المنزل؟

قال ولارد:

- ما من طريقة أستطيع أن أوّمن بها مبلغ شراء المنزل الآن، فزوجتي مريضة.

- يؤسفني سماع ذلك. أقصد عن مرضِ زوجتك. ما درجة خطورة مرضها؟

ثم دفع القنينة باتجاه ولارد قائلاً:

- اشرب المزيد، تفضّل وصبّ لنفسك.

صبّ ولارد صببتين من القنينة وقال:

- معها سرطان.

قال هنري:

- ماتت أمي بسرطان الرئة. ولكنها ماتت منذ زمنٍ بعيد. حصل تطوّر كبير في علاج السرطان منذ ذلك الحين.

- وماذا عن الوصل؟

- لا تنسَ أنّ هناك أيضًا حوالي أربعين دونما من الأرض مع المنزل.

- كما قلتُ لك، ليس معي مبلغ شراء المنزل الآن.

استدار هنري في كرسيه ونظر إلى الجدار الواقع خلف ولارد. كان الصوت الوحيد المسموع صوت مروحة تدور جيئةً وذهاباً في الزاوية، نافثةً هواءً ساخناً في الغرفة. قال هنري وهو يكرعُ كأساً أخرى:

- ضبطت زوجتي وهي تخونني منذ مدة. من يومها والخراء أفضل قيمةً مني.

كان الاعتراف لهذا الرجل الجلف القادم من الغابة بأنه كان ديوثاً أصعب مما كان يظنّ.

تأمل ولارد الجهة الجانبية لوجه هذا الرجل السمين، راقب قطرة من العرق تنساب على جبهته وتقطر من أرنبة أنفه المكعّبر لتستقر على قميصه الأبيض. لم يتفاجأ بما قاله له. في نهاية الأمر، من هي المرأة التي ستزوج رجلاً كهذا؟ مرّت سيارة في الزقاق. أمسك ولارد بالقنينة وصبّ كأساً وملاها حتى حوافها. مدّ يده إلى جيب قميصه ليسحب سيجارة. ثم قال:

- نعم، يصعبُ تحمّل ذلك.

لم يول مشاكل هنري الزوجية أيّ اهتمام، ولكنه لم يحتس مشروباً طيباً منذ أن أخرج شارلوت من المستشفى إلى المنزل، ناهيك عن أن مشروب هنري كان من المشروبات الفاخرة.

نظر هنري إلى كأسه وقال:

- كلّ ما أودّ فعله أن أحزم أمري وأطلقها، ولكن، اللعنة على ذلك، ما يحزّ في نفسي هو أنّ الرجل الذي تخونني معه أسود مثل ورقة آس البستوني.

نظر إلى ولارد مرّة أخرى وقال:

- من أجل خاطر ابني، كنت أتمنى لو أنّ البلدة لم تعلم بالأمر.  
- إلى جهنّم وبئس المصير، يا رجل، ولم لا تلقّنه درسًا قاسيًا؟ احمل  
رفشًا واضرب ذلك الوغد على رأسه، وستصله الرسالة.  
فكّر ولارد في قرارة نفسه مندهشًا من قدرة الأغنياء على أن يكونوا  
في هناءٍ وسرور طالما أنّ الأمور تجري في صالحهم، ولكن ما إن تدخل  
شوكةً صغيرةً في أرجلهم إلّا وتراهم يتمزقون كالدمى الورقية المتروكة  
تحت رحمة الأمطار.

هزّ هنري رأسه وقال:

- لا جدوى من ذلك. ستجدُ بكلّ بساطةٍ عشيقًا غيره. زوجتي  
ليست سوى عاهرة، ولم تكن سوى ذلك طيلة حياتها.  
ثمّ سحّبَ سيجارةً من العلبة الموضوعه على الطاولة وأشعلها  
وقال:

- أوه، حسنًا، كفانا حديثًا عن تلك الخثالة.

نفثَ غمامةً من الدخان باتجاه السقف، وتابع:

- لنعدّ الآن إلى موضوع المنزل مرّةً أخرى. كنتُ أفكّر في أمر. ماذا  
لو قلتُ لك بأنّ هناك طريقةً يمكنك فيها امتلاك المنزل دون أن  
تدفع ستّا ودون أيّ عوائق قانونية؟

- لا يوجد شيءٌ مجانيّ.

ضحك هنري ضحكةً خفيفة ثمّ قال:

- أظنّ أنّ ذلك صحيح، نعم لا يوجد شيءٌ مجانيّ. ولكن مع ذلك،  
هل لا تزال لديك الرغبة في امتلاك المنزل؟

ثم وضع كأسه على الطاولة.

- لست متأكدًا إلى ماذا تلمح!

أجاب هنري:

- حسنًا، حتى أنا غير متأكد. ولكن ما رأيك أن تتصل بي الأسبوع القادم في المكتب هنا وربما يمكننا التحدث في الموضوع. ربما تكون الأحوال قد تغيرت حتى ذلك الحين.

وقف ولارد وكرع كأسه وقال:

- حسب الظروف. إذ يجب أن أطمئن على صحة زوجتي.

أشار هنري إلى المال الذي وضعه ولارد على الطاولة وقال:

- اذهب وخذ معك هذا المال. يبدو أنك قد تحتاجه.

- لا، هذا مالمك. ولا أزال أريدُ منك أن تُعطيني الوصل، بكل الأحوال.

استمرًا بالصلاة وسفح الدم على جذع الشجرة وتعليق الحيوانات المدهوسة والمسحوقة المقتولة التي جمعتها ولارد من الطرقات. أثناء ذلك كله، كان ولارد يُمعن التفكير بالمحادثة التي أجراها مع هنري، صاحب البيت، ذي المؤخرة السمينة. حسبها في رأسه مئات المرات، وأدرك بأنه من المحتمل أن هنري دنلاب أرادَه أن يقتل الرجل الأسود أو الزوجة أو ربما كليهما معًا. لم يكن هناك أي شيء في العالم يجعل هنري يوقع على وثيقة يتخلى بموجبها عن الأرض والمنزل المقام عليها. ولم يكن منه إلا أن تعجب لماذا ظن هنري بأنه سيقوم بذلك. الشيء الوحيد الذي استطاع ولارد استنتاجه هو أن هنري يظنه غيبًا؛ كان يظنه شخصًا أحمق. وسيضمن هنري بأن يودعه السجن قبل أن تنشف



دماء جثة زوجته وعشيقها. ففكر لبرهة قصيرة بعد حديثه مع هنري بأنه قد تكون هناك فرصة ليحقق بها حلم شارلوت. ولكن لم يكن هناك من طريقة يمكن بها أن يستملكا المنزل. استطاع أن يدرك ذلك الآن.

ذات يوم في منتصف أغسطس، بدت شارلوت وكأنتها استعادت قواها، لا بل إنَّها تناولت زبدية من حساء طماطم كامبلز وأمسكتها بيدها. أرادت أن تجلس على الشرفة الأمامية للمنزل ذلك المساء، وهذه أول مرة تخرج فيها إلى الهواء الطلق منذ أسابيع. استحم ولارد وشذب لحيتته ومشط شعره، فيما كان أرفن يحمص بعض البوشار على الغاز. هب نسيم من الغرب وبعث بعض البرودة في الجو. شربوا سيفن-أب بارد وراقبوا النجوم تسير ببطء في السماء. جلس أرفن على الأرض قرب كرسيها الهزاز.

- كان صيفاً قاسياً، أليس كذلك يا أرفن؟

قالت شارلوت ذلك وهي تمرر يدها النحيلة عبر شعره الداكن. كان صيفاً في غاية العذوبة واللطافة. كانت تأمل بأن يدرك ولارد تلك الصفات بعد وفاتها. ذكرت نفسها مرة أخرى بضرورة التحدث مع ولارد في تلك المسألة. فقد جعلها الدواء تنسى كل شيء.

- ولكنك الآن تتحسّنين.

قال أرفن وهو يتناول حفنة أخرى من البوشار في فمه. لم يتناول وجبة ساخنة منذ أسابيع.

قالت له مبتسمة:

- نعم، أشعرُ بتحسّن نوعاً ما.

نامت أخيراً وهي جالسة على الكرسي الهزاز حوالي منتصف الليل،

وَحَمَلَهَا وِلَارْدٍ إِلَى سَرِيرِهَا. فِي مَتَصَفِ اللَّيْلِ، اسْتَيْقَظَتْ وَهِيَ تَتَصَارَعُ  
مَعَ السَّرَطَانِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ جِزْءًا آخَرَ مِنْ جِسْدِهَا. جَلَسَ بِجَانِبِهَا  
حَتَّى الصَّبَاحِ، أَظَافِرُهَا الطَّوِيلَةُ تَنْغَرَسُ عَمِيقًا عَمِيقًا فِي لَحْمِ يَدِهِ مَعَ كُلِّ  
نُوبَةٍ مِنَ الْأَلْمِ. كَانَتْ أَسْوَأَ مَرِحَلَةٍ تَمُرُّ بِهَا حَتَّى الْآنَ. لَمْ يَتَوَقَّفْ وِلَارْدٌ  
عَنْ تَهْدِئَتِهَا:

- لَا تَقْلِقِي. سَيَتَحَسَّنُ كُلُّ شَيْءٍ قَرِيبًا.

أَمْضَى عِدَّةَ سَاعَاتٍ فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ وَهُوَ يَسُوقُ سَيَّارَتَهُ عَلَى طُولِ  
الطَّرِيقِ الْخَلْفِيَّةِ بَاحِثًا فِي تَجَاوِيفِ الْأَرْضِ عَنْ قَرَابِينَ جَدِيدَةٍ، وَلَكِنَّهُ عَادَ  
بِخَفِيِّ حُنَيْنٍ. بَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ذَهَبَ إِلَى سُوقِ الْمَاشِيَةِ، اشْتَرَى عَلَى  
مَضْضٍ خُرُوفًا آخَرَ. وَلَكِنْ حَتَّى هُوَ نَفْسَهُ أَقْرَبَ بِأَنَّ تَضْحِيَةَ الْخِرَافِ لَمْ  
تُجِدْ نَفْعًا. وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ خَارِجَ الْبَلَدَةِ، وَهُوَ فِي مَزَاجٍ مَعَكَّرٍ سَلْفًا، مَرَّ  
بِمَكْتَبِ هَنْرِي دَنْلَابِ. كَانَ لَا يَزَالُ يَفَكِّرُ فِي ابْنِ الْعَاهِرَةِ ذَاكَ عِنْدَمَا رَجَّ  
الْبِكَّ أَبَ رَجَّةً مَفَاجِئَةً وَتَوَقَّفَ عَلَى حَافَةِ طَرِيقِ وَسْتَرِنِ أَفِينِيُو. مَرَّتْ  
السَّيَّارَاتُ بِجَانِبِهِ وَهِيَ تُطَلِّقُ زَعِيقَ مَزَامِيرِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا. هُنَاكَ  
شَيْءٌ وَاحِدٌ لَمْ يَجْرِبْهُ بَعْدُ. لَمْ يَصَدِّقْ بِأَنَّهُ لَمْ يَفَكِّرْ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ.

قَالَ هَنْرِي دَنْلَابُ:

- أَنَا شَبُهٌ يَأْتِسُ مِنْ إِقْنَاعِكَ بِالْأَمْرِ.

- كُنْتُ مَشْغُولًا. اسْمَعْ، إِذَا كُنْتَ لَا تَزَالُ رَاغِبًا فِي الْحَدِيثِ، مَا  
رَأَيْكَ أَنْ نَلْتَقِيَ فِي مَكْتَبِكَ فِي السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ اللَّيْلَةِ؟

كَانَ وِلَارْدٌ حِينَهَا وَاقِفًا فِي كَشِكِّ هَاتِفٍ فِي حَانَةِ دَسْتِرِزْ فِي شَارِعِ  
وَوْتَرِ، عَلَى بَعْدِ بَضْعَةِ مَبَانٍ إِلَى الشَّمَالِ مِنْ مَكْتَبِ الْمُحَامِي. بِحَسَبِ  
السَّاعَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْجِدَارِ، كَانَتْ السَّاعَةُ تَقْتَرِبُ مِنَ الْخَامِسَةِ. كَانَ

قد طلبَ من أرفن أن يَبْقَى في الغرفة الَّتِي تنام فيها شارلوت المريضة، وقال له بأنَّه ربَّما يرجعُ للبيت متأخراً. مدَّ له فَرْشَةً على الأرض بجانب سريرها.

- السَّاعة العاشرة؟ قال هنري.

- هذا التوقيت هو أبكرُ توقيت يُمكنني الوصول فيه إلى هناك. الأمر يرجعُ لك.

- حسناً، أراك عند العاشرة.

اشترى ولارد نصفَ لترٍ من الوسكي من صاحب الحانة، وساق سيَّارته في السَّاعات القليلة الَّتِي تلت ذلك وهو يستمعُ إلى مذياع السيارة. مرَّ بمطعم وودِن سبُون بينما كان على وشك الإغلاق. رأى فتاةً مراهقةً نحيلة تخرجُ من الباب مع الطَّبَّاح العجوز الأفحج، الطَّبَّاح ذاته الَّذِي كان يحضِّر الشَّواء هناك عندما كانت شارلوت تعمل نادلةً في المطعم. فكَّر ولارد بأنَّه من المحتمل بأنَّ الطَّبَّاح لا يزال غير قادرٍ على تحضير وجبة طيِّبة من اللَّحم الملفوف بالخبز. توقَّف وملاً خزان البِكْ أب بالوقود، ثمَّ عادَ إلى حانة تيكومسيه لاونج في الجهة الأخرى من البلدة. شَرِبَ بضع كؤوسٍ من البيرة وهو جالسٌ في الحانة، راقب شخصاً يضعُ نظارات سميكة وقبعة واقية صفراء قدرة كتلك الَّتِي يلبسها العمَّال وهو ينجحُ في إرسال كراتِ طاولة البلياردو إلى أهدافها أربعَ مرَّاتٍ متتالية. عندما خرجَ إلى المرَّاب المفروش بالحصى، كانت الشَّمس قد بدأت بالغروب خلف المدخنة الطويلة لمصنع الورق.

في التاسعة والنصف، كان يجلسُ في بِكْ أبه في شارع سيكَنْد، على بُعْدِ مبنى واحدٍ إلى الشرق من مكتب هنري. بعد بضع دقائق، رأى

هنري وهو يركنُ سيارته أمام المبنى القرميدي العتيق ويلجُ داخله. سارَ ولارد باليك أب إلى الزقاق ثم أوقفه ملاصقًا للمبنى. تنفس بضعة أنفاس عميقة قبل النزول من البك أب. مدَّ جسّمه خلف المقعد وأخرج مطرقةً ودسَّ قبضتها داخل بنطاله، ثم سَحَبَ قميصه وغطَّها به. نظر في أرجاء الزقاق يمنةً ويسرةً، ثم مضى إلى الباب الخلفي وقرعَ الباب. بعد دقيقةٍ أو نحوها، فتحَ هنري الباب. كان يرتدي قميصًا أزرقً مجعدًا وبنطالًا رماديًا فضفاضًا مشدودًا بحمالاتٍ حمراء.

قال هنري:

- ذكاءٌ منك أن تدخل من الخلف مثلما فعلت الآن.

كان هنري يمسكُ بكأسٍ من الويسكي في يده وأشارَ عُيونُه الحمراء كلون الدم إلى أنه شربَ بعض الكؤوس قبل ذلك. بينما كان يستدير باتجاه طاولته، ترنَّح لوهلةٍ ثم ضَرَطَ.

- آسف على ذلك.

قال ذلك قبل أن يضربه ولارد مباشرةً على صدغه بالمطرقة. أحدثت الضربة قرعةً مثيرةً للاشمئزاز جالت في أرجاء الغرفة. سقط هنري إلى الأمام دون صوت، وارتطمَ بخزانة كتب. تناثرت شظايا الكأس التي كان يحملها في يده على الأرضية. انحنى ولارد فوق الجثة وثنى عليها بضربةٍ أخرى. عندما تأكَّد أنه مات، استند إلى الجدار وأصاخ السمع لبرهة. كانت بضع سياراتٍ تمضي في طريقها في الشارع أمام المبنى، ثم خيم الصمت.

ارتدى ولارد قفازات خاصةً بالعمل كان قد وضَعها في جيبه الخلفي وسَحَبَ جثةَ المحامي الثقيلة إلى الباب. أعادَ خزانة الكتب

كما كانت وأمسك بالكأس المكسورة ومسح الوِسْكي المنسكبة بستره رياضية كانت معلقةً خَلْفَ كرسي هنري. فَتَشَّ جيوبَ بنطاله. وَجَدَ مجموعةً من المفاتيح وما يزيد على مائتي دولار في محفظة نقوده. وَضَعَ النقود في دُزْج الطاولة، وَوَضَعَ المفاتيح في الأفرول الذي كان يلبسه.

فَتَحَّ بابَ المكتب، وخطا إلى غرفة الاستقبال الصغيرة، وَتَحَرَّى البابَ الأمامي ليتأكد من أنه كان مقفلاً. دَخَلَ إلى المرحاض وسكَبَ بعض الماء على سترة هنري وعادَ لِيَمْسَحَ بها الدماء عن الأرض. تَفَاجَأَ لِعَدَمِ وُجُودِ كميّة كبيرة من الدماء. بعد أن رمى السترة الرياضية على الجثّة، جلسَ إلى الطاولة. نظرَ حواليه باحثاً عن شيء ما قد يكون اسمه مكتوباً عليه. لم يعثر على شيء. كَرَعَ كَرَعَةً من قنينة الوِسْكي الإسكتلندية الموجودة على الطاولة، ثمَّ أغلقها ووضعها في دُزْج آخر. كان على الطاولة صورة داخل إطار ذهبي لِصَبِيٍّ مراهق ممتلئ الجسم، وهو مشابه لهنري وكأثما بَصَفَهُ بَصْفًا، وهو يَحْمِلُ مضرب تنس. أمّا صورة الزوجة فقد أزيلت من مكانه.

أطفأ ولارد الأنوار في المكتب، ثمَّ خطا إلى الزقاق ووضع السترة والمطرقة في المقعد الأمامي للبِكِ أب. فَتَحَّ البابَ الخلفي لصندوق البِكِ أب وساقه وصفه مُقَابِلَ ممرِّ الباب المفتوح. تَطَلَّبَ الأمر منه دقيقة واحدة لِيَسْحَبَ الجثّة إلى داخل صندوق البِكِ أب وغطّاها بقماشٍ من القنّب وثبَّتَ زوايا القماش بكتلٍ من الإسمنت. داسَ على الدبرياج وتقدّم لبضعة أقدام، ثمَّ خرَجَ وأغلق بابَ المكتب. بينما كان يسوقُ خارج الطريق رقم 50، مرَّ بسيارة أمر الشرطة المركونة في المرأب الخالي من السيارات أمام البِقَالَةِ في سليت ملز. نظرَ في المرآة الخلفية وَحَبَسَ

أنفاسه حتى تلاشت من المنظر إشارة محطة بنزين تكساكو المضيئة. عند  
جسر سكوت، توقف ورمى المطرقة في منطقة بينت كريك. مع حلول  
الثالثة فجراً كان قد أنهى مهمته.

عندما ذهب ولارد وأرفن صباح اليوم التالي إلى جذع الصلاة،  
كان الدم الحديث العهد لا يزال يقطر من جانبي الجذع نازلاً فوق  
التراب التّن.

قال أرفن:

- لم يكن هذا الدّم هنا البارحة.
- دعستُ بالبك أب على جرذ أرض الليلة الماضية. ثمّ مَضَيْتُ  
وجلبتهُ إلى هنا حتى ينزف دمه على الجذع مع عودتي للمنزل.
- جرذ أرض؟ يا إلهي، لا بدّ أنّه كان جرذًا كبيرًا.
- عبس ولارد وهو يركعُ وقال:
- نعم، كان جرذًا كبيرًا. كان وغداً سمينًا وكبيرًا.

حتى بعد تقديم المحامي قربانًا، وَهَنَتْ عظام شارلوت وبدأت تتكسر بعد بضعة أسابيع. جعلتها نوبات الألم الخفيفة تصرخُ وتنشِبُ أظافرها في ذراعيها مُحدثةً فيها جروحًا غائرة. كانت تفقد وعيها كليًا حاولَ ولارد تحريكها. انتشرت على ظهرها قرحة متقيحة بسبب الاستلقاء الطويل في السرير وكَبُرَتْ حتى أصبحت بحجم طبق طعام. فاحت من غرفتها رائحة عفنة منتنة كالرائحة المنبعثة من جذع الصلابة. لم يهطل المطر لمدة شهر، ولم تنقطع الحرارة المرتفعة. اشترى ولارد المزيد من الخِزَاف من سوق الماشية، وسكَبَ دلاء الدماء حول الجذع حتى غرقت أحذيتيها إلى ما فوق الكعبين في القذارة والوحل. ذات صباح وبينما كان ولارد خارج المنزل، جاء كلبُ جعاري أعرج، ذو فروٍ أبيض ناعم. كان يلهثُ من الجوع. خاطر بالدخول إلى الشرفة الأمامية للبيت وهو خائف وذيله بين ساقيه. أطعمه أرفن بعض فضلات الطعام من البرَاد. عندما عاد أبوه إلى البيت كان أرفن قد سمى الكلب جاك. دون أن يتلفظ بكلمة، دخلَ ولارد إلى المنزل ورجَعَ متوشِّحًا بندقية. دفعَ أرفن دفعةً قويةً مُبعدًا إياه عن الكلب، ثم أطلقَ عليه طلاقةً بين عينيهِ في الوقت الذي كان فيه الصَّبِي يتوسَّل إليه بالألَّا يُطلق النار. سَحَبَ جثة الكلب صوبَ الغابة وَصَلَبَهُ بالمسامير على أحد الصُّلبان. امتنَعَ أرفن

عن الحديث مع أبيه بعد تلك الحادثة. أضغى لأنين أمه بينما كان ولارد يسوقُ البِكَّ أب باحثًا عن المزيد من القرابين. كانت المدارس تستعدُّ لاستقبال التلاميذ مع بدء العام الدراسي الجديد، ولم يُغادر أرفن التلَّة ولو مرَّة واحدة طيلة الصيف. لم يكن منه إلا أن وجد نفسه يتمنَّى أن تموت أمه.

بعد بضع ليالٍ، اندفع ولارد إلى غرفة أرفن حيث كان ينام وأيقظه بعنف قائلاً:

- اذهب الآن إلى جذع الصَّلَاة.

وقف الصبيّ، نظرَ حوله باضطراب. كان ضوء الصَّلَاة مُنارًا. استطاع أن يسمَعَ أمه وهي تلهثُ وأنفاسها تتزَّ بصعوبة في الغرفة وتنتشر في أرجاء الصَّلَاة. هزَّه ولارد مرَّة أخرى قائلاً:

- إياك أن تتوقف عن الصَّلَاة حتى أوافيك إلى الجذع. اجعله يسمع صَوْتَكَ، أنفهمني؟

ارتدى أرفن ملابسه على عجل، وبدأ بالجري عبر الحقل. فكَّر بأمنيته التي تمنَّاها؛ وهي أن تموت أمه. ثم أسرع بالركض.

مع حلول السَّاعة الثالثة فجرًا، جفَّت حُنجرته وتقرَّحت. جاء أبوه مرَّة وسكَّب دلوًا من الماء على رأسه، وتوسَّل إليه بالآيكفَّ عن الصَّلَاة. ورغم أن أرفن واصل الصَّراخ لاستجلابِ رحمة الربِّ، لم يشعر بأيِّ شيءٍ ولم يأتِ أحد. أغلق بعض السكَّان في بلدة نوكمستف نوافذ منازلهم رغم حرارة الجوّ. فيما أشعل آخرون ضوءًا واحدًا لما تبقى من الليل، وأدَّوا صلواتهم الخاصَّة بهم. جلسَت أغنيس، أخت سنوك هاسكن، في كرسيِّها مُستمعةً لذلك الصَّوتِ المثير للشفقة، وهي



تفكر بالأزواج الوهميين الذين دَفَتهم في ذاكرتها. نظرَ أرفن إلى الكلب الميت. رأى عينيه الخاليتين من التعابير تحدّقان عبر الغابة المعتمة، وبطنه منتفخٌ على وشك الانفجار. خاطبهُ قائلاً:

- أسمعني يا جاك؟

قبل الفجر بالتّمام والكمال، غطّى ولارد زوجته الميتة بغطاءٍ أبيض نظيف ومشى عبر الحقل، وقد أخرسته الفجيعة واليأس. انسلّ من خلف أرفن بصمتٍ، واستمع إلى صلوات الصّبيّ لدقيقة أو اثنتين، الصّلوات التي كانت بالكاد همسات مخنوقة في تلك اللحظات. نظرَ إلى الأسفل، أدرك والاشمئزاز دَيْدُنُهُ أَنَّهُ كان يُمسك بمطواته المفتوحة في يده. هزَّ رأسه وأبعدَ المطواة.

- تعالَ يا أرفن.

أصبحَ صَوْتُهُ ناعماً للمرّة الأولى منذ أسابيع وهو يكلمُ ابنه.

- قُضي الأمر. لقد ماتت أمك.

دُفنت شارلوت بعد يومين في المقبرة الصّغيرة الواقعة خارج بورنفل. في طريق العودة من الجنّازة قال ولارد:

- أرى أَنَّهُ ربّما يُمكننا أن نقوم برحلةٍ قصيرة. اذهب وِرْزُ جَدَّتكَ في بلدة كول كريك. ربّما يُمكنك أن تبقى هناك لمُدّة قصيرة. ستلتقي مع الخال إيرسكل، وكذلك الفتاة التي تعيش معها التي تصغرك قليلاً. ستُحبُّ ذلك المكان.

لم يَنبَس أرفن ببنتِ شفة. لم يكن قد وارى حُزْنَهُ بعدُ بسبب فقدان الكلب، وكان متأكّداً بأنّه ما من طريقةٍ يستطيع بها مواراة حُزْنِهِ على موت أمّه. وهما في طريقهما، كان ولارد يؤكّد بأنّها لو صلّيا بخشوع

أكبر، لكانت على خير ما يرام. عندما وَصَلَا المنزل، وجدا فطيرة التوت الأزرق ملفوفةً بجريدةٍ وموضوعَةً على شرفة المنزل قُرْبَ الباب. هام ولارد على وجهه في الحقل الواقع وراء المنزل. دخلَ أرفن إلى المنزل وخلَعَ ملابسه النظيفة واستلقى على السرير.

عندما استيقظَ بعدَ عدَّةِ ساعات، كان أبوه لا يزال خارج المنزل، وناسبَ ذلك الصبيَّ أيّما مناسبة. ثم أكلَ نصفَ الفطيرة ووضعَ نصفها الآخرَ في صندوق التبريد. خرَجَ إلى الشرفة الأمامية للبيت وجلسَ في كرسي أمه الهزاز وراقبَ شمسَ المساء وهي تغرقُ خلفَ صفٍّ من الأشجار الدائمة الخضرة إلى الغرب من المنزل. فكَّرَ بليَّةَ أمه الأولى تحت التراب. لا شكَّ أن الظلامَ دامسٌ حيث هي الآن. كان قد سمعَ عجوزًا واقفًا تحت شجرةٍ ومستندًا إلى رفسٍ وهو يقولُ لولارد بأنَّ الموتَ إما أن يكون رحلةً طويلةً أو نومًا طويلًا، ورغم أن والده قابلَ كلامَ العجوز بوجهٍ عابسٍ ومن ثمَّ استدار مبتعدًا عنه، ظنَّ أرفن بأنَّ ما قاله العجوزُ صحيحٌ كلَّ الصحة. وإكرامًا لعيني أمه، كان الأملُ يحدوه بأن يكون الموتُ جزءًا من هذا وذاك؛ الموتُ رحلةٌ ونومٌ. حضَّرَ الجنازةَ عددٌ قليلٌ من النَّاس: امرأةٌ كانت تعمل مع أمه في مطعم وودن سبون، ويضع عجائز من الكنيسة في نوكمستيف. كان من المفترض وجودُ أختٍ لشارلوت في مكانٍ ما في الغرب، بيدَ أنَّ ولارد لم يعرف كيف يتصل بها. لم يَحْضُرَ أرفن أيَّ جنازةٍ قبل ذلك البتَّة، ولكن كان لديه شعورٌ بأنَّها لم تكن جنازةً كبيرة.

مع انتشار العتمة عبر الفناء الذي اكتسى غطاءً من الأعشاب، نهَضَ أرفن ومشى حول أحد جانبي المنزل ونادى والده عدَّة مرّات.

انتظر بضع دقائق، كل ما جال في باله أن يخلد للنوم لا أكثر. ولكنه دخل بعد ذلك إلى المنزل وأحضر مصباحًا يدويًا من دُرج المطبخ. بعد أن بحث في الحظيرة، بدأ يبحث الخطى نحو جذع الصلاة. لم يذهب أيُّ منهما إلى هناك خلال الأيام الثلاثة التي تلت وفاة أمه. كان الليل قد حلَّ سريعًا في تلك اللحظة. بدأت الخفافيش بالانقراض على الحشرات في الحقل، كان هناك بُلبُّ يُراقبه من عشه المبنى تحت خميلة من الياسمين البري. تردّد، ثم دَخَلَ الغابة وسارَ عبر الدرب. وَقَفَ عند طرف البقعة المقلوعة الشجر، أضاء بالمصباح حوله. رأى ولارد راكعًا على الجذع. لَفَحَتِ الرائحة النتنة العفنة بقوة، وظنَّ بأنه ربّما سيمرضُ من جرّاء استنشاقها. استطاع أن يستحضر طعم الفطيرة، وقد بدأ بالتسلُّل إلى حلقة. قال لوالده بصوتٍ خفيض:

- لن أفعل ذلك بعد الآن.

كان يعرفُ أنّ جملة تلك ستضعه في ورطةٍ مع أبيه، ولكنه لم يعد يكثرُ، وتابع قائلاً:

- لن أصلي بعد الآن.

انتظرَ لدقيقةٍ أو نحوها ليصله الجواب، ومن ثمّ قال:

- هل تسمعي؟

خطا مقتربًا من الجذع، وأبقى ضوء المصباح موجّهًا صوبَ جسم ولارد الرّاكع. ثمّ لمسَ كتيفَ أبيه وسقطت المطواة على الأرض. تدلّى رأسُ ولارد على أحدِ جانبي جسده وكشفَ ذلك عن الجرح الغائر الذي أخذته في عنقه من الوريد إلى الوريد. سألَ الدمُ على جانبِ الجذع وَقَطَرَ على بنطالِ بذلته. هبَّ نسيماً خفيفاً على التلّة، وبرّد العرق على

قفا رقبة أرفن. وسرى صريرُ الأغصان فوق رأسه. سبَحَتْ خصلةُ  
من الفرو الأبيض في الهواء. طرقت بعض العظام المتدلّية من الأسلاك  
والمسامير بعضها البعض بنعومةٍ، مصدرّةً موسيقى حزينّة، جوفاء لا  
تشوبها عاطفة.

استطاع أرفن أن يرى من خلال الأشجار بضعة أضواءٍ تُومض  
وميضًا خافتًا في نوكمستيف. سمع صوتَ باب سيارةٍ يُغلقُ في مكانٍ ما  
في البلدة، ثم طرّق حذوة حصانٍ واحدة على وتدٍ معدنيّ. وقَفَ مُترقبًا  
أيّ نعمةٍ صوتٍ ستلي ذلك، ولكن ما من صوتٍ أتى. بدا الأمر وكان  
ألفَ سنةٍ مرّت منذ ذلك الصّباح الذي جاء فيه الصيادان من ورائه  
ووراء والده. شعُرَ بالذنب والعار لأنّه لم يكن يبكي، ولكن ما من دموعٍ  
باقية في مآقيه. احتضارُ أمّه الطويل المدّة تركّه جافًا، بلا دُموع. لم يكن  
يعرفُ ما يفعله سوى السيرُ قُربَ جثة أبيه والإشارة بضوء المصباح إلى  
الأمام. بدأ يشقُّ طريقه عبر الغابة.

في الساعة التاسعة بالضبط من ذلك المساء، وضعَ هانك بِل لافِتةً كُتِبَتْ عليها كلمة «مغلق» على النافذة الأمامية لِبِقالة مود وأطفأ الأنوار. ذهبَ وراء طاولةِ الحساب وأحضَرَ عبوةً تضمّ ستّ علبٍ من البيرة من أسفل برّاد اللّحم، ثمّ خرج من البقالة عبر الباب الخلفي. كان يحملُ في جيب قميصه من الأمام مذياع ترانزستور صغير الحجم. جلسَ في كرسيّ من كراسي الحدائق وفتحَ علبة بيرة وأشعلَ سيجارة. كان يعيشُ في مقطورةٍ متنقّلة خلفَ المبنى الخرساني منذ أربع سنوات. مدَّ يدهُ داخلَ جيبه، شغّلَ المذياع وسمع على الفور المذيع وهو يعلنُ بأنّ فريقَ ذا رِدس<sup>(1)</sup> متأخّرٌ بفارق ثلاث نقاطٍ في الجولة السادسة. كانوا يلعبون خارج أرضهم في السّاحل الغربي. قدّر هانك أنّ الساعة قد تجاوزت الخامسة هناك حيث تجري المباراة. دار في خلدّه بأنّ مسألة اختلاف التوقيت بين مكانٍ وآخر ليست سوى شيءٍ مضحك.

نظرَ إلى شجرة الكاتالبا الصّغيرة التي زرعتها في السّنة الأولى من بداية عمله في البقالة. نَمَتْ بمقدار خمسة أقدام تقريباً منذ ذلك الحين. كانت فسيّلةً أخذها من الشّجرة المنتصبّة في السّاحة الأمامية للمنزل

(1) فريق يبسبول أمريكي شهير تأسس عام 1881 في مدينة سينيناتي بولاية أوهايو.

الذي عاش فيه مع والدته قبل وفاتها. ومن ثم فقد بيّنه الذي استولى عليه البنك. لم يكن متأكدًا لماذا قام بزراعتها. فخلال بضع سنوات على أكثر تقدير، كان يُحطّط لمغادرة بلدة نوكمستيف. كان يحكي قصة رغبته في الرحيل عن البلدة لأيّ زبونٍ يُبدي رغبةً بالإصغاء إلى حديثه. كان يوفّر كلّ أسبوع ما تيسّر له من راتب الثلاثين دولارًا الذي كان يتقاضاه من عمله في بقالة مود. في بعض الأيام كانت فكرة الرحيل إلى الشمال تطرّقُ باله، وفي بعض الأحيان كان يقرّر بأنّ الجنوب ربّما يكون الخيار الأفضل. ولكن كان في جعبته الكثير من الوقت ليقرّر أين سيذهب. فهو ما يزال في ريعان الشباب.

رأى ضبابًا رماديًا مشوبًا بلون فضّيّ على ارتفاع بضعة أقدام يتحرّك ببطءٍ من منطقة بلاك رن كريك ويغطّي الحقل الوعري المستوي الواقع خلف البقالة، وهو جزء من مرعى الأبقار التابع لكليرنس ميرز. كانت تلك الساعة الوقت المفضّل لديه من اليوم؛ أي بالضبط بعد غروب الشمس وقبل اختفاء الظلال الطويلة. كان بإمكانه سماع بعض الصّبيّة يصيحون ويصرخون على الجسر الخرساني أمام البقالة كلّما مرّت بهم سيّارة عابرة. كان بضعةٌ منهم يتسامرون هناك تقريبًا كلّ ليلة دون اكتراثٍ بالطقس. كان الفقيرُ ينضح من وجوههم جميعًا كسيلٍ عِرم. كلّ ما تمنّوه في هذه الحياة الحصول على سيّارة تسيرُ وموضعٍ حامٍ بين فخذي امرأة. رأى هانك أنّ ذلك يبدو جيّدًا نوعًا ما؛ أي أن تعيش حياتك برمتها غير متوقّع الحصول على أكثر من ذلك. كان أحيانًا يتمنى أنّه لم يكن طموحًا جدًّا.

توقّفت أصوات الصّلاة الصّادرة من أعلى التلّة أخيرًا منذ ثلاث ليال. لم يحاول هانك التفكير بالمرأة المسكينة التي كانت تحتضرُّ هناك،

وهي حبيسة تلك الغرفة، كما كان الناس يقولون، بينما كان زوجها وابنها يصليان كأشباه المجانين. تبا هُما، لقد أصابا الوادي بكامله بالجنون أحياناً، بسبب الطريقة التي واظبا فيها على الصلاة صباح مساء على مدى ساعات. سَمِعَ بعضهم يقول بأن الطقوس التي كانا يمارسانها بدت كأنها ضربٌ من ضروب شعوذة الفودو<sup>(1)</sup> أكثر من كونها طقوساً مسيحية. عثر صبيان من عائلة لنش على بعض الحيوانات الميتة المعلقة على الأشجار هناك قبل بضعة أسابيع؛ ثم ما لبثا أن فقدوا أحداً كلاهما. يا إلهي! إن العالم موشك على التحوّل إلى مكان شنيع. فالبارحة فقط، قرأ في الجريدة بأن زوجة هنري دنلاب وعشيقها الأسود اعتُقلا للاشتباه فيهما بقتله. كان لا يزال لزاماً على رجال الشرطة أن يعثروا على جثته. ولكن من وجهة نظر هانك، إن مُضاجعتها لذلك الزنجي كانت شبه دليل على أنّها ارتكبا الجريمة. كان المحامي هنري دنلاب معروفاً بين جميع الناس؛ إذ أنّه امتلك أراضي في كافة أنحاء بلدة روس كاونتي؛ واعتاد على التوقف في البقالة بين الفينة والأخرى وهو يُشمشم بحثاً عن مشروباتٍ مهربة ليُسعد بها بعضاً من أصدقائه من عليّة القوم. بحسب ما رآه هانك من طباع المحامي، فقد تبين له أنّه ربّما كان يستحقّ القتل، ولكن لماذا لم تطلب زوجته الطلاق وتنتقل إلى حي وايت هيفن لتعيش مع السود؟ لقد توقّف البشر عن استخدام أدمغتهم. ما يدعو للعجب أنّ المحامي لم يقتلها قبل أن تقتله، أقصد، إنّ كان يعرف قصتها مع عشيقها. ما من أحد سيلومه لو فعل ذلك، ولكنّه الآن ميتٌ وربّما

(1) وهي ديانة تنتشر في هايتي ويطلق على أتباعها اسم «سدنة الأرواح» حيث يؤمنون بوجود خالق للكون. ويرون بأن هذا الخالق لا يتدخل في شؤون البشر لذا يوجهون صلواتهم وعبادتهم صوب الأرواح الخاضعة له. (المترجم)

يكون ذلك أفضل . سيكون الأمر مريعاً جداً أن تعيش على تلك الحالة؛ أي أن يعلم الجميع بأن زوجتك تُصاحب رجلاً أسود البشرة .

حصلَ فريقُ ذا رِدْوس على ضربة، وبدأ هانك يفكر بمدينة سينسِناتي . فقريباً سيسوقُ مقطورته المتحركة إلى ريفر سيتي ويشاهد مباراتين متالتين . كانت خطته تتمثل بشراء تذكرة ليحصلَ على مقعدٍ مميّز وأن يشرب البيرة وأن يُصاحب عاهراتها الشَّبقات . سمعَ أن طعم ممارسة الجنس يُصبح ألذَّ في ملاعب البيسبول، وأراد أن يجرب صحّة ذلك بنفسه . كانت سينسِناتي لا تبعد أكثر من تسعين ميلاً أو نحوها على الجهة الأخرى من حي ميتشل فلاتس، على طريقٍ مستقيمةٍ متفرّعة عن الطريق رقم 50، ولكنّه لم يذهب إلى هناك من قبل، ولم يتّجه غرباً أبعد من هلزبورو طيلة سنين حياته الاثنتين والعشرين . كان لدى هانك شعورٌ بأنّ حياته ستبدأ فعلياً حالماً ينطلق في تلك الرحلة . لم يخض في كافة التفاصيل المتعلقة بذلك حتّى الآن، ولكنه أراد أيضاً استئجار عاهرة بعد نهاية المباريات؛ فتاة جميلة تعامله معاملَةً لطيفةً . سيدفعُ لها مبلغاً إضافياً لتعريبه من ملابسه وتخلّع له بنظاله وحذاه . قرّر شراء قميصٍ جديدٍ خصيصاً لتلك المناسبة، وأن يتوقّف في بينبريج وهو في طريقه إلى هناك وأن يخلّق شعر رأسه حلاقةً أنيقة . سيعربها من ملابسها ببطء، وسيستغرق ما يحتاجه من وقتٍ مع كلّ زرٍّ صغير أو غيره من تلك الأشياء الذي تستخدمه العاهرات لتثبيت ملابسهنّ به . سيسكبُ بعض الوسكي على نهدئها ويلعقهما، مثلما سمع من بعض الرجال الذين كانوا يتحدثون في الأمر عندما يأتون إلى البقالة بعد أن يفرغوا من بعض المضاجعات في حانة بلّ بن . عندما سيلجُ فيها في نهاية الأمر، ستطلب منه أن يكون لطيفاً، وبأثنا غير معتادةٍ على رجالٍ يملكونَ



قضيًا بحجم قضييه . وستكون أفضل حالاً من ملدرد مكدونالد ذات الصوت الجاعر، المرأة الوحيدة التي نام معها في حياته حتى الآن.

- لم تكن سوى حشرة واحدة صغيرة. ولم يحصل شيء بعد ذلك - سوى أنه بدأ التدخين.

هذا ما باحت به ملدرد لكل من كان في حانة بل بن. حصل ذلك قبل ما يزيد على ثلاث سنوات، وما زال الناس يسخرون منه بسبب ذلك. أمّا العاهرة في سينسناي فسوف تُصرُّ على أن يحتفظ بهاله بعد أن يقضي وطَّرهُ منها، وستطلبُ رقم هاتفه، وربّما حتّى ستوسّل إليه بأن يأخذها معه. رأى بأنه من المحتمل أنّه سيَرجع إلى البيت شخصًا مختلفًا، تمامًا مثلما عاد سلّم جليسون إلى الوطن عقب انتهاء الحرب الكوريّة. وقبل أن يُغادر بلدة نوكمستف مغادرةً لا رجعة بعدها، فكّر هانك بأنه ربّما يتوقّف في حانة بل بن لبيّناع لبعض الصّبيّة بيرة الوداع، فقط لبيّتن لهم بأنه غير منزعج منهم بسبب النكات التي سخروا بها منه. افترض، بطريقةٍ ما، بأن ملدرد أسدّت له معروفًا؛ فقد وفرّ على نفسه الكثير من المال منذ عزف عن الذهاب إلى هناك.

كان شبه مصغٍ للمباراة وهو يفكّر بالطريقة القادرة التي عاملته بها ملدرد عندما لاحظ شخصًا ما ومعه مصباحٌ يدويّ وهو يسيرُ عبر مرعى كليرنس. رأى الجسم الصّغير ينحني وينسلُّ عبر سور الأسلاك الشائكة ويتّجه إليه. حلّ الظلام تقريبًا الآن، ولكنّ الشّخص اقترب أكثر فأكثر، وعرف هانك أنّه ابن ولارد رسل. لم يكن قد شاهد الصّبي خارج حدود التلّة لوحده قبل ذلك. سمع أنّ والده لم يكن ليسمح له بالخروج لوحده. ولكنّ مراسم دفن أمّه انتهت فقط بعد ظهر هذا

اليوم، وربّما قد تسبّب ذلك في تغيير مجرى الأمور، وربّما لأنّ قلبُ  
ولارد رَسِل بعض الشيء. كان الصّبي يرتدي قميصًا أبيض اللون  
وأفرولاً جديدًا.

- أيها الصّبي!

قال هانك مع اقترابِ أرفن منه. كان وجهُ الصّبي خليطًا من الهُزال  
والعرق والشحوب. لم يَبْدُ على ما يرام، لم يَبْدُ أبدًا على ما يرام. بدا وكأنّ  
دماءً أو شيئًا ما قد لَطَّخ وجهه وملابسه.

توقّف أرفن على بعد بضعة أقدام من البقال وأطفأ مصباحه. قال  
هانك:

- لقد أغلقنا البقالة اليوم، ولكن إن كنتَ ترغبُ بشراء شيء ما،  
يمكنُ أن أفتح لك المخزن الاحتياطيّ.

- كيف يُمكنني الاتّصال بالشرطة؟

- حسنًا، إمّا أن تتسبّب ببعض المشكلات أو أن تتصل بهم بالهاتف،  
على ما أظنّ.

- هل يُمكنك أن تتصل لي بهم؟ فأنا لم أستخدم هاتفًا في حياتي.

مدّ هانك يده في جيبيه وأطفأ المذياع. بكلّ الأحوال كان فريق ذا  
رِدْس قد مُنّي بهزيمة نكراء.

- ماذا تُريد من أمرِ الشرطة يا بني؟

- لقد مات.

- من؟

- أبي.

- تقصدُ أمك، أليس كذلك؟

علتُ وجه الصّبي نظرة مضطربة للحظة، ثم هزّ رأسه وقال:

- لا، أمي ماتت منذ ثلاثة أيام. أنا أتحدّث عن أبي.

وقفَ هانك وأخرجَ من جيّبه مفاتيح باب البقالة الخلفي. تساءل فيها إذا كان الصّبي قد فقدَ صوابه بسبب الحزن. تذكّر هانك الأوقات العصيبة التي مرّ بها عندما توفيت أمه. كان يعرفُ أنّ وفاة الأم أمرٌ لا يمكن للمرء أن يتجاوزَه أبدًا. فهو لا يزال يفكّر فيها كلّ يوم.

- تعالِ وادخل، تبدو عطشانًا.

- ليس معي نقود.

- لا عليك، اعتبره دينًا عليك.

دخلا إلى البقالة وفتحَ هانك برّاد المشروبات الباردة وقال:

- أيّ نوع تحبّ أن تشرب؟

هزّ الصّبي كتفيه غير عارفٍ ما يقول.

قال هانك:

- هاك بيرة جذور النباتات. هذا هو النوع الذي اعتدتُ على شربه.

ناول الصّبي قنينةً من البرّاد، وفركَ لحيّته التي طالت ليومٍ واحدٍ

فحسب، وقال:

- والآن قل لي، اسمك أرفن، أليس كذلك؟

- نعم يا سيّدي.

وضعَ أرفن مصباحه اليدويّ على طاولة الحساب، وشربَ شربةً

مديدةً، ثم ألحقها بأخرى.

- إذن، ما الذي جعلك تظنّ بأنّ مكروهاً حصلَ لوالدك؟

- لقد قتلَ نفسه.

- وذلك الذي عليك ليس دمًا، صحيح؟

نظرَ أرفن إلى قميصه ويديه وقال:

- لا، تلك بقايا الفطيرة.

- وأين أبوك؟

- ليس ببعيد عن المنزل. في الغابة.

أخرج هانك دليل الهاتف من تحت طاولة الحساب وقال:

- والآن اسمعني، لا أمانعُ في الاتّصال بالشرطة لمساعدتك،

ولكن لا تعبت معي، اتفقنا؟ فهم لا يتعاملون بلطفٍ مع عمليّة

بحثٍ خرقاء عن شيءٍ غير موجود.

قبل بضعة أيام فقط، طلبتُ منه مارلين وويليامز الاتّصال بالشرطة

وإبلاغها عن وجود متلصّصٍ آخر يختلسُ النّظر إليها من النافذة. كانت

تلك المرّة الخامسة في غضون شهرين فقط. ولكنّ مُستلّم بلاغاتِ

الطوارئ أغلق السّماعَة في وجهه.

استغربَ أرفن:

- لماذا يجب أن أتصل أنا بالشرطة؟

- لا، لا أظنّ أنّك في حاجةٍ لأن تتصل بنفسك.

بعد أن اتّصل هانك بالشرطة، خرج وأرفن من الباب الخلفي

وجمع هانك قناني بيرته. سارا وجلسا على المقعد الواقع أمام البقالة.

رُفرف سربٌ من فراشات اللّيل حول الضوء الكشّاف المنتصب فوق

مضخّات الوقود. فكّر هانك بالضربات التي انهال بها والد أرفن على  
لوكاس هيرن العام الفاتت. ليس لأنّه لم يكن يستحقّ تلك الضربات  
على الأرجح، بل لأنّ لوكاس لم يُشَفَ منذ ذلك الحين. فالبارحة فقط،  
جلس على هذا المقعد طيلة الصّباح وهو مُنحني وكتلة من الرّيال تتدلّى  
من فمه. فتح هانك قنينة بيرةٍ أخرى وأشعلَ سيجارة. تردّد للحظة، ثمّ  
مالبت أن قدّم للصّبي سيجارةً من علبة سجائره

هزّ أرفن رأسه وتناول قنينة بيرةٍ من البراد. ثمّ قال بعد بضعة دقائق:  
- لا يوجد أصواتٍ لِطَرَقِ حذوات الخيل هذه اللّيلة.

نظرَ هانك إلى الوادي، ورأى الأضواء منارةً في حانة بِل بن. كانت  
أربع سيّارات أو خمسة مركونة في السّاحة، ثمّ قال: «لاشكّ أنّها تستريحُ  
الآن». قال ذلك هو يستندُ إلى جدار البقالة ويمدُّ ساقيه. كان قد ذهب  
مع ملدرد إلى حظيرة الخنازير الواقعة في مرعى عائلة بلاتر. قالت إنّها  
أحبّت الرائحة الفوّاحة لروث الخنازير، وأحبّت أن تتخيّل الأشياء  
مختلفةً بعض الشيء عن معظم الفتيات.

سألها هانك، ونبرةٌ خفيفة من القلق تعتري صوّته:

- ماذا أحببت أن تتخيّلني؟

ما انفكّ هانك يُصغي لعدّة سنواتٍ إلى الصّبيّة والرّجال وهم  
يتحدّثون عن مضاجعة النساء، ولكن لم يذكر أحدهم مرّةً واحدة شيئاً  
عن مضاجعاتٍ فوق روث الخنازير.

قالت له حينها:

- ليس من شأنك ما يجولُ في بالي.

كانت ذقنها حادّةً كفأسٍ صغيرة، وعيناها مثل بليتين رماديتين

ذَهَبَ بهَاؤُهُمَا. كَانَتْ مِيزَتَهَا الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُعَوِّضُ تِلْكَ الْبِشَاعَةَ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي بَيْنَ سَاقَيْهَا. قَالَ بَعْضُهُمْ بَأَنَّهُ يُذَكِّرُهُمْ بِعِضَّةِ السَّلْحَفَاءِ.

قال هانك:

- كما تُريدِين.

قَالَتْ مِلْدَرْدٌ وَهِيَ تُرْخِي سَحَّابَ بِنَطَالِهِ وَتَشَدُّ هَانِكَ لِلْأَسْفَلِ فِي الْقَشِّ الْقَدْر:

- لَنَرِ مَاذَا تَحْمَلُ بَيْنَ سَاقَيْكَ.

بعد أدائه البائس، دَفَعَتْهُ عَنْهَا بَعْنِفٍ وَقَالَتْ:

- يَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ! كَانِ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَضَاجِعَ نَفْسِي بِنَفْسِي.

- أَنَا آسَفٌ. لَقَدْ قُمْتُ بِإِثَارَتِي قَبْلَ الْأَوَانِ. سَأَكُونُ أَفْضَلَ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ.

- هَا! أَشْكَ كَثِيرًا فِي أَنَّهُ سَتَكُونُ هُنَاكَ مَرَّةً قَادِمَةً، يَا أَبَا الشَّبَابِ!

سألها وهي تهتمّ بالمغادرة:

- حَسَنًا، أَلَا تَرْغِبِينَ عَلَى الْأَقْلَى فِي أَنْ أَوْصَلَكَ إِلَى الْبَيْتِ؟ كَانِ الْوَقْتُ يَقَارِبُ مُتَنَصِّفَ اللَّيْلِ. كَانَتْ الْعُشَّةُ الْمَكُونَةُ مِنْ غُرَفَتَيْنِ الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا مَعَ وَالِدَيْهَا فِي نَيْبِجَنَ تَبَعْدُ بَضْعَةَ سَاعَاتٍ مَشِيًا عَلَى الْأَقْدَامِ.

- لَا، سَأَتَسَكَّعُ هُنَا لِبَرَهَةٍ. رَبِّيَا يَا تِينِي زَبُونِ مَا.

نَفَضَ هَانِكَ سَيَجَارَتَهُ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ الْمَفْرُوشَةِ بِالْحَصَى وَشَرِبَ شَرِبَةً أُخْرَى مِنَ الْبِيرَةِ. أَحَبَّ أَنْ يُقْنِعَ نَفْسَهُ بِأَنَّ الْأُمُورَ جَرَتْ عَلَى خَيْرٍ مَا يَرَامُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالشَّخْصِ الْحَقُودِ؛ غَيْرِ

حقوقٍ على الإطلاق، وَجَبَ عليه أن يعترف بأنَّه شَعُرَ بنوع من الرضا عندما عَلِمَ بأنَّ ملدرد كانت في هذه الآونة تُضاجع فتى عَظِيمَ الكرش اسمه جيمي جاك يَرْكَبُ دَرَاجَةً ناريةً من طراز هارلي. وكان يَحْسِبُها في شرفة مدخل البيت الخلفية في وِجَارٍ للكلاب مَبْنِيٍّ من صفائح خشبية رقيقة عندما لم يكن يُتَاجَرُ بِجسدها في إحدى بارات البلدة. تناقَلَ الناس فيما بينهم بأنَّها كانت مستعدةً للقيام بأيِّ شيءٍ يَحْتَطِرُ في بالكٍ مقابلَ خمسين سنتًا. رآها هانك في بلدةٍ ميد في الرَّابِعِ من يوليو الفاتت، كانت واقفةً قُرْبَ الباب خارج حانةٍ دستي بعينٍ مكدومةٍ سَوْداءٍ، وهي تحملُ الخوذة الجلدية لصاحبِ الدراجة النارية؛ حضرة جيمي جاك. ولَّتْ أيام العزِّ التي عاشتها ملدرد وأصبحت وراء ظهرها الآن. أمَّا أيام عزِّ هانك فستبدأ قريبًا. ستكون المرأة التي سيتعرَّف إليها في مدينة سينسيناتي أجملَ من ملدرد مكدونالد العجوز بمائة مرَّة. بعدَ مرور سنة أو سنتين من مغادرته لهذا المكان، من المرجَّح بأنَّه لن يعودَ قادرًا حتَّى على تذكُّر اسمها. فَركَ هانك إحدى يديه بوجهه ونَظَرَ حوله، رأى أرفن ينظر إليه. سأل الصبي:

- اللعنة، أكنْتُ أتحدَّثُ مع نفسي؟

- ليس تمامًا.

- من الصَّعب التنبؤ بموعدِ قُدومِ نائبِ أميرِ الشرطة. هم لا يُحِبُّون القُدومِ إلى هنا كثيرًا.

- ومن هي ملدرد؟





كانت دورية لي بوديكر على وشك الانتهاء عندما تلقى اتصالاً عبرَ جهاز الراديو. من المفترض بعد عشرين دقيقة أن يأخذ صاحبه ويتوجَّها إلى برج ستريت حيثُ مطعمُ جوني في قسمه المخصَّص لخدمة الزبائن المستعجلين في سياراتهم. كان الجوعُ يهدُّ أركانه هداً. كلَّ ليلة، بعد أن ينصرفَ من دوامه، كان يقودُ سيارته صُحبةً فلورنس إماً إلى مطعمِ جوني أو مطعمِ وايت كاو أو مطعمِ شوغر شاك. كان يجبُ أن يُمضي يومه كاملاً دون أن يأكل، ثم يهجمُ كالذئبِ على شطائرِ البرغر بالجبن والبطاطا المقلية والحليبِ المخفوقِ بعصيرِ الفاكهة. أمّا مسكُ الخِتام فيكونُ بضعَ قنّانٍ من البيرة الباردة على طولِ طريقِ النهر، مستلقياً للخلف في مقعدِ سيارته بينما كانت فلورنس تُداعبُ عضوه ليقذفَ بعدها ويملاً كوبها الذي فرغ من البيسي. كانت قبضةُ يدها تُشبه قبضة نساء الأُمس<sup>(1)</sup> أثناء حَلبهنّ للماشية. كان الصيفُ برمته سلسلةً متعاقبةً من الليالي الرائعة تقريباً. كانت تحتفظُ له باللحظات الأروع حتى شهر العسل، وقد ناسبَ ذلك بوديكر أيّما مناسبة. فهو في الحادية والعشرين من عمره، وأنهى الخدمةَ العسكرية دون خوضِ أيِّ حروبٍ منذ ستّة

(1) طائفة مسيحية تنتشر في أوهايو وبنسلفينيا وإنديانا ويعيش أعضاؤها حياة بسيطة بعيدة كل البعد عن منتجات التكنولوجيا الحديثة. (المترجم)

أشهر فقط، وهو ليس في عجلةٍ من أمره على الارتباط الأسري. رغم أنه لم يمضِ على تولّيه منصب نائبِ أمرِ الشرطة سوى أربعة أشهر، إلا أنه استطاعَ خلالها أن ينالَ العديدَ من المكاسب لكونه أمرَ الشرطة في مكانٍ ناءٍ مثل بلدة روس كاوتني في أوهايو. كان يُمكن جني المال إذا ما كان المرءُ حريصًا ولم يُصبه الغرور والصلف مثلما فعلَ رئيسه. ففي الآونة الأخيرة، ظهرت صورة أمرِ الشرطة هِن ماثيوز بوجهه المدوّر البليد في الصّفحة الأولى لجريدة ميد غازيت ثلاث أو أربع مرّات في الأسبوع، دون أيّ سبب مفهوم في الغالب. بدأ المواطنون بالسخرية من ذلك. كان بوديكر قد خطّطَ مُسبقًا لإستراتيجية حملته الانتخابية. كلّ ما كان عليه فعّله هو تشويهُ سُمعة ماثيوز قَبْل موعدِ الانتخابات القادمة، وعندها يُمكنه أن يتقلَّ مع فلورنس إلى أحدِ المنازل الجديدة التي كانت قيّدَ الإنشاء في بريور هايتس عندما يتزوَّجان في آخرِ الأمر. كان قد سمع بأنّ كلّ منزلٍ من تلك المنازل يحوي حَمّامين.

انعطفَ بسيّارته الكروزر في حي بينت ستريت قُربَ مصنعِ الورق، واتّجه خارج هنتنغتن بايك قاصدًا بلدة نوكمستيف. على بُعد ثلاثة أميالٍ خارجَ البلدة، مرَّ بالمنزل الصّغير في بروانسفل حيث كان يعيشُ مع أخته وأمه. كان الضوءُ مُنارًا في غرفة الجلوس. هزَّ رأسه ومدَّ يده إلى جيّب قميصه ليُخرج سيجارة. كان يدفعُ مُعظمَ فواتير المنزل في الوقت الحالي، ولكنه أوضح لهما عندما عاد من الخدمة العسكرية بأنّهما لا يمكن أن يَبقيا مُعتمدتين عليه أكثر من ذلك في ما يخصّ مصاريف الحياة. تركهم والده منذ سنوات، وذهب إلى مصنع الأحذية ذات صباح ولم يَرجع أبدًا. قَبْل مدّة وجيزة، سَمِعوا شائعةً تقولُ بأنّه كان يعيشُ في مدينة كانسس ستي، حيث كان يعملُ في صالة بلياردو. ويبدو

ذلك منطقياً إذا ما عرّفنا الأب جوني بوديكر من قبل. المرّة الوحيدة التي كان يتسمّ فيها على الإطلاق كانت عندما كان يضربُ صفّاً من الكُرّات أو يدخل جميع كُرّات طاولة البلياردو في حُفَرها. كانت تلك الأخبارُ تُشكّلُ خَيِّبةً أملٍ كبيرة لابنه؛ فلا شيء سيُجعلُ بوديكر سعيداً أكثر من أن يكتشفَ بأنَّ أباه لا يزالُ يضربُ على نفسه في مكانٍ ما وهو يخيّط ضابانات الأحذية ويُنَبِّئها في أحذيتها في مبنى قريميديّ أحمر كئيب قَدِرٍ له نوافذ عالية متسخة. أحياناً، عندما كان يسوقُ سيارته خافراً وكانت الأمور هادئة، كان بوديكر يتخيّلُ أباه وقد رَجع إلى بلدة ميد في زيارة. في تخيّلاته، كان يُلحِقُ بأبيه العجوز إلى الرّيف بعيداً عن أيّ شهودٍ ويعتقله بموجبِ تُهمةٍ ملفّقة، ثمّ يضربه ضرباً مُبرحاً بهراوته أو يعقب مسدّسه قبل أن يأخذه إلى جسر سكوت ويدفعه من هناك لِيَسْقُطَ على سكّة القطار. سيكون ذلك دائماً بعد مرور يومٍ أو نحوهِ من هَطْلٍ مطرٍ غزير، وستكونُ منطقة بينت كريك مليئةً بالمطر، والماءُ سريعاً وعميقاً وهو يسيّلُ نحو الشرق إلى نهر سويتو. كان أحياناً يتركه يَغْرُقُ؛ وأحياناً أخرى كان يَسْمَحُ له بالسباحة إلى الصّفّة الموحلة. كانت تلك التخيّلاتُ وسيلةً جيّدةً لِتَرْجِيَةِ الوقت أثناء الدّوام.

سحبَ سَحْبَةً من السّيجارة بينما انتقلَ بأفكاره من أبيه إلى أخته ساندي. رغم أنّها بلغت السادسة عشرة منذ أيام، فقد وجد لها بوديكر عملاً بوظيفة نادلة مسائيّة في مطعم وودِن سبون. كان قد ألقى القبض على صاحبِ المطعم قبل بضعة أسابيع وهو يسوقُ سيارته مخموراً، وهي ثالث مرّة يُلقَى القبض عليه فيها هذا العام. وتَسَلَّسَلَت الأحداثُ لِيُؤدِّي كلَّ حَدَثٍ إلى الَّذي يليه. وعلى نحوٍ سريعٍ لم يتوقّعه، وفّر من ثرّوته مائة دولار عندما حَصَلَت ساندي على عملٍ في المطعم. اتّسَمَت

بالجل والوجل من الآخرين وكأنتها حيوانٌ بوسوم ألقى القبض عليه  
 في ضوء النهار. وكانت دائماً على هذا المنوال، ولم يشك بوديكر بأن تعلم  
 أسلوب التعامل مع الزبائن في الأسابيع القليلة الأولى من مباشرتها  
 العمل سيكون عذاباً بالنسبة إليها. ولكن صاحب المطعم أخبره  
 صباح البارحة بأنه بدا وكأنتها تألفت مع العمل وعرفت كيف تؤديه.  
 في الليالي التي لم يكن بمقدوره فيها اصطحابها بعد انتهاء دوامها، كان  
 الطباخ يوصلها إلى البيت بسيارته. كان الطباخ رجلاً مكتنز الجثة ذا  
 عينين زرقاوين ناعستين ومهووساً برسم صور الشخصيات الكرتونية  
 الماجنة على قبعته المصنوعة من الورق الأبيض، كان هو من يوصلها  
 للبيت بسيارته. وقد اعترى بوديكر بعض القلق من ذلك. كان مردُّ قلبه  
 بشكل رئيس إلى أن ساندي تميل لأن تطيع ما يطلبه أي شخصٍ منها.  
 ولم يحدث ولو لمرة واحدة أن سمعها بوديكر تتحدث عما يجول في بالها.  
 وكان يلقي باللائمة في اكتسابها هذا الطبع على والدها الذي كان يعدُّه  
 سبباً لكل ما ينحصر لهم من سوء. ورغم ذلك رأى أن الوقت قد حان  
 لكي تبدأ بتعلم كيفية شق طريقها الخاص بها في هذا العالم. إذ لا يمكنها  
 الاختباء في غرفتها والالتجاء لأحلام اليقظة لبقية حياتها. وحالماً تبدأ  
 بجني بعض المال من عملها، سييسر له ذلك سبب الاستقلال بنفسه  
 عنها وعن أمه. منذ بضعة أيام، بلغ به الأمر مبلغاً عظيماً بأن اقترح على  
 أمه أن تدع ساندي تترك المدرسة وأن تعمل بدوام كامل، ولكن الأم  
 العجوز لم تكن حتى لتستمع لذلك الاقتراح. فما كان منه إلا أن سألها:  
 - ولم لا؟ حالماً يكتشف أحدهم كم هي سهلة المنال، فإنه سيضحك  
 عليها بكل الأحوال، فما الفائدة إن كانت تعرف الجبر أم لا؟  
 لم تقدم الأم سبباً لرفضها، ولكن طالماً أنه طرح تلك المسألة، كان

يعرفُ بأنه يجب عليه أن ينتظرَ يوماً أو يومين قبل إثارة الموضوع مرّةً أخرى. ربّما يستغرقُ الأمر وقتاً، ولكن كان لي بوديكر يحصلُ على مراده دائماً.

انعطفَ بوديكر يميناً إلى طريق بلاك رن، ثمّ اتّجه صوبَ بقالة مود. كان البقال جالساً على مقعدٍ في الخارج أمام بقالته محتسباً البيرة ومتحدثاً مع أحد الصّبية الصّغار. نزل بوديكر من سيّارته ومعه مصباحه اليدويّ. كان البقال شخصاً حزيناً أنهكته المهوم حتّى مع ملاحظة نائبِ أمر الشرطة بأنّه والبقال مُتقاربان في السنّ. يُولد بعض النّاس فقط ليموتوا ويدفنوا؛ كانت أمّه واحدةً من هؤلاء، وقد أدرك دائماً أنّ ذلك هو السّبب الذي جعل أبوه يترك المنزل، رغم أنّ الأب ذاته لم يكن بدراً الدجى. قال بوديكر:

- حسناً، ما القصة هذه المرّة؟ أملُ ألا تكون القصة متعلّقةً بأحد هؤلاء المتلصّصين الأندال عبر النوافذ. القصة ذاتها التي تتصلّون بنا من أجلها باستمرار؟

انحنى هانك وبصقَ على الأرض قائلاً:

- أتمنى لو كانت القصة قصة متلصّصين. ولكنّها ليست كذلك، الموضوع يتعلّق بوالد هذا الصّبيّ.

أضاء بوديكر بالمصباح اليدوي على الصّبي الهزيل الداكن الشّعر وقال له:

- حسناً، ما الأمر يا بُنيّ؟

قال أرفن، وهو يرفعُ إحدى يديه ليُتقي بها الضوء الساقط من المصباح على وجهه:

- أبي مات.

قال هانك:

- واليوم فقط دفنوا أمَّ هذا الصَّبي المسكينة. يا لها من مصيبةٍ رهيبة، إنها مصيبةٌ فعلاً.

- إذن مات والدك، أليس كذلك؟

- نعم، يا سيدي.

- ما هذا الذي على وجهك؟ دماء؟

- لا، أحدهم أعطانا فطيرة.

- هذه ليست مزحة، صحيح؟ تعرفُ أنني سأضَعُكَ في السَّجن إن كانت مزحة.

- لماذا تظنون جميعكم بأنني أكذب؟

نظَرُ بوديكر إلى البقال. هزَّ هانك رأسه ورفعَ قنينة البيرة وكرَّعها.

ثمَّ قال:

- يُقيمون في حيِّ باوم هل. أرفن هنا، يُمكنه أن يدلِّك على الطريق.

ثمَّ وقفَ هانك وتجشَّأ واتَّجه صَوْبَ جانب البقالة.

نادى عليه بوديكر قائلاً:

- ربِّما سأطرُحُ عليك بعض الأسئلة لاحقاً.

سمع هانك وهو يقول:

- يا لها من مصيبةٍ كبيرة، هذا كلُّ ما أستطيع قولُه لك.

أجلَسَ بوديكر أرفن في المقعد الأمامي لسيارة الكروزر، واتَّجَّها

صَوْبَ منطقة بوم هل. في أعلى التلَّة، أنعطَفَ نحو الأسفل عبر ممرِّ ضيق

وقَدِرْ مُحَاذٍ لِلأشجارِ وَفَقْ ما أشار له الصَّبِي. أبطأ من سرعة السيَّارة  
حتَّى تهادتْ ببطء. قال نائبُ أمرِ الشرطة:

- لم آتِ إلى هذا المكانِ أبداً من قبل.

مدَّ يده بهدوءٍ، وفتحَ جَعْبَةَ مُسدَّسه.

قال أرفن:

- لم يأتِ أحدٌ جديد إلى هذا المكان منذ زمنٍ طويل.

كان أرفن ينظر إلى الخارج عبر النافذة الجانبيَّة للسيَّارة باتجاه الغابة  
المُعتمة. اكتشفَ أنَّه تَرَكَ مصباحه اليدوي في البقالة. كان يحدوه الأملُ  
ألاَّ يبيعه هانك لأحدٍ قبل أن يعود إلى هناك. نظرَ إلى تابلو السيَّارة المنير  
بالأضواء اللامعة وسأل:

- هل ستُشغِّلُ صفارةَ الإنذار في السيَّارة؟

- لا معنى لإخافة الناس الآن.

- ما من أحدٍ هنا حتَّى يخاف.

- إذن فأنتَ تسكن هنا؟

سأله بوديكر وهما يتجهان صوبَ المنزل المربع الصَّغير. كانت  
الأضواء مطفأة، ولم يكن هناك أية علامة تدلُّ على أنَّ أحدًا كان يعيشُ  
هنا على الإطلاق باستثناء كرسيِّ هزاز في الشرفة الأماميَّة للمنزل. كان  
طولُ العشب يبلغ قدمًا على الأقلِّ في فناء المنزل. إلى اليسار كانت هناك  
حظيرة قديمة. رَكَنَ بوديكر سيَّارته خلفَ بك أب أكله الصِّدا. فكَّر  
بأنَّ تلك النَّفايات هي ما يجِدُهُ المرء في العادة لدى سُكنى الغابات. شقَّ  
عليه معرفة أيِّ نوعٍ من المُشكلات سيواجهه. قرَّرتْ مَعِدَّتُه الخاوية

كَصَوْتِ خزانةٍ صغيرةٍ مكسورة. خَرَجَ أرفن من السيارة دون جوابٍ،  
ووقفَ أمامَ سيارةِ الكروزر مُتَظَرِّبًا نائِبًا أمرَ الشرطة، وقال:  
- من هنا.

استدارَ وبدأ السَّيرَ صَوْبَ زاويةِ المنزل.

- كم يبعدُ المكان؟

- ليسَ بعيدًا كثيرًا. ربّما عشر دقائق.

شغَلَ بوديكر مصباحه اليدويّ، وسارَ خَلْفَ الصَّيْبِ على طولِ  
حافّةِ حقلٍ مليءٍ بالأعشاب. دخلاً الغابةِ ونزلاً عدّة مئآت من الأقدام  
عبرَ ممرٌ تكسوهُ الأشجار الكثيفة. وقفَ الصَّيْبِ فجأةً وأشارَ بيده إلى  
الأمام وسط العتمة وقال:

- إنه هناك بالضبط.

وجّه بوديكر ضوء مصباحه على رجلٍ يرتدي قميصًا أبيضًا وبنطالًا  
بذليّة، متكوم بشكلٍ مُرتخٍ فوق جذع شجرة. تقدّم بضع خطواتٍ  
للأمام، وتحقّق من وجود جُرحٍ بليغٍ في رقبة الرّجل. كان الجزء الأمامي  
لقميصه مغطّى بالدماء. شمّ الهواء وكمّم فمه بيده وقال:

- يا إلهي! منذ متى وهو على هذه الحال؟

قال أرفن:

- ليستُ بالمُدّة الطويلة. نِمْتُ لبرهةٍ قصيرةٍ ثمّ جئتُ ووجدتهُ هنا.  
ضمّ بوديكر منخارته إلى بعضهما، وحاولَ أن يتنفس من فمه  
وقال:

- ما هذه الرّائحة إذن بحقّ الجحيم؟



قال أرفن وهو يُشير إلى الأشجار:

- الرَّائِحَةُ قَادِمَةٌ مِنْ هُنَاكَ.

رَفَعَ بُوْدِيكَرٌ مِصْبَاحَهُ. كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ فِي مَرَاكِلٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ التَّحَلُّلِ تَتَدَلَّى كُلُّهَا وَتُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ حُدُبٍ وَصَوْبٍ، بَعْضُهَا مَعْلَقَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ وَبَعْضُهَا الْآخَرُ عَلَى الصُّلْبَانِ الْخَشَبِيَّةِ الطَّوِيلَةِ. كَانَ هُنَاكَ كَلْبٌ مَيْتٌ ذُو طَوْقٍ جَلْدِيٍّ حَوْلَ رَقَبَتِهِ وَقَدْ صُلِبَ بِالْمَسَامِيرِ فِي أَعْلَى أَحَدِ الصُّلْبَانِ عَلَى هَيْئَةٍ شَنِيعَةٍ تُشَبِّهُ صَلْبَ الْمَسِيحِ وَرَأْسُ غَزَالٍ مُلْقَى عِنْدَ أَقْدَامِ غَزَالٍ آخَرَ. تَحَسَّسَ بُوْدِيكَرٌ مِسْدَسَهُ عَلَى غَيْرِ هُدًى.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْمَنَازِرِ، يَا وَلَدُ! مَا هَذَا بِحَقِّ الْجَحِيمِ؟

قَالَ بُوْدِيكَرٌ وَهُوَ يُعِيدُ الصَّوْءَ عَلَى أَرْفَنِ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي سَقَطَتْ فِيهَا دَوْدَةٌ بِيضَاءٍ تَتَلَوَّى عَلَى كَتِفِ الصَّبِيِّ. نَحَّاهَا بِكُلِّ هَدْوٍ كَمَنْ يُنْحِي وَرَقَةً شَجَرٍ أَوْ بَدْرَةَ نَبَاتٍ صَغِيرَةٍ. لَوَّحَ بُوْدِيكَرٌ بِمِسْدَسِهِ وَهُوَ يَبْتَغِدُ لِلْوَرَاءِ.

أَجَابَهُ أَرْفَنُ، الَّذِي تَحَوَّلَ صَوْتُهُ إِلَى هَمْسَةٍ الْآنَ:

- إِنَّهُ جَذَعٌ لِلصَّلَاةِ.

- مَاذَا؟ جَذَعٌ لِلصَّلَاةِ؟

أَوْمَأَ أَرْفَنُ بِرَأْسِهِ وَهُوَ يُحَدِّقُ بِجَنَّةِ أَبِيهِ وَقَالَ:

- نَعَمْ، وَلَكِنَّا لَمْ نَسْتَفِدْ مِنْهُ شَيْئًا.



الجزء الثاني  
الطيَّان



قضى الزوجان عدة أسابيع في صيف عام 1965 بجوبان منطقة الغرب الأوسط، وهما في رحلة صيد دائمة. كانا كسبحين هائمين في سيارة ستيشن فورد سوداء اللون ابتاعها بمبلغ مائة دولار من شركة سيارات مستعملة في بلدة ميد بأوهايو تدعى شركة برذر ويتني. كانت ثالث مركبة يحصلان عليها من الخوري خلال عدة سنوات. الرجل الجالس في المقعد المجاور لمقعد السائق زاد سمته، وكان يؤمن بنذر الشوم، ولديه عادة نقر أسنانه المصابة بالتسوس بسكين جيب من ماركة بك. كانت زوجته هي من تسوق السيارة دائما. كانت ترتدي شورتا ضيقا وكنزة خفيفة كشفت عن جسدها الشاحب الهزيل بأسلوب ظنه كلاهما أسلوبا ينطوي على الإغواء. كانت مدخنة شرهة لأي نوع من السجائر المنكّهة بالمشول تقع عليها يداها، في حين كان الرجل يدخن سيجارا رخيصا أسود كان يسميه قضيب الكلب. كانت سيارة الفورد محرق الزيت كما كانت تعاني من تسرب لزيت الفرامل، وكانت تحتل خطر انفلات أجزائها المعدنية وهي تسير على الطريق السريع كلما تجاوزت سرعتها خمسين ميلا في الساعة. طاب للرجل أن يرى السيارة وكأنها عربة لنقل الموتى، في حين كانت المرأة تراها وكأنها ليموزين. كان اسمها كارل وساندي أندرسن، بيد أنهما كانا يتخذان أحيانا أسماء أخرى أيضا.

في السّنوات الأربع الماضية، وصل كارل إلى قناعة مفادها أنّ الرّكاب الذين يُشرون لهم على قارعة الطريق هم أفضل أنواع الصّيد، سيّما في هذه الأيام التي تشهد وجود عددٍ وافرٍ منهم على الطرقات. كان كارل يُطلق على ساندي مُسمّى الطّعم، وكانت هي تُسميه الصّياد، وأطلقا كلاهما على هؤلاء الرّكاب مُسمّى موديلات التصوير. في ذلك المساء بالذات، وإلى الشمال من بلدة هانيبال في ميزوري، احتالا على مُجنّد في الجيش وعذباؤه ثم قتلاه في منطقة شجرية تملؤها الرطوبة ويُعشش فيها البعوض. حالما أوقفوا سيّارتها وصعد الشاب، قدّم لها بلطفٍ علكةً من ماركة جوسي فروت، كما عرض عليها أن يسوق بدلًا منها إذا ما احتاجا لاستراحة. قال كارل:

- هذا ما كان ينقّصنا!

برمت ساندي عينيها امتعاضًا من النّبرة اللاذعة التي كان رَوْجها يستخدمها أحيانًا، وكأنّه كان يظنّ نفسه مُتتميًا إلى طبقة أرقى من هؤلاء الحثالة الذين كانا يجِدّانهم على قارعة الطرقات. كلّمّا تهجّ كارل ذلك التهجّ، أزدت حينها فقط أن تُوقف السيّارة وتطلب من ذلك المغفل المسكين الجالس في المقعد الخلفي أن يخرج من السيّارة طالما لا زالت لديه الفرصة. قطعت عهدًا على نفسها بأنّها في يوم ما ستقوم بالحركة التالية بالضبط: ستضغطُ على الفرامل وستمرّغُ أنف السيّد المغرور، الذي يظنّ نفسه فلته زمانه، بالتراب.

ولكنّها لن تفعل ذلك اللّيلة. فقد حبّبا الله الفتى الجالس في المقعد الخلفي وجها ناعمًا كالزّبدة، يتشّرش فيه نمشٌ بُنيّ مُتناهي الصّغر، وشعره بلون الفراولة. لم تكن ساندي لتستطيع أبدًا مقاومة الفتیان

الذين يُشبهون الملائكة. سألته بعد أن قطعوا مسافة ميلٍ أو ميلين على الطريق السريع:

- ما اسمُك، يا قلبي؟

أَسْبَغْتُ على نَعْمَةٍ صَوْتَهَا مَسْحَةً من اللُّطْفِ والمودَّة. وحتَّى عندما رَفَعَ الفتى رأسَه وَالتَقَّتْ عَيْنَاهُ بِعَيْنَيْهَا فِي مِرَاةِ الرُّوِيَةِ الخَلْفِيَّةِ، غَمَزَتْهُ بِطَرْفِ عَيْنِهَا وَبَادَرَتْهُ بِابْتِسَامَةٍ؛ الابْتِسَامَةُ الَّتِي كَانَ كَارِلٌ قَدْ عَلَّمَهَا إِيَّاهَا، الابْتِسَامَةُ الَّتِي مَا فَتَى يُدْرِبُهَا عَلَيْهَا لَيْلَةً إِثْرَ لَيْلَةٍ عَلَى طَاوِلَةِ المَطْبَخِ حَتَّى غَدَا وَجْهَهَا جَاهِزًا لِلانْسِلَاتِ وَالانْتِصَاقِ بِأَرْضِيَّةِ المَطْبَخِ كَقَشْرَةِ فُطَيْرَةٍ، ابْتِسَامَةٌ كَانَتْ تُلْمِحُ إِلَى كُلِّ الاحْتِمَالَاتِ الدَّيْنِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ لِخِيَالِ شَابٍّ أَنْ يَسْرَحَ فِي مَلَكُوتِهَا.

قال الفتى:

- أنا المُجَنَّدُ غَارِي ماثيو برايسن.

بَدَا الأَمْرُ غَرِيبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا، اسْتَعْرَبَتْ كَيْفَ عَرَّفَ بِاسْمِهِ الكَامِلِ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَعِدُّ لِلتَّفْتِيشِ العَسْكَرِيِّ أَوْ مَا شَابَهُ مِنْ ذَلِكَ الهُرَاءِ، وَلَكِنَّهَا تَجَاهَلَتْ ذَلِكَ وَبَاشَرَتْ الحَدِيثَ مَعَهُ. كَانَتْ تَأْمَلُ بِأَلَّا يَكُونَ مِنْ ذَلِكَ التَّمَطِّ الجِدِّيِّ مِنَ القَوْمِ. فَالجِدِّيُّونَ هُمُ دَائِمًا مِنْ يُصَعَّبُونَ مُهَمَّتَهَا وَيُعْرِقُونَ أَدَاءَهَا.

قالت ساندي:

- اسمٌ جميل.

رَاقِبَتْهُ فِي المِرَاةِ وَابْتِسَامَةً خَجُولٍ تَرْتَسِمُ عَلَى مِحْيَاهُ. رَأَتْهُ وَهُوَ يَضَعُ قِطْعَةً جَدِيدَةً مِنَ العِلْكَةِ فِي فَمِهِ. سَأَلَتْهُ:

- وَلَكِنْ مَاذَا تُحِبُّ أَنْ تُنَادِيكَ؟

- غاري.

قال ذلك وهو يُقَلَّبُ غِلاَفَ العَلَكَةِ الفَضِّيِّ خَارِجَ النَافِذَةِ. ثمَّ أَضَافَ:

- غاري اسمُ أبي.

قالت ساندي:

- وذلك الاسم الآخر، ماثيو، اسم وَرَدَ في الإنجيل، صحيحٌ يا كارل؟

قال كارل وهو يُحْمَلِقُ إلى الخارج عبر الزجاج الأمامي:

- تَبَّأ، كلُّ شيءٍ وَرَدَ في الإنجيل. نَعَمْ ماثيو العجوز وَرَدَ في الإنجيل، كان أَحَدَ الرُّسُلِ.

- كان كارل يُدْرِّس في مدرسة يوم الأحد الدينية، صحيح، حبيبي؟ تنهَّد كارل، وثَنَى جِسْمَهُ الضَّخْمَ إلى الوراء في مقعده. كان هدفه من ذلك إلقاء نظرةٍ أخرى على الفتى أكثر من أي شيءٍ وقال:

- صحيح.

قالها مُبتَسِمًا وِشْفَاهُ مَزْمُومَةً. ثمَّ أَضَافَ:

- نعم كنت أدرِّس في مدرسة يوم الأحد.

رَبَّتْ ساندي على رُكْبَتِهِ، وَالتَفَّتْ إلى الأمام دون أيِّ كَلِمَةٍ أُخْرَى، وَأَخْرَجَ خَرِيطَةً للطريق من دُزْجِ السَيَّارَةِ الأماميِّ.

تَابَعَتْ ساندي:

- مع ذلك من المُحْتَمَلِ أَنَّكَ تَعْرِفُ تلكَ المَعْلُومَةَ مُسَبِّقًا. صحيح

يا غاري؟ كنت تعرفُ بأنَّ اسْمَكَ الأَوْسَطَ وَرَدَ فِعْلًا في الكتاب المقدَّس؟



توقف الفتى عن خضم علكته للحظة وقال:

- لم نكن نذهب للكنيسة أبداً عندما كنت صغيراً.

عبرت نظرة مضطربة وجه ساندي. مدت يدها صوب علبه

سجائرها الموضوعه على التابلو. ثم سألته:

- ولكنهم عمّدوك في الكنيسة، صحيح؟

- حسناً، أكيد فعلوا ذلك. لسنّا قوماً وثنيين بالمطلق. ولكني لا

أعرف أي شيء مما ورد في الإنجيل.

قالت ساندي ولمحة من الازتيّاح تعبر نبرة صوتها:

- جيّد! إذ لا معنى لتجريب خيارات أخرى، لا يمكن للمرء

اللجوء إلى أفكار أخرى في أمور كهذه. ياربي، من يعرف ما هو

مصير البشر إن لم يخلصنا الرب؟

كان المجنّد عائداً إلى البيت لرؤية أمه قبل أن يرسله الجيش إلى

ألمانيا أو ذلك المكان الجديد المسمّى فينتام الذي لم يستطع كارل أن

يتذكر اسمه الآن. لن يكثر كارل إن كان الفتى قد سمي تيمناً باسم

ابن عاهرة مجنون ورد في كتاب العهد الجديد، أو أن صاحبه جعلته

يعدّها بأن يرتدي خاتم حفلة تخرّجها على رقبتة حين عودته من الحرب

في أقاصي الأرض. معرفة مثل هذه الأمور من شأنها فقط أن تعقد

الأمور لاحقاً، لذا وجد كارل أنه من السهولة تجاهل المحادثة القصيرة

مع الفتى، وأن يترك المجال لساندي لتعامل مع كافة الأسئلة البليدة،

وهذا الهراء الكلامي ذو الرتبة الصوتية المتابعة. كانت بارعة في ذلك؛

التغنج وتحرّك فكيتها وإرخاؤها. لقد حققت تقدماً كبيراً في أدائها منذ

المرّة الأولى التي التقيا فيها. كانت ساندي حينها فتاة وحيدة، هزيلة

كالعود، تعملُ نادلةٌ في مطعم وودِن سبون في بلدة ميد. عُمرها ثمانية عشر عامًا وهي تَجْمَعُ قِمامةَ الزبائن أَمَلًا في الحُصول على إكراميةٍ بقيمة ربع دولار. وماذا عنه؟ لم يكن حاله بأفضل منها؛ فتى متهدّل الوجه، مدلل أمه التي توفيت منذ مدّة وجيزة، بلا مستقبلٍ أو أصدقاء باستثناء من قد تسوقهم إليه كامرته. لم تكن لديه أية فكرةٍ عمّا يعنيه ذلك أو عمّا سيفعله بعد ذلك. جاءت هذه الأفكار عندما دَخَلَ إلى مطعم وودِن سبون تلك الليلة؛ أوّل ليلةٍ يقضيها بعيدًا عن البيت. الشّيء الوحيد الذي كان على يقينٍ منه، وهو جالسٌ في الرّكن داخلَ المطعم مُراقبًا النّادلة الهزيلة وهي تُكمل مَسح الطاولات قبل إطفاء الأضواء، هو أنّه كان بحاجةٍ لأن يَلْتَقَط لها صورة أكثر من رغبته في أيّ شيءٍ آخر في العالم. منذ تلك اللّحظة باشرًا حياتها سوية.

بالطبع، كان هناك أيضًا أشياء أرادَ كارل قولها للرّكاب المُتشرّين على الطرقات الذين يُشرون هُما ليصعدوا مَعها، ولكن يُمكن التريثُ في ذلك حتّى يَرُكنا السيّارة. أخرجَ الكامرا من دُرَج السيّارة الأمامي. كامرا من طراز ليكا إم 3 35 ملم، ورَفَعها حتّى يراها الفتى. ثم بدأَ حَدِيثه قائلاً:

- انظُرْ إلى هذه. كَلَفْتَنِي وهي جديدة أربعمئة دولار، ولكنني حصلتُ عليها بشكلٍ شبه مجاني.

وبالرغم من أنّ الابتسامة المثيرة لم تُفارق شفّتي ساندي البتّة، لم تُكن ليستطيع تحمّل الشعور بالمرارة في كلّ مرّة يتباهى فيها بكامرته. لا تُعرِف لماذا تَبعت كارل للعيش بهذه الطّريقة، بل إنّها لم تُحاول حتّى أن تُعبّر عن شعورها ذاك بمجرد كلمات، ولكنها تُعرِف بأنّ تلك الكامرا

اللّعيّنة لم تكن أبداً صفقةً مُربحة، وبأتمّها ستكُلّفهما الكثير في نهاية المطاف. ثمّ كانت ما تلبّثُ تسمّعه وهو يسألُ موديل التصوير التّالي، بصوتٍ بدا شبيهاً بالمزاح:

- كيف ترغّبُ في أن ألتقطَ لك صُورتك مع هذه المرأة الحسنة؟  
لا تزالُ ساندي مندهشةً بعدَ كلِّ هذا الوقت من سهولة اصطِياذ الرّجال الرّاشدين.

بعدَ أن حملاً جتّة المُجنّد المُعرّاة من ثيابها وسحبَها لبضعة ياردات داخل الغابة، قلبَها تحت بعض الشجيرات التي أثقلتها حبّات التوت الأرجوانية. فتشأ ثيابه وحقيته القماشية، وعثراً على ثلاثمائة دولارٍ تقريباً محشورة داخلَ زوجٍ من الجوارب البيضاء النظيفة. كان ذلك المبلغُ يفوقُ ما كانت تحبّه ساندي في شهرٍ واحد. قال كارل:

- أرايتِ هذا النّمس الصّغير الكذاب؟ أتذكّرِين عندما طلبتُ منه بعضَ المال لشراءِ وقودٍ للسيارة؟

أشاح كارل بيده صوبَ سِرْبٍ من الحشرات المتجمّعة حول وجهه الأحمر المَعروق، وحسّرَ رُزمة النّقود في جيبٍ بنطاله. كان هناك مسدسٌ ذو سبطانية طويلة مُلقَى بجانبه على الأرض قُرب الكاميرا. ثمّ أضاف:

- كما كانت أمي تقول: لا يُمكنك أن تثقَ بأيّ منهم.

- من هم؟

- ومن غيرهم! سلالةٌ ذوي الشّعر الأحمر الأوباش. يا إلهي، سيكذبون كذبةً حتّى لو كان في الصّدقِ منجاةٌ لهم. لا يعرفون سوى الكذب. يبدو أنّ ذلك شيءٌ متجدّدٌ في جيّناهم ويتّقلُّ من جيّلٍ لآخر.

عَبَّرَتْ بِيْطِءٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامِ سَيَّارَةً مُّجْرَجٍ عَادِمُهَا دَخَانًا. أَمَالَ  
كَارْلَ رَأْسَهُ وَاسْتَمَعَ لَصَوْتِ هَدِيرِ عَادِمِهَا إِلَى أَنْ خَفَتْ وَهِيَ تَبْتَعُدُ.  
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى سَانْدِي الْجَانِيَةِ بِجَانِبِهِ، وَأَمَعْنَ النَّظْرَ فِي وَجْهِهَا لِلْحِظَّةِ فِي  
الْغَسَقِ الرَّمَادِيِّ، ثُمَّ قَالَ لَهَا:

- يُوجَدُ شَيْءٌ مَا هُنَا، امْسَحِي وَجْهَكَ.

أَعْطَاهَا قَمِيصَ الْفَتَى، كَانَ لَا يَزَالُ مَبْلَلًا بِعَرَقِهِ. أَشَارَ إِلَى ذَقْنِهَا وَقَالَ:

- يُوجَدُ بَعْضُ السَّائِلِ الْعَالِقِ هُنَا. ذَلِكَ الْوَعْدُ الْهَزِيلُ مُتَمَلِّعٌ  
كَالْقُرَادَةِ.

بَعْدَ أَنْ مَسَحَتْ سَانْدِي وَجْهَهَا بِالْقَمِيصِ، رَمَتْهُ فَوْقَ الْحَقِيئَةِ  
الْقِمَاشِيَّةِ الْخَضْرَاءِ ثُمَّ وَقَفَتْ. شَدَّتْ أَزْرَارَ كِنِزَتِهَا بِيَدَيْنِ مُرْتَعَشَتَيْنِ،  
أَزَاحَتْ التَّرَابَ وَمَزَقَ وَرْقَةَ شَجَرٍ ذَابِلَةً عَنْ سَاقِيهَا. وَهِيَ مَاشِيَةٌ بِاتِّجَاهِ  
السَّيَّارَةِ، انْحَنَتْ وَنَظَرَتْ إِلَى نَفْسِهَا فِي الْمِرَاةِ الْجَانِبِيَّةِ لِلْسَّيَّارَةِ، ثُمَّ مَدَّتْ  
يَدَهَا مِنَ النَّافِذَةِ وَأَخْرَجَتْ عِلْبَةَ سَجَائِرِهَا مِنْ فَوْقِ التَّابِلُو. اسْتَنْدَتْ  
عَلَى الصَّادِمِ الْأَمَامِيِّ لِلْسَّيَّارَةِ وَأَشْعَلَتْ سِيَجَارَةَ، أَزَاحَتْ قِطْعَةً صَغِيرَةً  
مِنَ الْحَصَى عَنْ رُكْبَتِهَا الْهَزِيلَةِ بِظَفْرِ إصْبَعِهَا الْوَرْدِيِّ اللَّوْنِ وَقَالَتْ:

- يَا يَسُوعُ! أَكْرَهُهُمْ عِنْدَمَا يَبْكُونَ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ. هَذَا النَّوْعُ مِنَ  
الْبُكَاءِ هُوَ أَسْوَأُ مَا فِي الْأَمْرِ.

هَزَّ كَارْلَ رَأْسَهُ وَهُوَ يُقَلِّبُ مَحْفَظَةَ نَقُودِ الْفَتَى مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ:

- يَا بِنْتِ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَكْفِي عَنِ هَذَا الْهَرَاءِ. فَالْدُمُوعُ الَّتِي  
سَكَبَهَا هِيَ الشَّيْءُ الَّذِي يُمَكِّنُنِي مِنَ التَّقَاطُ صُورَةٍ رَائِعَةٍ. تِلْكَ  
اللَّحْظَاتُ الْأَخِيرَةُ الْقَلِيلَةُ هِيَ الْمَرَّةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يُمَثِّلُ  
فِيهَا طِيلَةَ حَيَاتِهِ الْبَائِسَةَ.

بينما كانت ساندي تنظرُ إلى كارل وهو يُعيد مُقتنَيَاتِ الفتى إلى حقييته القماشية، كانت تُمني النفس بأن تطلبَ منه أن تحتفظَ بخاتمِ تخرُّجِ صاحبةِ الفتى، ولكنها قررت أنه لا يستحقُّ أن تتجادلَ معه بشأنه. كان كارل قد أرسى قواعدَ لِعَمَلِهَا. وكان يُمكن أن يتحوَّلَ إلى مجنونٍ هائجٍ لو حاولتَ التَّغاضي عن قاعدةٍ واحدةٍ مهْمًا صَغُرَتْ. يجبُ التَّخلُّصُ من الأغراضِ الشَّخصيةِ بطريقةٍ مناسبة. كانت تلك القاعدة رقم 4. أو ربما كانت القاعدة رقم 5. لم تستطع ساندي البتة حِفْظَ ترتيب القواعد بشكلٍ صحيح، بِغَضِّ النظر عن عدد المرات التي حاولَ فيها كارل حشوَ رأسها بها، ولكنها ستتذكَّر دائمًا أن غاري ماثيو برايسن كان يجبُ هانك وليامز ويكرهُ البيضُ المُبودر الذي كان يأكله في الجيش. ثم ما لبثت مَعِدَتُهَا أن قَرَقَرَتْ من الجوع وتساءلت، لمجرد ثانية، إن كانت حَبَاتُ التوت المتدلِّية فوق رأسه في الغابة صالحةً للأكل أم لا.

بعد انقضاء ساعة، ذهبًا إلى وَهْدَةٍ مهجورة مفروشةٍ بالحصى كانا قد مرَّا بها سابقًا عندما كانت ساندي والمُجنَّد غاري برايسن لا يزالان يُلقيان النكات ويتبادلان نظرات الإغراء فيما بينهما. رَكَنتِ السَّيَّارة خَلْفَ مُستودعِ أدواتٍ صغيرٍ بُنيَ باستعجالٍ من قطع خشبيةٍ مُهملةٍ وألواحٍ صفيحٍ صدئة. ثم أطفأت مُحركَ السَّيَّارة. خرَّجَ كارل من السَّيَّارة ومعه الحقيبة القماشية وعُلبَةٌ من البنزين اعتادَ دائمًا على حَمْلِهَا معه. على مسافةٍ بضع يارداتٍ من المستودع، أنزل الحقيبة ورشَّ عليها قليلًا من البنزين. بعد أن احترقت بالكامل، رَجَعَ إلى السَّيَّارة وبدأ البحث في المقعد الخلفي مُستخدِمًا مِضْبَاحًا يدويًا. عثرَ على عُلبَةٍ من العلكة ملتصقة تحت مسند الذراع وقال:

- هذا الفتى أسوأ حتى من بعض الأولاد. يظن المرء بأن الجيش  
يُعلمهم أفضل من ذلك. إذا ما كان جُنودنا من نوعيّة غاري فلا  
شكّ أنّنا سنمنى بهزيمة نكرّاء إذا ما قرّر الروس غزونا.

فشّر العِلْكة بكلّ ما أوتي من حرصٍ بظفرٍ إبهامه ثمّ فقلّ راجعاً إلى  
موضع النار.

جلستُ ساندي في السيّارة وهي تُراقبه وهو يُثيرُ النيران بعصا.  
تطايّر الشررُ البُرْتقالي والأزرق وماجّ ثمّ تلاشى في العتمة. حكّت  
ساندي بعض العَضّات التي أخذتها البراغيثُ حول كاحليها وساورها  
القلقُ بخصوص الإحساس المُحرِق الذي يهبج بين ساقَيْها. رغم أنّها لم  
تذكر ذلك لكارل بعدُ، فقد كانت متيقّنة كلّ التيقّن بأنّ فتى آخر غير  
هذا المجنّد؛ فتى صعدَ بسيّارتهما في ولاية أيوا قبل بضعة أسابيع، هو من  
أصابها بالعدوى بمرضٍ ما. وقد حدّرها الطبيبُ مُسبقاً بأنّ إعطاءها  
جرعةً أخرى أو اثنتين من الدوّاء ستقضي على فُرصِها في إنجابِ  
الأطفال قِصَاءً لا لبسٍ فيها. ولكنّ كارل لم يكن يُحبُّ ظهورَ الواقيات  
الذكريّة في الصّور التي كان يلتقطها.

بعد أن حصدت النار، رَدَمَ كارل الرّماد بالحصى، ثمّ أخرج منديلاً  
مُزركشاً قَدِراً من جيبِ بنطاله الخلفيِّ وأمسك به الإبريم السّاخن لحزامِ  
المجنّد وبقايا بوطِه العسكريّ التي كان الدّخان يتصاعدُ منها. رَمَاهَا  
في وسط وَهْدَةِ الحصى وسمِعَ صَوْتَ ارتطام خفيف. وبينما كان كارل  
يقفُ على حافة الوهْدَةِ العميقة، فكّر بالطريقة التي أحاطت بها ساندي  
ذراعَيْها حَوْلَ المُجنّد عندما رأت كارل يُنزل الكاميرا ويَسْحَبُ المُسدّس.  
أسلوبها ذاك كان من شأنه أن يُنقذَ حياته من الموت. كانت دائماً تُجربُ

ذلك الأسلوب مع الفتیان الوسيمين. ورغم أنه لا يستطيع أن يُلومها لِرَغبتها في أن تُدوم المُضاجعة لمدّة أطول قليلاً، فإنّ هذه لم تكن حفلةً جنسٍ لعينة. وفقاً لأسلوبه الذي كان يفكر به، كانت تلك الممارسة هي الدّين الوحيد الحقّ؛ الشّي الذي ما فتى يَبْحَثُ عنه طيلة حياته. كان يَشْعُرُ بوجود الله في حضرة الموت فقط. نظرَ إلى الأعلى، رأى سُحُبًا سوداءَ بدأت بالتّجمّع في السّماء. مَسَحَ بعض العرق عن عينيه وبدأ يَحُثُّ الخطى راجعاً إلى السيّارة. إنّ حالفها الحظّ، سيَهْطِلُ المطرُ اللّيلة ويغسلُ بعضاً من الغُثاء المُتشرِّ في الجوّ، ويبعثُ قليلاً من البرودة في الأشياء.

سألته ساندي:

- ماذا كنتَ تفعلُ هناك بحقّ الجحيم؟

سحبَ كارل سيجاراً جديداً من جيبٍ قميصه، وبدأ بفتحِ غلافه، وقال:

- أسرع، إنك مُخطئين بتأخرك.

رفعتُ يدها نحو الأعلى وقالت:

- أعطني فقط ذلك المصباح اللّعين.

- ماذا تفعلين؟

- أريدُ أن أتبول. يا يسوع! أنا على وشكِ الانفجار، وأنتَ هناك تحلمُ أحلام اليقظة.

مضغَ كارل تبغ السيجار ونظرَ إليها وهي تشقّ طريقها إلى ما وراء مستودع الأدوات. أمضتْ بضعة أسابيع على الطريق وهي مرهقة من

التعب. ساقها كَنكَّاشاتِ أسنانٍ لعينة، ومؤخرُها مسطحةٌ كلَّوَحِ الغسيل. سيتطلب الأمر ثلاثة أو أربعة أشهرٍ لِيَنمو بعضُ اللحم على عظامها الهزيلة. دَسَّ كارل بكرةَ الفِلمِ الَّذِي صَوَّرها فيه مع المَجَنَّدِ داخلِ علبةٍ معدنيَّة، ثم وَضَعَ العُلبَةَ في دُرَجِ السيارَةِ مع أشياء أُخرى. في اللَّحظة التي عادت فيها ساندي، كان قد رَكَّبَ في كامرته بكرةَ فِلمٍ جديدة. أعطته المصباح ودسَّه تحت المقعد. سألتَه بصوتٍ مُتعبٍ وهي تُشغَلُ السيارَةُ:

- أيمكننا أن نبيتَ ليلتنا في أيِّ نُزُلٍ نصدفه في طريقنا؟

سحبَ كارل سيجاره من فمه والتقطَ نُتْفَةً من التبغِ علقَت بين أسنانه، ثم قال:

- يجبُ قبل ذلك أن نَقْطَعَ مسافةً لا بأس بها على الطريق.

وهما مُتوجَّهان جنوبًا على الطريق رقم 79، عَبَرَا الميسيسيبي صَوْبَ إينوي على الطريق رقم 50، وهو طريق يَعْرِفانه مَعْرِفَةً حَقَّةً من خلال مُرورهما عليه خلال السَّنوات القليلة الماضية. لم تكفَّ ساندي عن مُحاولتها استعجال الأمور، مما اضطرَّه لتذكيرها عدَّة مرَّات بأن تُبطئ من سرعة سيارتها. كانت إحدى مخاوفه الكبيرة تتمثل في أن تتعطلَّ السيارة وأن يعلِّقًا داخلها أو أن يَفْقِدَا وَعْيَهما فيها. كانت تأتيه أحيانًا كوابيس حول ذلك؛ إذ رأى نفسه مُستلقيًا في سريرٍ مُستشفى ويدهُ مُصَفَّدتان وهو يحاولُ أن يَشْرَحَ مُحتوى بَكَراتِ الأفلام للشرطة. مجرد التفكير بذلك بدأ يُشوِّش عليه السعادة التي غمرته من اضطياد المَجَنَّدِ. مدَّ يده وبدأ بتقليبِ مؤشِّرِ مَوَجاتِ المذياعِ إلى أن وَجَدَ محطةَ إذاعية تَبَثُّ موسيقى ريفيَّة من مدينة كوفنغتون. لم يَنبس أيُّ منها بِبِنْتِ شفة،



ولكن بين الفينة والأخرى، كانت ساندي تُدندنُ مع واحدةٍ من الأغاني البطيئة الإيقاع. ثم كانت تتأب وتُشعلُ سيجارةً أخرى. أخصى كارل عددَ البقات اللاتي كنَّ يرتظمنُ بالزجاج الأمامي للسيارة، وبقي على أهبة الاستعداد حتى يستلم من يدها المقود في حالِ بدأ النعاس يُغالبها.

بعد أن قطعاً مائة ميل عبر البلدات الصغيرة الهادئة وحقول الذرة الواسعة المعتمة، وصلاً إلى نُزلٍ فقير الحال مبنيٍّ من كتل إسمنتية زهرية يُدعى نُزلُ صنداوتر. كانت الساعة تُقارب الواحدة ليلاً. كان هناك ثلاث سيارات مركونة في مرأبٍ مُحفَر. صَغَطَ كارل الجرس عدّة مرّات قبل أن يُطلَّ أخيراً ضوءاً من داخل المكتب. فتحت الباب نصفَ مواربٍ سيّدة مُسنّنة تَضَعُ في شعرها لفافات شعرٍ معدنيّة. ثبّتت نظرات عينيها متجاوزةً كارل وركّزتها على السيّارة، ثم قالت له:

- أهذه زوّجتك التي في السيّارة؟

نظَرَ كارل حوله، تمكّن بالكاد من رؤية وهج سيجارة ساندي في العتمة.

أجابها، وهو يتبسّر ابتساماً مُقتضبة:

- تتمتعين ببصرٍ حادّ. نعم، إنّها زوجتي.

- من أين أنتما؟

همّ كارل بأن يجيبها بأنّها من ميريلاند، وهي إحدى الولايات القليلة التي لم يذهب إليها بعدُ ولكنه تذكر حينئذ اللوحة على مقدّمة السيّارة. أيقنَ بأن تلك الشمطاء الفضوليّة لا شك قرأت ما هو مكتوب على اللوحة. لذا قال لها:

- من نواحي كليفلاند.

هزّت المرأة رأسها، وشدّت حول جسمها ثياب البيت التي كانت ترتديها، وقالت:

- لن أسكن في مكانٍ مثل كليفلاند لو دَفَعْتُمَا لي مَال الكَوْن، السَّرقة والقتل فيها لا يتوقّفان.

قال كارل:

- أَصَبْتِ في ذلك. أنا قلقٌ طيلة الوقت. جنَدْتُ السَّرطة عددًا كبيرًا من العملاء لغرضٍ واحد. يا إلهي، لم تُعدّ زوجتي تغادر المنزل إلّا لما منذ مدّة.

ثمّ أخرج من جيّبه النقود التي سلبها من المجنّد وقال:

- إذن كمّ أجرَةُ الغرفة الواحدة؟

- ستّة دولارات.

رطبّ إبهامه بلعابه، ثمّ عدّ بعض النقود من فئة الدولار الواحد وأعطاهما إياها. غادرت للحظةٍ ثمّ عادت ومعها مفتاحٌ معلق ببطاقة تعريفٍ تالفة ومجمّدة.

- الغرفة رقم سبعة. امشِ للأمام وستجدها، آخر غرفة.

كانت غرفة حارّة وذات جوّ خانق، وانبعثت منها رائحةٌ كريهة مبيد بلاك فلاغ الخاصّ بالحشرات. توجّهت ساندي مباشرة إلى الحمام وشغلّ كارل جهاز التلفزيون الصّغير، رغم أنّه لم يكن هناك أيّ برنامج في هذا الوقت من الليل سوى صورة الشاشة المنقّطة نظرًا لانتهاء فترة البثّ، وبكلّ الأحوال لا يمكن للبثّ أن يكون قويًّا هنا في الغابة. خلّع كارل نعليه بقوة، وبدأ بسحبِ غطاء السرير ذي النقوش المربّعة. تَنانَرَت على الوسائد المسطّحة ستّ ذبابات ميّنة. حدّق بالذبابات لدقيقة، ثمّ

جلس على حافة السرير ومدّ يده داخل حقيبة يد ساندي ليخرج سيجارة من سجاثرها. أحصى الذبابات مرّة أخرى، ولكن عددها لم يتغيّر.

وهو ينظر في أرجاء الغرفة، وقع بصره على لوحة موضوعية في إطار رخيص معلقة على الجدار، لوحة فيها صورة زهور وفاكهة تنتمي لذلك الفنّ الحزائيّ الذي لن يتذكره أحد؛ لن يتذكر ما فيها ولو نزيل واحد ممّن ناموا في هذه الغرفة التنتة الرائحة. لم يستطع أن يجد أيّ معنى لتلك اللوحة، سوى أنّها تذكّر المرء بأنّ العالم ما هو إلاّ مكانٌ دنيء لا يستحقّ التشبُّث به والعيش فيه. انحنى للأمام ووضع مرفقيه على ركبتيه، حاول أن يتخيّل إحدى صورته التي كان يلتقطها مكان تلك اللوحة المعلقة على الجدار. ربّما صورة ذلك المتفلّت من ولاية وسكنسن صاحب البرّاد الصّغير المغطّى بالسيلوفان، أو ذلك الوغد الأشقر الذي التقياهُ السّنة الماضية والذي انخرط في شجارٍ عنيف. بالطبع، وقعوا على شبابٍ أفضل من غيرهم، حتّى إنّ كارل أقرّب بذلك؛ ولكنه كان متيقنًا من شيءٍ واحد: كائنًا من كان ذلك الذي سينظر إلى صورة من الصّور التي التقطها، حتّى لو كانت صورة من الصّور الحقيرة التي تَرُجع إلى ثلاثٍ أو أربع سنوات، فإنّها لن تَبْرَح ذاكرته قطّ. بل إنّ سيراهن على رزمة الدولارات الخضراء التي سلبهاها من المُجنّد على أنّ ذلك هو ما سيحصل لمن يُشاهد الصّور.

سحقّ السّيجارة في منفضة السّجائر وعاودَ النظر إلى الوسادة. كان الرّقم ستّة هو عدد الضّحايا الذين تمكّننا منهم خلال هذه الرّحلة؛ وستّة دولارات هي الأجرة التي أخذتها العاهرة العجوز مقابل الغرفة؛ وها هنا الآن ستّ ذباباتٍ ميّته بالمبيد مستلقية في سريره. بدأت الرّائحة

التتنة البطيئة الانتشار لمبيد الحشرات تُحرق عينيه. أشاح على عينيه  
بطرف غطاء السرير. سأل نفسه بصوت عال:

- وماذا تعني هذه الستات الثلاث، يا كارل؟

سحب مطواته، ونقر تجويفاً في أحد أضراسه وهو يبحث في فكره  
عن جوابٍ مناسب، جواب يتجنب المعنى الواضح الدلالة لتلك  
الأعداد الثلاثة؛ جواب يتجنب العلامة الواردة في الإنجيل والتي  
كانت ستشير إليها بابتهاج أمه المجنونة الطاعنة في السن لو أنّها ما تزال  
حية. قال أخيراً، وهو يُغلق مطواته:

- ذلك يعني يا كارل أنه حان وقت العودة إلى البيت.

بضربة قاصمة من يده، أزاح جثث الذبابات الميتة وقذفها نحو  
السجادة القذرة وقلّب الوسائد على وجهها الآخر.

قبل ذلك وفي اليوم ذاته، كان أمرُ شرطة بلدة ميد في ولاية أوهايو، لي بوديكر، يجلسُ إلى مكتبه في كرسيٍّ دوَّارٍ مصنوعٍ من خشبِ البلوط، وهو يأكلُ لوحًا من الشوكولا وينظرُ إلى بعض الأوراق الخاصّة بالعمل. لم يكن قد شرب أيّ نبيذ، ولا حتّى قطرةً من بيرةٍ رديئةٍ، لمُدّة شهرين. وكانت نصيحةُ الطبيب الذي تُراجعهُ زوجته بأنّ الحلويات قد تخفّف من شدّة الشوق للمشروب. لذا نثرت فلورنس الحلوى في كافّة أنحاء المنزل، حتّى إنّها وضعتْ بقسماتٍ تحت وسادته. كان أحيانًا يستيقظُ في الليل وهو يتوقُّ لقرقشته، وحلقه دَبِقٌ كمصيدهِ الذباب. ولولاً الكبسولات الحمراء المنومة لما استطاع أن ينعمَ بأية راحةٍ أبدًا. القلقُ الذي يعترِي نَبْرةً صَوْتها، والطريقة التي كانت تسبغُ بها دلالها عليه الآن، جعله يتوقُّ لأن يجِدَ وسيلةً يُحرّرُ بها نفسه. رغم أن انتخابات البلدة لا تزالُ على بُعد سنةٍ من الآن، فقد كان هن ماثيوز يُثبتُ نفسه كخاسرٍ خسارةً فادحة. فريسهُ السّابق كان يلعبُ مُسبقًا ألعابًا قدرة، وهو ينشرُ الأقاويل الكاذبة عن رجال الشرطة الذين لا يستطيعون الإمساكَ جيّدًا بكؤوسِ مشروبهم فما بالك بالقبض على اللصوص المُحتالين. وكلّما أكَلَ بوديكر لوحًا من الحلوى انتهى عشرة ألواحٍ أخرى. بدأ كِرْشُه يتدلّى فوق حزامه مثل

كيسٍ بقالةٍ ورقِيٍّ مملوءٍ بصفادعٍ مَيْتَةٍ. إنَّ بَقِيَّ يَأْكُلُ الحَلْوَى على هذا النحو، فلنَّ يجيء الوقتُ الذي سيبدأ فيه الإعدادُ لِحِمْلَتِهِ الانتخابية مرةً أخرى إلا وقد أَصْبَحَ سَمِينًا قَدْرًا مِثْلَ صِهْرِهِ كارل الذي يشبه وَجْهَهُ وَجَهَ الخنزير.

رَنُّ الهاتف. وقبل أن يقول كلمة آلو، سَمِعَ صَوْتًا أعْجَبًا لامرأةٍ عجوز على الجهة الأخرى من السَّاعة وهي تقول:

- أنتِ أمرُ الشرطة؟

- نَعَمْ هُوَ.

- أعندكِ أختٌ تَعْمَلُ في مطعم تيكومسيه؟

- ربَّما. فأنا لم أتحَدَّثْ معها منذ مدَّة.

من نَبْرَةِ صَوْتِ المرأة، استطاع أن يَسْتَنْبِجَ بِأُتْمَا مكالمتهُ لَأَتحْمِلُ في طَيَّاتِها على مثقالِ ذرَّةٍ من خير. وضع ما بقي من لَوْحِ الحَلْوَى فوق الأوراق التي كان مُنْكَبًّا عليها. في هذه الأيام، غَدَّتْ سيرة أخته سببًا لِجَعْلِهِ متوتِّرًا. فلو عادت بنا الذاكرة لعام 1958، وعند عودته من الجيش، كان ينفجرُ ضاحكًا لو قال له أحدهم بأنَّ ساندي الخجول النَحيفة انْحَرَفَتْ عن الطريق القويم. ولكنَّ ذلك كان قبل أن تلتقي كارل. أمَّا الآن فهو بالكاد يَسْتَطِيعُ تمييزَ أخته. منذ عدَّة سنوات، طلبَ منها أن تتركَ عَمَلَهَا في مطعم وودِن سِبُون وأن تَتَّقِلَ إلى كاليفورنيا. وَرَغْمَ أَنَّهُ لم يَمُضِ على إقامتها هناك سوى بضعة أسابيع، عادت وقد تَغَيَّرَتْ شخصيتها. بدأت تعملُ نادلةً في مطعم تيكومسيه، وهو أسوأ مكانٍ في البلدة. بدأت إثر ذلك التَّنْقِلَ بتتورَةٍ قصيرة لم تَسْرُ عَوْرَتِها إلا لِيَامًا، ووجهها مليءٌ بألوان المكياج كما العاهرات اللاتي كان يطاردُهنَّ

في ووتر ستريت عندما انتُخبَ للمرّة الأولى كأمير للشرطة. قال ساخراً وهو يحاول أن يعدّل من مزاجه:

- كانت مشغولةً جدًّا في مطاردة الأوغاد.

نظرَ إلى الأسفل ولاحظَ وجود خدشٍ على مقدّمة بُوطه البنيّ الجديد. بصّقَ على إبهامه ثم انحنى وحاول مسح الخدش.

تابعت المرأة على الهاتف:

- أراهن أنّك تحدّثتَ معها مؤخراً.

- أليديك مشكلة ما؟

قال المرأة بحدّة:

- بالتأكيد لديّ مشكلة. أختك تُمارس الدّعارة في سرايب ذلك المكان القذر منذ أكثر من سنة، ولكنّ وفّق ما أراه الآن، حضرة الأمر، أنت لا تحركُ ساكناً لِرَدِّعِهَا. من الصّعب التنبؤ بعددِ الأسر التي تسببت في خراب بيوتها. وأستغربُ، كما قلتُ للسيد ماثيوز هذا الصّباح بالذات، كيف انتُخبْتَ أمراً للشرطة، وعندك أختٌ بتلك الأخلاق.

قال بوديكر وهو ينحني للأمام في كرسيّه:

- من أنتِ بحقّ الجحيم؟

- ها! لن تستطيع خداعي بأسئلتك. أنا أعرفُ كيف يعملُ رجال الشرطة في بلدة روس كاونتي.

- إننا نقوم بواجبنا كما يجب.

- ذلك ليس ما قاله السيد ماثيوز.

كانت تلك الجملة آخر جملة قالتها قبل أن تُقفل الخط.

خَبَط بوديكر السَّماعة بعنفٍ. دَفَعَ كرسيه ووقَف. نظرَ إلى ساعة يده ثم نَثَرَ المفاتيح المعلقة في أعلى خزانة الملفات. بمجرد أن تقدّم صوب الباب، توقّف ورجع إلى طاولته. بدأ يُفتّش بدقّة في الدُرَج العلوي، وجدَ حقيبة مفتوحة فيها كُرَاتٌ من حلويات السّكر والزّبدة. دَسَّ حَفنةً منها في جيبه.

أثناء مُروره في مكتب الاستقبال وهو في طريقه نحو الخارج، نظرَ موظّف المقسم من وراء جريدة قَدِرة كان يقرؤها. كان شابًا ذا عينيّن خضراوين جاحظتين، وقصّة شعير مقزوعة وقال:

- أكل شيء على ما يرام يا لي؟

كان وجه لي بوديكر الكبير محمّرًا من شدّة الغضب، وتابع طريقه دون أن ينطق ولو كلمة واحدة، ثم توقّف عند الباب ونظر إلى الخلف. في هذه اللحظة كان عامل المقسم يُمسك الجريدة ويرفعها باتجاه الضوء الواقع فوق رأسه. كان يُمعن النظر في صورة أنثوية عارية مربوطة بإحكام بأحزمة جلدية وخيط من النايلون، وتبان نسائي مكور محشور في فمها. قال بوديكر:

- يا ويبي، لا تسمح لأحد بالدخول إلى هنا ورؤيتك تنظر إلى كتاب الدّعارة اللعين ذاك، أتسمع؟ لست بحاجة إلى المزيد من كلام الناس وثرثرتهم.

قال موظّف المقسم:

- أكيد يا لي. سأكون حذرًا.

ثم قلب الكتاب نحو صفحة أخرى.



صرخ بوديكر:

- يا يسوع المسيح! يا رجل، إن اللبيب من الإشارة يفهم. دع عنك ذلك الشيء اللعين.

فيما هو يسوق سيارته إلى مطعم تيكومسيه، زلّط واحدة من كرات الحلوى وفكّر بما قالته المرأة التي اتصلت به عبر الهاتف وقالته عن تفلّت ساندي. رغم أنّه شكّ في أن يكون ماثيوز قد كلّفها القيام بذلك لكي يُثير أعصابه ليس إلا، كان عليه الاعتراف بأنّه لن يتفاجأ إذا ما تبين له صحّة ما قالته. كان في مرأب السيارات بضع سيارات قديمة صدئة، ودراجة نارية طراز (إنديان) تعلوها طبقة من الطين الناشف. نزّع قبّعته وإشارته الشرطة وأقبل عليهما في صندوق السيارة. في آخر مرّة كان هنا، في بداية الصيف، تقيّاً ما شربه من وسكي جاك دانييلز وملاً قيّته طاولة البلياردو. كانت ساندي قد طلبت من الحاضرين المغادرة باكراً وأغلقت المطعم. استلقى كارل على الأرضيّة اللزجة بين أعقاب السجائر وكراسي الجلوس الصّغيرة التي لا مساند لها، ودلّق كؤوس البيرة بينما كانت ساندي تُنشّف القياء والبيرة من لبادة الأرضيّة الخضراء بالناشف. ثمّ وضعت مروحة صغيرة على الطرف الجافّ لطاولة البلياردو وشغلّتها. قالت ويدها على وزكيها الهزيلين:

- سيغضب ليّروي غضباً شديداً عندما يرى هذه الفوضى.

تمتم بوديكر:

- لعنة الله على ابن العاهرة ذاك.

قالت ساندي وهي تُساعده في النهوض عن الأرضيّة والجلوس

في كرسيّ:

- نعم، يَسْهُلُ عَلَيْكَ قَوْلُ ذَلِكَ. فَلَسْتَ مُضْطَّرًّا مِثْلِي لِلْعَمَلِ عِنْدَ لِيَزُؤِي الْقَمِيءِ.

قال بوديكر وهو يَلْوَحُ بِيَدَيْهِ بَعْنَفٍ فِي الْهَوَاءِ:

- سَأغْلُقُ هَذَا الْمَكَانَ اللَّعِينِ. أَقْسِمُ أَنْتِي سَأغْلِقُهُ.

- هَدَّئِي مِنْ رَوْعِكَ فَقَطْ، يَا أَخِي الْكَبِيرِ.

مَسَّحَتْ وَجْهَهُ بِخَرْقَةٍ نَاعِمَةٍ جَافَةٍ، وَحَضَّرَتْ لَهُ فَنجَانًا مِنَ الْقَهْوَةِ السَّرِيعَةِ التَّحْضِيرِ. حَالِمًا هَمَّ بُوْدِيكِرُ بِشُرْبِ أَوَّلِ رَشْفَةٍ مِنَ الْقَهْوَةِ، أَسْقَطَ الْفَنجَانَ مِنْ يَدِهِ، وَتَنَاطَرَتْ شَطَايَاهُ عَلَى الْأَرْضِ. قَالَتْ سَانْدِي:

- يَا يَسُوعَ، كَانَ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفَكِّرَ بِحَلِّ أَفْضَلِ. هَيَّا بِنَا، مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ أَوْصَلَكَ لِلْبَيْتِ.

غَمِغَمَ وَهِيَ تُسَاعِدُهُ عَلَى الْجُلُوسِ فِي الْمَقْعَدِ الْأَمَامِيِّ مِنْ سَيَّارَتِهَا:

- مَا نَوْعُ هَذِهِ السَّيَّارَةِ الْمَهْلَهَلَةِ اللَّعِينَةِ الَّتِي تَقُودِينَهَا الْآنَ؟

- حَبِيبِي، هَذِهِ لَيْسَتْ سَيَّارَةٌ مُهْلَهَلَةٌ.

نَظَرَ حَوْلَهُ دَاخِلَ سَيَّارَةِ سَانْدِي. حَاوَلَ أَنْ يُرَكِّزَ نَظْرَهُ وَقَالَ:

- مَا هِيَ إِذَنْ بِحَقِّ الْجَحِيمِ؟

- هَذِهِ لِيْمُوزِينِ.

في حَمَامِ النُّزُلِ، ملأت ساندي البانيو بالماء، ونَزَعَتْ غِلافَ لوحٍ من ألواح الحلوى التي كانت تحتفظ بها في حقيبة مكياجها في الأيام التي رفض فيها كارل التوقف لكي يأكلا. كان بإمكانه قضاء أيام دون طعام أثناء ترحالهما، ولا شيء يدور في ذهنه سوى إيجاد الضحية التالية. انحصَرَ جُلُّ اهتمامه بتدخين السيجارات اللعينة وتمرير السكين القذرة عبر نابيه، أما هي فلنْ تَحْلُدَ للنوم وهي جائعة.

خَفَّفَ الماءُ الساخن الحِكْمَةَ المضطربة بين ساقها، واسترخت للوراء وأغمضت عينها وهي تقضمُ قضمًا خفيفًا قطعة حلوى ملكي وي. في اليوم الذي التقيًا فيه بالفتى القادم من ولاية أيوا، كانت قد بدأت مشوارها على الطريق السريع الرئيس بحثًا عن مكانٍ لتوقف فيه سيارتها وتنام في غفوة قصيرة عندما وثب الفتى من بين حقلٍ فول الصويا وكأنه فزاعة. حالما أشار لها الفتى بإبهامه ليتوقفا له، ضرب كارل يديه ببعضهما ضربة خفيفة وقال:

- جاء الصيد الآن.

كان الفتى الذي أشار لهما ليصحباه بالسيارة مُعطى بالطين والقذارة وقطع من القش وكأنه كان نائمًا في سوق الماشية. ورغم أنها فتحة كافة نوافذ السيارة، إلا أن رائحته الكريهة عبقت في أجوائها. كانت ساندي

تعرفُ صعوبة الاحتفاظ بنظافتها الشخصية عندما تكون في مشاويرها على الطرقات، ولكنّ الفتى الفزّاعة كان أسوأ شخصٍ وقَعاً عليه في طريقهما على الإطلاق. وهي تَضَعُ لوح الحلوى على حافة البانيو، سَحَبَتْ نَفْسًا عميقًا وَغَمَسَتْ رَأْسَهَا تحت الماء، أَضْغَت للَصَوْت البعيد لدَقَّات قلبها، وحاوَلَتْ أَنْ تتخيَّله وَقَدْ توقَّفَ إلى الأبد عن النَّبْض.

لم يكونا قد قَطَعَا مسافةً كبيرةً على الطريق عندما بدأ الفتى يُدْنِدِنُ بِصَوْتِ عالي النبرة: «كاليفورنيا، ها أنا قادمٌ إليك، كاليفورنيا، ها أنا قادمٌ إليك»؛ عرَفَتْ ساندي بأنّ كارل سيتعاملُ بلؤم شديد مع هذا الفتى لأنّ كلّ أمانيهما كانت أن يَنْسِيَا كُلَّ مَا يُدَكِّرُهُمَا بذلك المكان اللعين؛ بكاليفورنيا. في محطةٍ للوقود خارج بلدة آميس، ملأت السيارة بالوقود واشترت قنيتين من مشروبٍ سكرودرايفر البرتقالي، ظنًا منها بأنّه قد يهدئ من روع الفتى بعض الشيء؛ ولكن ما إن احتسى بضعة رشقاتٍ منه حتّى بدأ بالغناء مع المذياع، ممّا زاد الطّين بلةً. بعد أن رَعَقَ الفتى الفزّاعة مُعَبَّرًا عن أسفه بعد خمسٍ أو ستّ أغاني، اقتربَ كارل منها وقال:

- أقسم بالله، هذا الوغد سيدفعُ الثمن.

قالت بصوتٍ خفيض، وهي تأملُ بأنّ كارل قد يتركه يذهبُ لأنّه كان يتشاءمُ من هكذا أشخاص:

- أظنه مُتخلفًا عقليًا أو شيئًا من هذا القبيل.

نظرَ كارل إلى الفتى، ثمّ أشاح بنظره عنه وهو يهزُّ رأسه وقال:

- كلّ ما في الأمر أنّه مجرد غبيّ. أو أنّه مجنونٌ لعين. هناك فرقٌ بين الحاليتين، كما تعرفين.

قالت ساندي:

- حسناً، على الأقل أطفئ المدياع. فلا معنى لزيادة حماسه للغناء.  
- فليذهب إلى الجحيم. دعيه يستمتع بغناؤه. سأخلّصه من صوته  
الشجيّ قريباً.

أَسْقَطْتُ غِلاَفَ الحلوَى على أرضية الحَمَّامِ، وسَكَبْتُ المَزِيدَ مِنَ المَاءِ  
السَّاحِنِ. لَمْ تُجَادِلْ فِي ذَلِكَ الحينِ، وَلَكِنَّا تَمَنَّتْ مِنَ اللَّهِ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَّهَا  
لَمْ تَلْمَسِ الفَتَى بِأَذَى. مَلَأَتْ اللَّيْفَةَ بِرغوةِ الصَّابُونِ وَدَفَعَتْ طرفَهَا بين  
أَعْضَاءِ جَسَدِهَا، وَعَصَرَتْهَا على سَاقَيْهَا. خَارَجَ الحَمَّامُ فِي الغُرْفَةِ الأُخْرَى،  
كَانَ كارلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ حَدِيثٌ لَمْ يَكُنْ يَنْطَوِي فِي الغَالِبِ على  
أَيِّ مَعْنَى، وَخِصُوصًا بَعْدَ أَنْ يَكُونَا قَدْ فَرَّغَا مِنْ جُلُوسَةِ تَصْوِيرِ مَوْدِيلِ  
آخِرٍ. ثَمَّ بَدَأَ صَوْتُ حَدِيثِهِ مَعَ نَفْسِهِ يَعلُو. مَدَّتْ يَدَهَا صَوْبَ البَابِ  
لِتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مُوصِداً مِنَ بَابِ الحَيْطَةِ لا أَكْثَرَ.

أَمَّا بِخِصُوصِ مَا فَعَلَاهُ مَعَ الفَتَى القَادِمِ مِنَ وِلايَةِ آيُوا، فَقد رَكْنَا  
السَّيَّارَةَ على طَرَفِ مَطْمَرِ النِّفَايَاتِ، وَأَخْرَجَ كارلُ الكَامِرَا، وَبَدَأَ سِيرَتَهُ  
الأُولَى فِي الحَدِيثِ عَنِ جُودَتِهَا وَسَعَرِهَا الرَّائِعِ. أَتَى وَالفَتَى خِلالَ  
حَدِيثِهَا على القَنِينَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ مَشْرُوبِ سَكْرٍ وَدِرَايْفِرٍ. قَالَ كارلُ لَلفَتَى  
بَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ:

- تَحَبُّ زَوْجَتِي اللَّعِبِ بِذَيْلِهَا مَعَ الرِّجَالِ، وَأَنَا كَبُرْتُ فِي السَّنِّ وَلَمْ  
يَعُدْ بِإِمْكَانِ عَضْوِي الاِنتِصَابِ. أَتَفْهَمُ مَا أَقْصِدُهُ؟

نَفَثَتْ ساندي دُخَانَ سِيجَارَتِهَا، رَاقَبَتْ الفَتَى الفَرَّاعَةَ فِي مَرَاةِ  
الرُّؤْيَةِ الخَلْفِيَّةِ للسَّيَّارَةِ. كَانَ الفَرَّاعَةُ يَتَهَيَّزُ للخَلْفِ والأَمَامِ، عَابِسًا  
بِحِدَّةٍ وَمُومِنًا بِرَأْسِهِ مُوَافِقًا كارلَ فِي كَلِّ مَا قَالَهُ. عَيْنَاهُ جَامِدَتَا المِشَاعِرِ

كالخصي. حسب ساندني للحظة من اللحظات بأنها ستقياً. كان الأمر  
 مثيراً للأعصاب أكثر من أي شيء آخر، ومرّ الشعور المقيت مروراً  
 سريعاً، كما كان يحصل دائماً. ثم اقترح كارل أن يخرجوا من السيارة،  
 وبينما مدّ هو بطانية على الأرض، بدأت ساندني بخلع ملابسها على  
 مضض. عاود الفتى غناه اللعين مجدداً، ولكنها وضعت إصبعها  
 على شفيتها وطلبت منه الهدوء لبرهة من الزمن. قالت وهي تصطنع  
 ابتسامة وتربت على موضع بجانبها على البطانية:  
 - هيّا تنسلي الآن.

احتاج الأمر من الفتى وقتاً أطول مما يحتاجه الآخرون لإدراك ما  
 الذي كان يجري، ولكن رغم ذلك فلم يقاوم كثيراً جداً. أخذ كارل  
 وقته واستطاع أن يلتقط على الأقل عشرين صورة لنفايات بارزة من  
 أماكن مختلفة؛ مصابيح كهربائية وعلاقات ثياب وصفائح حساء. بدأ  
 الضوء بالتحفوت في الوقت الذي أنزل فيه الكاميرا وفرغ من الأمر. مسح  
 يديه وسكّنه بقميص الفتى، ثم مشى حتى وجد برّاداً مرّياً من طراز  
 وستنغهاوس نصف مطمور في النفايات. بالرفش الذي أحضره من  
 السيارة، مسح النفايات المتجمعة على سطح البرّاد وحملق عبر الباب  
 المفتوح في حين كانت ساندني تفتش بنطال الفتى. قال كارل عندما  
 أعطته ساندني صفارة بلاستيكية وستّاً واحداً من عملة رأس الهندي  
 الأحمر<sup>(1)</sup>:

- أهذا كل شيء؟

(1) وهي عملة معدنية تعادل قيمتها ستّاً واحداً، صدرت في الولايات المتحدة بين عامي  
 1859 و1909 وتتميز بوجود صورة رأس هندي أحمر عليها. (المترجم)

- وماذا كنت تتوقع؟ حتى محفظة نقود لا توجد معه.

نظرت داخل البراد. كانت جدرانها مكسوة بطبقة رقيقة من الفطور المتعفنة الخضراء، وفي إحدى زواياها مرطبانٌ مُحطَّم فيه مُربى لَزجة رمادية اللون.

- يا يسوع! هل ستضعه هناك في البراد؟

- لقد اعتاد النوم في أماكن أسوأ من هذا البراد.

لَمَّا الفتى لَفَّة مضاعفة وحشراه داخل البراد، ثم أصرَّ كارل على التقاط صورة واحدةٍ أخيرة، صورة لساندي وهي ترتدي ملابسها الداخلية الحمراء وهي تستعد لإغلاق الباب. جَلَس القرفصاء ووجَّه الكاميرا وقال بعد أن ضَغَط على مِضْرَاعِهَا:

- لقطَةٌ جيِّدة. لقطَةٌ حلوة فعلاً.

ثم وَقَفَ وَوَضَعَ الصَّفَّارَةَ في فم الفتى وقال له:

- هيَّا أغلق فمك اللعين. يُمكنه أن يَحْلِم بكاليفورنيا على راحته الآن.

ثم بدأ يُهَيِّل القِمامة على القبر المعدني.

زادت بُرودة الماء، وخرجت ساندي من البانيو. نظَّفت أسنانها بالفرشاة، وَدَهَنَتْ وَجْهَهَا ببعض من الكريم البارد، وسرَّحت بمشط شعرها المبلل. كان المُجَنَّد أَفْضَلَ مَنْ التَقَّتْهُم خلال مدَّة طويلة، واعتزَّمت أن تخلد للنوم الليلة وهي تفكر به. هي بحاجة لأن تفكر بأي شيءٍ لِتَطْرُدَ فتى الفزاعة القميء خارج مجال تفكيرها. عندما خرجت من الحمام بقميص نومها الأصفر، كان كارل مُستلقياً على السرير، محدِّقاً في السقف. حَسِبَتْ أن آخر مرَّة استحمَّ فيها كارل كانت قبل أسبوع.

أشعلت سيجارة وقالت له بأنه لن ينام معها ما لم ينظف الرائحة العالقة به من أثر هؤلاء الفتيّة.

قال لها:

- اسمهم موديلات تصوير وليسوا فتيّة.

نهَض وأزاح رجليه الثقيلتين عن السرير ثم قال:

- كم عدد المرات التي يجب أن أقول لك فيها ذلك.

- لا أكثرُ بماذا يُسمّون. هذا سريرٌ نظيفٌ وسيبقى نظيفاً.

استقرّت نظراتُ كارل على الذبابات على السجّادة، وقال وهو

متّجه صوب الحّمّام:

- نعم، هذا ما تظنين.

نزعَ ملابسَه القذرة وشمّ الرائحة المنبعثة من جسده. اعتاد أن يحبّ الرائحة التي كانت تفوح من ملابسَه، ولكن ربّما ينبغي له أن يكون أكثر حرصاً. بدأ القلق يُساوره مؤخّراً بأنّه تحوّل إلى ما يشبه الجنّي، وكان يشكّ بأنّ ساندي لا تحسبه سوى كذلك أيضاً. تحسّس ماء رشاش الحّمّام بيده، ثمّ دكّف إلى البانيو. فركَ جسّمه المُشعر المتفتّخ بلّوح من الصّابون. عرّف بأنّ ممارسة الاستمناء بمشاهدة الصّور لم يكن فآلاً حسناً، ولكنّه لم يستطع أحياناً مقاومة ذلك. كان الأمر صعباً عليه عندما يعودان إلى البيت، صعبٌ عليه أن يجلس وحيداً في تلك الشقّة القميئة ليلةً وراء ليلةٍ بينما كانت ساندي تصبّ المشروبات للزبائن في الحانة.

بعد أن نشّف جسده، حاول استذكار المرّة الأخيرة التي مارسا

فيها الجنس معاً. ربّما كانت في الرّبيع الماضي، رغم أنّه غير متأكّد من

ذاكرته. حاول أن يتخيّل ساندي صبيّةً مُتقدّة الجسد مجدّداً، قبل أن يبدأ



مغامراتها القذرة. بالطبع، كان قد اكتشف على الفور أمر الطَّبَّاح الذي سلبها عذريتها ومضاجعاتها الفردية العابرة لأولئك المخانث ذوي الوجوه المليئة بالدمامل. رغم ذلك كانت ساندي لا تزال تحتفظ بمسحة من البراءة وقتئذٍ. كان يخطر في باله أحياناً أن سبب ذلك قد يكون عَدَم امتلاكها الخبرة الكبيرة عندما التقاها للمرة الأولى. بالتأكيد، كان قد نام مع بضع عاهرات فالحَيِّ ما انفكَّ يفيضُ بهنَّ ولكنه كان مجرد فتى في أواسط العشرينيات عندما أصيبت أمه بالجلطة التي تسببت في شللها وعدم قدرتها على الكلام فعلياً. حينئذٍ، لم يكن هناك أيَّ عشاق يطرقون بابها منذ سنوات، ووجد كارل نفسه مضطراً لرعايتها. خلال الأشهر العديدة الأولى، فكّر في أن يخنقها بوضع وسادة على وجهها الملتوي وتخليصها معاً من هذا الهمِّ، ولكنها تبقى أمه في كافة الأحوال. بدلاً من التخلّص منها، بدأ يكرّس نفسه لتسجيل مراحل تدهور صحتها على فلمٍ. فلمٍ بدأ يلتقطُ صورةً جديدةً لجسدها الذاوي مرتين أسبوعياً لثلاث عشرة سنة. في نهاية المطاف، اعتادت على الأمر. ذات صباح وجدّها ميتة. جلس على حافة السرير وحاول أن يأكل البيض الذي كان قد هرّسه لتناوله أمه على الإفطار، ولكنه لم يستطع أن يبلع الطعام. بعد ثلاثة أيام، أهال أول رفشٍ مملوءٍ بالتراب على تابوتها.

بالإضافة إلى كامرته، بقي معه 217 دولاراً بعد أن دفعَ كُلفةَ جنازتها بالإضافة إلى بك أب فورد مُهلَّهَل لا يشتغل سوى في الطقس الجاف. لم يكن أحدٌ يتوقع أنه يُمكن لبك أب الفورد عبورَ الولايات المتحدة. ولكن كارل كان يحلمُ بحياةٍ جديدة منذ خُلِقَ تقريباً. وها هو المسوِّغ الأكبر والأخير الذي كان يمنعه من تحقيق حلمه، أي أمه، يرقدُ بسلامٍ أخيراً في مقبرة سانت مارغريت. وهكذا، في اليوم الذي نفدت منه

أَجْرَةُ الْبَيْتِ، جَمَعَ الْحِزَمَ الْمَلْفُوفَةَ لِصُورِ أُمِّهِ الْمَرِيضَةَ وَوَضَعَهَا عَلَى نَاصِيَةِ الرَّصِيفِ بِانْتِظَارِ شَاحِنَةِ الْقِمَامَةِ. ثُمَّ اتَّجَهَ بِسَيَّارَتِهِ غَرْبًا مِنْ بَارَسُونِزِ أَفِينِيوِ إِلَى هَايِ سْتَرِيْتِ، ثُمَّ غَادَرَ مَدِينَةَ كُولومْبُوسَ. كَانَتْ وَجْهَتُهُ هَوْلِيوِدَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْأَتَّجَاهَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْخَوَالِي، وَانْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ ذَلِكَ الْمَسَاءَ فِي بَلَدَةِ مِيدَ أَبُوهَايُو، وَمِنْ ثَمَّ فِي مَطْعَمِ وَوِدِنِ سُبُونِ. بَيْنَمَا كَانَ يَسْتَذْكُرُ تِلْكَ الْأَحْدَاثَ فِي مَخِيلَتِهِ، كَانَ كَارْلُ مُقْتَنِعًا بِأَنَّ الْقَدَرَ سَاقَهُ إِلَى هُنَاكَ، وَلَكِنْ أَحْيَانًا، وَعِنْدَمَا يَتَذَكَّرُ سَانْدِي النَّاعِمَةَ اللَّطِيفَةَ قَبْلَ خَمْسِ سِنَوَاتٍ، كَانَ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ هُنَاكَ أَبَدًا.

بَعْدَ أَنْ ارْتَعَشَ بِسَبَبِ خَيَالَاتِهِ الْجَمِيلَةِ، عَصَرَ بَعْضًا مِنْ مَعْجُونِ الطِّمَاطِمِ فِي فَمِهِ بِيَدَيْهِ، بَيْنَمَا يَدُهُ الْأُخْرَى تُدَاعِبُ جَسَدَهُ. اسْتَعْرَقَ الْأَمْرُ بَضْعَ دَقَائِقٍ، وَلَكِنَّهُ مُسْتَعِدٌّ الْآنَ أَحْيَرًا. خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ عَارِيًا وَمُضْطَرِبًا بَعْضَ الشَّيْءِ، الْقُلُنْسُوءَةَ الْأَرْجُونِيَّةَ لِعَضْوِهِ الْمُنْتَصِبِ تَضْطَلِمُ بِكَرْسِيهِ الْمَرْتَحِي الْمَلِيءِ بِالْخَطُوطِ الْمَجْعَدَةِ.

وَلَكِنْ سَانْدِي كَانَتْ قَدْ نَامَتْ سَلْفًا. عِنْدَمَا مَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَ كَفَّهَا، فَتَحَّتْ عَيْنَيْهَا وَأَنَّتْ قَائِلَةً:  
- لَسْتُ عَلَى مَا يِرَامُ.

اسْتِدَارَتْ وَكَوَّرَتْ جَسَدَهَا عَلَى الْجَانِبِ الْأَخْرَى مِنَ السَّرِيرِ. وَقَفَ كَارْلُ فَوْقَ رَأْسِهَا لِبَضْعِ دَقَائِقٍ، وَهُوَ يَتَنَفَّسُ مِنْ فَمِهِ، شَاعِرًا بِالْدَمِّ وَهُوَ يَغَادِرُهُ. ثُمَّ أَطْفَأَ الْأَضْوَاءَ وَقَفَلَ رَاجِعًا إِلَى الْحَمَّامِ. اللَّعْنَةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، لَمْ تَكْتَرِثْ قِيْدَ شَعْرَةٍ لِأَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ مِنْهَا شَيْئًا مَهْمًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ. جَلَسَ عَلَى كَرْسِيِّ التَّوَالِيْتِ، تَدَلَّتْ يَدُهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ. تَرَاءَى لَهُ الْجَسَدُ الْأَبْيَضُ الْبَضُّ لِلْمُجَنَّدِ، وَأَمْسَكَ بِاللَّيْفَةِ الْمَبْلَلَةِ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ وَعَضَّ عَلَيْهَا

بأسنانه. كان الرأس الحادّ للغصن المورق في البداية كبيراً جداً بحيث يتسنى له الدخول في الفجوة التي أحدثتها الرصاصة، بيد أن كارل حرّكهُ إلى الخلف والأمام حتى استقرّ منتصباً. بدا كشجرة فتية نابتة من صدرِ المُجنّد برايسن ذي العضلات المشدودة. بعد أن فرغ من الأمر، نَهَضَ وَبَصَقَ اللّيفة في الحوض. بينما كان يُحدِّق في انعكاس لهائه في المرآة، أدرك كارل بأن هناك فرصة كبيرة لعدم قيامه وساندي بممارسة الجنس مرّة أخرى على الإطلاق. وبأنّهما كانا أسوأ بكثير ممّا كان يتخيّل. لاحقاً في الليلة ذاتها، استيقظ مذعوراً، قلبه البدين يرتجف في قفص ضلوعه كحيوانٍ خائفٍ وَقَعَ في المِصيدة. استنتج من الساعة الموضوعية على المنضدة الصّغيرة بجانب السرير أنّه نام أقلّ من ساعة. بدأ يتقلّب في سريره، ولكنه ترتج بشكلٍ مفاجئ من السرير ومشى بتناقل نحو النافذة، وأرتج الستارة وفتحها. الحمد لله، كانت السيارة لا تزال جاثمةً في مكانها في مرأب السيارات. قال لنفسه:

- يا لك من وغيّد أخرج!

ارتدى بنطاله وسار على الحصى صوبَ السيارة بأقدامه الحافية وفتح بابها. حامت فوقه كتلةٌ من السحب السميكة. أخذ بكرات الأفلام الستة من التابلو وحملها راجعاً إلى الغرفة، ودسها داخل حذائه. كان قد نسي أمر الأفلام كُليّةً؛ وهذا خرقٌ صارخٌ للقاعدة رقم 7. تَمَتَّتْ ساندي أثناء نومها بشيءٍ عن الفزاعات أو ما شابه ذلك من الهراء. أشعل كارل وهو عائدٌ إلى ممرّ الباب المفتوح سيجارةً أخرى من سجائر ساندي ووقف ناظرًا صوبَ العتمة في الخارج. بينما كان يشتم نفسه بسببِ عَدَمِ مُبالاته بخصوص الأفلام، تحرّكت الغيوم،

كاشفةً عن بقعةٍ صغيرةٍ من النجوم تتألأُ في الشرق. حدّق بعينين  
شبه مغمضتين عبر دخان السّيجارة وبدأ يعدّ النجوم. لكنّه ما لبث أن  
توقّف عن العدّ وأغلق الباب. أيّ رقمٍ إضافي؛ أية علامةٍ إضافيّة، لن  
يُغيّر في الأمر اللّعين شيئاً هذه اللّيلة.

كان هناك ثلاثة رجالٍ جالسين إلى طاولة وهم يَحْتَسُون البيرة عندما دَخَلَ بوديكر مطعم تيكومسيه لاونج. وَلَجَّ ضوء الشَّمْسِ منيرًا الغرفة المُعْتَمَةِ للحظةٍ قصيرة، وامتدَّ الظلُّ الطويل لأمْرِ الشَّرْطَةِ، بوديكر، على الأرضية. ثمَّ أوصد الباب خلفه وعادَ كلُّ شيءٍ إلى العتمة مجدّدًا. كانت أغنيةُ باتسي كلاين قد وَصَلَتْ إلى نهايتها؛ نهاية حزينه متهدّجة صادرةٍ من صندوق الموسيقى. لم يَنْبَسْ أيُّ من الرّجال الثلاثة بأية كلمةٍ عندما مرَّ بوديكر بجانبهم متوجّهًا صَوْبَ حانة المطعم. أخذُ الثلاثة لَصُّ سيارات والآخِر معنّفٌ يَضْرِبُ زوجته. أمضى كلُّ منهما مدّةً في السّجن الذي يشرف عليه بوديكر، ولمّا له سيارته الكروزر في عدّة مناسبات. لم يَعْرِفِ الرّجلُ الثالث، ولكنَّ مَعْرِفَتَهُ لَيْسَتْ بِصَعْبَةٍ عليه. سَيَعْرِفُهُ في الوقت المناسب.

جلسَ بوديكر على كرسيِّ بلا مَسَانِدٍ وانتظرَ جوانيتا حتّى تفرَّغَ من قَلِي الهامبرغر على الشّواية المكسوّة بالشّحوم. تَذَكَّرَ يَوْمَ قَدَّمَتْ له أوّل قنينةٍ وسكي في هذه الحانة قَبْلَ بضع سنوات. ما انفكَّ يُطارِدُ ذلك الشّعور الذي استحوذَ عليه في تلك اللّيلة للمدّة سَبْعِ سنواتٍ إثر ذلك، ولكنّه لم يَسْتَطِعْ اقتناصَ ذلك الشّعور مرّةً أخرى. مدَّ يدهُ في جيّبه ليُخْرِجَ إحدى ألواح الحلوى، ثمَّ قرَّرَ أن يوجِّلَ أكلها. وَضَعَتْ جوانيتا

السندويشة على طبق ورقِيّ مع بضع رقائق من البطاطا غَرَفَتْهَا من سَطْلٍ مَعَدِي كان يَحْتَوِي قَبْلَ اسْتِخْدَامِهِ فِي الْمَطْعَمِ عَلَى شَحْمِ الْخَنْزِيرِ، وَقِطْعَةً مَخْلَلٍ طَوِيلَةً بَاهِتَةً اللَّوْنُ أَخْرَجَتْهَا بِالشُّوكَةِ مِنْ حَوْجَلَةٍ زَجَاجِيَّةٍ مَتَسَخَةٌ. حَمَلْتُ الطَّبْقَ صَوْبَ الطَّائِلَةِ، ثُمَّ وَضَعْتُهُ أَمَامَ لِيصِّ السَّيَّارَاتِ. سَمِعَ بُوْدِيكِرَ أَحَدَ الرِّجَالِ يَقُولُ شَيْئًا مَا عَنْ تَغْطِيَةِ طَائِلَةِ الْبِلْيَارْدُو قَبْلَ أَنْ يَتَقَيَّأَ أَحَدُهُمْ عَلَيْهَا. ضَحِكُ رَجُلٍ آخَرَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ لَشِدَّةِ مَا ضَحِكُ.

قالت جوانيتا بصوتٍ خفيضٍ:

- كَفَّ عَنْ ذَلِكَ.

ذَهَبَتْ إِلَى آلَةِ الْحَاسِبَةِ وَدَفَعَتْ الْفَاتُورَةَ، وَأَحْضَرَتْ الْبَاقِي، وَرَجَعَتْ بِهِ إِلَيْهِ.

قال لها:

- هَذِهِ رَقَائِقُ بَطَاطَا بَائِتَةٍ.

أجابت:

- لَا تَأْكُلْهَا إِذْنِ.

قال معنّفٌ زَوْجَتِهِ:

- الْآنَ يَا عَزِيزَتِي، هَذَا لَيْسَ أَسْلُوبًا جَيِّدًا فِي الْحَدِيثِ.

تَجَاهَلَتْهُ جَوَانِيَتَا. أَشْعَلَتْ سِيْجَارَةً وَمَشَتْ نَحْوَ طَرَفِ الْبَارِ حَيْثُ جَلَسَ بُوْدِيكِرُ. قَالَتْ لَهُ:

- أَنْتِ أَيُّهَا الْغَرِيبُ! مَاذَا يُمَكِّنِي أَنْ أَحْضِرُ...

قَبْلَ أَنْ تُكْمِلَ جُمْلَتَهَا قَالَ أَحَدُ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ حِينَئِذٍ بِصَوْتٍ عَالٍ:

- ... والله لو لم تَنْفَتِحْ مؤخرتها مثل سفرطاس الأكل...

وانفجر ثلاثهم في ضحكةٍ صاحبة.

هزت جوانيتا رأسها. قالت لبوديكر:

- أيمكنني أن أستعير مُسدّسك؟ هؤلاء الأوغاد جالسون هنا منذُ

أن فتحتُ المطعم صباح اليوم.

كان يُراقبهم في المرآة الطويلة الممتدة وراء البار. كان ليصُ السيارات

يُفَهِّهُ ضاحكًا كَفَتِيَاتِ المدارس في حين هرَسَ مُعَنَّفٌ زوجته رقائق

البطاطا على الطاولة بِقَبْضَتِهِ. كان الرَّجُلُ الثالثُ مُسْتَرخِيًا في كُرْسِيهِ

وتعابير المَلَلِ بادية على محيَّاه. كان يُنظِّفُ أَطَافِرَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ بَعُوْدِ ثِقَابِ.

قال لها بوديكر:

- يُمكنني أن أطردَهم إن أردتِ.

- لا، لا بأس في ذلك. إن فعلتَ ذلك فسيعودون لاحقًا ليذيقونني

المزيد من الأسي.

نَفَثَ الدِّخَانُ من زاويةٍ فَمِهَا وابتَسَرَتْ نِصْفَ ابتسامَةٍ. تَمَنَّتْ أَلَّا

يكون ابنها قد أتى أمرًا مُنْكَرًا مرّةً أخرى. ففي المرّة الأخيرة، اضْطَرَّتْ

لاقتراضِ أَجْرَةٍ أسبوعين من عَمَلِهَا لِتُخْرِجَهُ من السِّجْنِ، كَلَّ ذلك

لأنه سَرَقَ خمسة ألبومات غنائية من مَحَلٍّ وولورثرز ودسَّها داخل بنطاله.

لو أنّ الأمر اقتصرَ على ألبوم ميريل هاغارد أو بورتر واغونر لكانَ

ذلك فيه ما فيه من العار، ولكن ما شأنه بألبوماتِ فِرَقِ جيري أن ذا

بيسميكرز؟ وفِرَقَةُ هيرمانز هيرمتز؟ وفِرَقَةُ زومبِز؟ حَمْدًا لله أنّ والدَهُ

كان مَيِّتًا، ذلك كَلَّ ما استطاعتُ قولَهُ.

قالت لبوديكر:

- ماذا تودُّ أن تطلب؟

حَمَلَقَ بوديكر للحظةٍ في القناني المصْفوفةِ خلف البار وقال:

- هل عندك قهوة؟

- لدينا فقط قهوةٌ سريعة التحضير. لا يأتي العديدُ من عُشاق القهوة إلى هنا.

تَجَهَّم وجهه وهو يقول:

- المشروبُ يُؤذي مَعِدَتِي. طَيِّب، هل عندكم سفن أب؟

بعد أن أُخْرِجَت جوانيتا قنينة السفن أب من البرَّادِ وَوَضَعَتْهَا أمامه، أَشْعَلَ بوديكر سيجارةً وقال:

- إذن ساندي لم تأتِ بعد، أليس كذلك؟

- ها، كم أتمنى ذلك. فهي لم تأتِ إلى هنا منذ أكثر من أسبوعين.

- ماذا؟ هل تَرَكْتَ العملَ هنا؟

- لا، لا شيء من هذا القبيل. هي في إجازة.

- إجازة مرَّةً أخرى؟

قالت جوانيتا وعلائمُ السُّرور تبدو على محيَّاها بعد أن غَمَرَتْهَا الطمأنينة بأن زيارته لا علاقة لها بابنِها:

- لا أعرفُ كيف يُمكنُهما الذَّهاب في إجازة. لا أظنُّ أنَّهما يُقيمان

في أيِّ مكانٍ فَنَحْم. ولكنِّي بالكادِ أكسبُ قُوتَ يَوْمِي هنا لأدفعَ

أجرةَ السِّكن في تلك العربة المَقْطورة التي أعيش فيها. وأنت تعلمُ

كلَّ العِلْم بأن كارل لا يدفعُ ولو ستًّا واحدًا من أجرةِ الرِّحلة.

رَشَفَ بوديكر رشفةً من السفن أب، وعادت إلى باله مرَّةً أخرى



المكالمة الهاتفية التي تلقاها. إذن من المحتمل أن ما قالتها المتصلة صحيح. ولكن إن كانت ساندي تُمارس الدعارة منذ أكثر من سنة، كما قالت العجوزُ العاهرة، فلماذا بحق الجحيم لم يسمع عن ذلك قَبْلَ الآن؟ ربّما يكون قد أَحَسَنَ عَمَلًا عندما عَاهَدَ نَفْسَهُ على عَدَمِ شُرْبِ الكحول. فالوسكي ما كانت سوى لِتُحِيلَ رأسه إلى خليطٍ من الهُراء. حَمَلَقَ بطاولة البلياردو وأمَعَنَ التّفكيرَ بالأشياء الأخرى التي لم يكن يُعيرها أيّ اهتمامٍ خلال الأشهر القليلة الماضية. اكتنفتُهُ رِغْشَةٌ باردة. اضطرَّ لابتلاع ريقه عدّة مرّات حتّى يَمْنَعِ السفن أب من الرجوعِ عِبرَ حَلْقِهِ للخلف. ثم سألها:

- ومتى تعود؟

- قالت لِلِيرُوي بأنها ستعودُ للبيتِ مع نهاية هذا الأسبوع. آملُ بالتأكيد أن يَحْصُلَ ذلك. ليرُوي صاحبُ المطعم البخيل لن يوظفَ عاملةً إضافيةً.

- ألدك أيّ فكرة عن المكان الذي ذهباً إليه؟

أجابت جوانيتا وهي تهزُّ كتفيها:

- يصعبُ معرفة أيّ شيءٍ يتعلّقُ بتلك الفتاة. فقد كانت تتحدّث

عن أنّها ذاهبان إلى مدينة فرجينيا بيتش. ولكني لا أستطيعُ

تخيّل كارل وهو يتشمّسُ قُرْبَ المحيطِ لأسبوعين، أيْمَكِنُك

أنت أن تتخيّل ذلك؟

هزّ بوديكر رأسه وقال:

- لكي أكون صادقاً معك، لا أستطيعُ أن أتخيّل ابنَ العاهرة ذاك

يفعلُ أيّ شيءٍ.

ثُمَّ وَقَفَ وَوَضَعَ دَوْلَارًا عَلَى نِصْفِ الْبَارِ وَقَالَ:

- اسمعي، عندما تعود، أخبريها بأنني أريدُ التحدُّثُ إليها، اتفقنا؟

- بالتأكيد يا لي، سأخبرها.

بَعْدَ أَنْ خَرَجَ وَأَصْبَحَ خَارِجَ الْبَابِ، صَاحَ أَحَدُ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ:

- أنتِ، جوانيتا! هل سَمِعْتِ ما قاله هِن ماثيوز عن ذلك الوغد

المتبجِّح؟

دَوَى صَوْتُ باب سَيَّارَةٍ فِي مَرَّابِ السَّيَّارَاتِ . فَتَحَ كَارِلَ عَيْنَيْهِ ، نَظَرَ  
عَبْرَ الْغُرْفَةَ إِلَى الزَّهْوَرِ وَالْفَوَاكِهِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْجِدَارِ . كَانَ الْوَقْتُ لَا  
يَزَالُ بَاكِرًا فِي الصَّبَاحِ ، وَلَكِنَّ الْعَرَقَ كَانَ يَتَصَبَّبُ مِنْهُ تَصْبِيبًا . نَهَضَ مِنْ  
السَّرِيرِ وَمَضَى إِلَى الْحَمَّامِ ، وَأَفْرَغَ مِثَانَتَهُ . لَمْ يُمَشِّطْ شَعْرَهُ أَوْ يُنَظِّفَ أَسْنَانَهُ  
أَوْ يَغْسَلَ وَجْهَهُ . اِزْتَدَى الْمَلَابِسَ نَفْسَهَا الَّتِي ارْتَدَاهَا طِيلَةَ الْأَسْبُوعِ  
الْمَاضِي ؛ قَمِيصَهُ الْأَرْجَوَانِيَّ ، بِنِطَالِ الْبِذْلَةِ الْفَضْفَاضِ الرَّمَادِيِّ اللَّامِعِ .  
دَسَّ عُلْبَ الْأَفْلَامِ فِي جُيُوبِهِ ، جَلَسَ عَلَى حَاقَةِ كُرْسِيِّ وَارْتَدَى حِذَاءَهُ .  
فَكَّرَ فِي إِيقَاطِ سَانَدِي حَتَّى يَنْطَلِقًا مِنْ فُورِهِمَا . وَلَكِنَّهُ قَرَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَنْ يَتْرُكَهَا تَرْتَاحَ . فَقَدَ نَامَا فِي السَّيَّارَةِ لِثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَّتْ . تَرَاءَى لَهُ بِأَنَّهُ  
مَدِينٌ لَهَا بِلِحْظَاتِ النَّوْمِ تِلْكَ ، أَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُمَا كَانَا رَاجِعِينَ إِلَى  
الْبَيْتِ عَلَى أَيِّ حَالٍ . مَا مِنْ سَبَبٍ يَدْعُوهُمَا لِلْعَجَلَةِ الْآنَ .

بَيْنَمَا كَانَ يَنْتَظَرُهَا لِتَسْتَيْقِظَ ، كَانَ يَمْضَعُ فِي فَمِهِ سِيَجَارًا ، وَقَدْ  
أَخْرَجَ مَحْفَظَةً نَقُودِ الْمُجَنَّدِ مِنْ جَيْبِهِ . بَيْنَمَا كَانَ يَعُدُّ النُّقُودَ مَرَّةً أُخْرَى ،  
تَذَكَّرَ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي الْعَامِ الْمَاضِي عِنْدَمَا كَانَا يَمْخُرَانِ عُبَابَ الْجَهَةِ الدُّنْيَا  
فِي مِينِسُوتَا . كَانَا حِينَهَا يَعْضَانِ بِالنَّوَاجِدِ عَلَى آخِرِ ثَلَاثَةِ دُولَارَاتِ  
يَمْلِكَانَهَا عِنْدَمَا انْتَقَبَ جِهَازُ تَبْرِيدِ سَيَّارَةِ الشِّيفِرُولِيَتِ كُويِبِهِ طِرَازِ عَامِ  
49 الَّتِي كَانَا يَرْتَحِلَانِ بِهَا فِي ذَلِكَ الصَّيْفِ . تَمَكَّنَ مِنْ سَدِّ التَّسَرُّبِ مُوقِفًا

بُعْلَبِيَّةٍ مِنَ الْفَلْفَلِ الْأَسْوَدِ كَانَ يَحْمِلُهَا مَعَهُ تَحْسَبًا لِحَصُولِ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ  
الطَّارِئَةِ، وَهِيَ حِيلَةٌ سَمِعَ بِهَا فِي مَوْقِفِ شَاحِنَاتِ ذَاتِ مَرَّةٍ. وَجَدَا مَحْطَّةَ  
وَقُودٍ رِيفِيَّةٍ تَبْعُدُ مِيلاً أَوْ نَحْوَهُ عَنِ الطَّرِيقِ السَّرِيعِ قَبْلَ أَنْ يَنْفَتِحَ الثَّقْبُ  
المَسْدُودَ مَرَّةً أُخْرَى، انْتَهَى الْأَمْرُ بِهِمَا وَهُمَا يُقْضِيَانِ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنْ يَوْمٍ  
كَامِلٍ وَهُمَا يَنْتَظِرَانِ بَيْنَمَا كَانَ عَامِلٌ تَشْحِيمٍ بَرَزَتْ مِنْ جَيْبِهِ الْخَلْفِيِّ عِلْبَةٌ  
دِخَانٍ مِنْ مَارِكَةِ رِذْمَانَ يَحْلِفُ أَغْلَظَ الْأَيْمَانَ بِأَنَّهُ سَيُصْلِحُ السَّيَّارَةَ حَالِمًا  
يَفْرَعُ مِنْ دَوْرَانَ مَحْرَكِ إِحْدَى السَّيَّارَاتِ الَّتِي طَلَبَ مِنْهُ رَئِيسُهُ فِي الْعَمَلِ  
أَنْ يَقُومَ بِهَا الْبَارِحَةَ. مَا انْفَكَّ يَقُولُ لِكَارِلَ كُلِّ خَمْسِ عَشْرَةَ دَقِيقَةً مَقِيَّتَةً:  
- لَنْ يَسْتَعْرِقَ الْأَمْرُ وَقْتًا طَوِيلًا، يَا سَيِّدِي.

لم يكن لساندي أيّ دورٍ في تحسين مجرى الأمور. أَرَاخَتْ مَوْخَرْتَهَا  
عَلَى مَقْعَدِ خَارِجِ بَابِ وَرْشَةِ تَصْلِيحِ السَّيَّارَاتِ، وَبَرَدَتْ أَظَافِرَهَا،  
وَصَافَيْقَتْ الْعَامِلَ الْوَعْدِ الْمَسْكِينِ بِعَرَضٍ لِمَحَاتٍ خَاطِطَةً مِنْ ثِيَابِهَا  
الِدَاخِلِيَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ حَتَّى لَمْ يَعِدْ يَدْرِي أَيَنْظُرُ إِلَى مَفَاتِنِهَا أَمْ يُعْمِي  
عَيْنُهُ عَنْهَا. تَمَزَّقَ الرَّجُلُ أَيُّهَا تَمَزَّقَ!

أشار كارل أخيراً بيديه إشارةً مشوبةً بالاشمئزاز وأخرج بكرات  
الفلم من دُرجِ السَّيَّارَةِ وَأَقْفَلَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَابَ فِي دَوْرَةِ مِيَاهِ خَلْفَ مَحْطَّةِ  
الْوُقُودِ. جَلَسَ لِعِدَّةِ سَاعَاتٍ فِي ذَلِكَ الْحُجْمِ الْمُنْتَنِ وَهُوَ يَقْلَبُ صَفْحَاتِ  
كُومِيَّةٍ مِنَ الْمَجَلَّاتِ الْبُولِيسِيَّةِ الْمَهْتَرَّةِ الْمُكَدَّسَةِ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ الْمُبَلَّلَةِ قُرْبَ  
كُرْسِيِّ الْمَرْحَاضِ الْقَدِيرِ الْمُتَقَشِّرِ. كَانَ يَسْمَعُ بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْأُخْرَى الْجَرَسَ  
الصَّغِيرَ يَرِنَ فِي الْأَمَامِ، مُعَلَّنًا قَدُومَ زَبُونٍ آخَرَ جَاءَ لِيُعْبِي خَزَانَ وَقُودِ  
سَيَّارَتِهِ. زَحَفَ صَرُورٌ بُنِّيٌّ بِتِثَاقِلٍ عَلَى الْجِدَارِ. أَشْعَلُ سَيِّجَارًا بَاتِنًا  
ظَنًّا مِنْهُ بِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَسَاعِدُهُ فِي إِخْرَاجِ مَا فِي أَمْعَائِهِ، وَلَكِنْ أَحْشَاءَهُ

كانت مُتصلِّبة كالإسمنت. أفضل ما استطاع أن يُخرجه كان نُقطة دم قَطَرَتْ بين الفينة والأخرى. تَخَدَّرَ فَخِذَاهُ السَّمِينَانِ. في لحظةٍ ما، طَرَقَ أحدهم الباب، ولكن كارل لم يكن ليتخلى عن مكانه لمجرّد أن ابنَ عاهرة لا فائدة تُرتجى منه يَرْغَبُ في غَسْلِ يَدَيْهِ الرِّقِيقَتَيْنِ.

كان مُوشكًا على مَسْحِ مؤخَّرته المُدْماءة عندما وقعَ نَظْرُهُ على مقالةٍ في نسخةٍ نَالَتْ منها الرُّطوبةُ من صحيفةٍ ترو كرايم. رَجَعَ وَجَلَسَ على كرسيِّ المرحاض، نَفَضَ رِمَادَ سِجَارِهِ. قَالَ المُحَقِّقُ الَّذِي التَقَّتهُ الصَّحِيفَةُ في المقالةِ بآته عَثَرَ على جُثَّتَيْنِ لِرَجُلَيْنِ، واحدةٌ منتفخة في قناةِ صَرَفٍ صحِّي قَرَبَ بلدةِ رِدْ كلاود في ولاية نبراسكا، والأخرى مُثَبَّتة بالمسامير في أرضية حظيرةٍ في مزرعةٍ مهجورة خارجَ مدينة سينيكافيا في ولاية كانسس. قَالَ المُحَقِّقُ في المقالة: «نحنُ نتحدّث عن مائة ميلٍ تَفْصِلُ بين الجريمتين». نَظَرَ كارل إلى التَّاريخِ المدوَّن على غلافِ المجلد: نوفمبر 1964. تَبًّا، مرَّ على القِصَّةِ تسعة أشهر. أعادَ قراءة الصَّفحاتِ الثلاثِ بتأنٍّ خمسَ مرَّات. رغمَ أن المُحَقِّقَ رَفَضَ الإِدْلَاءَ بِأَيَّةِ تفاصيلٍ، فقد رأى أن هناك احتمالًا كبيرًا لوجودِ صلةٍ بين الحادِثَتَيْنِ بسببِ طبيعتهما الجُرميَّةِ. إذن، من خلال الاحتكامِ إلى حالةِ بقايا الجثَّتَيْنِ، فنحنُ، أضافَ المُحَقِّقُ، نتحدّث عن ارتكابِ الجريمة في صيفِ عام 1963، أو في تاريخٍ قريبٍ من ذلك على أيِّ حال. دَمَدَمَ كارل مع نفسه:

- حسنًا، على الأقلَّ أصَبَتْ في تحديدِ العامِ.

كانت تلك المَرَّةُ الثالثةُ التي يخرجان فيها معًا، عندما وقَّعا على هذين الرجلين. كان الرجلُ الأوَّلُ زوجًا فارًّا من زوجته ويحدوه الأملُ بأنَّ يَبْدَأَ حياةً جديدةً في ألاسكا. في حين كان الآخرُ مُتشرِّدًا شاهداه

وهو يُقَمِّم عن شيء يأكله في حاوية القمامة خلف عيادة طبيبٍ بيطري.  
المساميرُ التي ثَبَّتَها جثةُ الرَّجلِ الثاني مَكَّنتِ كارل من التقاط صورةٍ  
رائعة. كانت المساميرُ موضوعةً في علبةِ قهوةٍ داخل بابِ الحظيرة، وكأنَّ  
الشیطان وضعها هناك وهو يعرفُ بأنَّ كارل سيأتي إلى هنا يوماً ما.

نظَّف كارل نفسه ومَسَحَ يديه المُتعرَّقتين بِبِنطَالِه. انتزع صفحات  
المقابلة من المجلة وطواها، وحَسَّرَها في محفظة نقوده. وهو يُصَفِّرُ لِحْنًا  
خفيصًا، بلَّلَ مِسْطَه في المِغسلة وردَّ شَعْرَه الرقيق الذي بدأ الشيب  
يغزوه. عَصَرَ بعض الكريبات النَّسائية على وجهه. وجدَّ الميكانيكي  
يتحدَّث إلى ساندي بصوتٍ خفيصٍ داخل الورشة. كان يضغطُ بإحدى  
ساقيه الهزليتين على ساقينها. قالت ساندي عندما نَظَرَتْ ورأت كارل:

- يا يسوع المسيح! كُنَّا على وشك الانتهاء.

سأل كارل الميكانيكي مُتجاهلاً إياها:

- هل أصلحتها؟

ابْتَعَدَ الميكانيكي عن ساندي، ودَسَّ مُضطربًا يديه المُتَشَحِّتَيْنِ  
بالشحم في جُيوب الأفرول الذي كان يرتديه. ثم ما لبثَ أن أجاب:

- أظنَّ ذلك. ملأتها بالماء، وهي على ما يُرام حتى الآن.

قال كارل وهو يَرْمُقُه بنظرةٍ ملؤها الشك:

- وماذا ملأت أيضًا؟

- لا شيء، لا شيء أبدًا، يا سيدي.

- هل سُقَّتْها لِبَعْضِ الوقت؟

قالت ساندي:

- لقد سُقْنَاهَا لِعَشْرِ دَقَائِقٍ بَيْنَمَا كُنْتُ أَنْتَ فِي ذَلِكَ الْحَمِّ تَفْعَلُ مَا كُنْتَ تَفْعَلُ.

قال كارل:

- تمام إذن، كم أجرْتُك؟

حكَّ الميكانيكي رأسه، وأخرج علبة الدخان من جيبه وقال:

- أوه، لا أعرف. هل مبلغ خمسة دولارات يبدو مُناسبًا؟

قال كارل:

- خمسة دولارات؟ طوّل بالك علينا يا رجل، وماذا عن الطريقة

التي كنت تُضاجع بها زوجتي؟ ستصابُ بتورّمٍ لمدة أسبوع.

سأكونُ من سعداء الحظّ إن لم تكن قد حبَلتَها.

قال الميكانيكي:

- أربعة إذن؟

قال كارل:

- اسمعي هذا الهُراء. تُحِبُّ أن تستفيد، أليس كذلك؟

حَمَلَقَ كارل بساندي التي بادرت به بغمزة.

قال كارل:

- حسنًا، صَبَعْنَا لَنَا بِضْعَ قَنَانٍ مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ الْبَارِدَةِ، وَسَأَعْطِيكَ

دُولَارَيْنِ، هَذَا آخِرُ عَرْضٍ أَقَدِّمُهُ لَكَ. فَزَوْجَتِي لَيْسَتْ مَجْرَدَ

عَاهِرَةٍ رَخِيصَةٍ.

كان المساء قد هبطَ عندما ساقا سيّارتهما من ذلك المكان، وناما

في السيّارة تلك اللَّيْلَةَ عَلَى طَرِيقِ رِيْفِيّ هَادِيّ. اشتركا في أكلِ عُلْبَةٍ

من اللّحم المفروم، واستخدما مطواة كارل ملعقة؛ ومن ثمّ تسلّلت ساندي إلى المقعد الخلفيّ وخلّدت إلى النوم. بعد برهة قصيرة، وفي اللحظة التي بدأ فيها كارل يغفو في المقعد الأمامي، داهمه تشنّج حادّ اخترق أحشاءه. تحسّس مُرتبكًا مقبض الباب. اندفع من السيارة، صعدَ فوق قناة تصريفٍ كانت تجري بجانب الطريق. أنزل بنطاله للأسفل في الوقت المناسب تمامًا، وأفرغ ما يعادل أسبوعًا من التوتر والفضلات على الأعشاب البرية وهو قابضٌ على جذع شجرة بابايا. بعد أن نظّف نفسه ببعض أوراق الأشجار الذابلة، وقفَ خارج السيارة تحت ضوء القمر، وقرأ خبرَ الجريمتين الذي انتزعهُ من المجلّة مرّة أخرى. ثمّ أخرج ولّاعته وأحرق قصاصات المجلّة. قرّر ألاّ يحكي أيّ شيء عن ذلك لساندي. أحيانًا كانت تحبُّ الثرثرة كثيرًا، وهو لا يُحبُّ أن يُساوره القلق بخصوص ما يجب عليه أن يفعله إزاء ثرثرتها وهما على الطرقات.



في اليوم التالي لحديثه مع جوانيتنا، نادلة حانة مطعم تيكومسيه، شدَّ بوديكر الرِّحال بسيَّارته إلى الشَّقة الَّتِي تقيمُ فيها أخته وزوجها في الطرف الشرقيِّ من البلدة. السَّببُ الرَّئيسُ الَّذِي دفعه إلى الذهاب لم يكن الاكتراث ولو قَيَّدَ أنملة بالأسلوب الَّذِي كانت تَتَّبِعُهُ ساندي في حياتها التَّعيسة، ولكنَّها لن تعملَ كعاهرة في بلدة رُس كاوتني طالما أنَّه أمرٌ للشرطة. خِيانتها لكارل كان أمرًا آخر - فلتذهب إلى الجحيم، لا يُمكنه أن يُلومها لِأَنَّهَا نَحَوْنُهُ - ولكنْ مُمَارَسَةُ الدَّعارة لِلحصول على المال كان بالنسبة إليه موضوعًا مختلفًا بِرُمَّتِهِ. بالرَّغم من أنَّ هِن ماثيوز سيحاولُ أن يُعيِّره بِعَارٍ كذلك العار عندما يَحِينُ مَوْعِدُ الانتخابات، إلَّا أنَّ بوديكر كان قَلَقًا من ذلك الأمر لِأسبابٍ أُخرى. فالنَّاس كالكلاب؛ هي مُولعةٌ بنبش التراب، وهم مولعون بالقييل والقال. وحالمًا يَبْدؤون الثرثرة، فلا رغبة لهم بالتوقُّف. إذ سيبدوون الحكاية بأنَّ الأمرَ مجرد أنَّ أختَ أمرِ الشرطة عاهرة، ولكن في نهاية المطاف سيكتشفُ أحدهم حقيقة تعاملاته مع تير براون، وبعد ذلك، سيتحدَّثون عن كلِّ الرُّشى وأشكالِ الفساد الأخرى الَّتِي تراكمت منذ أن وَضَعَ رُتبة أمرِ الشرطة على كتفيه لِأوَّل مرَّة. وهو يتأمل المسألة مرَّة أُخرى، رأى أنَّه كان يجب عليه أن يعقل ذلك القوَّاد، اللَّصَّ، ابن العاهرة عندما تَسْنَحُ له الفرصة.

فعملية اعتقال كبرى مثل تلك من شأنها أن تمسح سجله الأسود وتبيض صفحته. ولكنه سيدع طمعه يسيطر عليه ليحني منه ما يجني، أما الآن فهو عالق في هذه القضية العويصة.

ركن سيارته أمام المنزل المهلهل ذي الطابقين. رأى شاحنة ذات صندوق مسطح منزوع الجانبين مملوء بالماشية تتوجه صوب سوق المواشي الواقع في الجهة الأخرى من الشارع. اختلطت الرائحة اللاسعة للروث بقوة بهواء أغسطس الحار. لم يجد أي أثر للسيارة القديمة التي أوصلته بها ساندي إلى البيت في تلك الليلة الأخيرة قبل أن يقطع عهدًا على نفسه بعدم معاقره الخمرة. خرج من سيارة الكروزر بكل الأحوال. كان متأكدًا نوعًا ما من أن السيارة التي أوصلته بها كانت سيارة ستیشن. مشى ناحية طرف المنزل وصعد الدرج المهلهل الذي يفضي إلى باب بيتهما في الطابق الثاني. في نهاية الدرج توجد مساحة صغيرة كانت تسميها ساندي فناء البيت. في إحدى الزوايا كيس قمامة مقلوب، وذبابات خضراء تدب على قشور بيض وثفالة القهوة المطحونة وأغلفة سندويشات همبرغر مكورة على بعضها. قرب الدرابزين الخشبي يوجد كرسي مطبخ مقعده ملبس بالقماش وتحتة علبة قهوة مملوءة حتى منتصفها بأعقاب السيجار. قال في قرارة نفسه بأن كارل وساندي كانا أسوأ من السود القاطنين في حي وايت هيفن ومطعم قمامة الوادي في بلدة نوكمستيف نظرًا لأسلوب حياتهما. يا لشدة كرهه للقذرين الكسالى! كان السجناء في سجن البلدة يُنظفون، بالدور، سيارته الكروزر صباح كل يوم؛ ناهيك عن أن ثياب كوي بنطاله الخاكي كانت حادة كالكساكين. رفس برجله علبة من معلبات أعذية دثبي مور كانت في طريقه. طرق الباب، ولكن ما من مجيب.

عندما كان يهيم بمغادرة المكان، سَمِعَ هفيفَ موسيقى قادمةٍ من مكانٍ ما قريب. نظرَ فوق الدرابزون، رأى امرأةً مكتنزةً الجسم في مايوه سباحة منقوش بالزهور مستلقية على بطانية صفراء في الفناء المجاور. انتشرت الهياكل والأجزاء الصدئة لدرجات نارية قديمة حولها في العشب الطويل. شعرها البني مثبتٌ بدبوسٍ في قمة رأسها. كانت تُمسك براديو ترانزستور صغير في يدها. دهنت جسدها بزيت الأطفال، فبدت لامعة كقطعة نقدية جديدة في الشمس الساطعة. راقبها وهي تُدير مؤشر المذياع باحثة عن محطة إذاعية أخرى، وسمع الحنين الخافت لأغنية جبلية عن انفطار القلب. ثم وضعت المذياع على حافة البطانية وأغمضت عينيها. بطنها الناعم يضعد ويهبط. قلبت جسدها، ثم رفعت رأسها ونظرت حولها. كان الحبور ديدنها بأن ما من أحدٍ كان يراها. أزعجت الجزء العلوي من مايوه. بعد ترددٍ دام للحظة، سحبت النصف السفلي من مايوه لتكشف عن ثلاثة أو أربعة إنشآتٍ من تلال مؤخرتها البيضاء.

أشعل بوديكر سيجارةً وبدأ بالتزول على الدرج. تخيل صهره جالساً في الخارج هناك والعرق يتصبب منه كالسيل تحت أشعة الشمس، وهو يحاول أن يُشبع عينيه من هذا المنظر. لا يوجد أسهل من القيام بذلك، وذلك بسبب الطريقة التي مددت بها المرأة جسدها هناك، بحيث يسهل على أيٍّ كان مشاهدتها. التقاط الصور بدأ الشيء الوحيد الذي كان كارل يفكر به. وتساءل بوديكر ما إذا كان كارل قد التقط صوراً للجارة دون علمها. رغم أنه ليس متأكداً، فهو يعرف أن هناك قانوناً يمنع مثل هذه الترهات. وإن لم يكن هناك مثل هذا القانون فينبغي سنه دون أدنى شك.



غادرا نُزُلَ سِنْدَاوَنَرٍ مع حلول الظهيرة. استيقظت ساندي في الحادية عشرة، ثم قَضَت ساعةً في الحَمَامِ وهي تُجَهِّزُ نفسها. لم تكن سوى في الخامسة والعشرين من عمرها، بيدَ أن شعرها البنيَّ غَزَتُهُ سَلَفًا خِصَلٌ من الشَّيْبِ. كان القلقُ يُساور كارل بخصوص أسنانها؛ أسنانها التي كانت دائماً أَجْمَلُ ما فيها من ملامح. كانت أسناناً مُلَطَّخة بلون أصفر بَشِعٍ بسبب السجائر. كان قد لاحظ، أيضاً، بأنَّ نفسها قد أصبح رديئاً على الدوام، بِصَرْفِ النَّظَرِ عن أقراصِ النَّعناعِ الكثيرة التي استهلكتها. شيءٌ ما بدأ بالتعفن داخلَ فمها، كان مُتأكدًا من ذلك. حالماً يَصِلُ إلى البيت لا بدَّ من اضْطِحاحها لمراجعة طبيب أسنان. كان كارل يكره التفكير بنفقات العلاج، ولكنَّ ابتسامه لطيفة ستكونُ عنصراً مهماً في صُورِهِ التي يلتقطها. ابتسامه تُخلق تناقضاً لازباً مع كلِّ الألم والمعاناة اللذين تنضحُ بهما الصَّورة. رغم محاولاتهِ المتكرِّرة، لا يزالُ كارل في بحثٍ دؤوبٍ عن ذلك الفتى الَّذي سَيَتَسِمُ حتى ولو ابتسامه مخاتلة حالماً يَسْحَبُ مُسَدَّسه وَيُرديه قتيلاً.

قال لساندي كلما بَدَرَ عنه فِعْلٌ يُغضبها يقومُ به لأحدِ هؤلاء  
الفتيان:

- يا بنت، أعلم أن ذلك صعبٌ أحياناً، ولكنني أريدك أن تبدي

سعيدة إذا ما أردنا التقاط صُورٍ رائعة. فكري فقط بلوحة  
الموناليزا. تحيّي أنك هي، معلقة على الجدار في ذلك المتحف.  
لم يكونا قد قطعاً بالسيارة سوى بضعة أميالٍ عندما قرمّلت  
ساندي فجأةً وتوجّهت نحو مطعم صغير اسمه تَيْب. كان شكله يشبه  
نوعاً ما خيامَ الهنود الحُمْر وقد دُهنَ بظلالٍ مختلفة من اللّونين الأحمر  
والأخضر. كان مرّاب السيارات شبه مُمتلئ.

قال كارل:

- ماذا تفعلينَ بحقّ الجحيم؟

أطفأت ساندي المُحرّك، خرّجت من السيارة، وذهبتُ بانّجاه  
المقعد الذي يجلس فيه كارل وقالت:

- لن أسوق ميلاً آخر حتى أكلَ بعض الطّعام الذي يأكله البشر  
العاديون. لم أكلُ شيئاً سوى الحلوى لمُدّة ثلاثة أيّام. اللّعنة،  
أسناني تكادُ تسقط من لثّتي.

قال كارل، فيما كانت ساندي تستديرُ وتبدأ السير صوبَ باب  
المطعم:

- يا يسوع المسيح! لم يمضِ وقتٌ طويل على بداية مشوارنا على  
الطرقات.

ثمّ ما لبثتُ أن صاح:

- تحمّلي جوعك. أنا قادم.

بعدَ إقفال السيارة، تبعها إلى الدّاخل، ووجدنا رُكنًا قُربَ إحدى  
نوافذ المطعم. أخضرت النّادلة فنجانين من القهوة ولائحة المأكولات،

كانت لائحة مهترئة ومرشوشة بالكثشب. طلبت ساندي خبزاً فرنسيّاً مُحَمَّصاً، في حين طلب كارل شريحة لحم خنزير طازج. وضعت ساندي نظارتها الشمسية على عينيها، وراقبت رجلاً يرتدي مئزر طبخ مُلَطَّخاً بالبقع، وهو يحاول تركيب بكرّة ورقية جديدة في جهاز حساب الفواتير. ذكّرهما المكان بمطعم وودن سبون. نظر كارل في أنحاء الصالة المزدحمة. كان معظم رواد المطعم من المزارعين والمسنيين، وبضعة بائعين مُنْهَكين مُنْكَبِّين على مناقشة لائحة تحوي جملة من التوقعات. ثمّ لمح شاباً، في مطلع العشرينيات ربّما، جالساً إلى الكاونتر وهو يأكل قطعة من فطيرة مرنغ الليمون. شابّ متين البنية، غليظ الهيئة، متموج الشعر. على الكرسيّ الذي لا مُسند له ولا ذراعين بالقرب منه حقيبة ظهرٍ خيَطَ عليها علمٌ أمريكيّ صغير.

قال كارل لساندي بعد أن أحضرت النادلة الطعام:

- إذن، هل تشعرين بأيّ تحسّن اليوم؟

بينما كان يتحدث، ركّز عينه المُحتقنة بالدم على الشابّ الجالس إلى الكاونتر، ثمّ ركّز عينه الأخرى على سيارتهما في الخارج.

بلعت ساندي الطعام وهزّت رأسها. سَكَبَتْ مزيداً من الشراب المركز على الخُبْز الفرنسيّ المحمّص وقالت:

- هناك موضوعٌ يَجِبُ أن نتحدّث فيه.

- ما الأمر؟

سأل كارل وهو يسحب السطح المُحترق لشريحة لحم الخنزير ويضعها في فمه. أخذَ سيجارةً من عُلبتها وبدأ بتدويرها بين أصابعه. ثمّ دَفَعَ بعنفٍ ما بقي في طبقه صوبها.

رَشَفَتْ رَشْفَةً مِنْ قَهْوَتِهَا، حَمَلَتْ صَوْبَ طَاوِلَةِ الْأَشْخَاصِ  
الْجَالِسِينَ قِبَالَتِهَا وَقَالَتْ:

- يُمْكِنُ تَأْجِيلُ الْمَوْضُوعِ.

وَقَفَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ إِلَى الْكَائِنْتِ وَدَسَّ فِي يَدِ النَّادِلَةِ بَعْضَ النُّقُودِ.  
ثُمَّ رَمَى الْحَقِيْبَةَ فَوْقَ كَتِفِهِ مَعَ تَنْهِيْدَةٍ تَشِي بِالْتَعَبِ وَمَضَى عِبْرَ الْبَابِ  
وَنَكَاشَةَ أَسْنَانَ بَارِزَةٍ مِنْ فَمِهِ. نَظَرَ إِلَيْهِ كَارِلٌ وَهُوَ يَمْضِي صَوْبَ نَاصِيَةِ  
الطَّرِيقِ مَحَاوِلًا الْإِشَارَةَ لِسَيَّارَةٍ مِنَ السِّيَّارَاتِ الْعَابِرَةِ عَسَاهَا أَنْ تَتَوَقَّفَ  
لَهُ وَيَمْضِي فِيهَا. مَضَتْ السِّيَّارَةُ دُونَ أَنْ تَقْفَ، وَبَدَأَ الرَّجُلُ بِالْمَشْيِ غَرْبًا  
بِخَطِيئَةِ مُتْكَاسِلَةٍ. الْتَقَتْ كَارِلٌ إِلَى سَانْدِي، وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ بِاتِّجَاهِ النَّافِذَةِ.  
قَالَتْ سَانْدِي:

- نَعَمْ، رَأَيْتَهُ. صَيْدٌ ثَمِينٌ. مُتَشَرُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ هُنَا كَالصَّرَاصِيرِ.  
رَاقَبَ كَارِلٌ حَرَكَةَ السِّيَّارَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ بَيْنَمَا فَرَّغَتْ سَانْدِي  
مِنْ طَعَامِهَا. فَكَّرَ بِقَرَارِهِ فِي الْعُودَةِ إِلَى الْمَنْزَلِ الْيَوْمِ. كَانَتْ نُذُرُ الشُّؤْمِ  
وَاضِحَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ، وَلَكِنَّهُ غَيْرٌ مَتَيْقِنٌ عَلَى نَحْوِ أَكِيدِ  
الْآنِ. فَمُودِيلُ تَصْوِيرٍ آخَرَ سَيَجْلِبُ النِّحْسَ لِلْسَّنَّاتِ الثَّلَاثِ، وَلَكِنَّهُمَا  
قَدْ يَجُوبَا الطَّرِيقَاتِ لِأَسْبُوعٍ وَلَنْ يَعْثُرَا عَلَى فَتَى كَهَذَا الْفَتَى. كَانَ كَارِلٌ  
عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ تَمْنَعُهُ مِنَ الْاسْتِهْتَارِ بِنُذُرِ الشُّؤْمِ الَّتِي تَظْهَرُ لَهُ.  
وَلَكِنَّهُ بَعْدُ تَذَكَّرَ أَنَّ الرَّقْمَ سَبْعَةَ كَانَ رَقْمَ غُرْفَتَيْهِمَا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ. وَلَمْ  
تَمْرَ وَلَوْ سَيَّارَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْذُ أَنْ خَرَجَ الْفَتَى مِنَ الْمَطْعَمِ. هَا هُوَ وَاقِفٌ هُنَاكَ  
عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، بَاحِثًا عَنِ سَيَّارَةٍ تُقْلَهُ فِي الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ.

قَالَتْ سَانْدِي وَهِيَ تَمْسَحُ فَمَهَا بِمَنْدِيلٍ وَرَقِي:

- طَيِّبٌ، اسْتَطِيعَ السِّيَاقَةَ الْآنَ.



نَهَضَتْ وَمَدَّت يَدَهَا صَوَّبَ حَقِيْبَةَ يَدِهَا وَأَضَافَتْ:  
- مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ لَا تُتْرَكَ هَذَا الْعَاهِرُ يَنْتَظِرُ كَثِيْرًا.



الجزء الثالث  
يتامى وأشباح



أُرْسِلَ أَرَفْنُ لِيَعِيشَ مَعَ جَدَّتِهِ بَعْدَ انْتِحَارِ أَبِيهِ. وَرَغْمَ أَنَّ جَدَّتَهُ إِيْمَا لَمْ تَأَلَّ جُهْدًا فِي جَعْلِهِ يَذْهَبُ إِلَى الْكَنِيسَةِ صَحْبَتَهَا وَصُحْبَةَ لِينُورَا كُلِّ يَوْمٍ أَحَدًا، فَإِذَا لَمْ تَطْلُبْ مِنْهُ أَبَدًا أَنْ يَصَلِّيَ أَوْ يَرْتَمَّ أَوْ يَرْكِعَ أَمَامَ صَلِيبِ الْمَذْبُوحِ. كَانَ مَوْظُفُو الرِّعَايَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي أَوْهَائِيو قَدْ أَبْلَغُوا جَدَّتَهُ بِالصَّيْفِ الرَّهِيْبِ الَّذِي قَاسَاهُ أَتْنَاءَ احْتِضَارِ أُمِّهِ. وَلِذَا فَقَدْ قَرَّرَتْ الْجِدَّةُ أَلَّا تُثْقَلَ عَلَيْهِ وَتَدْفَعُهُ لِفِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ مَجْرَدِ الْحُضُورِ الْمُنْتَظَمِ إِلَى الْكَنِيسَةِ. وَلِأَنَّهَا تَعْرِفُ بِأَنَّ الْأَبَّ أَلْبَرْتِ سَايْكَسَ يَمِيلُ بِطَبْعِهِ إِلَى الْحِمَاسِ الزَّائِدِ بَعْضَ الشَّيْءِ أَحْيَانًا فِي مَحَاوَلَاتِهِ إِعَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ الْجُدُّدِ الْمُرْتَدِّينَ إِلَى حَظِيرَةِ الدِّينِ، فَقَدْ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ إِيْمَا بُعِيدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ وَصُولِ أَرَفْنِ وَأَوْضَحَتْ لَهُ بِأَنَّ حَفِيدَهَا سَيَصِلُ إِلَى الْإِيْمَانِ بِطَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ عِنْدَمَا يَكُونُ مُسْتَعَدًّا لِذَلِكَ. فَتَجْمِيعُ جِثِّ الْحَيَوَانَاتِ الْمَيْتَةِ مِنْ قَارِعَةِ الطَّرَقَاتِ وَتَعْلِيقُهَا عَلَى الصَّلْبَانِ وَسُكْبِ الدَّمَاءِ عَلَى جَذُوعِ الْأَشْجَارِ لَا شَكَّ تَرَكَ أَثْرَهُ الْخَفِيِّ عَلَى الْأَبِّ الْعَجُوزِ أَلْبَرْتِ سَايْكَسَ. فَفِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ، أَلَمْ يَكُنْ كَافَّةَ الْمَسِيحِيِّينَ الْمَشْهُورِينَ مَتَعَصِّينَ فِي مُعْتَقَدَاتِهِمْ؟ وَلَكِنَّهُ يَسِّرُ الْأَمْرَ وَوَافِقُ إِيْمَا فِي أَنَّ ذَلِكَ الْأَسْلُوبَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ لَيْسَ الطَّرِيقَةُ الْمَثَلِيَّةُ لِتَعْرِيفِ شَابِّ إِلَى الرَّبِّ. قَالَ الْأَبُّ سَايْكَسَ:

- أفهم ما تقصدين. فلا معنى لتحويله ليصبح واحداً من هؤلاء المجانين الهائمين على وجوههم في بلدة توبرفل.

كان جالساً على درجات الكنيسة وهو يُقشّر بمطواةٍ تَفَاحَةً صفراءَ ضَرَبَتْهَا العفونة. كان صباحاً سِبْتَمْبَرِيّاً مُشْمِسًا. ارتدى سترةً بذلته الأنيقة فوق أفروله ذي المتزر الباهت الألوان وقميصاً أبيض بدأ بالانسلال في الجزء المحيط بالياقة. بدأ صدرُهُ يُؤَلِّهُ مُؤَخَّرًا، وكان من المُفْتَرَض أن يَضْطَجِبُهُ كليفورداً أودل بسيَّارته إلى الطبيب الجديد في بلدة ليوسبرغ، ولكن كليفورداً لم يَصِلْ بعد. سَمِعَ سايكس أحدهم مصادفةً في بقالة بانر يقول بأن كَسَّار العظام، أي الطبيب، دَرَسَ في الجامعة لِسِتِّ سنوات، وكان يتطلَّع للقاءه. فقد ظنَّ أنَّ رجلاً ذا علمٍ واسعٍ مثله يمكن له أن يَبْرَأَ من كلِّ داء.

سألت إيبا:

- ماذا يُفْتَرَض أن يَعْنِي ذلك يا ألبرت؟

حَمَلَقَ الأبُّ بعينيه من فوق التَفَاحَة ورأى النَّظْرَةَ الحَادَّةَ الَّتِي كَانَتِ الجِدَّةُ إيبا توجَّهها صَوْبَهُ. استغرَقَ الأمرُ منه لحظةً ليدرك ما قاله، واحمرَّ وجهه الَّذِي تَكْسُوهُ التجاعيدُ خجلاً من الارتباك. ثُمَّ جَلَّجَ قائلاً:

- أنا آسف يا إيبا. لم أكنُ أتحدَّثُ عن ولارد، على الإطلاق. ولارد كان رجلاً طيباً. رجلاً من أفاضل الرجال. يا إلهي! مازلتُ أذكرُ اليوم الَّذِي أجرينا فيه مراسمَ خلاصِهِ الرُّوحِي.

- لا بأس عليك. فلا معنى لكَيْلِ المديحِ للموتى يا ألبرت. أعْرِفُ خِصَالَ ابْنِي. كلُّ ما أريدُهُ منك فقط ألا تُزْعِجَ ابنه بِطَلْبَاتِكَ المُلْحَةِ، هذا كلُّ ما أطلبُهُ منك.

أما لينورا، على صعيد آخر، فقد بدت شغوفةً بدينها شغفاً لا يُداني . فكانت تُحْمِلُ معها إنجيلاً حينما ذهبت، حتى لو ذهبت في مشوارٍ صغير إلى المرحاض الخارجي . سارت على خطى أمها هيلن وفعلتْ مثلما كانت تفعل؛ ففي كل صباح، كانت تنهض قبل جميع من في المنزل وتُصَلِّي لساعةٍ وهي راكعة على ركبتها فوق الأرضية الخشبية المتشققة بجانب سريرها وسرير الجدة إيبا . رغم أنها لا تتذكر أي شيء عن والديها، فقد كرّست الفتاة معظم صلواتها، التي جهرت بصوتها فيها حتى تسمعها إيبا، لراحة روح أمها المقتولة، في حين كرّست معظم صلواتها الصامتة لتدعو فيها عسى أن تتناهى إليهم بعض الأخبار عن أبيها المفقود . قالت لها الجدة العجوز مراراً وتكراراً بأنه من الأفضل لها أن تنسى أمر أبيها، روي ليفرتي . بيد أن الفضول لم يُبارحها وهي تفكر فيه . كانت تخلد للنوم كل ليلة تقريباً على خيالٍ يلّم بها منه، وهو يخطو على الشرفة الأمامية للمنزل مُرتدياً بذلة سوداء وناشراً الخبز لكل من حوله . منحها ذلك نزراً من الراحة، وسَمَحَتْ لِنَفْسِهَا أَنْ تَأْمَلَ بِأَنَّهُ سَيَعُودُ يَوْمًا، بعون الرب، إن كان لا يزال حياً . كانت تزور المقبرة عدة مرات في الأسبوع، بصرف النظر عن حالة الطقس، وتقرأ الإنجيل بصوتٍ مُرتفع، وخصوصاً سفر الزامير، وهي جالسة على الأرض بجانب قبر أمها . قالت لها الجدة إيبا ذات مرة بأن سفر الأنشيد كان الجزء المفضل لهيلن من الكتاب المقدس . وما إن أنهت لينورا الصف السادس حتى حَفِظَتْهُ بِكَامِلِهِ غِيًّا .

تخلّى أمر الشرطة منذ حين من الدهر عن البحث عن روي ونيودور . بدا الأمر وكأنّها تحوّلًا إلى شبحين . لم يستطع أحدٌ أن يعثر على صورة أو أثرٍ مَهْمَا كان لأيٍّ واحدٍ منهما . وكلّما أثار أحدٌ ممن انتخبه

في منصبِ أمرِ الشرطة مسألة اختفائهما، كان المُسَوِّغُ الَّذِي يُقَدِّمه يتمثل في العبارة التالية:

- يا إلهي، حتَّى المعتوهون في بلدة هونغري هولر لَدَيْهِم شهاداتُ ميلاد.

لم يذكر أمام الجَدَّةِ إيما الشائعة الَّتِي سَمِعَهَا مباشرةً بعد اختفائهما، وهي أن ثيودور الكسيح كان على علاقةٍ حُبِّ مع روي، وبأنه ربَّما كانت هناك علاقةٌ شاذَّةٌ بينهما قَبْلَ أن يتزوَّج روي من هيلن. أثناء التَّحقيقات الأولية، شهدَ العديدُ من الأشخاص بأنَّ ثيودور اشتكى بمرارةٍ مِنْ أن هيلن خَفَفَتْ من رسالةِ روي الروحية. سَمِعَ النَّاسُ ثيودور الكسيح وهو يقولُ بَعْدَ أن شَرِبَ بِضِعَّةِ كُؤُوسٍ من الخمر:

- وَمَنْ غير تلك الفطيرة المُقْرِفة المكسوة بالشَّعر؛ فَرُجُ المرأة سَلْبُهُ عَقْلَهُ. لطالما أوقع الفَرُجُ بالعديد من الرِّجال الطيبين وحوْلهم إلى أثرٍ بَعْدَ عين؛ لعنكَ اللهُ أيُّها الواعظ روي. جَلَّ ما يُفَكِّرُ فيه الآن هو أن يُبِلَّ عضوه.

ما قَضَّ مَضْجَعِ أمرِ الشرطة إلى أبعد الحدود هو أنه ربَّما اِزْتَكَبَ هذان الأحمقان السِّدوميَّان جريمةً في البلدة الَّتِي هو مسؤولٌ عن أمنها وفَرَّا دون عقاب. لذا ما انفكَّ يُكْرِّرُ الأسطوانة المشروخة ذاتها؛ وهي أنه في ظلِّ كافة الاحتمالات فإنَّ المَجْنُون الَّذِي نَحَرَ عاتلة ميلزبرغ هو أيضًا من قَتَلَ هيلن وقطع روي وثيودور إربًا أو ألقَى بِجُثَّتَيْهِمَا في نهر غرينبيرير. أعادَ سَرَدَ هذه القِصَّةِ عشرات المرات حتَّى باتَ هو نفسه شبهَ مُصَدِّقٍ لها أحيانًا.

رغم أن أرفن لم يُسَبِّبْ لجدَّته إيما أيِّ مشاكل جسيمة البتَّة، فإنَّها



استطاعت بسهولة أن ترى فيه صورةً طَبَّقَ الأصل من أبيه، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بالشجار. فعندما بلغ أرفن الرابعة عشرة من عمره، كان قد طُرِدَ من المدرسة عدّة مرّات بسبب لجوئه لاستخدام قَبْضات يديه. «عليك أن تتحيّن الوقت الذي يُناسبك أنت» تذكّر والده وهو يبوّخ له بذلك. تعلّم أرفن ذلك الدرس أحسنَ ما يكون التعلّم. وأمسك بِخَصْمِهِ كائنًا من كان في تلك اللَّحظة على انفرادٍ وفي غفلةٍ منه في دورة المياه أو على الدَّرَج أو تحت المدرّجات المكشوفة في الصالة الرياضية. وعلى أيّ حال، كان معروفًا على نطاق واسع في أنحاء بلدة كول كريك بأساليبه المتأثية. ومما يستحقّ الثناء عليه أن معظم المشاجرات التي دخل مُعترَكها كانت بسبب لينورا. إذ لشدّما اضطرّ للدفاع عنها من المتنمرين الذين سَخَرُوا من أسلوبها الورع ووجهها الشاحب الهزيل وتلك القلنسوة اللعينة التي تُصرّ على ارتدائها. رغم أنها كانت تَصغُرُ أرفن ببضعة أشهر، إلا أنها بدتْ هَرِمَةً جامدة الملامح، كحبة بطاطا شتوية باهتة تُرِكَتْ مدةً طويلة في شقوق الأرض. أحبّها كحبّ الأخِ أخته، ولكن ذلك يُمكن أن يُسبّب له الإرباك؛ إرباكًا ناجمًا عن سيره معها إلى المدرسة في الصّباح وهي تتبّعهُ بوداعةٍ كظلّه. قال أرفن للخالِ إيرسكل:

- مستحيل أن تُصبح رئيسةً لفريق المشجّعات في المدرسة، أنا مُتأكد من ذلك.

كما كان يتمنى لو لم تُعطيها جدّته صورةً بالأبيض والأسود تظهرُ فيها أمّها هيلن واقفةً تحت شجرة تفاحٍ خلف الكنيسة وهي ترتدي فستانًا طويلًا يعوزه أيّ شكلٍ واضحٍ وقبعةً مُكشكشةً تُغطي رأسها. من وجهة نظرٍ أرفن، لم تكن لينورا بالتأكيد بحاجةٍ إلى أيّ أفكارٍ جديدة

حول كيفية قيامها بجعل نفسها تبدو أكثر شبهًا بظل أمها التقيّة.

كلّما سألته جدّته إيمانًا عن المشاجرات التي يخوضها، كان أرفن دائمًا يتذكّر أباه في ذلك اليوم الخريفيّ الرطب منذ زمن بعيد عندما دافع عن شرف أمه شارلوت في مرآب سيارات حانة بل بن. رغم أنّه كان أفضل يوم تذكّر أنّه قضاه صُحبة أبيه، فإنّه لم يُخبر أحدًا قطّ عنه، كما أنّه لم يأت على ذكر أيّ من الأيام السيئة التي تلت تلك الحادثة مباشرة. بدلاً من ذلك، كان يقول لجدّته بكلّ بساطة، وصدى صوت أبيه يتردّد خافتًا في رأسه:

- يا جدّتي، يوجد العديد من أبناء العاهرات السيئين هناك.

- يا ربّي، لماذا تقول ذلك دائمًا يا أرفن؟

- لأنّها الحقيقة.

- حسنًا، ربّما ينبغي لك أن تُصلي وتدعو لهم حتّى يصلح الله حالهم. فصلاّئك لن تُلحق الضررَ بأحد. أليس كذلك؟

كان الندم يُعاودها في لحظات كهذه لأنّها طلبت من الأب سايكس أن يدع الصبي وشأنه ليجد الطريق إلى الله بالأسلوب الذي يشاء. أسرّها حدسها بأنّ أرفن كان دائمًا على شفا سلوك الطريق الآخر المخالف لطريق الله.

برّم عينيه؛ كانت تلك النصيحة نصيحتها التي ما فتئت تقترحها مهما كان الموضوع المطروح.

قال أرفن:

- وربّما لا ينبغي لي أن أصلي، فلينورا تُصلي صلاةً تكفيها وتكفيني، ولا أرى أيّة فائدة حصلت عليها من صلاتها.

تشارك العيش في خيمة انتصبت عند نهاية موقع فرقة الكرنفال مع سيّدة الفلامغو، وهي امرأة رفيعة كقضبان سكة الحديد، لها أطول أنفٍ رآه رُوي في حياته على وجه آدمي. سأله ثودور بعد أول مرّة التقيّاها فيها، وقد تحوّل صوته الذي اعتاد الإطلاقات الرعناء إلى صوتٍ وجِلٍ ومُرتجِفٍ:

- ليست طيرًا حقيقيًا، أصحيح ذلك؟

منظرها الغريب أفزعه. كانا قد عملا مع أشخاص غربيي الأطوار من قبل، ولكن لم يُشبه أي واحد منهم هذه المرأة.

طمأنه روي قائلاً: لا، ليست بطير، ولكنها ترتدي ملابس الطير لأنها تُقدّم عرضاً مع فرقة الكرنفال.

- لا أظن ذلك.

قال ثودور، وقد علته مسحة من الارتياح لمعرفة أنها ليست طيرًا حقيقيًا. نظر إلى رُوي وانتبه إلى أنه كان يتأمل مؤخرتها أثناء سيرها نحو مقطورتها وأضاف:

- من الصعب معرفة أي نوع من الأمراض تُصاب به مثل هذه الكائنات.

استعادَ عُرُورَه بِسرعةٍ بعد أن اطمأنَّ إلى أنَّها أَصْبَحَتْ بعيدةً بحيثُ لا يُمكنها أن تسمَعَ ما يقول، فأضاف:

- هذا الصنفُ من النساءِ لن يتمنَّعَ عن مُضاجعةِ كلبٍ أو حمارٍ أو أيِّ شيءٍ آخرٍ مُقابلِ دولارٍ أو اثنين.

كانَ شَعْرُ سَيِّدةِ الفلامنجو الكَثُ الأشعثِ مَصْبُوغًا باللَّونِ الوردِيّ. ارتدَّتْ لِبَاسَ بِكِينِي مَنقُوشٍ بِأرياشٍ حَمَامٍ بِالِيَّةِ مُلصَقةٍ بالقماشِ الَّذِي كانَ لَوْنُهُ من لَوْنِ لَحْمِ الجسدِ. كانَ دَوْرُها في العِرضِ يَتَجَلَّى في مُعظمه بالوقوفِ على ساقٍ واحدةٍ في حوضِ سباحةٍ مطَّاطي صَغيرٍ مملوءٍ بِماءٍ قَدِيرٍ، بَيْنَها كانت تَتفاخِرُ بِنَفْسِها بِأَنفِها المِنقاري. حَلَفَها على الطاولَةِ مُسجَلَةٌ يَصُدِّرُ عنها موسيقى كِمانٍ بطيئةٍ وحزينةٍ جَعَلتَها أحيانًا تَبكي إذا ما صَدَفَ وتناولتِ الكَثِيرَ مِنَ الحُبوبِ المُهدِّئةِ للأعصابِ في ذلكَ اليومِ. لم تَذهَبْ مَحَاوِفُهُ أَذْراجَ الرِّياحِ، إذْ غَالَبَ ثيودورُ الظنَّ بَعْدَ بضعةِ أَشهرٍ بأنَّ رُوي كانَ يُضاجِعُها. وحاولَ قَدَرَ استطاعَتِهِ التَّثَبُّتَ مِنَ الأَمْرِ، ولكِنَّه لم يَستطِعْ أَبَدًا أن يَضْبِطَها وهما يَأْتِيانِ الفِعلَ الفَاحشَ. كانَ ثيودورُ يَنهالُ بِالتَّقرِيعِ اللاذِعِ على رُوي قائلاً:

- تلكَ العاهرة القبيحة ستبيضُ بيضةً يومًا ما، وأؤكد لك تأكيدًا لا تشوبهُ شائبةٌ بأنَّ الصُّوصَ اللَّعينَ الَّذِي سَيَخْرُجُ مِنَ البَيضةِ سَيكونُ شبيهاً بِكَ تمامًا.

كانَ يُضنيه التَّفكيرِ بِذلكَ أحيانًا، وكان لا يكثرُ في أحيانٍ أُخرى. المسألةُ تَعتمِدُ على الانسجامِ الحاصلِ بَيْنَهُ وبَيْنَ فِلابجاكِ المُهرِّجِ في تلكَ اللَّحظةِ. كانَ فِلابجاكِ قد جاءَ إلى ثيودورِ يَطْلُبُ مِنْهُ تَعلِيمَهُ عَزْفَ بَعْضِ الأنغامِ على أوتارِ الغيتارِ، ولكِنَّه عَلِمَ ثيودورَ بعد

ذلك الاستمناء بدلاً من العزف. ارتكَبَ رُوي مَرَّةً خَطَأً عندما أشار إلى ابنِ خالته ثيودور بأن ما يُمارسه والمهْرَج يَعُدُّهُ اللهُ فاحشَةً بَغِيضَةً. كان ثيودور قد وَضَعَ غيتارَهُ على الأَرْضِيَّةِ المُنْغَطَّةِ بِنِشَارَةِ الخشبِ وَبَصَقَ بعضًا من العصير البُنِّيِّ في كوبِ ورقِي. أذْمَنَ مؤخَّرًا مَضْغَ التَّبَعِ. سَبَبَ له ذلك أَلْمًا خَفِيْفًا في مَعِدَتِهِ. ولكنَّ فلابجَاك أَحَبُّ رَائِحَةَ نَفْسِهِ العَابِقَةَ بِرَائِحَةِ التَّبَعِ.

قال ثيودور لِرُوي:

- اللَّعْنَةُ يَا رُوي، إن لم تكن شخصًا بارعًا في الحديث فأنت لست سوى وغْدٍ مَجْنُونٍ.

- ماذا تقصدُ بحقِّ الجحيم؟ أنا لستُ شاذًا جنسيًّا.

- ربِّمًا لا، ولكنك بالتأكيد قتلْتَ زَوْجَتَكَ بِمِفْكَ البَرَاغِي، أليس كذلك؟ لم تَنَسْ ذلك، أنسييت؟

- لا، لم أنس.

- حسنًا إذن، أتظنُّ بأنَّ الربَّ يَنْظُرُ إِلَيَّ كَمَا لو كنتُ أسوأ منك؟

تردَّدَ رُوي لوهلةٍ قَبْلَ أن يُجِيبَ. فوَفَّقَ ما قرأه في مقالةٍ وَجَدَهَا تَحْتِ وَسَادَةِ فِي مَلْجَأِ لِحْيَتِ الخِلاصِ (1) ذاتِ مَرَّةٍ، فإنَّ مُضَاجَعَةَ رَجُلٍ لِرَجُلٍ آخَرَ لربِّمًا تُعَادِلُ قَتْلَ المَرْءِ لِزَوْجَتِهِ. ولكنَّ رُوي لم يَكُنْ مُتَأَكِّدًا إنَّ كان ذلك أسوأ من القتل أم لا. أذخَلتُهُ الطَّرِيقَةَ المُتَّبَعَةَ فِي حِسَابِ وَزْنِ آثَامٍ مُعَيَّنَةٍ أحيانًا في حِصصِ بِيص.

(1) منظمة مسيحية بروتستانتية نشأت في لندن وتهتم بتقديم الدعم للفقراء والمحتاجين.  
(المترجم)

قال في نهاية المطاف:

- لا، لا أظن ذلك.

قال ثيودور وهو يحاول جاهداً إخراج حشوة التبغ الرطبة من فمه  
ورميتها صوب المسبح المتنقل لسيدة الفلامنجو:

- لذا أقترح عليك أن تستمِرَّ في علاقتك بذلك الغراب أو  
البجعة الوردية الشعر أو ما شابه ذلك من الطيور وأن تتركني  
وفلابجك العاهر بحالنا.

تابع قائلاً وهما يسمعان صوت ارتطام الحشوة بالماء:

- نحن لا نؤذي أحداً.

كان مكتوباً على اللافتة خارج الخيمة عبارة النبي والمريد.  
تلاً رُوي نسخته المروعة من أغنية «نهاية العالم» بينما عزف ثيودور  
الموسيقى الخلفية المصاحبة لها. كانت كلفة الدُخول إلى الخيمة رُبع  
دولار. وشقَّ عليهما إقناع القوم بأنَّ الدين قد يحمِلُ في طياته التسلية  
سيماً وأنه يتشتر على بُعد بضع ياردات فقط عددٌ من المُستتات الأكثر  
إمتاعاً والأقلَّ جديةً، لذا تفتت قريحة رُوي عن فكرة أكل الحشرات  
أثناء إلقاء عِظته الدينيّة؛ وهو أسلوبٌ مختلفٌ بدرجة يسيرة عن أسلوبه  
القديم في التلاعب بالعناكب. كان يتوقف عن الوعظ كل بضع دقائق  
ويسحب دودة تتلوى أو صرصوراً مقرمشاً أو بزاقة لزجة من سطل  
صيدٍ قديم، ويبدأ بمضغها كقطعة حلوى. بدأت تجارتُه تُؤتي أكلها  
بعد ذلك. اعتمد عددُ العروض على عدد الجمهور، فقد قدما أربعة  
عروض، وأحياناً خمسة كل مساء، ثم كانا يتبادلان مع عروض سيدة  
الفلامنجو كل خمسة وأربعين دقيقة. وفي نهاية كل عرض، كان رُوي

يَثْبُ بِسُرْعَةٍ وَرَاءَ الْحَيْمَةِ وَيَتَجَشَّأُ الْحَشْرَاتِ وَثِيودور يَتَّبِعُهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ الْمُتَحَرِّكِ. كَانَا يَتَنَظَّرَانِ هُنَاكَ حَتَّى يَحِينَ دَوْرُهُمَا وَهُمَا يُدْخِنَانِ وَيَحْتَسِيَانِ الشَّرَابَ مِنْ قَنِينَةٍ، شِبْهَ مُصْغِينِ لِلسَّكَارَى فِي الدَّخْلِ وَهُمْ يَهْتَفُونَ وَيَصِيحُونَ وَيُجَاوِلُونَ مُلَاطَفَةَ شَخْصِيَّةِ الطَّيْرِ غَيْرِ الْحَقِيقِيَّةِ مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِهَا مِنْ أَرْيَاشِهَا.

بِحُلُولِ عَامِ 1963، كَانَا قَدْ أَمَّا عَامَهُمَا الرَّابِعَ وَهُمَا يَعْمَلَانِ مَعَ فِرْقَةِ كَرْنِفَالِ بِيْلِي بَرَادْفُورِ لِلتَّسْلِيَةِ الْعَائِلِيَّةِ. كَانَا يَزْتَحِلُونَ مِنْ أَقَاصِي الْجَنُوبِ الْحَارِّ الرَّطْبِ إِلَى أَقْصَاهِ الْآخِرِ مِنْذُ مَطْلَعِ الرَّبِيعِ حَتَّى أَوَاخِرِ الْخَرِيفِ فِي حَافِلَةِ مَدْرَسِيَّةٍ أَكَلَّ عَلَيْهَا الدَّهْرَ وَشَرِبَ مَحْشُورَةَ بِقِمَاشِ الْخِيَامِ الْمُتَعَفَّنِ وَالْكَرَاسِي الْقَابِلَةِ لِلطَّيِّ وَالْعَوَارِضِ الْمَعْدِنِيَّةِ. وَكَانُوا يَنْصَبُونَهَا دَائِمًا فِي الْقَرْيَةِ الْمَلِيَّةِ بِالْغُبَارِ وَرَوْتِ الْخَنَازِيرِ حَيْثُ يَعْتَقِدُ سَكَّانُهَا الْمَحْلِيُّونَ بِأَنَّ بَضْعَةَ أَفْعَوَانِيَّاتِ دَوْرَانِيَّةٍ تُصْدِرُ صَرِيرًا وَبَعْضُ قَطَطِ الْأَدْغَالِ الدَّرْدَاءِ الَّتِي لَسَعَتْهَا الْبَرَاغِيثُ مَعَ عَرُضِ غَرِيبٍ بِأَزْيَاءِ بَالِيَّةٍ كَانُوا بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِمْ تَسْلِيَّةً مِنْ تَسْلِيَّاتِ الطَّبَقَةِ الْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ. فِي الْأَمْسِيَّاتِ الْمُرْبِحَةِ، كَانُ رُوي وَثِيودورُ يَجْنِيَانِ عَشْرِينَ دُولَارًا أَوْ ثَلَاثِينَ. وَحَصَلَتْ سَيِّدَةُ الْفَلَاْمَنْجُو وَفَلَاْبجَاكُ الْمُهْرَجِ عَلَى مُعْظَمِ مَا تَبَقِيَ مِنَ النَّقُودِ الَّتِي لَمْ يَصْرِفْهَا رُوي وَثِيودورُ عَلَى الْمَشْرُوبَاتِ أَوْ الْحَشْرَاتِ أَوْ فِي رُكْنِ بَيْعِ الْهَتِّ دَوْغ. بَدَتْ فَرَجِينِيَا الْغَرِيبِيَّةَ وَكَأَنَّهَا تَبْعُدُ مِلْيُونَ مِيلًا. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْهَارْبَانِ أَنْ يَتَخَيَّلَا بِأَنَّ قَبْضَةَ الشَّرْطَةِ فِي بَلَدَةِ كُولِ كَرِيكٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَمْتَدَّ لِتَطَّالَهُمَا وَهُمَا هُنَا. مَضَى حَوَالِي أَرْبَعَةَ عَشْرَ عَامًا مِنْذُ أَنْ دَفَنَّا هَيْلِينَ وَفَرَّآ إِلَى الْجَنُوبِ. لَا بَلَّ إِنَّمَا لَمْ يَكْتَرِثْنَا حَتَّى بِتَغْيِيرِ اسْمَيْهِمَا بَعْدَ أَنْ أَرْتَحَلَا إِلَى هُنَا.





في عيد ميلاد أرفن الخامس عشر، أهداهُ الخالُ إيرسكل مُسدّسًا مَلْفُوقًا بقطعةِ قماشٍ ناعمةٍ مع عُلْبِيَّةٍ ذخيِّرةٍ يعلوها العُبار. قال له الخالُ العجوز:

- هذا مُسدّسٌ أبيك. مُسدّسُ المائيِّ من طِرازِ لوغر. أتى به أبوك من الحرب، وما أظنه إلا رَاغِبًا في أن تكونَ أنتَ صَاحِبَهُ.

لم يكن الخالُ العجوزُ إيرسكلُ يَسْتَعْمَلُ المُسدّساتِ البتَّة. ولذا فقد خبَّاه تحتَ لَوْحٍ من ألواحِ الأَرْضِيَّةِ في كوخِ تَقْدِيدِ الأسماكِ واللَّحومِ بَعْدَ أن غَادَرَ ولاردُ مُباشرةً إلى أوهايو. المرَّةُ الوحيدةُ التي لَمَسَ فيها المُسدّسُ منذُ ذلك الحين كانت عندما كان يُنظِّفُهُ. وهو يُشاهدُ علائمَ السَّرورِ تَرْتَسِمُ على عَچْيَا أرفن، شَعُرُ الخالِ إيرسكلِ بالسَّعادةِ تَعْمُرُهُ لِأنه لم يَسْتَخْفَ به وبيعه. كانوا قد فَرَّغُوا من العشاءِ للتو، وَبَقِيَتْ قطعةٌ واحدةٌ من لحمِ الأرنَبِ المقليةِ في الطَّبَقِ الموضوعِ وسطِ المائدة. اختَارَ إيرسكلُ في مسأَلَةٍ إيقاءِ قطعةِ لحمٍ وَرَكِّ الأرنَبِ حتَّى يتناولها على الإفطارِ من عَدَمِها، لكنَّه ما لَبِثَ أن أَمْسَكَ بها وبأشْرَ قَضَمَها.

فَتَحَ أرفنُ قطعةَ القماشِ بكلِّ ما أوتي من عنايةٍ وحرص. كان السِّلاحُ الوحيدُ الَّذِي احتفظَ به أبوه في المنزلِ بندقيَّةً من طرازِ 22 ولم يَسْمَحْ له بِلمْسِها، فما بِالكَ بالسَّماحِ له باستخدامِها. أمَّا الخالُ إيرسكلُ،

على صعيد آخر، فقد أعطى الفتى أرفن بندقيّة ريمغتن طراز 16  
واصطَحَبَه معه إلى الغابات ولم يكن قد مَضَى على قدومه للإقامة عندهم  
أكثر من ثلاثة أو أربعة أسابيع. قال له الخال إيرسكل:

- إن كنت تعيش في هذا المنزل فَمِنَ الأفضل لك أن تعرف كيفية  
استخدام البندقيّة إلا إذا كنت ترغّب في الموت جوعاً.  
- ولكنني لا أريد أن أطلق النار على أي شيء.

قال أرفن ذلك اليوم عندما توقف الخال إيرسكل وأشار إلى  
سُنْجَابَيْنِ رَمَادَيْنِ يَقْفِزَانِ جيئةً وذهاباً على بعض الأغصان المرتفعة في  
شجرة جوز أمريكي.

- رأيتك لم تأكل لحم الخنزير صباح اليوم؟  
- صحيح.

هز العجوزُ كَتِفَيْهِ وقال:

- لا شك أن أحدهم سيقتل ذلك الخنزير ويُقطع لحمه، أليس  
كذلك؟  
- أظن ذلك.

ومن ثم رفع إيرسكل بندقيته وأطلق النار. سقط أحد السنجاين  
على الأرض، ومشى العجوز صوبه. قال وهو يُنبّه أرفن:

- حاول فقط ألا تمزق جثة ما تضطاده. يجب أن يبقى جزء من  
جسد صيدك حتى تطهوه في إناء الطبخ.

جعلت طبقة الزيت المُسدس يلمع، فبدأ جديداً في انعكاس الضوء  
المتمايل المنبعث من مصابيح الكاز المعلقة في جانبي الغرفة.

قال أرفن وهو يرفع المُسدّس من قبضته ويُشيرُ به صَوْبَ النافذة:  
 - لم أسمع أبي يتحدّث عن ذلك الأمر أبداً. أقصد أنّه لم يتحدّث  
 أمامي عن السّنوات التي قضّاها في الجيش.  
 كانت هنالك جُملة أشياء حذّرتُه أمّه من أن يُخوض فيها مع أبيه.  
 أولى قائمة الممنوعات ألاّ يسأل أباه عمّا رآه في الحرب.  
 قال إيرسكل:

- نعم، أنا أعرفُ. أذكرُ عندما عادَ من الحرب. أرذتُه أن يحكي لي  
 عن اليابانيين، ولكن كلّما أثرتُ له تلك المسألة، بدأ مرّةً أخرى  
 بالحديث عن تعرّفه بأُمَّك.

فَرَعَ من أكلِ لحم الأرنب وَوَضَعَ العظام في صَحْنِهِ. ثمّ أضاف:  
 - تَبّاً، لا أظنّ أنّه كان يَعْرِفُ حتّى اسمَها في ذلك الوقت. كلّ ما  
 جرى أنّه كان قد رآها تعملُ نادلةً في أحد المطاعم عندما كان  
 راجعاً إلى البيت من الحرب.

قال أرفن:

- اسمه مَطعم وودِن سبون. لقد أخذني مرّةً إلى هناك بَعْدَ أن  
 مَرَضْتُ أُمِّي.

- أظنّ أنّه رأى بعض الأمور الشنيعة في جُزر اليابان.

نظّرُ إيرسكل حوَالِيهِ باحثاً عن خِرْقَةٍ، ثمّ مَسَحَ يَدَيْهِ بِطرفِ أفروله  
 من الأمام وتابعَ قائلاً:

- لم يتبيّن لي أبداً ما إذا كانوا يأكلون جُثثَ مَوْتَاهم أم لا.

عَضَّ أرفن شَفْتَهُ وابتلَعَ ريقه بصعوبةٍ وقال:

- هذا المُسدّس أفضل هديّة تلقّيتها في حياتي.

حينئذٍ، دخلت الجدّة إيما المطبخ حاملةً كعكةً صفراء بسيطة في مقلاةٍ صغيرة. غرّست في وسطها شمعةً واحدة. تَبَعَتْها لينورا في الخلف مُرتدية فستانًا طويلًا أزرق والقلنسوة ذاتها التي اعتادت اعتِمَارَها فقط عند الذهاب إلى الكنيسة. كانت تَحْمِلُ عُلْبَةَ أَعْوَادِ ثِقَابٍ بِيَدٍ وإنجيلها الجلديّ المُتَشَقِّقَ باليد الأخرى. قالت الجدّة عندما رَأَتْ أرفن مُمَسِّكًا المُسدّسَ:

- ما هذا؟

قال إيرسكل:

- هذا مُسدّس أعطاني إياه ولارد. ويرأيي فَقَدْ آن الأوانُ لأعطيهِ لأرفن.

قالت الجدّة:

- أوه، يا ولدي...

وَصَعَت الكعكة على الطاولة وأمسكت بِطرفٍ مثرها المقلّم لتَمْسَحَ به دمعَةً نازلة. ذكّرتها رؤية المُسدّسَ بابنِها مرّةً أخرى وبالتنذير الذي فِشَلَتْ في الالتزام به طيلة كلّ هذه السّنوات الماضية. كان يتراءى لها أحيانًا لو أنّها فقط أَقْنَعَتْ ولارد بالبقاء هنا والزّواج من هيلن لكانا بَقِيًّا على قَيْدِ الحياة وظلالٍ يعيشان بين ظهرانيهم.

صَمَتَ الجميعُ هُنيئًا، وكأَنهم عرفوا تقريبًا ماذا كان يدورُ في خلد الجدّة العجوز. ثمّ أشعلت لينورا عودَ ثِقَابٍ وبدأت تُغَنِّي «سنة حلوة يا جميل، سنة حلوة يا أرفن، سنة حلوة يا جميل». أضاءت به الشمعة؛ الشمعة ذاتها التي استعملوها للاحتفال بعيد ميلادها الرابع عشر قَبْلَ بضعة أشهر.

أضاف إيرسكل مُتجاهلاً كعُكَّةَ حَفَلَةِ المِيلاد ومُشيرًا إلى المُسدَّس:  
- لا يُمكنك أن تُصيب به كلَّ الأهداف. إذ يجب عليك أن تُصوِّب  
مباشرةً على الهدف حتى تُصيبه.

قالت لينورا:

- هيا يا أرفن، أطفئ الشمعة.

تابع إيرسكل مازحًا:

- يُمكنك أيضًا أن تُطيح بِصَخْرَةٍ.

- أرفن؟

- سيُفيدك المُسدَّس أكثر.

قالت الجِدَّة إِيها:

- تمنى أمنيةً قَبْلَ أن تنطفئ الشمعة.

أشار إيرسكل قائلًا:

- وهنا طلقاتٌ من عيار 9 ملم. لا يوجدُ منها في بقالة بانر، ولكن  
يُمكنه أن يَطْلِبَها لك طَلَبًا خاصًّا.

صاحت لينورا:

- الأفضل أن تُسرِع يا أرفن!

قال أرفن وهو يَضَعُ المُسدَّس على قطعة القماش:

- حسنًا، حسنًا.

انحنى وَنَفَخَ على هَبِّ الشمعة الضئيل.

سألته لينورا:

- ما هي الأمنية التي تمنيتها؟

كانت تأمل بأنها أمنية ذات علاقة بالرب، ولكن الأسلوب الذي سلكه أرفن في حياته جعلها لا تنتظر جواباً يسرّ خاطرها. كانت تدعو له كل ليلة بأن يستيقظ وحباً يسوع المسيح يُنير قلبه. راعها أن تفكر بأن مصيره سيكون في الجحيم مثل ذلك المدعو إفس برسلي وكل أولئك الآثمين الذين كان يستمع لأصواتهم في المذبح.

قالت الجدّة إيما:

- والآن نُحَلِّ بالآدب والحكمة حتى تتمنى أمنيتك.

- لا بأس يا جدتي. تمنيت أن أستطيع اصطحابكم جميعاً إلى أوهايو لأريكم المكان الذي عشنا فيه. كان جميلاً، هناك في أعلى التلة. على الأقل كان جميلاً قبل مَرَضِ أُمِّي.

سأل إيرسكل:

- هل حكيتُ لكم من قبل عن المدة التي أقمتُ فيها في مدينة سينسيناتي؟

نظرَ أرفن إلى جدته ولينورا ثم عمزَهما قائلاً:

- لا، لا أتذكر تلك الحكاية.

تمتّت الجدّة إيما:

- يا ربي، حكاية سينسيناتي مرّة أخرى.

في أثناء ذلك كانت لينورا تبتسم مع نفسها، ورفعت أرومة الشمعة عن الكعكة ووضعتها في علبة الثقب.

قال الخال إيرسكل:

- أجل. لحقت بي إلى هناك إحدى الفتيات. كانت من بلدة فوكس نوب، وعاشت قريبًا جدًا من مكان اسمه رايلي. منزلها لم يعد هناك الآن. كانت الرغبة تتمثل بالذهاب لدراسة السكرتاريا. كان عمري قريبًا من عمرك الحالي وقتئذ.

سأل أرفن:

- من أراد الذهاب لدراسة السكرتاريا أنت أم الفتاة؟

- ها! الفتاة.

سحبَ إيرسكل نفسًا عميقًا، ثم أرسله إلى الخارج ببطء وقال:

- اسمها أليس لويس بيرى. تتذكرينها يا إيما، أليس كذلك؟

- نعم أتذكرها يا إيرسكل.

قال أرفن دونًا تفكير:

- إذن لماذا لم تبتقي هناك؟

بالرغم من أنه كان قد سمع أجزاء من القصة مائة مرة، فلم يسأل الخال العجوز أبدًا من قبل لماذا انتهى به المطاف وقد قفل راجعًا إلى بلدة كول كريك. من خلال مُعاشته لأبيه، تعلم أرفن بأنه يجبُ على المرء ألا يتدخل فيما لا يعنيه، ويحشُر أنفه بشكل لافٍ في شؤون الآخرين. كلُّ منَّا لديه أشياء لا يُريد للآخرين الخوض فيها، بل حتى لا يريد لنفسه الخوض فيها. في السنوات الخمس منذ وفاة والديه، لم يذكر ولو لمرة واحدة المشاعر القاسية التي تكتنفه ضدَّ أبيه لأنه رحل وتركه. شعر الآن أنه ليس سوى حمار لأنه فتح فمه ووضع الخال في دائرة الضوء. بدأ بإعادة لفّ المُسدس في الخارقة مرةً أخرى.

حَمَلَتْ الخال إيرسكل في أرجاء الغرفة بعينين كليلتين مُكفهرتين، وكأنه كان يبحث عن جوابٍ في أوراق الجدران المزدانة بالزهور رغم أنه كان يعرفُ الجوابَ تمام المعرفة. ماتت أليس لويس بيرى في جائحة الإنفلونزا عام 1918، ماتت مع ثلاثة ملايين شخص أو نحوهم من الأرواح البائسة الأخرى. ماتتُ بُعيدَ بضعة أسابيع من مباشرتها الدراسة في كلية جيلمر ساندرسن للسكرتاريا. وغالبًا ما كان إيرسكل يعتقدُ لو أمهما بقيًا يعيشان في التلال لربما كانت ما تزال على قيد الحياة. ولكن لَطالَمَا كان لدى أليس أحلام عظيمة، وهي إحدى الخِصَال التي أَحَبَّها فيها. كان سعيدًا لأنه لم يُحاول أن يَتَتَرَعَّها من تلك الأحلام. كان مُتأكدًا بأن تلك الأيام الخوالي التي قضياها في سينسِناتي بين البِنَايات العالية والشوارع المزدهمة قَبْلَ أن تُصابَ بالحُمى كانت أَسْعَدَ الأيام في حياتها. كانت أيضًا أَسْعَدَ أيام حياته. بَعْدَ بُرْهةٍ أو نحوها، أَقْفَلَ صُنْدُوقَ الذِّكْرِيَّاتِ وقال:

- تبدو هذه الكعكةُ كعكةً رائعةً بالتأكيد.

حَمَلَتْ الجِدَّةُ إليها سِكِّينَها وَقَطَّعت الكعكةَ أربَعَ قِطْعٍ؛ قِطْعَةً لِكُلِّ

واحد.



ذَهَبَ أَرْفَنُ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْبَحْثِ عَنِ لَيْنُورَا بَعْدَ انْتِهَاءِ دَوَامِهَا فِي الْمَدْرَسَةِ. وَجَدَهَا مُحَاصِرَةً عِنْدَ مَحْرَقِ الْقِمَامَةِ بِجَانِبِ وَرْشَةِ تَصْلِيحِ الْحَافِلَاتِ، يُحِيطُ بِهَا ثَلَاثَةُ فَتَيَانَ. فِيمَا كَانَ يَتَقَدَّمُ خَلْفَهُمْ، سَمِعَ أَحَدَهُمْ، وَاسْمَهُ جَيْنَ دَنُودِي، يَقُولُ لَهَا:

- تَبَّأُ لِكَ! أَنْتِ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ حَتَّى آتَنِي سَاضْطَرَ لَوْضِعِ كَيْسٍ عَلَى رَأْسِكَ قَبْلَ أَنْ أَسْتَطِيعَ مُضَاجَعَتَكَ.

ضَحِكَ الْفَتَيَانَ الْآخِرَانَ، أَوْرَفَلَ بِكَمْنٍ وَتُومِي مَاتَسْنٍ، وَحَشَرَ جَسَدَيْهَا مُقْتَرِبَيْنِ مِنْهَا. كَانُوا طُلَابًا فِي الصَّفُوفِ الْعُلْيَا وَقَدْ رَسَبُوا فِيهَا سَنَةً أَوْ سَتَيْنِ. كَانُوا جَمِيعًا أَكْبَرَ مِنْ أَرْفَنِ. أَمْضُوا مُعْظَمَ وَقْتِهِمْ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَهُمْ جَالِسُونَ فِي دُكَّانِهَا وَيَتَبَادَلُونَ النِّكَاتَ الْقَدِيرَةَ مَعَ مَدْرَسِ التَّرْبِيَةِ الْمَهْنِيَّةِ التَّافِهِ وَيُدَخِّنُونَ سَجَائِرَ لَفِّ مَارِكَةَ بَغْلَرٍ. أَحْكَمَتْ لَيْنُورَا إِغْمَاضَ عَيْنَيْهَا وَبَدَأَتْ بِالصَّلَاةِ. كَانَتْ الدُّمُوعُ تَجْرِي عَلَى وَجْهِهَا الْوَرْدِي. انْهَالَ أَرْفَنُ فَقَطَّ بِيضَ صَفْعَاتٍ عَلَى دَنُودِي قَبْلَ أَنْ يُعَالِجَهُ رَفِيقَاهُ وَيَطْرَحَانَهُ أَرْضًا وَيَتَبَادَلَانِ الْأَدْوَارَ فِي تَوْجِيهِ اللَّكِمَاتِ لَهُ. بَيْنَمَا كَانَ أَرْفَنُ مَبْطُوحًا عَلَى الْحَصَى، فَكَّرَ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ غَالِبًا وَهُوَ فِي مَعْمَعَةٍ مُشَاجِرَةٍ مِنْ مُشَاجِرَاتِهِ، بِالصِّيَادِ الَّذِي ضَرَبَهُ أَبُوهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي وَحْلِ الْمَرْحَاضِ الْخَارِجِيِّ. وَلَكِنَّ أَرْفَنَ لَنْ يَكُونَ مِثْلَ ذَلِكَ

الصياد، أرفن لا يستسلم البتة. كانوا سيقتلونه لو لم يحضر أذن المدرسة إلى عين المكان وقد جَلَبَ عربةً من صناديق الورق المقوى ليُحْرِقَها. ألمه رأسه لمدة أسبوع، وعانى من مشكلاتٍ في القراءة من السبورة السوداء لعدة أسابيع.

رغم أن أرفن احتاج إلى شهرين تقريباً، فقد استطاع الاستفراذ بهم واحداً إثر آخر. ذات مساء قبل حلول الظلام بقليل، تبع أورفل بكتمان إلى بقالة بانر. وَقَفَ أرفن خَلْفَ شجرة تَبْعُدُ مائة ياردة على الطريق، وراقب الفتى يَرْجِعُ خارجاً من البقالة وهو يتجرّع مشروباً غازياً ويأكل آخر قطعة شوكولا من ماركة لَيْتْلُ دِيبِي. حالماً مرَّ أورفل وتجاوزَه والقنينة مرفوعةٌ لِيَشْرَبَ رشفةً أخرى، اعترَصَ أرفن طريقه، واستل قاعدة قنينة البيسي براحة يده وأرسل عنقها الزجاجي في منتصف حنجرة الفتى العملاق، وهشم سنين من أسنانه الأمامية المنخورة. لم يدرك أورفل طبيعة الأداة التي ضَرَبَتْه إلا وكانت المعركة قد انتهت بكل ما في الكلمة من معنى قبل أن يتلقَى صفةً أفقدته الوعي. صحا بعد ساعة وهو مُلقَى في قناةٍ ترابيةٍ تمتد على طول الطريق وهو مضرَّجٌ بدمائه ورأسه مغطى بكيسٍ ورقي.

بعد بضعة أسابيع، ساق أرفن سيارة الخال إيرسكل الفوردي القديمة لحضور مباراة في كرة السلة في مدرسة بلدة كول كريك الثانوية. كانوا يلعبون ضد فريق من بلدة ميرسبرغ، وهي مباراة لظالماً دأب على متابعتها جمهورٌ غفير. جلس في السيارة يُدخن سجائر من ماركة الجمل، ويراقب الباب الأمامي للمدرسة عسى أن يُطل تومي ماتسن برأسه. كان المطرُ يَهْطُلُ خفيفاً، وكانت ليلة جمعة قارسة البرد وظلماء من ليالي مطلع نوفمبر. كان ماتسن شغوفاً بنفسه ظناً منه أنه

ملك الجنس في المدرسة، وكان دائماً ما يتباهى بالفتيات اللاتي يقتنصهن أثناء المباريات، بينما يتقافز أصحابهن إلى الأعلى والأسفل على أرضية الملعب وهم يلاحقون كرة مطاطية. قَبْلَ بداية الشوط الثاني بالضبط، وبينما كان أرفن ينفث دخانَ سيجارةٍ أخرى خارج نافذة السيارة، رأى هدفه التالي يخرج وهو يلفّ ذراعه حول طالبةٍ مستجدةٍ تُدعى سوزي كوكس ويتوجهان نحو صف الحافلات المدرسية المكونة في آخر المَرَّاب. خرج أرفن من السيارة حاملاً عتلةً حديديةً تستخدم لفك إطارات السيارات وسارَ في إثرهما. راقبَ ماتسن وهو يفتحُ الباب الخلفي لحافلةٍ صفراءٍ ويُساعد سوزي في الصعود إليها. بعد انتظارٍ دام بِضْعَ دقائق، نثى أرفن مِقْبَضَ الباب وأزجحه لِيَنْفَتِحَ البابُ مصدرًا صريحاَ ذا صدى. سَمِعَ الفتاةُ وهي تقول:

- ما هذا الصوت؟

أجابها ماتسن:

- لا شيء. يَجِبُ أَلَّا أَغْلِقَ البابَ إِغْلَاقًا كاملاً. تعالي الآن، يا فتاة،

دعينا نَتَخَلَّصَ من ملابسكِ الداخليّة.

- لن نَفْعَلَ ذلك حتى تُغْلِقَ باب الحافلة.

تَمَتَّمَ ماتسن وهو يَنْهَضُ من فوقها:

- اللعنة على هذه الحال. تستحقين أن يُقَوْمَ المرءُ بِتَلْبِيَةِ مَطالِبِكِ.

مشى عَبرَ الممرِّ الضيق وهو يَرْفَعُ بِنِطالِهِ يَدَيْهِ واحداً.

عندما انحنى لِيُمسِكَ مزلاجَ الباب وَيَسْحَبَهُ للخلف، أَرَجَحَ أرفن

العتلة الحديدية وَصَرَبَ ماتسن على رَضْفَاتِ ركبتيه مُطِيحاً به خارج

الحافلة. صاحَ ماتسن عندما ارتطمَ بالحصى على الأرض:

- يا يسوع!

سَقَطَ بِقُوَّةٍ عَلَى كَتِفِهِ الْأَيْمَنِ. مُؤَزَّجًا الْعَتَلَةَ الْحَدِيدِيَّةَ مَرَّةً أُخْرَى، كَسَرَ أَرْفَنَ ضِلْعَيْنِ مِنْ ضُلُوعِ الْفَتَى، ثُمَّ رَفَسَهُ حَتَّى كَفَّ عَنْ مُحَاوَلَةِ النَّهْوَضِ. أَخْرَجَ كَيْسًا وَرَقِيًّا مِنْ سُرْتَرِهِ وَانْحَنَى بِجَانِبِ الْفَتَى وَهُوَ يَثْنُ وَيَتَأَوَّهُ. أَمْسَكَ بِشَعْرِ الْفَتَى الْمُتَمَوِّجِ، وَسَحَبَ رَأْسَهُ لِلْأَعْلَى. لَمْ تَنْبَسِ الْفَتَاةُ دَاخِلَ الْحَافِلَةِ بِيْنَتِ شَفَةِ وَكَأَنَّهَا عَلَى رَأْسِهَا الطَّيْرُ.

فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ التَّالِي فِي الْمَدْرَسَةِ، مَشَى جِينِ دِنُودِي صَوَّبَ أَرْفَنَ فِي الْكَافِيْتَرِيَا وَقَالَ:

- أُوَدُّ أَنْ أُرَاكَ وَأَنْتَ تُحَاوِلُ وَضْعَ كَيْسٍ عَلَى رَأْسِي، أَنْتَ يَا ابْنَ الْعَاهِرَةِ.

كَانَ أَرْفَنُ يَجْلِسُ إِلَى طَاوِلَةِ صُحْبَةِ مِيرِي جِينِ تَرَنرِ، وَهِيَ طَالِبَةٌ جَدِيدَةٌ فِي الْمَدْرَسَةِ. كَانَ أَبُوهَا قَدْ نَشَأَ وَتَرَعَّرَعَ فِي بَلَدَةِ كُولِ كَرِيكِ، ثُمَّ صَرَفَ خَمْسَةَ عَشْرَ عَامًا وَهُوَ يَعْمَلُ فِي الْبَحْرِيَّةِ التَّجَارِيَّةِ قَبْلَ الْعُودَةِ إِلَى مَوْطِنِهِ لِيُطَالِبَ بِمِيرَاثِهِ. كَانَ الْمِيرَاثُ مَزْرَعَةً مُتَوَاضِعَةً الْحَالِ عَلَى طَرَفِ التَّلَّةِ تَرَكَّهَا لَهُ جَدُّهُ. كَانَتِ الْفَتَاةُ الْحَمْرَاءُ الْوَجْهَ تَسْبُّ وَتَشْتُمُّ كَمَا يَفْعَلُ الْبَحَّارَةُ عِنْدَمَا تَسْنَحُ لَهَا الْفُرْصَةُ. رَغِمَ أَنَّ أَرْفَنَ لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا مِنَ السَّرِّ الْكَامِنِ وَرَاءَ قُدْرَتِهَا عَلَى إِطْلَاقِ الشَّتَائِمِ، فَقَدْ أَحَبَّ تِلْكَ الصِّفَةَ فِيهَا جَبًّا عَظِيمًا، وَخُصُوصًا أَثْنَاءَ تَبَادُلِهِمَا الْقُبْلِ. قَالَتْ مِيرِي وَهِيَ تُحْمَلِقُ بَازِدْرَاءَ بِالْفَتَى الطَّوِيلِ الْوَاقِفِ فَوْقَ رَأْسِهَا:

- دَعْنَا وَشَأْنَنَا، أَيُّهَا الْقَضِيْبُ الْأَحْمَقُ.

لَمْ يَكُنْ مِنْ أَرْفَنَ إِلَّا أَنْ ابْتَسَمَ.

قَالَ جِينُ مُتَجَاهِلًا لِأَيَّاهَا:

- يا ابن عائلة رَسَل، بَعَدَ أَنْ أَنْتَهِيَ مِنْ أَمْرِكَ، رَبِّمَا سَأَخِذُ صَاحِبَتَكَ الصَّغِيرَةَ فِي جَوْلَةٍ طَوِيلَةٍ وَظَرِيفَةٍ. صَاحِبِجْ أَنَّهَا لَيْسَتْ مَلِكَةً جَمَالًا، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ إِنَّهَا أَقْلُ سَوْءًا مِنْ أُخْتِكَ صَاحِبَةِ الْوَجْهِ الَّذِي يُشْبِهُ وَجْهَ الْجُرْذِ.

وَقَفَ فَوْقَ الطَّائِلَةِ وَقَبَضَتْهُ مَضْمُومَتَانِ مَتَاهِبَتَانِ، مَتَّظِرًا أَرْفَنَ لِيَتَّبَعَ وَيَبْدَأَ بِمُوَاجَهَتِهِ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَرْفَنَ مَشْدُوهُمَا عِنْدَمَا رَأَاهُ مَغْمُضًا عَيْنَيْهِ وَقَدْ شَبَكَ يَدَيْهِ بِيَعْضِهِمَا. صَاحِبِجْ بِهِ جِينِ:  
- يَجِدُّرُ بِكَ أَنْ تُوَاجِهَنِي.

نَظَرَ جِينِ فِي أَرْجَاءِ صَالَةِ الطَّعَامِ الْمَزْدَحِمَةِ. نَظَرَ إِلَيْهِ بَعْبُوسِ أَسْتَاذُ التَّرْبِيَةِ الْبَدْنِيَّةِ، وَهُوَ رَجُلٌ قَوِيٌّ الْبُنْيَةِ وَضَخْمُ الْجُنَّةِ بِلَحِيَّةِ حَمْرَاءَ، وَكَانَ يُمَارِسُ الْمُصَارَعَةَ لِقَاءَ أَجْرٍ إِضَافِيٍّ فِي بَلَدَتِي هَتِنْتِنْتُنْ وَتَشَارِلِسْتُنْ فِي عَطْلَةِ نِهَائَةِ الْأَسْبُوعِ. سَرَّتْ شَائِعَاتُ فِي الْمَدْرَسَةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَهْزَمْ فِي مَنَازِلَةٍ قَطًّا، وَبِأَنَّهُ فَازَ فِي كُلِّ مَبَارِيَاتِهِ بِسَبَبِ كُرْهِهِ لِكُلِّ النَّاسِ وَالْأَشْيَاءِ فِي فَرَجِينِيَا الْغَرْبِيَّةِ. حَتَّى جِينِ كَانَ يَخَافُ مِنْهُ. قَالَ جِينِ، وَهُوَ مُنْحَنٍ، بِصَوْتِ خَفِيضٍ لَأَرْفَنِ:

- لَا تَنْظُرَنَّ أَنَّ الصَّلَاةَ سَتُخَلِّصُكَ مِنْ مَصِيرِكَ، يَا ابْنَ الْقَحْبَةِ.  
بَعَدَ أَنْ ابْتَعَدَ جِينِ، فَتَحَّ أَرْفَنَ عَيْنَيْهِ وَأَخَذَ قَنِينَةً مِنْ كَرْتُونَةٍ تَحْوِي حَلِيبَ الشُّوْكُولَا:

سَأَلْتَهُ مِيرِي:

- أَأَنْتَ بِخَيْرٍ؟

أَجَابَ وَهُوَ يُومِئُ بِرَأْسِهِ:

- كُنْتُ أَصْلِي... كُنْتُ أَصْلِي حَتَّى تَحِينَ اللَّحْظَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِلنَّيْلِ مِنْهُ.

انتهى به الأمر بأن أمسك جين دنو ودي بعد أسبوع في ورشة تصليح سيارات أبيه العجوز وهو يُبدل شمعة الاحتراق في سيارته الشفروليه طراز 1956. يحلول ذلك اليوم المنتظر، كان أرفن قد جمع دسنة من الأكياس الورقية. عندما عثرَ عليه أخوه الأصغر بعدَ عدة ساعاتٍ فيما بعد، كان رأس جين محسورًا بإحكام داخل الأكياس. قال الطبيب بأن الفتى كان محظوظًا لأنه لم يُحْتَنَق.

- أرفن رِسل -

هذا ما قاله جين لأمر الشرطة بعد أن ثابَ إلى رشده. فقد قضى الاثنتي عشرة ساعةً الأخيرة في المستشفى وهو يظنّ بأنه كان يجري في المركز الأخير متذيلاً سباق إندي (500)<sup>(1)</sup>. كانت تلك أطول ليلة في حياته؛ وفي كلِّ مرّة داسَ فيها دواسَة البنزين، كانت السيارة تُبطئ سرعتها وتدبّ دبيبًا خفيفًا. هديرُ محرّكات السيارات التي كانت تتجاوزه لا يزال يَصِرُّ في أذنيه.

قال أمرُ الشرطة، ونبرةً من الشكّ نفوحٌ من صوته:

- أقلتَ أرفن رِسل؟ أعرفُ أنّ ذلك الفتى يحبّ المشاجرات، ولكن تبا، يا بُني، أنتَ نفوقه حجماً بمرتين.

- لقد باعنتني.

- أيّ أنّك رأيتهُ قَبْلَ أن يَضَعَ الأكياسَ على رأسك؟

- لم أره. ولكن هو من فعلها.

---

(1) سباق سيارات يجري في مضمار إنديانا بولس في ولاية إنديانا. بدأ أول سباق عام 1911 ويمتد لمسافة 500 ميل. (المترجم)

- وَكَيْفَ لَكَ أَنْ تُثَبِّتَ مَا تَقُولُهُ؟

كان والد جين مُستندًا إلى الجدار مُراقبًا ابنه بعينين مُتورمتين مُحتمقتين بالدم. وكان بِمَقْدُور جين أَنْ يَشْمَ رائحة نبيذ وايلد آيرش روز تفوح من والده بوضوح في أرجاء الغرفة. لم يكن كارل دِنوودي بالشخص السيء جدًّا إذا ما التزم بِشُرب البيرة، ولكن ما إن يتحوّل إلى شُربِ النبيذ إلا وَيغدو مخلوقًا خَطِرًا بكل ما في الكلمة من معنى. فكّر جين في قرارة نفسه بأن أباه ربّما يعودُ ليعضّه في مؤخرته إن لم يتوخَّ الحذر. اعتادت أم جين الذهاب إلى الكنيسة ذاتها التي اعتادت عائلة ريسل الذهاب إليها. سيرفسه أبوه رفسًا عنيقًا مرّة أخرى إذا ما سَمِعَ بأنّه تحرّش بتلك العاهرة الصّغيرة المسماة لينورا.

قال جين:

- ربّما أكون مخطئًا في ظنّي.

قال أمر الشرطة:

- لماذا قُلْتَ بأنّ أرفن ريسل هو من ضَرَبَكَ إذن؟

- لا أعرف. ربّما تخيلت ذلك.

وهو واقفٌ في الزاوية، أصدر والد جين صوتًا يشبه صوتَ كلبٍ

يهمّ بالتقيؤ، ثمّ قال:

- يا أمرَ الشرطة! عمره تسعة عشر عامًا ولا يزال في المدرسة. ما

قولك في ذلك؟ إنّه عديم النفع مثل خنزير ذكرٍ له ضِرْعَان،

أليس كذلك؟

قال أمر الشرطة، ونظرةً حائرةً ترّسّمُ على مُجَيّاه:

- عمّن نتحدّث؟

- عن ذلك العديم الفائدة المُستلقي هناك في السرير، ذلك مَنْ  
أقصد.

ثمّ التفتَ والدُّجينَ وَخَرَجَ مُتَاقِلًا عَبْرَ البابِ.

نظَرَ أمرُ الشرطه مُجَدِّدًا صَوَّبَ جينَ وقال:

- حسنًا، ألدبك آية فكرة عن سبب قيام كائنٍ مَنْ كان يوضع  
الأكياس حول رأسك بتلك الطريقة؟

- لا، ليس لديّ آية فكرة على الإطلاق.



بينما كان أرفن بخطو صَوَّب الشرفة الأمامية للمنزل سأله الخال  
إيرسكل:

- ماذا تحملُ معك؟ سَمِعْتُكَ وأنتَ هناك تُطلقُ النارَ من مُسدِّسك  
الهوائي. كانت حالةُ عَينِهِ المُصابَتينِ بالسَّادِ تسوءُ بمرورِ كُلِّ  
أسبوع. بَدَتَا كِستارتَينِ مُتسخَتَينِ تُغلقانِ إِغلاقًا بطيئًا في غَرفةِ  
تسودها العَتمَةُ أَصلاً. كان كُلُّ ما يَخشاهُ أَنه لن يَكونَ بِمَقْدُورِهِ  
سِياقةِ السِيارَةِ بَعْدَ بضعَةِ أَشهر. التَقَدَّمَ في السَنِّ كانِ بالنِّسبةِ  
إليه ثَاني أسوأِ شَئٍ بَغِيضٍ حَصلَ مَعَهُ. ما فتى في الآونةِ الأَخيرَةِ  
يَفكِّرُ بِأليسِ لَويسِ بيري أَكثَرَ بِكثيرٍ منِ ذِي قَبْلِ. لَقَد ضَماعَ عَلَيها  
الكثيرُ بسببِ مَوْتِها في عِزِّ شِبابِها.

أَراهِمِ أرفنِ ثَلاثَةَ سَناجِبِ حِمرَاء. كانِ مَسدِّسِ أَبِيهِ مَدسُوسًا في  
مِخزَمِ بِنطالِهِ. ثمَّ قالَ:

- سَناكُلِ عِشاءَ طَيِّبًا اللَّيْلَةَ.

لم تَكنِ الجِدَّةُ إِيها قَدِ طَبَخَتْ شَئًا سِوَى الفاصولِياِ والبَطاطاِ المِقلِيَّةِ  
لأربِعةِ أَيامِ خَلَّت. كانتِ الأَحوالُ تَترنَّجُ مَعِ اقْتِرابِ نَهايةِ الشَهرِ قَبْلِ  
أَن يَصِلَ شِيكِ رَاتبِها التِّقاعَدي. كانِ أرفنِ والخالِ العِجوزِ يَتصَوَّرانِ  
جوعًا لَهفَةً عَلى أَكْلِ ولو قَليلٍ مِنَ اللَّحْمِ.

أَنَحْنَى الخال إيرسكل للأمام في كرسيه وقال:  
- بالتأكيد لم تَصْطَدْ هذه السَّنَاجِبَ بذلك المُسَدَّسَ الأَلمَانِيَّ اللّعين،  
أليس كذلك؟

كان إيرسكل بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ فخورًا بالطريقة التي يستخدمُ بها أرفن  
مُسَدَّسَ اللّوغر الأَلمَانِيَّ، ومع ذلك لا يزال غير مكترثٍ بالمُسَدَّساتِ  
الصّغيرة. كان يفضّل أن يكونَ لديه مُسَدَّسَ طَلقاتِ الفلفل أو بندقيّة  
في يومٍ ما.  
قال أرفن:

- لَيْسَ مُسَدَّسًا سَيِّئًا. يجبُ عليك فقط أن تعرّف كيف تستعمله.  
كانت تلك أوّل مرّة يهزأ بها الخال إيرسكل من المُسَدَّسِ خلال  
مدّةٍ طويلة.

وَضَعَ الخالُ إيرسكل كاتالوج الاستعمال الذي كان يُبْحَلِقُ فيه  
طيلة الصّباح وأَخْرَجَ مطواته من جيبه ثم قال:  
- حسنًا، اذهب وفتّش لنا عن وعاءٍ نَضَعُ فيه السَّنَاجِبَ،  
وسأساعدك في تَنْظِيفِهَا.

سَلَخَ أرفن جُلُودَ السَّنَاجِبِ والخال العجوز مُمَسِّكٌ بها من قوائمها  
الأماميّة. أَخْرَجَا الأَحْشاءَ الداخليّةَ للذبائح ووضعاها على ورقةٍ جرائدٍ  
وقطعا رؤوسها وأقدامها ووضعوا اللّحم المدمى في وعاءٍ من الماء المالح.  
بعد أن فرغَا، لفَّ أرفن الفضلات في الجريدة وحملها إلى طرف الفناء.  
انتظره إيرسكل حتّى عادَ إلى الشّرفة، ثم أَخْرَجَ قنينة من جيبه واحتسّى  
منها شربة. كانت الجلدة إيما قد طلبت منه أن يكلم أرفن. عِيلَ صَبْرُهَا  
بعد أن علّمت بالمشاجرة الأخيرة. مَسَحَ الخالُ إيرسكل فمَهُ وقال:

- كَعِبْتُ الْوَرَقَ فِي وَرْشَةِ الْدَرْ سَتَبَ لِتَصْلِيحِ السِّيَّارَاتِ اللَّيْلَةَ  
الْمَاضِيَةَ.

- وَهَلْ قُزْتُ؟

- لَا، حَقِيقَةً لَمْ أَقُزْ.

مَدَّرَ رَجْلَيْهِ. نَظَرَ إِلَى حِذَائِهِ الْمُهْتَرَى الَّذِي عَفَا عَلَيْهِ الزَّمَنُ.

كَانَ قَدْ قَرَّرَ أَنْ يُجَاوِلَ إِصْلَاحَ حِذَائِهِ مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ

أَضَافَ:

- رَأَيْتُ كَارْلَ دِنُوودِي هُنَاكَ.

- وَمَا خَطْبُهُ؟

- لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ.

جَلَسَ أَرْفَنَ عَلَى الطَّرْفِ الْمُقَابِلِ لِخَالِ أَبِيهِ فِي كُرْسِيِّ مَطْبَخِ بَالِ  
يُضْدِرُّ صَرِيرًا، وَقَدْ ثَبَّتَتْ أَجْزَاؤُهُ بِسِلْكٍ تَثْبِيتِ مَعْدِنِي. تَأَمَّلَ الْغَابَةَ  
الرَّمَادِيَةَ الْمُمْتَدَّةَ عَبْرَ الطَّرِيقِ وَابْتَلَعَ رِيْقَهُ لِبُرْهَةٍ ثُمَّ سَأَلَ:

- كَانَ مُسْتَاءً بِسَبَبِ ابْنِهِ جِينِ؟

مَضَى أَكْثَرَ مِنْ أَسْبُوعٍ عَلَى قِيَامِهِ بِرَبْطِ ابْنِ الْعَاهِرَةِ، جِينِ، بِالْأَكْيَاسِ.

- رَبِّمَا كَانَ مُسْتَاءً قَلِيلًا، وَلَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ مُغْتَاظًا أَكْثَرَ بِسَبَبِ

فَاتُورَةِ الْمُسْتَشْفَى الَّتِي يَجِبُ عَلَيْهِ دَفْعُهَا.

نَظَرَ الْخَالِ إِيْرَسْكَلَ صَوَّبَ السَّنَاجِبَ الطَّافِيَةَ فِي الْوَعَاءِ وَأَضَافَ:

- مَا الَّذِي حَصَلَ إِذْنِ؟

رَغَمَ أَنَّ أَرْفَنَ لَمْ يَرِ وُجُودَ أَيِّ فَائِدَةٍ مِنْ تَقْدِيمِ أَيِّ تَفَاصِيلَ لِجِدَّتِهِ

عَنْ ضَرْبِ أَيِّ مِنَ الْأَوْغَادِ كَائِنًا مِنْ كَانَ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ بِشَكْلِ رَيْسِ

إلى أنه لم يرغب لها أن تحتدّ، فقد عرّف بأن الخال العجوز لا يرضى بشيء سوى الحقائق.

قال أرفن:

- كان يُضايق لينورا، هو وزمرة من أصحابه المخانيث. كانوا يُنادونها بألقابٍ بذيئة وأشياءٍ من هذا الهراء. لذا اضطررتُ إلى تأديبه.

- وماذا عن الصبيّين الآخرين؟

- للسبب ذاته.

أطلق الخال إيرسكل تنهيدةً مديدةً، حكّ سالفه الواصلين حتى رقبته وقال:

- ألا تظنّ بأنّه كان يجبُ عليك أن تتأني قليلاً بعض الشيء؟ يا وكد، أنا أفهمُ ما تقول، ولكن مع ذلك، لا يُمكنك أن تتسبّب في دخول الآخرين إلى المستشفى بسبب قيام أحدهم بِنَعْتِكَ بأسماءٍ بذيئة. نفهمُ أنّك وضعتَ بعض الأكياس على رأسه، ولكن ممّا سمعت، يبدو أنّك أذيتَه أذىً كبيرًا.

- أنا لا أحبُّ المتنمرين.

- يا يسوع المسيح! يا أرفن، ستصادفُ العديد من الناس الذين قد لا تُحبّهم.

- ربّما يحصل ذلك، ولكنني أراهنُ بأنّه لن يتعرّض بسوءٍ للينورا بعد الآن.

- اسمعني، أريدُ منك أن تُسدي لي معروفًا.

- ما الأمر؟

- خَبِيءٌ مُسَدَّسٌ اللوغر في دُزَجٍ من الدروج وأنس أمرُهُ في الوقت  
الراهن.

- لماذا؟

- المُسَدَّسات الصَّغيرة لَيْسَتْ لِلصَّيْدِ. وظيفتها قَتْلُ النَّاسِ.

- ولكنِّي لَمْ أَطْلِقِ النَّارَ على ذلك الوغد. كلُّ ما في الأمر أنني  
أشْبَعْتُهُ ضَرْبًا.

- نعم، أعرف. هذه المرّة لم تُطلق عليه النار على أيِّ حال.

- ماذا عن صَيْدِ السَّنَاجِبِ؟ أَصَبْتُ كُلَّ سَنَاجِبٍ بِطَلْقَةٍ في الرَّأسِ.  
لا يُمكنك صَيْدُهَا بِالبُنْدُقيَّةِ مِثْلَها فَعَلْتُ.

- خَبَيْتُهُ فقط لمدّةٍ قصيرة، موافق؟ استعمل البُنْدُقيَّةَ إذا ما أردتَ  
الصَّيْدَ.

تأمل أرفن أرضيّة الشرفة الأماميّة للمنزل لهنيهة، ثم نَظَرَ إلى الخال  
العجوز بعينين مُتَضَيِّقتين يشوبهما الشك وقال:

- هل أساء والدُّجين الأدبَ معك؟

- تقصّد كارل؟ لا، ولكنّه كان مُتَعَصِّبًا مِمَّا حَصَلَ.

لم يجد الخال أيّ جدوى من إخبار أرفن بأنّه فَلَوَّسٌ<sup>(1)</sup> أوراقه في  
الآخر في أكبر رهان راهنه في البوكر الليلة الماضية، وأنّه أنسَحَبَ من  
اللعبة وخَسِرَ حتّى يَسْتَطِيعَ كارل كَسْبَ المبلغ بعد أن جَمَعَ زَوْجَيْنِ

(1) في ألعاب الأوراق أو البوكر: قيام لاعب واحد بتجميع الأوراق الخمسة الرئيسة من صنف  
واحد: الأس (A) والملك (K) والملكة (Q) والشاب (J) والعشرة (10). (المترجم)

مُتَشَابِهِينَ مِنَ الْأَوْرَاقِ مِنْ صِنْفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. رَغِمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ بِأَنَّ مَا فَعَلَهُ  
هُوَ عَيْنُ الصَّوَابِ، مَا انْفَكَ ذَلِكَ يَقْضُ مَضْجَعَهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَا فَعَلَ. لَمْ  
تَكُنْ حَصِيلَةَ غَلَّةِ الْبُوكَرِ الَّتِي رَيْحَهَا كَارِلُ تَقَلَّ عَنْ مَائَتِي دُولَارًا. كُلُّ  
مَا كَانَ يَأْمَلُهُ الْخَالُ إِيرِسْكَلْ هُوَ أَنْ يَنَالَ الطَّيِّبُ الَّذِي عَالَجَ جِينِ أَجْرَتَهُ  
مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ.

كان أرفن متوَكِّئًا على درايزون الشَّرْفَة الأمامية للمنزل أو آخر ليلة سببِ صافية في شهر مارس وهو يَنْظُرُ إلى النُّجُوم المعلقة فوق التلال بكلِّ ما يَكْتَنِفُهَا من غموضٍ بعيدٍ وتألُّقٍ مهيب. كان قد ابتاعَ مع صديقيه الحميمين هوبارت فاينلي ودارل كُون دُنَّا من المشروب في ذلك المساء من جهاز بَيْعِ مشروباتٍ يَعْمَلُ بذراعٍ واحدةٍ في بلدةٍ هنغري هولر. كان أرفن لا يزال يرشِفُ من الدن. الرِّيحُ كانت لاسعة، ولكنَّ الوسكي مَنَحَتْهُ ما يكفيهِ من الدَّفء. سَمِعَ الخالَ إيرسكل وهو داخلَ المنزل يثنّ ويُتمتّمُ شيئًا ما أثناء نومه. في ليالي الطقس الجميل، كان الخال العجوز ينامُ في رُجْبِيَّةٍ في مَهَبِّ تيارات الرِّيحِ كان قد أنشأها في الجهة الخلفية لمنزلِ أختِهِ إيما عندما انتقلَ للعيش هنا قَبْلَ بضعِ سنوات. ولكنَّ ما إن يُصْبِحَ الطقس باردًا في الخارج، حتّى ينام على الأرضية قُرْبَ مَوْقد الخشب على فَرْشَةٍ مصنوعة من بطانيات خشنة يَحِيكها أهل البلدة حياكَةً بسيطةً في بُيوتهم وتَفُوحُ منها رائحةُ كرائحةِ الكيروسين وكُرَاتِ نِفتالين العث. أسْفَلَ التلّة، في موقف الطريق الجانبى وخَلْفَ سيارَةِ إيرسكل الفوردي جَثَمَتِ مُحَفَّةُ أرفن النَّفيسَة؛ وهي سيارَةُ شيفروليه بِلِ إير زرقاء طراز عام 1954 ذات ناقلِ حركةٍ مُرْتَخ. لَزِمَ الأمرُ منه أربعَ سنواتٍ من ادِّخار المال حتّى يَشْتَرِيها، عَمِلَ أثناءها في شتّى المِهَن التي

استطاع إليها سبيلاً، كتقطيع حطب التدفئة وبناء الأسوار حول المنازل وقطاف التفاح وعلف الخنازير.

قُبِّلَ ذلك في اليوم ذاته، أوصل أرفن لينورا بسيارته إلى المقبرة لزيارة قبر أمها. رغم أنه لن يُقَرَّ بذلك، فإن السبب الوحيد الذي حدا به للذهاب إلى المقبرة معها هذه المرة هو أنه كان يأمل بأنها ربما تستحضر بعض الذكريات المدفونة عن أبيها أو صاحبه الكسيح الذي قرَّ معه. أصبح أرفن مهووساً بلغز اختفائها. رغم أن الجدة إيما وغيرها كثير من القوم في غرينبرير كانوا يبدوا مقتنعين بأن روي وثيودور لا يزالان حيَّين يُرزقان وعلى خير ما يرام. وشقَّ على أرفن أن يصدق بأنَّ وغدَّين أبلهين مثل روي وثيودور، كما كان يُشاعُ عنهما، يمكن أن يتبخرا في ذرات الهواء والألَّا يسمعَ أحدٌ أيَّ شيءٍ عنهما مرةً أخرى. لو كان الأمر بتلك السهولة لاختفى العديد من الناس مثلها. تمنى مرَّاتٍ عديدة لو أنَّ والده سلَّك ذلك الدرب؛ يا ليتهُ اختفى ولم يتجر.

بعد أن دخلت المقبرة قالت لينورا لأرفن:

- ألا ترى أنه من المضحك كيف آلت بنا الأحوال وأصبحنا يتامى ونعيش في المنزل نفسه؟

وصعت إنجيلها على صوَّة قبر قريب وأرخت فُلنسوتها قليلاً وسحبَّتها للخلف، ثم أضافت:

- يبدو الأمر تقريباً وكأن كل شيء قد حصل بحيث تؤول الأمور إلى أن يلتقي أحدنا الآخر.

كانت تقفُ قرب قبر أمها وهي تنظر للأسفل إلى الشاهد المربع الموضوع بشكلٍ مُستوٍ مع سطح الأرض. كان مكتوباً عليه: هيلن هاتن



ليفرتي 1926 - 1948. نُقِشت في الزاويتين العلويتين للرَّخامة صورة ملاكٍ صغيرٍ مجنَّح ولكن دون وجهٍ. كان أرفن قد هَيَّأ بُصَاقَه بين أسنانه وَحَمَلَقَ حوله في البقايا الذابِلة لزهوِرِ السَّنة الماضيَّة الموضوعَةِ على القبور الأخرى وأجَمَاتِ الأعشابِ والسَّورِ السِّلْكي الصَّدئِ المحيط بالمقبرة. لم يكن يَشعُرُ بالراحة عندما تتكَلَّم لينورا بتلك الطَّريقة. لم تكن لينورا لتتخلَّى عن أسلوبِ الحديثِ ذاتِه كثيرًا منذُ أَصْبَحَ عمرها ستة عشر عامًا. ربَّما لا تَرْبِطُهَا قَرَابَةٌ عائليَّة، ولكنه كان يشمئزُّ إذا ما فكَّر فيها بطريقتِهِ تتجاوزُ ما يفكَّر فيه الأُخُ إزاءَ أُختِه. رغم أَنه لاحظَ بأن الاحتمالاتِ لم تكن مُشجَّعة، فقد كان يأمَلُ لها دومًا أن تَجِدَ صاحِبًا قَبْلَ أن تنفِوه بشيءٍ ما غيبيُّ حَقًّا.

ترنَّح يَمِنَّةً وَيَسْرَةً قليلاً بينمَّا كان يمشي من حافة الشرفة الأمامية للمنزل باتجاه كرسيِّ الخال إيرسكل الهزاز، وجلسَ عليه. بدأ التفكير بوالديه، وضاقَ حَلَقُه وجفَّ على حينِ غرَّة. الوسكي هي عِشْقُه، ولكنها كانت أحيانًا تجلبُ له حُزْنًا عميقًا لا يمحو علائمَه سوى النوم. شَعُرَ برغبةٍ في البكاء، ولكنه رَفَعَ القنينة واحتسَى شربةً أخرى بدلاً من أن يبكي. نَبَحَ كَلْبٌ في مكانٍ ما على التلَّة المُجاورة. سَرَحَتْ أفكارُه صَوْبَ جاك، الكَلْبِ المسكين الذي ما كان ليؤذي ولو صُوصًا صغيرًا، الكلب الذي قتله أبوه فقط للحصول على مزيد من الدماء التي لا فائدة تُرْتَمَى منها. اليوم الذي قُتِلَ فيه جاك كان أحدَ أسوأ الأيام في ذلك الصَّيف. الطَّريقة التي تذكَّر بها تلك الحادثة سبَّبت الألم ذاته تقريبًا عندما كان يتذكَّرُ ليلَةَ مَوْتِ أمه. قَطَعَ أرفن عهدًا على نفسه بأنَّه، وقریبًا جدًّا، سيعودُ إلى جذع الصَّلَاة ويرى إذا ما كانت عظام الكلب لا تزال هناك. أراد أن يَدْفِنَ العظامَ دَفْنًا لائقًا، وأن يَعْمَلَ ما يستطيع

لَكَيْ يُعَوِّضَ مَا اقْتَرَفْتَهُ يدا أبيه المجنون. أقسم بأنه لو عاش ليلبغ المائة عام فإنه لن ينسى جاك أبداً.

كَانَ يَتَسَاءَلُ أحياناً عن احتمالية إحساسه بالحسد تجاه لينورا مجرد كَوْنِ أبيها ربياً لا يزال حياً يُرْزَقُ بيننا أبوه هو قد مات. قرأ كافة أعداد الجرائد القديمة الباهتة اللون؛ لا بل حتى إنه خرج ينيح في الغابة في المكان الذي عُثِرَ فيه على جثة هيلن، وهو يأمل بأن يقع على أي دليل يثبت أن الجميع على خطأ؛ بحث عساه أن يجد حفرة غير عميقة فيها هيكلان عظيمان يبرزان رؤيداً رؤيداً بجانب بعضهما من داخل التراب، أو كرسيًا متحركًا صدناً مثقوبًا بثقوب الرصاصات وقد أخفي عميقاً في أهدود يطل عليه المرء من عل. بيد أن الأشياء الوحيدة التي عثر عليها لم تكن سوى طلقتي بُندقية مُستهلكتين وغلاف علكة من ماركة سيرمنت. بيننا تجاهلت لينورا أسئلته ذلك الصباح عن والدها واستمرت بالثرثرة عن القدر والعشاق السيئي الطالع وكل السخافات الرومانسية الأخرى التي قرأت عنها في الكتب التي استعارتها من مكتبة المدرسة، أدرك بأنه كان يجب عليه أن يبقى في البيت وأن يقوم بإجراء بعض الإصلاحات في سيارته. لم تعمل بشكل حسن منذ اليوم الذي اشتراها فيه.

قال لها أرفن:

- اللعنة يا لينورا، كفاك حديثاً عن هذا الهراء. كما لا تنسي أنك قد لا تكونين يتيمة. فكما يعرف الجميع هنا، لا يزال أبوك حياً يُرزق. اللعنة، ربها يظهر فجأة في التلة في يوم من الأيام وهو يرقص بحيوية وسرعة.

- أَمَلْتُ ذَلِكَ. أَنَا أَصْلِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَدْعُو لَهُ بِأَنْ يَرْجِعَ.  
 - حَتَّى لَوْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ هُوَ مَنْ قَتَلَ أُمَّكَ؟  
 - أَنَا لَا أَكْتَرُثُ بِذَلِكَ. لَقَدْ سَامَعْتُهُ أَصْلًا. يُمَكِّنُنَا أَنْ نَبْدَأَ حَيَاتَنَا  
 بِكَامِلِهَا مِنْ جَدِيدٍ.  
 - ذَلِكَ جُنُونٌ.  
 - لَا، هَذَا لَيْسَ جُنُونًا. وَمَاذَا عَنْ أَبِيكَ؟  
 - مَاذَا عَنْهُ؟  
 - حَسَنًا، لَوْ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَرْجِعَ...  
 - يَا فَتَاةَ، فَقْطِ اخْرَسِي وَكَفَاكِ حَدِيثًا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ.  
 بَدَأَ أَرْفَنُ يَحْتُ السَّيْرَ صَوَّبَ بَوَابَةَ الْمَقْبَرَةِ، ثُمَّ قَالَ:  
 - يَعْلَمُ كَلَانَا أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ.  
 - آسَفَةٌ.

تَكَسَّرَ صَوْتُ لِينُورَا مَتَحَوِّلاً إِلَى نَشِيْجٍ.  
 فِيمَا كَانَ أَرْفَنُ يَسْحَبُ نَفْسًا عَمِيقًا، تَوَقَّفَ ثُمَّ التَفَتَ. أَحْيَانًا كَانَ  
 الْأَمْرُ يَبْدُو وَكَأَنَّهَا صَرَفَتْ نِصْفَ عَمْرُهَا وَهِيَ تَبْكِي. أَمَسَكَ مَفَاتِيحَ  
 سَيَّارَتِهِ بِيَدِهِ وَقَالَ:

- اسْمَعِي، إِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ أَنْ أَوْصِلَكِ، فَهَيَّا بِنَا.  
 عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ، نَظَّفَ مُكْرَبِينَ سَيَّارَتِهِ بِفَرَشَاةٍ ذَاتِ أَسْنَانٍ  
 مَعْدِنِيَّةٍ مَغْمُوسَةٍ بِالْبَنْزِينِ، ثُمَّ غَادَرَ مَرَّةً ثَانِيَةً مَبَاشَرَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ بِالسَّيَّارَةِ  
 لِيَصْطَحِبَ رَفِيقِيهِ هُوبَارْتِ وَدَارِلِ. كَانَتْ مَعْنَوِيَّاتُهُ فِي الْحَضِيضِ طِيلَةَ  
 الْأُسْبُوعِ، وَهُوَ يَفَكِّرُ بِمِيرِي جِينِ تَرْنَرِ، وَشَعُرَ بِالْحَاجَةِ إِلَى اسْتِعَادَةِ

معنوياته والشرب. لم يَخْتَجِ والدُ ميري لكثيرٍ وقتٍ ليقرّر بأن الحياة في البحرية التجارية ليست سوى جحيم هائل أهونَ من حَزْثِ الصَّخُورِ والقَلَقِ بِخُصُوصِ مجيءِ مَوْسِمِ أمطارٍ، سواءَ أَكَانَ مَوْسِمَ خَيْرٍ أم قَحْطٍ. لذا فَقَدَ حَزَمَ مَتَاعَهُ وَمَتَاعَ عَائِلَتِهِ وَاتَّجَهَ إِلَى مَدِينَةِ بَالْتِمَرِ لِلعَمَلِ فِي سَفِينَةٍ جَدِيدَةٍ صَبَّاحِ الأُحَدِ المَاضِي. رَغِمَ أَنَّ أَرَفْنَ بَقِيَ يُلحَّ عَلَيْهَا مِنْذُ لِقَائِهَا الغَرَامِي الأَوَّلِ، فَقَدَ كَانَ سَعِيدًا الآنَ لِأَنَّ ميري لَمْ تُمَكِّنْهُ مِنْ مُضَاجَعَتِهَا. وَدَاعُهَا كَانَ مُؤَلِّمًا بِهَا يَكْفِي كَمَا جَرَّتِ العَادَةُ. رَجَّاهَا أَنْ تَبْقَى وَهَمَّا واقفان على الباب الأمامي لمنزلها في الليلة السابقة لمُوعِدِ رَحِيلِهَا؛ ابْتَسَمَتْ وَوَقَفَتْ عَلَى رُؤُوسِ أَصَابِعِ رِجْلَيْهَا وَهَمَسَتْ لِلْمَرَّةِ الأَخِيرَةِ بِكَلِمَاتٍ بَدِيئَةٍ فِي أُذُنِهِ. تَشَارَكَ المَالُ مَعَ هُوبَارْتِ وَدَارِلِ لِشِرَاءِ قَنِينَةِ المَشْرُوبِ وَصندوقًا يَحْتَوِي اثْنَيْ عَشْرَةَ عُلْبَةً بيرةً وَعَدَدًا مِنْ عُلَبِ سِجَاتِرِ بُولِ مَوْلزٍ وَصَفِيحَةٍ مِنَ البَنْزِينِ. ثُمَّ شَرَعُوا يَتَجَوَّلُونَ بِسَيَّارَةِ أَرَفْنَ جِيئَةً وَذَهَابًا عِبْرَ الشُورَاعِ المَظْلَمَةِ لبلدَةِ لِيُوسْبِرِغَ حَتَّى مُتَصَفِّفِ اللَّيْلِ، وَهَمَّ يَسْتَمْعُونَ لِلْمَذِياعِ الَّذِي كَانَ بَثَّهُ يَخْفُتُ تَارَةً وَيَصْدَحُ تَارَةً أُخْرَى، وَهَمَّ يُطْلِقُونَ العِنَانَ لِمَا سَيَقُومُونَ بِهِ بَعْدَ المَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ، إِلَى أَنْ أَضْحَتْ أَضْوَاتُهُمْ خَشِنَةً خُشُونَةً الحِصَى بِسَبَبِ الدَّخَانِ وَالمُوسِكِيِّ وَخِطَطِ المُسْتَقْبَلِ العَظِيمَةِ.

تَسَاءَلَ أَرَفْنَ وَهُوَ مُسْتَرخٍ فِي الكُرْسِيِّ الهَزَّازِ، مِنْ يَأْتَرِي يَسْكُنُ فِي مَنزَلِهِ القَدِيمِ الآنَ، وَتَسَاءَلَ فِيهَا إِذَا كَانَ البَقَالُ هَانِكَ لَا يَزَالُ جَالِسًا لَوَحْدِهِ فِي تِلْكَ المَقْطُورَةِ الصَّغِيرَةِ، وَإِذَا مَا كَانَتْ جِينِي فَاغْنَرُ قَدْ حَبَلَتْ الآنَ. تَمَّتْ لِنَفْسِهِ قَائِلًا: «كَانَتْ تَحِبُّ مَدَاعِبَةَ الأَصَابِعِ لَهَا». فَكَّرَ مَجْدَدًا بِالمُطَرِّقَةِ الَّتِي حَبَسَهُ فِيهَا نَائِبُ أَمْرِ الشَّرْطَةِ المَدْعُوِّ بُوْدِيكِرِ فِي مَوْخِرَةِ سَيَّارَةِ الدَّورِيَّةِ بَعْدَ أَنْ أَرشَدَهُ إِلَى مَكَانِ جِذْعِ الصَّلَاةِ، وَكَيْفَ بَدَأَ

خائفًا منه، خافَ من صَبِيٍّ عمره عشر سنوات وبقايا فطيرة التوت الأزرق عالقة في وجهه. وَضَعُوهُ فِي زَنْزَانَةٍ فَارِغَةٍ تَلِكُ اللَّيْلَةَ، دُونَ أَنْ يَفَكَّرُوا بِحَلِّ آخِرِ يُقَدِّمُونَهُ لَهُ. تَذَكَّرُ مَسْئُولَةَ الرَّعَايَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ ظَهْرَةَ الْيَوْمِ التَّالِيِ بِبَعْضِ مِنْ ثِيَابِهِ وَعَنْوَانَ إِقَامَةِ جَدَّتِهِ. وَهُوَ يَرْفَعُ الْقَنْبِيْنَ لِلْأَعْلَى، رَأَى أَنَّهُ رَبِّهَا لَا يَزَالُ فِيهَا مَقْدَارٌ إِنْشِينِ فِي أَسْفَلِهَا. وَضَعَهَا تَحْتَ الْكُرْسِيِّ إِكْرَامًا لِعَيُونِ الْخَالِ إِيرِسْكَلِ فِي الصَّبَاحِ.



سَعَلَ الأب ألبرت سايكس قليلاً، ورأى جمهور المصلين المحتشدين في كنيسة الروح القدس في بلدة كول كريك قطرة من الدم الأحمر الفاقع تسيل على ذقنه وتَسْقُط على قميصه. رغم ذلك، تابع إلقاء الموعظة حيث ألقى على المصلين موعظة لطيفة عن فضل مساعدة الجار. ولكنه ما لبث أن أعلن في ختامها بأنه سيتنحى عن منصبه. قال إنها «مسألة مؤقتة حتى يشعر بأنه أفضل حالاً». قال بأن لزوجته ابن أخت يعيش في تينيسي تخرج حديثاً من إحدى الكليات الإنجيلية. تابع الأب سايكس قائلاً:

- يَزْعَم بأنه يريد العمل مع المستضعفين. لا أحسبه سوى واحد من أتباع الحزب الديمقراطي.

ابْتَسَرَ ابتساماً، وهو يأمل بأنها ضحكة ستُحَسِّن من المزاج السائد بعض الشيء، ولكن الصوت الوحيد الذي سمعه كان صوت بضع نسوة في الخلف قُرب الباب يكيين مع زوجته. أدرك الآن بأنه كان يجب عليه أن يتركها لتبقى في المنزل اليوم.

سَحَبَ نفساً متأنياً، تَنَحَّحَ ثم قال:

- لم أره منذ كان صبيّاً، ولكن أمه تقول إنه في أحسن حال. ينبغي له أن يأتي إلى هنا صُحبة زوجته خلال أسبوعين، وكما قلت،

سيقوم فقط بتقديم العون لي لبرهة من الزمن. أعرف أنه ليس من هذه المنطقة، ولكن حاولوا أن تُشعروه بأنه من أهل البيت على أي حال.

بدأ الأب سايكس يترنح يمينه ويسرة بعض الشيء، وأمسك بمنبر الوعظ ليُسند نفسه. سحب من جيبه علبة دخان من ماركة فايف برذرز ورفعها للأعلى وقال:

- إن احتاج أحدكم هذه، فإني سأعطيها له. عاودته نوبة السعال الجاف بعدئذ. جعلته ينحني انحناءة مضاعفة، ولكنه هذه المرة تدبر أمره بأن غطى فمه بمنديله وأخفى الدم. عندما استعاد أنفاسه، ههّض ونظر حواليه، وجهه أحمر ومُتعرق وقد نال الإجهاد منه. كان في غاية الإحراج من أن يُجبرهم بأنه كان مُوشكًا على الموت. داء سُحار الرئة الذي كان يُجاريه لسنوات تمكّن منه. وفق ما قاله الطبيب، المسألة ليست سيوى رهنٍ بالأسابيع أو الأشهر القليلة القادمة، ويكون قد التقى خالقه. لم يستطع الأب سايكس بأمانة أن يقول بأنه كان فعليًا يتوق للقاء ربه، ولكنه كان يعرف أنه عاش حياة أفضل من مُعظم الخلق. في نهاية المطاف، ألم يعيش اثنتين وأربعين سنة زيادة عن البؤساء المساكين الذين ماتوا في انهيار المنجم؛ تلك الحادثة التي هدته السبيل إلى رسالته؟ بلى، لقد كان إنسانًا محظوظًا. مسح دُمعة ساقطة من عينه ودس قطعة القماش المُدماة في جيب بنطاله وقال:

- حسنًا، لا جدوى من إبقائكم هنا، أيها الناس، لمزيد من الوقت. هذا كل ما أود قوله لكم.



رَفَعَ رُوي ثيودور من كرسِيهِ المتحرِّك، وحَمَلَهُ عبر الرِّمال القذرة. كانا في الصَّقع الشماليِّ لشاطِئِ من الشواطِئ العامَّة في سانت بيترسبرغ<sup>(1)</sup>، إلى الجنوب قليلاً من مدينة تامبا. رجلاً ثيودور الكسيح عديمًا الفائدة تَتَأَرَّجِحَان جيئةً وذهابًا كَرَجَلِي دُمِيَّةٍ بالية. كان زَنُحُ رائحةِ البَوْلِ يَفُوحُ منه. ولاحظَ رُوي بأنَّه لم يَعدْ يَسْتَعْمِلُ قَنِينَةَ الحليبِ للتَّبَوُّلِ بعد الآن. عندما اضطرَّ للذهابِ إلى الخلاء كان جُلُّ ما يقوم بها هو أن يَبُولَ في مكانه ويُبَلِّلُ بذلةَ عَمَلِهِ المتعَفِّنة. كان لِيَزَامًا على رُوي أن يُنزلَ ثيودور عدَّةَ مرَّاتٍ من الكرسِيِّ لِتِرْتَاح، ولكنَّه وَصَلَ به أخيرًا إلى حافةِ الماء. نَهَضَتْ امرأتانِ بديتتانِ مُعتمرتانِ قَبَعَتَيْنِ عريضتَيِ الحَوَافِ ونظرتا صَوْبَهُمَا، ثمَّ ما لَبِثتا أن جَمَعَتَا على عَجَلٍ مَنَاشِفَهُمَا ودَهُونِ جَسَدَيْهِمَا وانصَرَفتا إلى مَرَّابِ السيَّارات. عادَ رُوي إلى الكرسِيِّ المتحرِّك وأخضَرَ عشاءَهما، قَنِينَتِي نَبِيدِ وايت بورت وَصُرَّةً من لحم الخنزير المسلوق. كانا قد سَرَقَا عشاءَهما من بقالة خضراوات تَقَعُ على بُعْدِ بضعة مَبَازٍ مباشرة بعد أن أَوْصَلَهُمَا سائقُ شاحنةٍ حَمَلَةٍ بالبرتقالِ إلى هناك. سألَ ثيودور رُوي:

(1) مدينة أمريكية تقع على شاطئِ خليجِ فلوريدا. (المترجم)

- أَلَمْ نَقْضِ بَعْضَ الْوَقْتِ مَحْبُوسِينَ هُنَا ذَاتَ مَرَّةٍ؟  
التَّهْمَ رُؤْيَى آخَرَ شَرِيحَةً مِنَ اللَّحْمِ وَأَوْمًا مُوَافَقًا:  
- حُسْبُنَا لثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَظُنُّ.

أَلْقَتْ الشَّرْطَةُ الْقَبْضَ عَلَيْهَا بِتُهْمَةِ التَّشَرُّدِ قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ  
بِهَيْبَةٍ. كَانَا يَعْظَانُ النَّاسَ فِي إِحْدَى زَوَايَا الشَّارِعِ. كَانَتْ أَحْوَالُ  
أَمْرِيكَ تَزْدَادُ سُوءًا مِثْلَمَا كَانَ حَالُ رُوسِيَا؛ إِذْ صَاحَ فِيهِمَا رَجُلٌ نَحِيفٌ  
أَضْلَعُ أَثْنَاءَ قِيَامِ الشَّرْطَةِ بِاقْتِيَادِهِمَا إِلَى زَنْزَارَتِهِمَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَعْدَ أَنْ مَرَّ  
بِزَنْزَارَتِهِ. لِمَاذَا تَلَقَى الشَّرْطَةُ بِنَاسَانٍ فِي السَّجْنِ لِمَجْرَدِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَيُّ  
مَالٍ أَوْ عُنْوَانٍ؟ مَاذَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ زَاهِدًا فِي بَدَاءَةِ الْمَالِ وَحَقَارَةِ  
العُنْوَانِ؟ أَيْنَ كُلِّ تِلْكَ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي يَتَقَاخِرُونَ بِهَا؟ أَخَذَ أَفْرَادُ الشَّرْطَةِ  
السَّجِينَ الْمُحْتَجِّ خَارِجَ الْمَبْنَى كُلِّ صَبَاحٍ وَأَجْبِرُوهُ عَلَى حَمْلِ رِزْمَةٍ مِنْ  
أَدَلَّةِ الْهَاتِفِ صَعُودًا وَنُزُولًا عَلَى الدَّرَجِ طِيلَةَ الْيَوْمِ. بِحَسَبِ بَعْضِ  
السَّجْنَاءِ الْآخَرِينَ، اعْتَقِلَ الرَّجُلُ بِتُهْمَةِ التَّشَرُّدِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ مَرَّةً فِي  
السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ لَوْحَدَاهَا، وَكَانُوا مُرْهَقِينَ مِنْ إِطْعَامِ هَذَا الْوَعْدِ الشِّيوعِيِّ.  
أَضْعَفُ الْإِيمَانَ أَتَهُمُ كَانُوا يَجْعَلُونَهُ يَتَعَرَّقُ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ لِلْحَصُولِ عَلَى  
نَقَانِقِ الْبُولُونِيِّ وَالْحُبُوبِ الْمَطْحُونَةِ.

قال ثيودور:

- لَا أَسْتَطِيعُ التَّذَكُّرَ. كَيْفَ كَانَتْ أَيَّامُ السَّجْنِ؟  
- لَا بِأَسَّ بِهَا. أَعْتَقَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعْطُونَنَا قَهْوَةً عَلَى سَبِيلِ التَّحْلِيَةِ  
مَا بَعْدَ الطَّعَامِ.

فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي أَمْضَيْهَا هُنَا، أَخْضَرَ أَفْرَادُ الشَّرْطَةِ سَجِينًا  
مُتَوَحِّشًا، كَبِيرَ الْجِسْمِ ضَخْمَ الْبُنْيَةِ ذَا وَجْهِ مَشْطَبٍ يُدْعَى أَكِلَ الدَّمَامِلِ.

قَبْلَ مَوْعِدِ نَوْمِ السَّجْنَاءِ بِالضَّبْطِ، أُوَدِّعُوهُ الزَّنْزَانَةَ الْوَاقِعَةَ فِي نَهَايَةِ الْقَاعَةِ؛ زَنْزَانَةَ الشَّيْوعِيِّ. وَصَلَّ صَيْتُ أَكْلِ الدَّمَامِلِ لِكُلِّ مَنْ كَانَ فِي السَّجْنِ بِاسْتِثْنَاءِ رُويِ وَثِيودور. كَانَ مَشْهُورًا فِي كُلِّ رُكْنٍ وَزَاوِيَةٍ فِي أَنْحَاءِ مَنْطِقَةِ غَلْفُ كُوسْت. سَأَلَ رُويِ نَصَّابَ الشَّيْكَاتِ الْمُرُورَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ ذُو شَارِبَيْنِ يُشَبِّهَا مَقُودَ الدَّرَاجَةِ الْهَوَائِيَّةِ، الْمَسْجُونِ فِي الزَّنْزَانَةِ الْمَجَاوِرَةِ لَزَنْزَانَتَيْهِمَا:

- لِمَاذَا يَدْعُوهُ أَكْلِ الدَّمَامِلِ؟

أَجَابَ النَّصَّابُ:

- لِأَنَّ الْعَاهَرَ يَطْرَحُكَ أَرْضًا وَيَفْقَأُ الدَّمَامِلَ الَّتِي فِي جَسَدِكَ إِنْ كَانَ لَدَيْكَ أَيُّ مِنْهَا.

ثَنَى الطَّرْفَيْنِ الْمَذْهُونَيْنِ بِالشَّمْعِ لِشَارِبِيهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَأَضَافَ:

- مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنْ بَشَّرْتَنِي دَائِمًا نَضْرَةً وَخَالِيَةً مِنَ الدَّمَامِلِ.

- وَلِمَاذَا يَقُومُ بِذَلِكَ بِحَقِّ الْجَحِيمِ؟

أَجَابَ سَجِينٌ آخَرَ مِنْ زَنْزَانَةِ مُقَابِلَةٍ:

- يَزْعَمُ الْبَعْضُ أَنَّهُ مِنْ أَكَلَةِ لُحُومِ الْبَشَرِ، وَيَأْكُلُ بَقَايَا الطَّعَامِ

الْمَطْمُورَةِ فِي كَافَّةِ أَنْحَاءِ فُلُورِيدَا، وَلَكِنِّي لَمْ أَقْتَنِعْ بِذَلِكَ الزَّعْمِ.

أَعْتَقَدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَلْفِتَ الْإِنْتِبَاهَ فَقَطْ، هَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.

قَالَ ثِيودور:

- يَا يَسُوعُ! يَجِبُ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدُهُمْ ابْنَ الْقَحْبَةِ هَذَا.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى بَثُورِ حَبِّ الشَّبَابِ الْمَتَشْرَةِ عَلَى وَجْهِ رُويِ.

هَزَّ النَّصَّابُ ذُو الشَّارِبَيْنِ رَأْسَهُ وَقَالَ:

- هو صعبُ المِرَّاسِ ومن الصَّعبُ قَتْلُهُ. أَلَمْ تَرَ من قَبْلُ واحداً من أولئك المَعْتوهين مَن يستطيعُ حَمْلَ سيارَةٍ على ظهْرِهِ؟ كان هناك واحدٌ منهم في مزرعةِ التَّماسيحِ التي عَمَلْتُ فيها لِصَيْفِ واحدٍ قُرْبَ مدينةِ نيلز. لا يُمكنك أن تُوقفَ ذلك الوغدَ بيندقيَّةِ آليَّةٍ حالماً يهجمُ عليك. آكَلُ الدَّماملِ مثلُ رَجُلٍ مزرَعَةِ التَّماسيحِ.

ثمَّ سمعوا بعضَ الجَلَبَةِ في نهايةِ القاعةِ. من الواضحِ أنَّ الشُّيوعيِّ لم يكنِ لِيستَسَلِمَ بِسهولَةٍ، ممَّا أَفْرَحَ رُوي وثيرودورَ بعضَ الشَّيءِ، ولكنَّ بَعْدَ بَضْعِ دقائقٍ لم يسمعوا سوى بكَاءِهِ.

في صباحِ اليومِ التَّالِي، حَضَرَ ثلاثةُ رِجالٍ عِراضِ المَنابكِ يَرْتَدُّونَ مَعاطِفَ بِيضاءٍ وَيَحْمِلُونَ عِصِيَّ شُرطَةٍ غليظةً، وَنَقَلُوا آكِلَ الدَّماملِ بَعْدَ أَنْ أَلْبَسُوهُ سِتْرَةَ الحَجَرِ الصَّحِّيِّ إلى مِصْحٍ للأمراضِ العَقليَّةِ يقعُ في الجانِبِ الأخرِ مِنَ البَلدَةِ. عَزَفَ الشُّيوعيِّ إثرَ ذلكِ عن شَتَمِ أفرادِ الشُّرطَةِ بأقْدَعِ الشَتائمِ، ولم يَتَذمَّرْ ولو لِمَرَّةٍ واحدةٍ من عِلاماتِ الاعتِصارِ الحَدِيثَةِ البادِيَةِ على وَجْهِهِ أو البُثورِ في قَدَمَيْهِ. كَلَّ ما قامَ بِهِ هو حَمْلُ أدلَّةِ الهِواتفِ صُعوداً وَنُزولاً على الدَّرَجِ كما كانَ عهده، بل كانَ لَهُم من الشَّاكرينَ أَنْ مَنَحُوهُ عَمَلاً مُفيداً يَقومُ بِهِ.

تَنهَّدَ ثيودورُ، ونَظَرَ صَوْبَ الخَلِيجِ الأزرقِ، كانَ ماوُهُ رِقراقاً كَلَوِحِ رُجَاجٍ في ذلكِ اليَومِ. ثمَّ قالَ:

- يَبْدُو ذلكُ جَميلاً، قَهوةٌ بَدلاً مِنَ التَّحليَّةِ. رَبِّما يُمكننا أَنْ نَدعَهُم يَأخِذونَنا لِلبحرِ، وَنستَمعَ بِاستِراحةٍ قَصيرةٍ.

- اللَّعنةُ، يا ثيودورُ، لا أريدُ أَنْ أَقضيَ اللَّيلةَ في السَّجِنِ.

رَكَزَ رُوي نَظْرَهُ جُزئياً على الكِرسِيِّ المُتحرِّكِ الجَدِيدِ. كانَ قد انسَلَّ

إلى بيت عائلة كبيرة في السن قبل بضعة أيام واستعاره بعد أن تعطلت عجلات الكرسي القديم. تساءل كم من الأميال كان قد دفع ثودور وهو في الكرسي منذ أن غادرا فرجينيا الغربية. بالرغم من أنه لم يكن جيدًا في الحساب، فقد قدر بأن المسافة التي دفع بها الكرسي قد بلغت حوالي المليون ميلاً حتى الآن.

- أنا متعب يا روي.

لم يهنأ بال ثودور منذ أن تسبب في خسارتها لوظيفتيهما مع فرق الكرنفال الصيف الماضي. كان هناك صبي صغير، ربما عمره خمس أو ست سنوات، يأكل غزل البنات من عليه كرتونية؛ جاء وهو يلهو إلى الجهة الخلفية للخيمة بينما كان روي خارج الخيمة من الأمام يحاول اضطهاد بعض الزبائن. أقسم ثودور بأن الصبي طلب مساعدته في رفع سحاب بنطاله للأعلى، ولكن حتى روي لم يكن ليصدق تلك الكذبة. لم تكن سوى بضع ثوانٍ إلا وكان يبلي برادفور قد حملها في سيارته الكاديلاك وألقى بها على بُعد بضعة أميال في الريف. لم تُتح لهما حتى الفرصة لتوديع فلابجاك أو سيده الفلامنجو. رغم أنها حاولت إقامة علاقات صداقة مع عدة مجموعات متعددة من الناس منذ ذلك الحين، إلا أن الأخبار سرت عن الكسيح الذي يُحب مضاجعة الأطفال وصاحبه أكل الحشرات وانتشرت انتشار النار في الهشيم بين أصحاب فرقة الكرنفال.

سأل روي:

- تُريدني أن أعود وأحضر لك غيتارك؟

- لا، لا أجد أية رغبة لي في عزف الموسيقى اليوم.

- أَنْتَ مَرِيضٌ؟

- لَا أَعْرِفُ. يَبْدُو وَكَأَنِّي أَعَانِي مِنْ فَتُورٍ شَدِيدٍ فِي الْهَمَّةِ.

- أَتُرِيدُ بَرْتَقَالَةً مِنَ الْبَرْتَقَالِ الَّذِي أَعْطَانِيهِ سَائِقُ الشَّاحِنَةِ؟

- لَا أَرْجُوكَ. لَقَدْ أَكَلْتُ مِنْ تِلْكَ الْبَرْتَقَالَاتِ اللَّعِينَةِ مَا يَكْفِينِي لِأَعِيشَ حَتَّى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. مَا تَزَالُ أَحْشَائِي تَمَغَّصُنِي مِنْ أَكْلِ الْبَرْتَقَالِ.

- بِإِمْكَانِي أَنْ أَخْذَكَ إِلَى الْمَسْتَشْفَى. وَسَأَرْجِعُ إِلَيْكَ خِلَالَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.

- الْمَسْتَشْفَى! الْمَسْتَشْفَى! أَسْوَأُ مِنَ السَّجُونِ.

- هَلْ تُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَصِلِّيَ لَكَ لِتُشْفَى؟

ضَحِكَ ثِيودور وَقَالَ:

- هَا، تِلْكَ نَكْتَةٌ جَيِّدَةٌ يَا رُوي.

- رَبِّمَا يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا مَا أَلَمَّ بِكَ. لَمْ تَعُدْ تَوَدُّ مِنْ بِالرَّبِّ.

- لَا تَبْدَأُ تِكْرَارَ تِلْكَ الْأَسْطُوَانَةِ الْمَشْرُوعَةِ مَرَّةً أُخْرَى. لَقَدْ خَدَمْتُ

الرَّبَّ بِكُلِّ مَا أَوْتَيْتُ مِنْ قَدْرَاتِ. لَدَيْ الدَّلِيلِ عَلَى مَا أَقُولُ.

- أَنْتَ فَقَطْ بِحَاجَةٍ إِلَى بَعْضِ الرَّاحَةِ. سَنَجِدُ شَجَرَةً وَارِفَةً الظَّلَالِ نَنَامُ تَحْتَهَا قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ.

- لَا يَزَالُ الْأَمْرُ يَبْدُو لِي ظَرِيفًا فَعَلًا. أَقْصِدُ عِنْدَمَا أَعْطُونَا الْقَهْوَةَ كِتْحَلِيَّةً بَعْدَ الطَّعَامِ.

- يَا يَسُوعُ! تُرِيدُ كُوبًا مِنَ الْقَهْوَةِ، سَأَذْهَبُ وَأَحْضِرُ لَكَ وَاحِدًا. لَا يَزَالُ مَعَنَا بَعْضُ الْفَكَّةِ.

تَنهَد ثيودور وقال:

- لَيْتِنَا بَقِينَا مَعَ فِرْقَةِ الْكَرْنَفَالِ. كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ عَمَلِ عَمِلْنَا عَلَى  
الإِطْلَاقِ.

- نَعَمْ، حَسَنًا، كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَلَّا تَلْمَسَ ذَلِكَ الصَّبِيَّ إِنْ كُنْتَ  
تَشْعُرُ بِالنَّدَمِ عَلَى تَرْكِ الْفِرْقَةِ.

التَّقَطَّ ثيودور حِصَاةً وَرَمَاهَا فِي الْمَاءِ وَقَالَ:

- ذَلِكَ يَجْعَلُكَ تَتَعَجَّبُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

- مَا الْأَمْرُ؟ تَتَعَجَّبُ مِمَّ؟

أَجَابَ ثيودور الْكَسِيحَ وَهُوَ يَهْزُ كَتْفَيْهِ:

- لَا أَعْرِفُ. الْأَمْرُ يَجْعَلُكَ تَتَعَجَّبُ وَحَسَبَ، ذَلِكَ كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.





# الجزء الرابع الشتاء



كان صباحًا باردًا من صباحات فبراير في مطلع عام 1966؛ السنة الخامسة التي يمضيها كارل وساندي معًا. كانت الشقة باردة مثل برّاد، ولكن كارل كانت تعتريه الخشية إذا ما استمرّ في الطّرق على باب مالكة الشقة التي تسكنُ في الأسفل، والتحدّث معها بخصوص رفع درجة منظم حرارة جهاز التدفئة، من أنه قد يطبق عليها فجأة ويخنقها بشبكة الشعر القذرة التي تلفُّ بها رأسها. لم يقتل أحدًا قط في أوهايو، إذ أنه يؤمن بأنه على المزم الأيرتكيب الموبقات في عشه الذي يُقيم فيه. كانت تلك القاعدة رقم 2. لذلك فإن السيدة برشول، رغم أنها كانت تستحق ذلك أكثر من أي أحد آخر، كانت تمن تنطق عليهم عبارة ممنوع الاقتراب والتصوير. استيقظت ساندي قبل الظهر بقليل واتجهت صوب غرفة الجلوس وقد غطت كتفيها النحيلين ببطانية. جرّت طرفها فوق الغبار والقذارة المتشرة على أرضية الغرفة. كوّرت جسدها على الأريكة بشكل كرة مُرتجفة وانتظرت كارل ليخضّر لها فنجانًا من القهوة ويشغل التلفاز. في الساعات العديدة التي عقت ذلك دخنت السجائر وتابعت مسلسلاتها وسعلت. في الساعة الثالثة، صاح كارل من المطبخ بأنه حان الوقت للاستعداد للعمل. كانت ساندي تعمل نادلة في الحانة ست ليالٍ في الأسبوع. رغم أنه كان من

المُفترض أن تَحَلَّ محلَّ جوانيتنا عند الساعة الرَّابعة، إلا أنَّها كانت دائماً تتأخَّر في الوصول.

بصوتٍ يعتريه الأنين، انتصبت واقفةً وأطفأت سيجارتها على عجلٍ في منفضة السجائر وألقت بالبطانية من فوق كنفها. أطفأت التلفاز، ثم مضتْ مُرتجفةً صوبَ الحمام. وهي مُنحنية فوق المغسلة، رشَّت بعض الماء داخل كرسيِّ المراض. نشفت وجهها، تأملت نفسها في المرآة، حاولت دون جدوى أن تفرِّش البقع الصفراء عن أسنانها. بقلم شفاهٍ أحمر اللون، حمَّرت شفتيها، وظَّبت مكياج عينيها، وسحبت شعرها البنيَّ إلى الخلف في تسريحة ذيل فرسٍ مترهلة. كان جسدها مُتقرَّحاً ومصاباً بالرضوض. في الليلة الماضية، بعد أن أغلقت الحانة، مكَّنتُ عاملاً من عمال مصنع الورق، وقد فقدَ إحدى يديه مؤخراً في آلة القص، من افتراءها على طاولة البلياردو مقابلَ عشرين دولاراً. كان أخوها يُراقبها من كثبٍ في هذه الأيام منذ أن تلقى تلك المكالمة الهاتفية اللعينة، ولكن عشرين دولاراً تعني عشرين دولاراً، بغض النظر عن الطريقة التي تنظرُ بها إلى وسيلة الحصول عليها. يُمكن لهذا المبلغ أن يكفيها وكارل مؤونة السفر بسيارتها وقطع نصف المسافة التي تصلُ بين حدود ولاية من الولايات، أو دَفَع فاتورة الكهرباء الشهرية. الأمر الذي لا يزالُ يُنغص عيشها هو كيف أن أخاها لي بوديكر كان غارقاً في فسادِهِ حتَّى الثمالة ومن ثمَّ أبدى قلقَهُ خشيةَ خسارة أصواتٍ انتخابيةٍ بسبب سيرتها. أخبرها عاملُ مصنع الورق بأنَّه سيُعطيها على مَضضٍ عشرة دولارات أخرى إن مكَّنته من إيلاج خطاف يده المعدنيِّ فيها، ولكنَّ ساندي قالت له بأنَّه يجبُ عليه توفير الخطاف لزوجته.

- زوجتي ليست عاهرة.

- نعم، صحيح.

ثم ما لبثت أن بادلته الردّ المفحم وهي تَخْلَعُ ثَبَاتَهَا بِقَوْلِهَا:

- هي التي تزوّجتك، أليس كذلك؟

أمسكت العشرين دولارًا طيلة المدة الذي كان يُضاجعها فيها. كانت أقسى مُضاجعةٍ تتعرّض لها خلال زمنٍ طويل؛ فالوغدُ القميء كان مصممًا بالتأكيد على تعويض كلِّ سنتٍ دفعه لها. بدا وكأنه على وشك الإصابة بذبحه قلبية من خلال الطريقة التي كان يقبّع بها كالخنزير ويلهثُ لكي يتنفس؛ والخطاف المعدني البارد يضغط على وزكها الأيمن. عندما قضى وطره منها، كانت النقود قد انشئت وتحوّلت إلى كرة صغيرة في يدها، وأبتلت بالعرق. بعد أن انكفأ مُبتعدًا عن جسدها، قامت بتمسيد النقود على اللبادة الخضراء لطاولة البلياردو وحشرتها داخل كرتتها. وهي تسيرُ صوب الباب لتفتحه له لكي يخرج، قالت له:

- بالإضافة إلى ذلك، ذلك الشيء الذي بين ساقيك لا يمنح شعورًا أكثر مما تمنحه بيرة لشاربها.

أحيانًا، وبعد ليلة كتلك الليلة، كانت تتمنى لو تعود لتعمل في الوردية الصباحية في مطعم وودن سبون. على الأقل، كان هنري الشواء لطيفًا أثناء المضاجعة. كان أول رجلٍ تنام معه. فعلت ذلك مباشرةً عندما بلغت السادسة عشرة. استلقيا سوية على أرضية مخزن لوقتٍ طويل تلك الليلة، يغطّيها الطحين المنهمر من كيسٍ وزنه خمسون باونداً كانا قد أسقطاه. ولم يكف عن القدوم إلى الحانة بين الفينة والأخرى ليتجاذب معها أطراف الحديث ويمازحها وهي تفرّد المزيد من عجينة الفطائر.

عندما دَخَلت ساندي المطبخ، وَجَدت كارل جالساً أمام الموقد يقرأ الجريدة للمرة الثانية ذلك اليوم. اكتسبت أصابعه لوناً سنجابياً بسبب ملامستها للحبِر. كافة عيون الاشتعال في المدفأة كانت تَنبُض بالنار وبابها مفتوح. تراقصت ألسنة اللهب الزرقاء وراءه كصورة مصغرة عن مواعد التخيم. مُسدسه موضوع على طاولة المطبخ، وسبطانته موجهة صوب الباب. اختلطَ بياض عينيه بأوردة حُمُر، وبدا وجهه السمين، الشاحب، غير الحليق كنجم بارد بعيد في الانعكاس الناجم عن المصباح الكهربائي العاري من غطائه الخارجي والمعلق فوق الطاولة. كان قد أمضى ردحاً كبيراً من الليل مُنحنيًا في الخزانة الصغيرة في الممر المؤدي للصالة التي كان يستخدمها كحجرة مظلمة لتظهير الأفلام، مُضيفاً الحياة على آخر الأفلام التي خزنها من رحلة الصيف الماضي. كره أن يرى نهايتها. لا بل إنه بكى تقريباً عندما ظهر تلك الصورة الأخيرة. ما يزال الصيف القادم بعيداً المنال؛ لا بل بدا بعيداً جداً.

قالت ساندي وهي تبحثُ داخل حقيبة يدها عن مفاتيح السيارة:  
- هؤلاء القوم مساكين.

سألها كارل وهو يقلب صفحةً أخرى من الجريدة:

- أي قوم تقصدين؟

- الذين في المسلسل التلفزيوني. لا يعرفون ماذا يريدون.

- اللعنة، يا ساندي، أنتِ تُولين أولئك القحاب الكثير من الاهتمام.

ثم تابع وهو ينظر إلى الساعة وصبره يكاد يتفد:

- تبا، أنتظنين أنهم يكثرثون بك؟

كان يجبُ عليها أن تكونَ في العَمَلِ قَبْلَ خمسِ دقائق. انتظرَها طوالَ اليومِ حتَّى تُغَادِرَ إلى العملِ.

- حسناً، لو لم يكن من أجلِ خاطرِ الطيبِ لما تابعتُ المُسلسلِ بَعْدَ الآن.

كانت تُتابع دائماً مُسلسلِ الطيبِ في أحدِ عُرُوضه التلفزيونية. كان رجلاً طويلاً وسيماً. كان كارل مُقتنعاً كَلِّ القناعة بأنه أكثر الأوغاد حظاً في كوكب الأرض. كان بإمكانه أن ينزل في جُحرِ جِرْذٍ ويتسلق المرتفعات حاملاً حقيبة مملوءةً بالمالِ والمفاتيح للوصول إلى مدينةِ الدورادو الجديدة. خلال السنوات التي تابعتَه فيها ساندي على التلفاز، من المُحتمل أنه اجترَحَ مُعجزاتٍ أكثرَ من معجزات المسيح. لم يكن كارل يُطبقه، ولم يُطبق أنفَه المزيّف الذي يُميّز نجومَ السِينما، لم يُطبق بذلاته التي يبلغُ ثمنُ إحداها ستين دولاراً.

قال كارل:

- قضيبُ مَنْ سِرَضِعُ صَاحِبِكِ الطيبِ اليوم؟

- ها! اسمعوا من يتكلم.

قالت ساندي ذلك وهي تَسْحَبُ معطفها. كان التعب قد أضناها من الحاجة الدائمة للدفاع عن المُسلسلات التي تُتابعها.

- ماذا تقصدين بحقّ الجحيم؟

- أفهمها كما تشاء. كنت في تلك الحُجرة طيلة الليلة مرّةً أخرى.

- سأخبركِ ماذا تقصدين، تحدوني الرّغبة في لقاء ابنِ العاهرة ذاك.

- أراهنُ أنّك ستفعلُها.

صاح كارل وهي تَضْفُقُ الباب وراءها:

- سأجعلُه يصيحُ بأعلى صَوْتِه كخنزيرٍ لعين. أقيسُ بالله سأفعل ذلك!

بعدَ مُرورِ بضعِ دقائقِ على مغادرتها، كَفَّ كارل عن سبِّ المُثَلِّ الذي أَدَّى دَوْرَ الطيبِ في المسلسل وأطفأ المدفأة. وضعَ رأسه بين ذراعيه وغفا لبرهةٍ قصيرة. كانت الغرفةُ مُتعمَّةً عندما استيقظ. كان جائعًا، ولكن كلَّ ما استطاع أن يجده في البرَّاد لم يكن سوى بقايا رغيفي خبزٍ مُتعتنين ومقدارَ دهنَةٍ من جُبنةِ الفُلفيلةِ الحارَّةِ اليابسة في وعاءٍ بلاستيكي. فَتَحَ نافذةَ المطبخ، ورمى بالخبزِ إلى الفناء الأمامي. اندفعت بضعُ نُدفٍ من الثلجِ عبرَ شعاعِ الضوءِ المُنبعثِ من شرفةٍ مدخلِ بيتِ صاحبةِ الشقة. سَمِعَ صَوْتَ أَحَدِهِمْ وهو يَضْحَكُ في سوقِ المواشي المُمتدِّ في الجهةِ المُقابلةِ من الشارع، ثمَّ صَوْتَ طَرَقَةٍ معدنيَّةٍ لبوابةٍ تُغلقُ بقوةٍ. لاحظَ بأنَّه لم يَخْرُجْ من البيتِ منذ أكثرِ من أسبوعٍ.

أغلقَ النافذةَ وسارَ صَوْبَ غرفةِ الجلوسِ وخطا للخلفِ والأمامِ، وهو يغني أغاني دينيةٍ قديمةٍ ويُلَوِّحُ بذراعيه وكأنَّه كان يقودُ كورالاً من المُشدين. كانت أغنيةُ «جني رزم الحصاد»<sup>(1)</sup> إحدى أغنياته المفضَّلة. غناها عدَّةَ مرَّاتٍ متتاليةٍ. عندما كان صبيًّا، اعتادت أمه غناءها له أثناء غسل الغسيل. كان لديها أغنيةٌ خاصَّةٌ بكلِّ عملٍ من أعمالِ المنزل، أغنيةٌ لكلِّ مُناسبةٍ حزينةٍ، أغنيةٌ لكلِّ شيءٍ سيِّئٍ حَصَلَ معهم بعد أن مات أبوه. كانت تَغْسِلُ ثيابَ الأغنياءِ وتكويها، وتعرَّضت للاحتيال في مُعظمِ الأحيان على يدِ الأوغاد السيِّئين. أحيانًا كان يتغيَّبُ عن المدرسة

(1) أغنية دينية بروتستانتية ألفها نولس شو عام 1874. (المترجم)



ويحتبئ تحت شُرْفَةِ المنزل المتعَفِّنة مع البَرَاقَاتِ والعناكبِ والقليل المتبقي من جثَّةِ قِطَّةِ الجيران، ويُصْغِي لأغنياتها طيلةَ اليوم. بدأ صوتُها صوتًا لا يُتَعَبُّ أبدًا. كان يُقسِّمُ سندويشةَ الزبدة التي جَهَّزَتْهَا كغداءٍ له إلى أجزاءٍ حتَّى يَقْتَصِدَ في الإنفاق، وَيَرْتَشِفُ المَاءَ القَدِرَ من عُلْبَةِ حَسَاءِ صدئته احتفظَ بها في القفصِ الصِّدْرِي للقطَّةِ الميتة. كان يتخيَّلُهَا حَمَّ عَجَلٍ بالخضارِ أو دجاجٍ بالمعكرونه، بيْدَ أَنَّهُ مَهْمَا حَاوَلَ جَاهِدًا تَحْيِيلَ ذلك، كان طَعْمُهَا دَائِمًا كَطَعْمِ الطِّينِ. تَمَنَّى من صميمِ قَلْبِهِ لو أَنَّهُ اِنتَبَعَ بعضَ الحساءِ في آخرِ مرَّةٍ ذَهَبَ فيها إلى البِقَالَةِ. ذَكَرَى تلكَ العُلْبَةَ العتيقةَ جَعَلَتْهُ يَجِوِّعُ مرَّةً أُخرى.

غَنَى لعدَّةِ ساعات، صَوْتُهُ الجهوري لَعَلَّعَ عبرَ غُرفِ الشِّقَّةِ، وجهه أحمرٌ ومتعَرِّقٌ بسببِ الجهدِ الَّذِي يبذله في الغناء. ومن ثَمَّ وقَبْلَ التَّاسِعَةِ بقليل، بدأت مَالِكَةُ الشِّقَّةِ تَحْطُ خَبَطَاتٍ شديدةِ برأسِ قَبْضَةِ المِكْنَسَةِ على سَقْفِ شِقَّتِهَا الواقعةِ تحتِ شِقَّتِهِ. كان في مُنتَصَفِ نَسْخَةِ جِيَّاشَةِ حماسيةٍ من أَغْنِيَةِ «إلى الأمام أيُّهَا الجنودُ المِسيحيُّون». لو حَصَلَ ذلك في أيِّ وقتٍ آخرٍ لَتَجَاهَلَهَا، ولكن هذه اللَّيْلَةَ استمرَّ يَهْدِرُ في الكلامِ إلى أن تَوَقَّفَ من تَلْقَاءِ نَفْسِهِ. كان في مزاجٍ يُوَهِّله للقيامِ بأشياءٍ أُخرى. ولكن إن لم تُقَمِّ بِرَفْعِ درجةِ حرارةِ التَّدْفِئَةِ اللَّعِينَةِ حَالًا، فَإِنَّهُ سَيُواصلُ إِزْعَاجَهَا حتَّى مُنتَصَفِ اللَّيْلِ. يُمكنُهُ أن يَتَحَمَّلَ البَرْدَ بِسَهولَةٍ نَسِيبَةٍ، ولكنَّ ارتجَافَ ساندِي المُستمرِّ وتذمُّرَها من البَرْدِ كانا يُوجِّجانِ غَضَبَهُ.

قَفَلَ راجعًا إلى المطبخِ، وأَحْضَرَ مصباحًا يدويًا مُتَنَقِّلًا من دُرْجِ المَلَاعِقِ وتأكَّدَ من أن البابَ كان مُوصدًا. ثم مضى وأغلقَ كَافَّةَ السِّتائرِ، وانتهى به الأمرُ في غُرفةِ النُّومِ. جثا على رُكْبَتَيْهِ ومدَّ يَدَهُ تحتِ السَّريرِ

صَوَّبَ صُنْدُوقِ أَحْذِيَةِ. حَمَلَ الصُّنْدُوقَ إِلَى غُرْفَةِ الْجُلُوسِ وَأَطْفَأَ كَافَّةَ  
الْأَضْوَاءِ وَاسْتَرَخَى عَلَى الْأَرِيكَةِ فِي الْعَتَمَةِ. هَبَّتْ رِيحٌ بَارِدَةٌ مِنْ خِلَالِ  
النَّوَافِذِ الرَّخْوَةِ. أَلْقَى بَطَانِيَّةَ سَانَدِي عَلَى كَتْفَيْهِ.

أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَالْعَلْبَةَ فِي حُضْنِهِ، وَمَدَّ يَدَهُ تَحْتَ غَطَائِهَا الْكَرْتُونِي.  
كَانَ بَدَاخِلَهَا أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي صُورَةٍ، وَلَكِنَّهُ اِكْتَفَى بِسَحْبِ صُورَةٍ  
وَاحِدَةٍ. فَرَّكَ بِإِبْهَامِهِ بِيْطَاءً فَوْقَ سَطْحِ الصُّورَةِ الْأَمْلَسِ. حَاوَلَ أَنْ  
يُحْمَنَ بِحَدْسِهِ آيَةَ صُورَةٍ هِيَ. كَانَ ذَلِكَ طَقْسًا بَسِيطًا لِتَدْوِمِ الْإِثَارَةَ مَدَّةَ  
أَطْوَلِ. بَعْدَ أَنْ تَكَهَّنَ أَيَّ صُورَةٍ سَتَكُونُ، فَتَحَّ عَيْنَيْهِ وَقَلَّبَ الْمِصْبَاحَ  
الْيَدَوِيَّ لِثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَط. تَكَ، تَكَ. لَمَحَهَا لَمَحَةً بَسِيطَةً وَوَضَعَهَا  
جَانِبًا، أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وَسَحَبَ صُورَةً أُخْرَى. تَكَ، تَكَ. الظُّهُورُ  
الْعَارِيَّةَ وَالْجُرُوحَ الْمَدْمَاءَةَ وَسَانَدِي بِسَاقَيْهَا الْمَمْدُودَتَيْنِ. كَانَ أحيانًا  
يَسْحَبُ كُلَّ الصُّوَرِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَلْبَةِ دُونَ أَنْ يَجْزِرَ وَلَوْ صُورَةً وَاحِدَةً  
بِالشَّكْلِ الصَّحِيحِ.

ظَنَّ لَوْهَلَةَ أَنَّهُ سَمِعَ ضَجِيجًا؛ صَفَّقَ بَابَ سَيَّارَةٍ، وَقَعَّ أَقْدَامَ عَلَى  
الدرج الخلفيِّ. نَهَضَ وَمَشَى عَلَى رُؤُوسِ أَصَابِعِهِ مِنْ غُرْفَةٍ لِأُخْرَى  
حَامِلًا مُسَدَّسَهُ، نَظَرَ خَلْسَةً عِبْرَ النَّوَافِذِ. ثُمَّ تَحَرَّى الْبَابَ وَعَادَ إِلَى  
الْأَرِيكَةِ. بَدَا الزَّمَنُ وَكَأَنَّهُ يَتَحَرَّكُ، يُسْرِعُ، يُبْطِئُ، يَرْجِعُ لِلوَرَاءِ وَيَتَقَدَّمُ  
لِلْأَمَامِ كَحُلْمٍ مَجْنُونٍ لِأَزْمَةٍ مِرَازًا وَتَكَرَّازًا. مَرَّتْ ثَانِيَةَ رَأْيٍ فِيهَا نَفْسَهُ  
وَاقفًا فِي حَقْلٍ مُوَحَّلٍ مَزْرُوعٍ بِفُؤُولِ الصُّوْبَا يَاقِعُ خَارِجَ مَدِينَةِ جَاسِبَرِ فِي  
وَالَايَةِ إِنْديَانَا. أَمَّا النَّقْرَةُ التَّالِيَةُ لِلْمِصْبَاحِ الْيَدَوِيِّ فَارْتَحَلَتْ بِهِ إِلَى قَاعِ  
شِعْبِ صَخْرِي شِمَالِ شُغْرِ سَيْتِي فِي وَايَةِ كُولُورَادُو. رَحَفَتْ أَصْوَاتُ  
قَدِيمَةٍ عِبْرَ رَأْسِهِ كَالدَّيْدَانِ، بَعْضُهَا أَصْوَاتُ تَنْفُوهِ بِشَتَائِمَ مُقَدَّعَةٍ،  
وَبَعْضُهَا أَصْوَاتُ لَا تَزَالُ تَتَوَسَّلُ طَالِبَةً الرَّحْمَةَ. بِحُلُولِ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ،

كان قد سافر بأحلامه في رقعة واسعة من الغرب الأوسط. عاش مرة أخرى اللحظات الأخيرة في حيوات أربعة وعشرين رجلاً غريباً. تذكر كل شيء. بدا الأمر وكأنه كان يبعثهم من الموت في كل مرة يُخرج فيها العلبة. نكزهم ليستيقظوا، وسمح لهم أن يؤدوا النمط الغنائي الخاص بهم. نقرة واحدة أخيرة وقرر أن يخلد للنوم.

بعد أن أعاد العلبة إلى محببها تحت السرير، شغل الأضواء مرة أخرى ومسح البطانية بأفضل ما يستطيع بليفة استحمام ساندي. خلال الساعات القليلة التالية، جلس إلى طاولة المطبخ وهو ينظف المسدس ويتأمل خرائط الطريق مُتظراً عودة ساندي من العمل. كان دائماً ما يشعر بالحاجة لصحبتيها بعد نوبته مع العلبة. كانت قد حكّت له عن عامل مصنع الورق، وفكر بالأمر لبرهة من الزمن، ما الذي سيفعله بالخطاف إذا ما وقعوا في ترحالهم على الطريق على رجلٍ يزغّب بالصعود معهما ويديه خطاف.

كان قد نسي الجوع الشديد الذي ألمّ به إلى أن وصلت ساندي معها قطعتان باردتان من الهمبرغر مرشوشتان بالخرذل، وثلاث قناني بيرة، وجريدة المساء. فيما كان يأكل، جلست قبالة وأضافته بعناية وحرص ما جنته من إكراميات من عملها، جمعت فئة الخمسة سنتات، وفئة العشرة سنتات، وأزباج الدولار في أكوام صغيرة مرتبة، وتذكرت الطريقة التي سلكتها قبل ذهابها للعمل بخصوص المسلسل التلفزيوني الغبي. قال كارل عندما فرغت ساندي أخيراً من عدد النقود:

- جمعت مبلغاً جيداً من المال من عملي الليلة.

قالت ساندي بابتسامة مرهقة:

- أظنّ أنه ليس مبلغًا سيّئًا خصوصًا أنّ اليوم هو الأربعاء. وماذا فعلت أنت اليوم؟  
هزّ كتفيه وقال:

- آه، نظّفتُ البرّاد وغنّيتُ بعض الأغاني.

- لم تُغضبِ المرأةَ العجوزَ مرّةً أخرى، أليس كذلك؟

- أنا أمزحُ فقط بخصوص ما قلته عنها. لديّ بعض الصُّور الجديدة لأريها لك.

- أيّ صُور؟

- صورة الفتى الذي يربطُ منديلًا مُزركشًا حوّل رأسه. ظهرتُ صَوْرَه وكانت صوْرًا جيّدة جدًّا.

- لا أريدُ رؤية الصُّور اللّيلة. إنّ فعلتُ ذلك فلن أستطيع النوم أبدًا.

ثمّ ما لبثتُ أن دَفَعْتُ إليه نِصْفَ ما جَتَّه من إكراميات. جَمَعَ كارل النقود ووَضَعَهَا في علبة قهوةٍ يَحْتَفِظُ بها تَحْتَ المَجْلَى. كانا يُوفِّرَان المَالِ دائِمًا من أَجْلِ السَيَّارة المَهْلَهلة الّتي سيشتريانها؛ من أَجْلِ بكرةِ فِلمِ التصوير التّالية؛ من أَجْلِ الرّحلة التّالية. فَتَحَ آخِرَ علبة بيرة، وَسَكَبَ لها كأسًا. ثمّ جثا على رُكبتيه أمامها ونزَعَ حذاءها من قَدَميها، وَشَرَعَ يَفْرِكُ قَدَميها المُتعبتين. قال لها:

- ما كان ينبغي لي أن أتحدّث بسوءٍ عن طبيبك اللّعين اليوم. شاهدي ما تَرَعَّيْنِه من مُسلسلاتٍ على التلفاز.

- لَيْسَتْ سوى تسليةٍ أملاً بها فراغي، يا حبيبي. أزيّلُ بذلك العديدَ من الهموم الّتي في رأسي، أَتَفْهَمُ قَصْدِي؟

أوماً مُوافقاً، ثم مرّ أصابعه بلُطفٍ على باطنِ قدميها النَّاعمتين.  
قالت وهي تمدّ ساقَيْها:

- نعم هنا، افرك هنا. ثم، بعد أن فرغت من البيرة وسيجارةٍ أخيرة،  
رفَع جسدها النَّحيلَ وَحَمَلَهَا وهي تُقَهِّقُه عِبرَ الممرِّ الواصلِ بين  
الصَّالةِ وغرفةِ النومِ. لم يَسْمَعِ ضِحْكَتَهَا منذ أسابيع. سيدفئ  
جسدها اللَّيلة، ذلك أقل ما يمكنُ أن يَفْعَلَه لها. قاربَ الوقتُ  
على الرَّابعةِ فجراً تقريباً، ونوعاً ما، بكثيرٍ من الحظِّ وقليلٍ من  
النِّدم، تَضَاجَعَا في يومٍ شتويٍّ طويلٍ آخر.



بعد بضعة أيام، أوصل كارل ساندي إلى مكانٍ عملها بالسيارة، وقال لها بأنه بحاجة للخروج من الشقة لبرهة. كان الثلج قد نزل وشكل عدة إنشآت الليلة الماضية. في ذلك الصباح تمكنت الشمس أخيراً من الولوج عبر الكتلة الكثيفة الرمادية للغيوم التي حامت فوق أوهايو كلغنة تقبض الصدر ولا رحمة فيها في الأسابيع العديدة الماضية. اكتسى كل شيء في بلدة ميد، حتى مذخنة مصنع الورق، ثوباً أبيض متلألئاً. أوقفت ساندي السيارة أمام مطعم تيكومسيه وقالت:

- هل ترغب بالدخول للحظات؟ سأشتري لك بيرة.

نظر كارل حوالبه إلى السيارات المركونة في المرأب المغطى بوحلٍ ناعم. تفاجأ بأنه كان مُزدحمًا جدًا في منتصف النهار. لقد حبس نفسه في الشقة لمدة طويلة لدرجة أنه لم يفكر بأنه يستطيع تحمّل رؤية ذلك العدد الكبير من الناس في أول مرة يعود فيها إلى العالم الحقيقي منذ ما قبل أعياد الميلاد. قال كارل:

- آه، أظنّ بأنني سأذهب. أفكر بالتجول بالسيارة لبرهة، وسأحاول العودة للبيت قبل حلول الظلام.

قالت ساندي وهي تفتح باب السيارة لتتنزل:

- افعل ما يحلو لك. فقط لا تنس أن تأتي وتأخذني من هنا الليلة.

حالمًا مَضَّت إلى الداخل، توجّه كارل مباشرةً عائداً إلى الشقة الواقعة في شارع وات. جلس مُحدِّقًا من نافذة المطبخ حتى غابت الشمس، ثم خَرَجَ صَوَّبَ السيّارة. وضع كامرته على تابلو السيّارة ومُسَدَّسَه تحت المقعد. كان هناك نِصْفُ صفيحةٍ من البنزين في السيّارة وخمس دولارات في محفظة نُقوده كان قد أخذها من حَوْجَلَة النُقود المخصّصة لتمويلِ رَحَلَاتِهَا. قطعَ عهدًا على نفسه بالأُ يُقَدِّم على فِعْلِ أيّ شيءٍ سوى التجوّل بالسيّارة في البلدة قليلاً وأن يُسَلِّك سُلوكًا يُوحى بأنّ كلّ شيءٍ كان طبيعيًا. كان يَتَمَنَّى رغم ذلك أحيانًا لو أنّه لم يَضَع أبدًا تلك القواعدَ اللَّعينة. اللَّعنة، هنا في بلدة ميد، يُمكنه ربّما قَتْل واحدٍ من سكّانها الرّيفيين كلّ ليلة إن أرادَ ذلك. حدّث نفسه وهو يَمْضِي في السيّارة عَبْرَ الشارع:

- ولكن هذا هو السّبب الذي جعلك تَضَعُ تلك القواعد في المقام الأول اللّعين يا كارل. لذا لا تَخْلِط الأمور.

أثناء مُروره بِمَطْعَم وايت كاو الصّغير في شارع هاي، رأى شقيق زوجته لي بوديكر واقفًا بجانب سيّارته الكروزر عند طَرَفِ مرأب السيّارات، وهو يتحدّثُ مع شخصٍ يجلسُ وراء مقود سيّارة سوداء لامعة من طراز لِنْكِن. بدا من هيئتهما أنّهما كانا يتجادلان، بدا ذلك من الطّريقة التي كان فيها بوديكر يُحرِّك فيها ذراعينه. أبطأ كارل من سُرْعَة سيّارته ورأقَبَها في مرآة الرّؤية الخلفيّة بسيّارته لأطولِ مدّةٍ استطاعها. تذكّر كارل ما قالته له ساندي ذات ليلةٍ قبل بضعة أسابيع. قالت بأنّ أخاها سينتهي الأمرُ به في السّجن إن لم يتوقّف عن مُرافقة أشخاصٍ مثل تير براون وبوبو مكدانيلز. سألها كارل حينها:



- ومن يكون هؤلاء بحق الجحيم؟

كان حينها جالسًا إلى طاولة المطبخ وهو يفتح إحدى سندويشتي برغر بالجبن كانت قد أخضرتُهما من مكانٍ عملِها. كان أحدهم قد قَصَمَها من زاويتها. نَزَع من السندويشة شرائح البصل المقطَّع بمطواته.

- هذان الرجلان يُسيطران على كلِّ شيءٍ من سرِّ كلِّ واحدٍ وحتى بورتساوث. كلُّ شيءٍ غير قانوني على أيِّ حال.

- حسنًا. وكيف عرفتِ ذلك؟

كانت تعودُ للبيتِ ومعها دائمًا قصَّةٌ قَدِرةٌ حكاها لها أحدُ السكارى. في الأسبوع الماضي تحدَّثت مع شخصٍ مَن حَضَرُوا اغتيال كيندي. أسَقَط في يدِ كارل أنها كانت ساذجةً وسريعةً التصديق على ذلك النحو الكبير. ولكنه تأكد مرةً أخرى بأنَّ تلك الخِصْلَة فيها ربِّما تكونُ أحدَ الأسباب الرئيسة التي جعلتها مُتمسكةً به طيلة هذه المدَّة.

- عرفتُ ذلك لأنَّ هذا الشخص جاء إلى الحانة اليوم مباشرةً بعد خروج جوانيتا وأعطاني ظرفًا حتى أوصله لبوديكر.

قالت ذلك وأشعلتُ سيجارةً ونفثتُ بعض الدخان نحو السقف الملطَّخ. أضافت:

- كان ظرفًا مليئًا بالمال على بكرَّة أبيه، ولم يكن فيه أيُّ قِطْع نقدية من فئة الدولار أبدًا. لا بدَّ أنَّ فيه أربع أو خمسمائة دولار، وربِّما أكثر.

- يا يسوع المسيح! وهل أخذتِ شيئًا من المال؟

- أكيد أنك تَمزح، صحيح؟ هؤلاء ليسوا من التَمَط من الناس الذين تستطيعُ سرِّقتهم.

أمسكت بإحدى شرائح البطاطا المقلية من العُلبَة الكرتونية  
الدهنية الملمس الموضوعة أمام كارل، وغمستها بكُمزة من الكتشب.  
لم تغب عن بالها طيلة المساء فكرة الوثوب إلى السيارة وأخذ الظرف  
واهروب.

- ولكن بوديكر شقيقك، اللعنة. لن يفعل لك أي شيء.

- اللعنة يا كارل، إن الحالة التي عليها بوديكر الآن، أشك في أنه  
لن يتردد في التخلص منا. على الأقل التخلص مني وليس منك  
على أي حال.

- حسناً، ماذا فعلت بالظرف إذن، هل لا يزال معك؟

- يا إلهي، طبعاً لا. عندما جاء أعطيته إياه وتظاهرتُ بعدم معرفة  
ما فيه.

نظرتُ إلى شريحة البطاطا المقلية في يدها، أسقطتها في منفضة  
السجائر. قالت:

- ومع ذلك، بدا غير سعيد أبداً.

بينما كان كارل لا يزال يفكر بشقيق زوجته لي بوديكر، انعطفت إلى  
شارع فاين. في كل مرة يُصادفه فيها، وهي مرّات ليست كثيرة، حمدًا لله،  
كان ابنُ العاهرة ذاك يسأله: «إذن، أين تعمل يا كارل؟» كان كارل مستعداً  
لأن يفعل المستحيل ليراه عالقاً في ورطة كبيرة لا يستطيع الإفلات منها  
من خلال تباهيه بعرض رُتبته اللعينة كأمير للشرطة. رأى أمامه صبيين،  
ربّما في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر، يمشيان ببطء على  
الرصيف. ساق سيارته قليلاً وأطقاً المحرك. أنزل زجاج شباك السيارة  
واستنشق عدة شهقات من الهواء البارد. راقبهما وهما يفترقان عند نهاية

المبنى. أحدهما يَمَمَ شرقاً، والثاني غَرْبًا. أنزل زُجاج الشبَّاك المُقابل وشغَلَ  
السيارة، سارَ بها إلى إشارة الوقوف وانعطفَ يمينًا.

قال كارل عندما أوقف السيارة بجانب الصَّبي النَّحيل الذي كان  
يَرتدي جاكيتًا أزرقَ غامقًا مطرَّزًا عليه من الخُلف بِخِيطٍ أبيض عبارة  
«مدرسة ميد الثانويّة»:

- مرحبًا، أتريد أن أوصلك إلى مكان ما؟

وقف الصَّبي ونظرَ إلى السائق الجالس وراء مقود سيارة الستيشن  
القصيرة البدنية. كان وجهُ كارل المتعرق يلمعُ في الوهج الصادر عن  
أنوار الشوارع. غطَّت بقايا لحيَّة بُنيَّة لِغُدِّهِ ورَقَبَتِهِ الغليظة. عيناه كانتا  
خرزيتي الشكل وقاسيتين، كعيني حيوانٍ من القوارض.

أجاب الصَّبي:

- ماذا قلت؟

- أنا أتجوَّل فقط. ربَّما يُمكننا أن نحسِّي بعض البيرة.

بلعَ كارل ريقه وأمسكَ نفسه قبل أن يبدأ بالتوسَّل.

ابتسمَ الفتى ابتسامَةً مُتكلفة وقال:

- لستُ أنا بُعَيْتُكَ، يا سيدي. لم أتربَّ بتلك الطريقة.

ثم بدأ المشي مرَّةً ثانية، مشى أسرع هذه المرَّة.

قال كارل مُحدِّثًا نفسه بصوتٍ خفيض:

- تَبَّا لك إذن.

جلسَ في السيارة وراقبَ الفتى يتَوَارَى داخلَ منزلٍ ليسَ بعيدٍ  
عنه. رغم أنَّه مُني بخبيَّة أملٍ بعض الشيء، فقد شعرَ براحةٍ أكبر. عرَفَ

أنه لن يكون بمقدوره رَدَع نفسه إذا ما صَعِدَ معه ذلك الفتى الشَّيرير في السيَّارة. لا بل كان بإمكانه أن يتخيَّل المشهَدَ الَّذِي كان سيحصلُ، الوغد الصَّغير مُستلقياً في الثلج ممزق الجَسَد. يوماً ما، فكَّر بينه وبين نفسه، سيضطرُّ إلى تصويرِ مشهَدٍ شتوي.

ساق السيَّارة عائداً إلى مطعم وايت كاو، لم يرَ بوديكر الَّذي غادر قبلاً. رَكَن السيَّارة ودخَلَ المطعم، جَلَسَ إلى نضد البار وطلب كوباً من القهوة. يدهُ لا تزالان ترتجفان. قال للنَّادلة، وكانت فتاةً طويلة نحيفة ذات أنفٍ أحمر:

- اللَّعنة، الجوّ باردٌ في الخارج.

- لا تَنَسَ أنكَ في أوهايو.

- لستُ مُعتاداً على هذا البرد.

- آها، إذن أنتَ لستَ من هذه المنطقة؟

قال كارل وهو يَرْتَشِفُ رشفةً من القهوة وأخرج سيجاراً كان قد دخَّن قسماً سابقاً منه:

- لا، أنا عابر سبيل من كاليفورنيا.

عبَسَ ونظَرَ إلى السيجار. لم يكن مُتأكِّداً لماذا قال ذلك؛ اللّهم إلَّا إذا أرادَ أن يَشُدَّ اهتمامَ الفتاة. كان مجرد ذِكرِ اسم كاليفورنيا يُلقِي به عادةً في غيابة من الهمِّ والكدر. انتقلَ مع ساندي إلى هناك ولم تكن قد مرّت سوى بضع أسابيع على زواجهما. ظنَّ كارل بأنَّ النَّجاح سيحالفُه هناك، من خلال التِّقاطِ صُورٍ لنجوم السينا وأصحابِ الوجوه الجميلة، وتأمينِ فرصةٍ عمَلٍ لساندي كعَارِضة، ولكن بدلاً من ذلك انتهى بهما الأمرُ في برّائِن الإفلاس والجوع. ثم اضطرَّ في نهاية

المطاف لِيَبْعَ شَرَفَهَا لِرَجُلَيْنِ التَّقَاهُمَا خَارِجَ وَكَالَةِ مَشْبُوهُةٍ مَتَخَصَّصَةٌ فِي  
اكتشافِ المواهب. أَرَادَا تَصْوِيرَ فِلمِ إِيَابِحِي. رَفَضَتْ سَانْدِي فِي الْبَدَايَةِ،  
وَلَكِن تِلْكَ اللَّيْلَةَ، بَعْدَ أَنْ أَعْدَقَ عَلَيْهَا كَارِلُ الْفُودِكَا وَالْوَعُودِ، سَاقَا  
سَيَّارَتِهَا الْمُهْلَهْلَةَ الْقَدِيمَةَ إِلَى مَنطِقَةِ هُولِيُودِ هِلْزِ الْمَغْمُورَةِ بِالضُّبَابِ،  
وَمَضِيَا إِلَى كُوخِ صَغِيرٍ مُظْلَمٍ تَسْتُرُ الْجَرَائِدُ نَوَافِذَهُ.

قال كارل لساندي وهو يسيرُ أمامها صَوْبَ الْبَابِ:

- رَبِّمَا تَكُونُ هَذِهِ انْطِلَاقَتَنَا الْكَبْرَى. وَتَقِي عِلَاقَاتِكَ بَرُؤَادِ هَذَا  
الوسط.

بالإضافة إلى الرجلين اللذين عَقَدَ مَعَهُمَا الصَّفَقَةَ، كَانَ هُنَاكَ سَبْعَةٌ  
أَوْ ثَمَانِيَةٌ آخَرُونَ يَقْفُونَ عَلَى طُولِ الْجِدْرَانِ اللَّيْمُونِيَّةِ الصَّفْرَاءِ لِعَرَفَةِ  
الجلوس. كَانَتْ عَرَفَةٌ خَالِيَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى كَامِرَا تَصْوِيرِ سِينِيَّائِيَّةِ  
مُثَبَّتَةٍ عَلَى حَامِلِ ثَلَاثِي الْقَوَائِمِ، وَسَرِيرٍ لِشَخْصَيْنِ مَغْطَى بِشَرَاشِفَ  
مُجْعَدَةٍ. أَعْطَى أَحَدُ الرَّجَالِ كَارِلَ كَأْسًا مِنَ الشَّرَابِ وَطَلَبَ آخَرَ بِصَوْتِ  
نَاعِمٍ مِنْ سَانْدِي أَنْ تَخْلَعَ مَلَابِسَهَا. التَّقَطَّ بَعْضُهُمْ صُورًا فُوتُوغْرَافِيَّةِ  
لَهَا وَهِيَ تَتَعَرَّى. لَمْ يَنْبَسِ أَحَدٌ بَيْنَتِ شَفَقَةٍ. ثُمَّ صَفَّقَ أَحَدُهُمْ بِيَدَيْهِ وَفَتَحَ  
بَابَ الْحَمَّامِ بِقُوَّةٍ. ظَهَرَ قِزْمٌ ذُو رَأْسٍ حَلِيقَةٍ، رَأْسٌ كَبِيرَةٌ جَدًّا بِالنَّسْبَةِ  
إِلَى جِسْمِهِ، يَسِيرُ وَرَاءَهُ رَجُلٌ طَوِيلٌ يَبْعَثُ الصَّدْمَةَ فِي النَّفْسِ. جَاءَ إِلَى  
العَرَفَةِ. كَانَ الْقِزْمُ يَرْتَدِي سُرُوالًا أَفْضَافًا مَثْنِيًّا لِعَدَّةِ إِنْشَاتِ فَوْقَ حِذَائِهِ  
الإيطالي المدبَّبِ وَقَمِيصًا هَاوَايَانِيًّا. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الضَّخْمَ كَانَ عَارِيًّا كَمَا  
وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، عَضُوه ذُو الْعُرُوقِ الدَّمُويَّةِ الزَّرْقَاءِ، الْعَرِيضُ كَعَرَضِ كُوبِ  
مِنَ الْقَهْوَةِ، يَتَدَلَّى بَيْنَ سَاقَيْهِ السَّمْرَاوَتَيْنِ الْمَفْتُولَتِي الْعَضَلَاتِ. عِنْدَمَا  
رَأَتْ سَانْدِي الْقِزْمَ الْمُكْشَّرَ الْأَسْنَانَ وَهُوَ يَفْكُ لِحَامًا مَرْبُوطًا بِطَوِيقِ

ملفوفٍ حَوْلَ رَقَبَةِ الرَّجُلِ الضَّخْمِ، تَدَخَّرَجَتْ عَلَى السَّرِيرِ وَبَدَأَتْ  
بِجَنونِ التَّقَاطُ مَلَابِسَهَا. نَهَضَ كارلُ وَقَالَ:

- آسِفٌ، يَا شَبَابَ، لَقَدْ غَيَّرْتُ السَّيِّدَةَ رَأْيَهَا.

زَجَجَرَ الرَّجُلُ الْوَاقِفُ خَلْفَ الكَامِرا السَّيْنِائِيَّةِ قَائِلًا:

- أَخْرَجُوا مَصَاصَ الْقَضِيبِ ذَاكَ مِنْ هُنَا.

وَقَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ كارلُ مَا الَّذِي كَانَ يَحْدُثُ، سَحَبَهُ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ عِبرَ  
البَابِ وَوَضَعُوهُ فِي سَيَّارَتِهِ. قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ:

- وَالآنَ انْتَظِرْ هُنَا وَإِلَّا فَإِنَّهَا سَتَعَرَّضُ لِأَذَى كَبِيرٍ.

شَرَعَ بِتَدَخِينِ سَيَّارَتِهِ وَرَاقَبَ الظَّلَالَ تَتَحَرَّكُ جِيئَةً وَذَهَابًا خَلْفَ  
النِّوَاذِ المِغْطَاةِ. حَاوَلَ أَنْ يُقَنِّعَ نَفْسَهُ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَكُونُ عَلَى خَيْرٍ مَا  
يَرَامُ. فَجُلَّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ حَالُ الصَّنَاعَةِ السَّيْنِائِيَّةِ؛ لَا يَمَكُنُ  
لشَيْءٍ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الجِدِّيَّةِ أَنْ يَجْرِي بِعَكْسِ مَا تَشْتَهِي السَّفِينُ.  
بَعْدَ سَاعَتَيْنِ، فُتِحَ البَابُ الْأَمَامِيّ وَحَمَلَ الرَّجَالُ الثَّلَاثَةُ سَانِدِي إِلَى  
السَّيَّارَةِ، وَرَمَوْهَا فِي المَقْعَدِ الخَلْفِيِّ. جَاءَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَى مَحَاذَةِ مَقْعَدِ  
السَّائِقِ وَنَاوَلَ كارلَ عَشْرِينَ دُولَارًا.

قال كارل:

- هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ. اتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ تَدْفَعُوا مَائَتِي دُولَارًا.

- مَائَتًا دُولَارًا؟ اللَّعْنَةُ. لَا تَسْتَحِقُّ عَشْرَ دُولَارَاتٍ. مَا إِنَّ أَوْلَجَ  
ذَلِكَ الضَّخْمِ ابْنَ القَحْبَةِ عَضُوهُ فِي مَوْخَرَتِهَا، حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهَا  
وَاسْتَلْقَتْ هُنَاكَ كَسْمَكَةَ مَيْتَةٍ.

التَفَّتْ كارلُ وَنَظَرَ إِلَى سَانِدِي وَهِيَ مُلْقَاةٌ عَلَى المَقْعَدِ. بَدَأَتْ بِاسْتِعَادَةِ  
وَغِيهَا رُويِدًا رُويِدًا. كَانُوا قَدْ أَلْبَسُوهَا كِتْمَتَهَا بِالْمَقْلُوبِ.

قال كارل:

- هذا هُراء. أريدُ أن أكلّم الرّجلين اللّذين اتّفقتُ معها.

قال أحدُ الثلاثة:

- تَقْصِدُ جيري وتِد؟ لقد غادرا منذ ساعة.

- سأَتصلُ بالشرطة، هذا ما سأفعله.

أجابَ الرّجل وهو يهزُّ رأسه:

- لا، لن تفعل.

ثمّ ما لبثَ أن مدَّ يدهُ عبر النافذة وأمسكَ كارل من حُنْجرتِه

وَضَغَطَهَا وهو يقول:

- في الحقيقة، إن لم تتوقّف عن عُهْرِك وتَنْصَرِف من هنا، سأعيدُك

إلى الدّاخل وأفليتُ على مؤخّرتك السّمينة فرانكي الضّخم. لا

بأس أن ينجني هو وصاحبهُ توجو مائةً دولارٍ أخرى.

بينما عادَ الرّجل أدراجَهُ صوبَ الكوخ، سمِعَهُ كارل يقول له:

- ولا تُحاول أن تُخَصِّرَها إلى هنا مرّةً أخرى. لَيْسَ لديها أيّة

مؤهلاتٍ للعملِ في هذه المهنة.

صباحَ اليوم التّالي، خَرَجَ كارل وابتاعَ مُسدّسًا قديمًا من طِراز

سميث أند ويسون .38 من دكانٍ للرّهنيّات مُقابل العشرين دولارًا

التي قبضها من مُتعهد الأفلام الإباحيّة.

سألَ كارل صاحبَ الدكان:

- وكيف لي أن أعرف أن هذا المُسدّس يَعْمَل؟

- اتّبِعني.

أَخَذَ صَاحِبُ الدَّكَانِ كارل إلى غَرَفَةِ خَلْفِيَّةٍ وَأَطْلَقَ رِصَاصَتَيْنِ  
صَوَّبَ بِرِمِيلٍ مَمْلُوءٍ بِنِشَارَةِ الحَشَبِ وَالمَجَلَّاتِ القَدِيمَةِ.  
قال الرَّجُلُ:

- لقد توقّفوا عن إنتاج هذا الطراز في عام 1940 أو في حدود  
ذلك العام، ولكنّه لا يزال مُسَدَّسًا جيّدًا.

عاد كارل إلى نُزُلِ بلو ستار حيث كانت ساندي تُغْمِرُ جَسَدَهَا في  
بانيو من الماء السّاخن والمِلْحِ الإنكليزي. أراها المُسَدَّسَ وهو يُقَسِّمُ بأنّه  
ذاهبٌ لِيَقْتُلَ بِمُسَدَّسِهِ الوَغْدَيْنِ اللَّذَيْنِ احتلّاهُ عليه. غير أنّه، وبدلاً من  
ذلك، مضى إلى الشارع وجلسَ على مقعدٍ في الحديقة طيلة اللّيل وهو  
يفكّر بِقَتْلِ نَفْسِهِ. انكسرَ شيءٌ ما فيه ذلك اليوم. استطاعَ أن يرى وللمرّة  
الأولى بأنّ حياته برُمْتها لا جدوى منها على الإطلاق. الشّيء الوحيد  
الذي كان يعرفُ كيفيّة القيام به هو التصوير بالكاميرا. ولكن من يحتاج  
شخصاً سميئاً آخر ذا شعرٍ رقيقٍ يَلْتَقِطُ صوراً مُمِلَّةً لأطفالٍ حُمِرَ الوجوه،  
دائمي الشكوى؛ لفاسقاتٍ بفساتينِ الحفلات الموسيقيّة؛ لأزواجٍ  
متجهّمي الوجوه يَحْتَفِلون بالذكري الخامسة والعشرين لِتَعَاسَتِهِمْ؟  
عندما عادَ لِغُرْفَتَيْهَا تلك اللّيلة، كانت ساندي قد خَلَدَت للنوم مسبقاً.

عاداً إلى أوهايو بعد ظهر اليوم التّالي. ساق كارل السيّارة وجلسَت  
ساندي على الوسائد التي سَرَقَها من غرفة النُّزُل. اكتشَفَ بأنّه واجهَ  
صُعوبةً بالغةً في النّظر إلى وَجْهِها مُباشرةً، وبالكاد نفوَّها بكلمةٍ مع  
بعضهما طيلة الطريق عبر الصّحراء إلى أن وصلا كولورادو. حالماً بدأ  
صُعودَ طريق جبال روكي، توقّف التزييفُ أخيراً وقالت له بأنّها تفضّل  
أن تسوق السيّارة بدلاً من الجلوس هناك، وهي تتذكّر كيف اغتصَبَها



العَبْدُ الْمُحَشَّشِ التَّابِعِ لِلقِزْمِ بَيْنَمَا كَانَ أَوْلَثِكَ الرِّجَالُ يُطَلِّقُونَ النِّكَاتَ عَلَيْهَا. عِنْدَمَا جَلَسْتَ وَرَاءَ المِقْوَدِ، أَشْعَلْتَ سِيجَارَةً وَشَغَلْتَ المَذْيَاعَ. كَلَّ مَا بَقِيَ مَعَهَا أَرْبَعَةَ دَوْلَارَاتٍ فَقَط. بَعْدَ مُرُورِ بضعِ سَاعَاتٍ، تَوَقَّفَا لِرَجُلٍ تَفْوُحٌ مِنْهُ رَائِحَةٌ مَشْرُوبِ الجَنِّ وَهُوَ يُشِيرُ لِلسِّيَّارَاتِ لِثِقَلِهِ وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى مَنْزَلِ وَالدَّتِهِ فِي أُوَمَاهَا. أَخْبَرَهُمَا بِأَنَّهُ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ سِيَّارَتِهِ، فِي مَاخُورٍ - لَمْ يَكُنْ فِي الوَاقِعِ سِوَى مَنْزَلٍ مُتَنَقِّلٍ مَقْطُورٍ فِيهِ ثَلَاثُ نِسَاءٍ يَعْمَلْنَ بِنِظَامِ الوَرْدِيَّاتِ، امْرَأَةٌ وَابْنَتَا أُخْتَيْهَا - مُتَّصِبٌ عَلَى الرَّمَالِ شِمَالِ مَدِينَةِ رِينُو. قَالَ الرَّجُلُ:

- لَطَالَمَا كَانَ الهَوَسُ بِالنِّسَاءِ مُشْكِلتِي الدَّائِمَةَ.

قال كارل:

- إذن، يبدو الأمر وكأن نوعاً من المرض يُسيطرُ عليك؟

- يا صاحبي، تبدو مثل ذلك الطبيب المُتَخَصِّصِ فِي الرُّؤُوسِ البشريَّةِ الَّذِي اضْطَرَّرْتُ لِاسْتِشَارَتِهِ ذَاتَ مَرَّةٍ.

ساروا بالسيارة وهم صامتون لبضع دقائق، ثم انحنى الرجل إلى الأمام وأراح ذراعيه على أعلى المقعد الأمامي. عرَّضَ عليهما مشروباً من قنينة كانت معه، ولكن لم يكن أيًّا منهما في مزاجٍ يَشِي بِالْبَهْجَةِ. فَتَحَ كارلُ تَابِلُو السِّيَّارَةَ لِخُرُوجِ مِنْهُ الكَامِرا. فَكَّرَ بِأَنَّهُ بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ يُمكنه التَّقَاطُ بَعْضِ اللِّقَطَاتِ لِلطَّبِيعَةِ. لِحُسْنِ الحِظِّ أَنَّهُ لَنْ يَرَى هَذِهِ الجِبَالِ مَرَّةً أُخْرَى البتَّة. سَأَلَ الرَّجُلُ كارلَ بَعْدَ أَنْ ارْتَمَى لِلخَلْفِ فِي مَقْعَدِهِ:

- هذه زوجتك؟

- نعم.

- سأخبرك بأمرٍ، يا صديق، لا أعلم ما هو وَضْعُكَ، ولكني

سأعطيك عشرين دولارًا مقابل مُضاجعةٍ خاطفةٍ معها. حتى  
أكون صادقًا معك، لا أظنّ أنني أستطيعُ التحمّل حتى نَصِلَ  
إلى أوماها.

قالت ساندي:

- هذا ما كان يَنقُصُنِي.

صَغَطَتْ على الفرامل وشغلت إشارة الانعطافِ، ثم قالت:

- لقد اكتفَيْتُ من أبناءِ العاهرة من أمثالك.

نظرَ كارل إلى المسدّس الموضوع في درج السيّارة وهو نصفُ مخْفِيٍّ

تحتَ خريطة، ثم قالَ لساندي بصوتٍ خفيضٍ:

- انتظري دقيقة.

التفّت ونظرتُ إلى الرّجل، كان حسنَ الثياب، أسودَ الشعر، صافي

البشرة، وخطوده كالفتح. اختلّطتُ شذرةً من الكولونيا برائحة مشروبِ

الجنّ. قال كارل:

- ظننتُك خَسِرْتَ كلّ مالك.

- نعم، خَسِرْتُهُ، خَسِرْتُ كلّ ما أمْلِكُ على أيّ حال، ولكنّي

اتصلتُ بأمي عندما وَصَلْتُ إلى لاس فيجاس. لن تشتري لي

طقمًا آخر من الإطارات للسيّارة هذه المرّة، ولكنّها أرسلت لي

بضعةً دولاراتٍ لمساعدتي في العودة إلى البيت. أمي طيّبةٌ في مثل

هذه المسائل.

- وماذا لو دفعتَ لي خمسين دولارًا؟ أليدك ذلك المبلغ؟

صَرَخَتْ ساندي بحدّة:

- كارل!

كانت على وشك أن تطلبَ منه أن يرمي ذلك القميء خارج السيارة، أيضًا، عندما رآته يستَلّ خِلْسَةً المُسدّس من التابلو. أعادت تركيزَ نظرها على الطريق وأعدت تثبيت سَيْر السيارة على السرعة الاعتيادية الموفّرة للوقود.

قال الرجل وهو يحكُّ ذَقَنَه:

- يا رجل، لا أعرف. بالتأكيد، معي ذلك المبلغ، ولكن خمسون دولارًا يُمكن أن تمنحني مزيدًا من الإثارة، تفهّم قضدي؟ أنت مُستعدٌّ لتقديم المزيد من الإضافات؟

- بالتأكيد، أفعَل أيّ شيء تُريده.

جفَّ فمُ كارل بينما بدأ قلبُه يدقُّ بسرعة أكبر، ثم قال:

- يجبُ فقط أن نجد مكانًا خاصًا لتتوقّف.

بلَع كارل ريقه ودسَّ المُسدّس داخل بنطاله.

بعد مرور أسبوعٍ، عندما امتلَكَ الشجاعة ليُظهِر الصُور التي التقطها في ذلك اليوم، عرَف كارل من الوهلة الأولى، بيقينٍ لم يشعُر به من قَبْل على الإطلاق، بأنّ بدايةَ عمله في التصوير كانت تترأى له ومُحمَلقٌ فيه داخل مثبتٍ مقرّاب الكامرا. رغم أنّه تألّم لرؤية ساندي مرّة أخرى وذراعاها ملفوفتان حَوْل عُنقِ صيَّاد العاهرات ذاك وهي تُكابِد مرارةَ أوّل شعورٍ حقيقيٍّ بالنشوة الجنسية، فقد عرَف بأنّه لن يتوقّف أبدًا عن سلوك هذا الدّرب. وماذا عن الإهانة التي شعُر بها في كاليفورنيا؟ أقسم بأنّ ذلك لن يحدث مرّة أخرى قطّ. في الصيف التالي خرجا يرومان ضحيتَهما الأولى.

انتظرت النّادلة كارل وهو يُشعل سيجارًا، ثمّ سألته:

- إذن، ماذا تَعْمَلُ هناك؟

- أنا مُصوّر. أصوّر في مُعْظَم أعمالِي نُجومَ السّينما.

- حقًا؟ هل التقطتَ من قَبْلِ صُورًا لتاب هَنْتِر؟

- لا، لا يُمكنني أن أقولَ أنّي فَعَلْتُ ذلك. ولكنّي أراهن بأنّه

سيكون من دواعي سروري لو عَمِلْتُ معه.

لم تَمّر سوى بضعة أيام حتى غدا كارل زبونًا مُنتظِمًا في حانة وايت كاو. يَشعُرُ المرءُ بالسَّعادة عندما يعودُ ليكونَ بينَ الناسِ مرّةً أُخرى بعد أن صرَفَ رَدْحًا كبيرًا من الشَّتاءِ في سُبَاتِهِ في الشَّقَّةِ. عندما سأَلته النّادِلةُ عن ميعادِ ذهابِهِ إلى كاليفورنيا، أخبرَهَا بأنّه قرَّرَ البقاءَ هنا لبرهةٍ من الزَّمنِ، وأنّه سيرتاح من كلِّ الهُراءِ الهوليوذي. ذات مساءٍ كان جالسًا إلى نضد الشُّربِ عندما دخلَ رجلانِ بدا وكأَنَّهما في السِّتِينياتِ من العمرِ. نزلا من سيّارةِ سوداءِ طويلةٍ من طرازِ إلدورادو. رَكنا سيّارَتَهما على مسافةِ بضعةِ أقدامٍ فقط من البابِ الأماميِّ وولجنا إلى الداخلِ بمشيئةٍ يشوبُها الحَيَلَاءُ. كان أحدهما مُرتديًا ملابسَ رُعاةِ البقرِ. انتشرتْ على أطرافِ ملابسِهِ تترترةٌ بَرّاقَةٌ. اندلَقَ كِرْشُهُ الضَّخْمُ فوقِ إِبزيمِ حزامِ صُمِّمٍ على شكلِ بندقيّةٍ ونشستر. كان يمشي مشيةً فَحجَاءً، وكأنّه، وفَقَّ ما ظنَّ كارلُ، إمّا ترَجَّلَ للتوّ عن صَهْوَةِ جِوَادِ عريضِ جَبَّارٍ أو أنّه كان يُخفي خِيارَةَ في مؤخرته. أمّا الآخرُ فَقدَ ارتدى بذلةَ زرقاءِ غامقةٍ، مُزَيَّنةٍ في مقدّماتها بِشاراتٍ متعدّدةٍ وشرائطٍ وطنيّةٍ، وطاقيّةٍ مربّعةٍ من طواقيِ جمعيّةِ المُحاربينِ القدامى ارتداها بطريقتِهِ تنمُّ عن التَّبَجُّحِ والزَّهو. كان وجهُها مُحمَّرينِ احمرًا شديدًا من وطأةِ المشروبِ القويِّ ومن صَلَفِ الغرورِ. ميّزَ كارلُ راعيِ البقرِ إذ كان

قد رأى صورته في الجريدة. كان شخصًا جعجاعًا متعرجًا؛ جمهوريًا وعضوًا في مجلس المدينة، دائم الشكوى في الاجتماعات الشهرية بخصوص مظاهر الجنس المنحطة المنتشرة دون أي وازع قانوني في حديقة بلدة ميد. رغم أن كارل كان قد تجوّل بسيارته هناك مئات المرات ليلاً، فإن أكثر المشاهد الساخنة التي رآها على الإطلاق لم تتجاوز مشهدَ مراهقين أحرقتين يحاولان اختطافَ قُبلةٍ أمام النصب التذكاريّ الصغير الذي يُخلّد ذكرى الحرب العالميّة الثانية.

جلسَ الرّجلان في ركنٍ في المطعم وطلبًا قهوة. بعد أن أحضرت النادلة لهما طلبّهما، بدأ الحديث عن رجلٍ ذي شعرٍ طويلٍ شاهداه يُمشي على الرّصيف وهما في طريقهما من جمعيّة المحاربين القُدماء الأمريكيّة. قال صاحبُ البذلة:

- لم أفكر إطلاقًا بأنني سأرى شيئًا كهذا هنا.

أجابهُ راعي البقر:

- انتظر فقط. إن لم يتمّ اتخاذ إجراءٍ ما، فإنهم سيبتشرون انتشارَ البراغيث على مؤخرة قرديّ خلال سنةٍ أو سنتين. رشّف رشفةً من قهوته وأضاف:

- لديّ ابنةٌ أختُ تعيشُ في مدينة نيويورك، ويبدو ابْنُها كأنه فتاة بكلّ ما في الكلمة من معنى؛ شعرٌ مسترسلٌ نازلٌ على أذنيه. ما فِتِنْتُ أطلبُ منها أن تُرسلهُ إليّ، وسأعلمه كيف يكون الرّجال، ولكنها لن تفعل. تقولُ بأنني سأقسو عليه كثيرًا.

أخفّضًا صوتيها قليلاً، ولكنّ كارل استطاعَ مع ذلك أن يسمعهُما يتحدثان عن الطّريقة التي اعتادا بها شتقُ السود، وعن الحاجة للشروع

بِسْتَقِيمٍ دُونَ مَحَاكِمَةٍ مَرَّةً أُخْرَى، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ شَقَّهْمُ مَهْمَةٌ صَعْبَةٌ  
لِلْغَايَةِ، دُونَ نَسْيَانِ شَنْقِ أَصْحَابِ الشَّعْرِ الطَّوِيلِ مَعَهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ. قَالَ  
رَاعِي الْبَقَرِ:

- الشَّنْقُ يَمْنَحُ رِقَابَهُمُ الْقَدْرَةَ طَوْلًا إِضَافِيًّا. مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ أَنْ  
يُوقِظَهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ، أَقْسَمُ بِاللَّهِ. يَنْبَغِي عَلَى الْأَقْلِ إِبْقَاءَهُمْ  
خَارِجَ حُدُودِ هَذِهِ الْمَنَاطِقِ.

اسْتَطَاعَ كَارْلُ أَنْ يَشْمَّ بِشَكْلِ وَاضِحٍ كَرِيمٍ مَا بَعْدَ الْحَلَاقَةِ الَّذِي  
فَاحَ مِنْهَا فِي أَرْجَاءِ الْمَطْعَمِ. حَدَّقَ بِزَبْدِيَةِ السُّكَّرِ أَمَامَهُ عَلَى نَضْدِ الْحَانَةِ،  
وَحَاوَلَ أَنْ يَتَخَيَّلَ حَيَاتَهُمَا، الْخَطَوَاتِ الَّتِي لَا عَوْدَةَ عَنْهَا الَّتِي سَارَاهَا  
لِيَصِلَا إِلَى حَيْثُ هُمَا الْآنَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ الظُّلْمَاءِ فِي بَلَدَةِ مِيد بُولَايَةِ  
أُوهايو. كَانَ شَعُورًا مَشْحُونًا بِالْعَوَاطِفِ؛ ذَلِكَ الشَّعُورُ الَّذِي اجْتَاَحَهُ  
حَيْثُذِ؛ مَعْرِفَتُهُ بِأَنَّ عُمُرَهُ قَصِيرٌ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَمَعْرِفَتُهُ بِمَا فَعَلَهُ فِيهِ،  
وَهَذَانِ الْعَجُوزَانِ الْحَقِيرَانِ وَعِلَاقَتُهُمَا بِذَلِكَ الشَّعُورِ بِرَمْتِهِ. كَانَ النَّوْعُ  
ذَاتَهُ مِنَ الشَّعُورِ الَّذِي كَانَ يَجْتَاَحُهُ مَعَ مَوَدِيلَاتِ التَّصْوِيرِ. فَقَدْ اخْتَارُوا  
أَنْ يَصْعَدُوا مَعَهُ فِي هَذِهِ السِّيَّارَةِ بَدَلًا مِنْ سِيَّارَةِ أُخْرَى، فَضَلُّوا اتِّجَاهَهَا  
عَلَى أُخْرَى، وَانْتَهَى بِهِمُ الْمَطَافُ فِي سِيَّارَتِهِمَا؛ سِيَّارَةِ سَانْدِي وَكَارْلِ. هَلْ  
يُمْكِنُهُ تَفْسِيرُ ذَلِكَ؟ لَا، لَا يُمْكِنُهُ، وَلَكِنَّهُ مَتَيْقِنٌ حَتَّى الثَّمَالَةِ بِأَنَّهُ يَشْعُرُ  
بِذَلِكَ الشَّعُورِ. شَعُورُ الْعَمُوضِ، ذَلِكَ كُلُّ مَا اسْتَطَاعَ كَارْلُ قَوْلَهُ بِكُلِّ  
الْأَحْوَالِ. غَدَاً، وَهُوَ يَعْرِفُ ذَلِكَ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ، سَيَصْبِحُ ذَلِكَ الشَّعُورُ  
بِلَا مَعْنَى. سَيَزُولُ هَذَا الشَّعُورُ بِانْتِظَارِ الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ الَّتِي سَيَنْبَلِجُ فِيهَا.  
ثُمَّ اسْتَرْجَعَ صَوْتَ خَرِيرِ الْمَاءِ وَهُوَ يَنْسَابُ فِي مَجْلَى الْمَطْبِخِ، وَالصُّورَةُ  
الْوَاضِحَةُ لِقَبْرِ مَخْضَلٍ يَالْتَدِي كَانَ قَدْ حَفَرَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي لَيْلَةٍ نَجْمَاءٍ يَبْرُزُ

إلى سَطْحِ ذَاكِرْتِهِ - حَفْرِهِ فِي بَقْعَةٍ رَطْبِيَّةٍ، كَانَ الْقَمَرُ هَلَالًا، عَالِيًا فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَأَبْيَضَ كِبْيَاضِ الثَّلْجِ النَّازِلِ حَدِيثًا، يَتَهَادَى وَيَسْتَقَرُّ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ الَّذِي كَانَ يَسِيلُ صَوْبَ قَاعِ الْحَفْرَةِ وَلَمْ يَرَ قَطًّا شَيْئًا أَجْمَلَ مِنْ ذَلِكَ - وَحَاوَلَ أَنْ يُقْبِي تِلْكَ الصُّورَةَ لِأَنَّهُ لَمْ يَفَكَّرْ بِهَا مِنْذُ بَرَهَةٍ، وَلَكِنْ أَصْوَاتِ الْعَجُوزِينَ لَعَلَّتْ مِنْ جَدِيدٍ وَهَزَّتْ هِدَاةَ نَفْسِهِ.

بَدَأَ رَأْسَهُ يُؤَلِّمُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ وَطَلَبَ مِنَ النَّادِلَةِ الشَّابَّةِ حَبَّةَ أُسْبَرِينَ مِنْ تِلْكَ الْحُبُوبِ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُ أَتَمًّا تَحْتَفِظُ بِهَا فِي حَقِيْبَةِ يَدِهَا. كَانَتْ تَحِبُّ أَنْ تَدْخُنَ الْأُسْبَرِينَ، كَانَتْ قَدْ اعْتَرَفَتْ لَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ؛ اعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا تَطْحَنُ حُبُوبَ الْأُسْبَرِينَ وَتَضَعُ الْبُودِرَةَ فِي سَيْجَارَةٍ. حَشِيْشِ الْبَلْدَةِ الصَّغِيرَةِ؛ حَدَّثَ كَارِلُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَتَوَجَّبَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الضَّحْكَ عَلَيْهَا. يَا لَهَا مِنْ فَتَاةٍ مَسْكِينَةٍ غَيْبَةٍ! أَعْطَتْهُ حَبَّتِي أُسْبَرِينَ وَغَمَزَةً، يَا إلهِي، وَكَأَنَّهَا كَانَتْ تَقْدِمُ لَهُ حَقْنَةً مِنَ الْمُرْفِينِ أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ. ابْتَسَمَ لَهَا وَفَكَّرَ مَرَّةً أُخْرَى فِي أَخْذِهَا لِلخَارِجِ فِي جَوْلَةٍ تَجْرِيْبِيَّةٍ، فِي مِرَاقِبَةِ رَاكِبٍ مِنْ عَابِرِي السَّبِيلِ وَهُوَ يَمْتَعُ نَفْسَهُ مَعَهَا بَيْنَمَا يَلْتَقِطُ هُوَ بَعْضَ الصُّوَرِ، مَعَ طَمَأْنَتِهَا بِأَنَّ هَذَا الدَّرْبَ هُوَ الدَّرْبُ الَّذِي تَبْدَأُ فِيهِ كَلَّ الْعَارِضَاتِ مَشَوَارَهْنَ الْفَنِّيَّةِ. مَا مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّهَا سَتَصَدِّقُهُ. كَانَ قَدْ حَكَى لَهَا بَعْضَ الْقِصَصِ الصَّاخِبَةِ الرَّهِيْبَةِ، وَلَمْ تَعُدْ تُصَابُ بِالْدَهْشَةِ بَعْدَ ذَلِكَ. بَلَغَ حَبَّتِي الْأُسْبَرِينَ وَاسْتَدَارَ اسْتِدَارَةً خَفِيْفَةً عَلَى كُرْسِيِّهِ الْجَالِسِ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَتَسَنَّى لَهُ أَنْ يَسْمَعَ الرَّجْلَيْنِ بِطَرِيقَةٍ أَفْضَلَ.

قال راعي البقر:

- سَيَجْلِبُ الدِّيْمُقْرَاطِيُّونَ الْخِرَابَ لِهَذِهِ الْبَلْدِ. مَا نَحْنُ بِحَاجَةٍ لِفَعْلِهِ، يَا عَزِيزِي، هُوَ أَنْ نَبْدَأَ بِتَشْكِيلِ جَيْشِنَا الصَّغِيرِ الْخَاصِّ



بنا. اقتل بعضاً منهم وسيَفهمُ الباكون الرسالة.

- تقصد نقتل الديمقراطيين أم ذوي الشعر الطويل، يا جي. آر؟  
- حسناً، سنبدأ بالفتيان المخنثين ذوي الشعر الطويل أولاً. أتذكر  
ابن العاهرة المجنون الذي كان يُضاجع الدجاجة وعلّق بها على  
الطريق السريعة في تلك المرّة؟ يا معلّم، أضمنُ لك بأنّ طويلي  
الشعر هؤلاء أسوأ بعشر مرّاتٍ من صاحب الدجاجة.

احتسى كارل رشفةً من القهوة، وأصغى، بينما كان الرّجلان  
يتخيّلان إنشاء ميليشيا خاصّة. سيكون ذلك إسهامهما الأخير الذي  
يقدمانه للبلد قبل مماتهما. سيُضحيان بنفسيهما بكلّ سرورٍ لو تطلّب الأمر.  
ذلك هو واجبهما كمواطنين. ثمّ سمِع كارل أحدهما يقول بصوتٍ عالٍ:

- إلام تنظر بحقّ الجحيم؟

كانا يُحمَلقان فيه.

قال كارل:

- لا شيء. أنا فقط أشربُ قهوتي.

غمَز راعي البقر صاحبَ البذلة وسأل كارل:

- ما رأيك، يا أبا الشّباب؟ أنتَ تحبُّ ذوي الشعر الطويل؟

أجاب كارل:

- لا أدري.

سخرَ صاحب البذلة قائلاً:

- هراء، يا جي. آر. من المُحتمل أنّ له صاحباً منهم ينتظره في  
البيت.

قال راعي البقر، وهو يُعاود الالتفات صَوْبَ قهوته:

- نعم، لا يَمْلِكُ الشجاعة لما نحتاجه. اللّعة. لا بل من المحتمل  
أنّه حتّى لم يَخْدِم في الجيش. ناعِمٌ كفطيرة الدونّت، ذلك الفتى.

هزّ رأسه ثمّ قال:

- هذه البلدة الملعونة بكاملها تضمّ شباباً مثل هذا.

لم يَنْبِس كارل يَبْنِت شفة، ولكنّه تساءل ماذا سيكون شعوره إذا ما  
قتل عاهرين كئيين كهذين. لوهلة، فكّر في أن يتبعها عندما يغادران،  
وأن يجعلها يُضاجعان بعضهما البعض كبداية للحفلة. راهن بأنّه  
يُمكنه أن يَجْعَلَ راعي البقر ذاك يَقْدِف مَنِيه في القبعة الصّغيرة التي  
يَعْتَمِرُهَا صاحب البذلة إذا ما جَدَّ جِدُّه. ربّما ينظرُ هذان القضيبان إلى  
كارل هِنْدَرْسُن نظرةً دونيّةً ويَحْسِبانه نكرةً لا يحتاجان إليه في قواتها  
التي سيسكّلانها. ولكنّه لا يكثرُ بذلك. يمكنها أن يُتَابَعَا تَبَجَّحُهَا  
من الآن وحتّى يوم القيامة حول عمليّات القتل التي يرغبان بتنفيذها.  
ولكن ما من أحدٍ منها يملك الشجاعة للتّنفيد. يُمكنه خلال خمس  
عشرة دقيقة جَعْلُهَا يتوسّلان للحصول على مَقْعَدٍ في جهنّم. هناك  
أشياء بإمكانه فِعْلُهَا ستجعلها يَعْضُّان أصابع بعضهما ندماً لمجرّد  
الحصول على دقيقتين من الرّاحة من العذاب. كلّ ما كان يجبُ عليه  
فِعْلُهُ هو أن يتخذ القرار لِفِعْلِ ذلك. احتسى رشفةً أخرى من قهوته،  
نظرَ عبر النافذة إلى الكاديلاك وإلى الشارع الضّبابي. ما زالت كلماتُ  
الرّجل تطنّ في أذنه: «بالتأكيد، ليس سوى رجلٍ سمين، يا معلّم. ناعِمٌ  
كفطيرة دونت لعينة».

أشعلَ راعي البقر سيجارةً أخرى وسعلَ بعض الثّفالة البنيّة التي

بَصَقَهَا فِي مَنْفُضَةِ السَّجَائِرِ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يَمَسُحُ فَمَهُ بِمَنْدِيلٍ  
وَرَقِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ صَاحِبُ الْبَذَلَةِ:

- سَاحِوْلٌ وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ اللَّعِينَةِ إِلَى حَيَوَانِ أَلِيفٍ، ذَلِكَ  
مَا أُرِيدُ فِعْلَهُ.

- أَتَرَعْبُ فِي أَنْ يَكُونَ مِنْ تَتَّخِذُهُ حَيَوَانًا أَلِيفًا رَجُلًا أَمْ امْرَأَةً، يَا  
جِي. آر؟

- تَبَّأ، يِيدَوَانٍ مِثْلَ بَعْضِهِمَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟  
ابْتَسَمَ صَاحِبُ الْبَذَلَةِ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً وَقَالَ:  
- وَمَاذَا سَتُطْعِمُهُ؟

- تَعْرِفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ مَاذَا سَأُطْعِمُهُ يَا مَعْلَمٌ.  
صَحِيحًا مَعًا.

الْتَفَتَ كَارْلٌ. لَمْ تَخْطُرْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ بِبَالِهِ. حَيَوَانُ أَلِيفٍ. إِنْ اقْتَنَاءَ  
مِثْلَ هَذَا الْحَيَوَانِ الْأَلِيفِ لَيْسَ مُمَكِّنًا الْآنَ، وَلَكِنْ رَبِّيَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ. قَالَ  
لِنَفْسِهِ، أَتَرَى؟ يَوْجِدُ دَائِمًا شَيْئًا مَا جَدِيدٌ وَمُبْهَجٌ يَتَطَّلَعُ الْمَرْءُ لَهُ، حَتَّى فِي  
هَذِهِ الْحَيَاةِ. بِاسْتِنَاءِ الْأَسَابِيعِ الَّتِي كَانَا فِيهَا خَارِجِينَ يَلَاحِقَانِ صَيْدَهُمَا،  
كَانَ يُوَاجِهُ دَائِمًا وَقْتًا صَعْبًا لِيَبْقَى مُتَفَانِلًا، وَلَكِنْ كَانَ يَحْدُثُ بَعْدَهَا  
شَيْءٌ مَا يُذَكِّرُهُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ شَوْءًا مَاطَلَقًا. بِالطَّبِيعِ، حَتَّى إِنْ رَعِبَ  
فِي تَحْوِيلِ أَحَدِ مَوَدِيلَاتِ التَّصْوِيرِ إِلَى حَيَوَانِ أَلِيفٍ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمَا أَنْ  
يَرْحَلَا خَارِجَ الْبَلَدَةِ، وَيَجِدَا مَكَانًا فِي الْخَارِجِ فِي الْغَابَةِ. رَبِّيَا يَحْتَاجُ الْأَمْرَ  
إِلَى قَبْوٍ أَوْ، فِي أَعْضَفِ الْإِيمَانِ، مَرَحَاضٍ خَارِجِيٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَنْزَلِ، أَوْ  
مَخْزَنِ لِلْمَعْدَاتِ أَوْ حَظِيرَةٍ. رَبِّيَا يَمَكِّنُهُ تَدْرِيْبِهِ حَتَّى يُطِيعَ أَوَامِرَهُ، رَغْمَ  
أَنَّ الشَّكَّ يُسَاوِرُهُ، حَتَّى فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ الَّذِي كَانَ يَنْظُرُ أَثْنَاءَهُ فِي الْأَمْرِ،

بأنه سيكون له الصبر والجلد. فمجرّد محاولة ترويض ساندي انطوت  
على صعوبة كبيرة.

دخل بوديكر إلى مطعم نيكومسيه ذات ظهيرة مع اقتراب نهاية فبراير، مباشرة بعد أن باشرت ساندي ورديتها، وطلب مشروبًا غازيًا. لم يكن أحدٌ سواه في المطعم. صبّت له المشروب دون أن تنبس بينت شفة، ثم استدارت راجعةً إلى المجلّى الواقع خلف البار، حيث كانت تُنظفُ أكواب البيرة المتسخة وكؤوس الشراب المتروكة منذ الليلة الماضية. لاحظ الهالات السوداء حول عينيها وخصلات الشيب في شعرها. لم يند عليها أنّ وزنها يتجاوز تسعين باوندًا، وبدا ذلك من خلال ارتخاء بنطالها الجتزي. كان يلوم كارل على تدهور حالتها. لم ترق لبوديكر فكرة أنّ ابن العاهرة البدين ذاك يجعلها تعيش وفق أسلوب الحياة القميئة التي كانت تعيشها. رغم أنه لم يكن يتواصل معها كما يجدرُ بالإخوة أن يفعلوا، إلا أنها تبقى أخته. بلغت الرابعة والعشرين من عمرها في عيد ميلادها الماضي، أي أنها أصغرُ منه بخمس سنوات. الهيئة التي بدت بها اليوم تدلّ على الحياة الصعبة التي تكابدها وكأنتها تقترّب من سنّ الأربعين.

تقدّم لي بوديكر وجلس على كرسيّ لا مُسند له ولا ذراعين في آخر الحانة بحيث يُمكنه مراقبة الباب. منذ تلك الليلة كان يجب عليه أن يأتي فيها إلى الحانة ويأخذ كيس النقود -أكثر شيءٍ أخرق خدعهُ

فيه تيتير براون حتى الآن، وقد عَرَفَ الوغد بالموضوع أيضًا- لم تكن ساندي قد تَوَاصَلت معه إِلَّا لِمَا مَا. لقد أزعجه، رغم أَنه وَجَدَ فيه انزعاجًا بسيطًا بعض الشيء عندما تأمل الأمر بهدوء، بِأَنَّهَا تَظَنَّ فيه ظنَّ السَّوِّءِ. رأى بِأَنَّهَا لا تزال منزعجةً منه بسبب كُلِّ الصَّخْبِ الَّذِي أَثَارَهُ حَوْلَ بَيْعِهَا لِشَرَفِهَا نَتِيجَةً لِعَمَلِهَا فِي هَذِهِ الْحَانَةِ الْقَدِيرَةِ. التَّفَتَّ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا. كانت الحانة خاويةً على عروشها. الصَّوْتُ الْوَحِيدَ الْمَسْمُوعَ كَانَ صَوْتُ ارْتِطَامِ الْكُؤُوسِ بِيَعِضِهَا فِي الْمَاءِ عِنْدَمَا كَانَتْ تَرْفَعُ إِحْدَاهَا لِتَغْسِلَهَا. تَبَّأَ لَهَا، قَالَ فِي نَفْسِهِ. بِأَشْرَ هُوَ الْحَدِيثُ، وَذَكَرَ لَهَا بِأَنَّ كَارْلَ يَقِينًا كَانَ يَضْرِبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَ نَادِلَةِ شَابَةِ فِي مَطْعَمِ وَايْتِ كَاوِ، بَيْنَمَا هِيَ عَالِقَةٌ هُنَا وَهِيَ تَقْدَمُ كُؤُوسَ الشَّرَابِ حَتَّى تُدْفَعَ الْفَوَاتِيرُ.

وَضَعَتْ سَانْدِي الْكَأْسَ فِي مَجْفَفِ الْكُؤُوسِ الْبِلَاسْتِيكِيِّ، وَنَشَفَتْ يَدَيْهَا بَيْنَمَا كَانَتْ تَفَكِّرُ بِشَيْءٍ مَا لَتَقُولَهُ. كَانَ كَارْلُ يَضْطَحِبُهَا بِالسَّيَّارَةِ إِلَى الْعَمَلِ مُؤَخَّرًا فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِ بُوْدِيكِرِ. مَا الَّذِي سَيَفْعَلُهُ كَارْلُ مَعَ فَتَاةٍ بِكُلِّ الْأَحْوَالِ؟ الْمَرَّةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي يَنْتَصِبُ فِيهَا قَضِيهِ كَانَتْ فَقَطْ عِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ الْفُوتُوغْرَافِيَةِ الَّتِي التَّقَطَّهَا. قَالَتْ سَانْدِي أَخِيرًا:

- ماذا في الأمر إذن. كارل يشعرُ بالوَخْدَةِ.

- نعم، وهو كَذَّابٌ كَبِيرٌ، أَيْضًا.

فِي إِحْدَى الْأَمْسِيَّاتِ، كَانَ بُوْدِيكِرُ قَدْ رَأَى سَيَّارَةَ سَانْدِي مَرْكُونَةً أَمَامَ حَانَةِ وَايْتِ كَاوِ. رَكَنَ سَيَّارَتِهِ فِي الشَّارِعِ وَرَاقِبَ زَوْجَ أُخْتِهِ وَهُوَ يَهْدِرُ كَلَامًا مَعَ النَّادِلَةِ النَّحِيلَةِ. بَدَأَ وَكَأَنَّهَا كَانَا يَقْضِيَانِ وَقْتًا مَمْتَعًا مَعًا،

وأصاب لي بوديكر الفضول. بعد مغادرة كارل الحانة، ذهبَ وجلسَ إلى نضد الشرب. طلبَ كوبًا من القهوة وسأل النادلة:

- هذا الشخص الذي غادر للتو. هل تعرفين اسمه؟

- تقصدِ بل؟

قال بوديكر، وهو يُحاول ألا يبتسم:

- بل، هه؟ أهو أحد أصدقائك؟

- لا أعرف. ولكننا متأقلمان مع بعضنا بشكلٍ كبير.

أخرج بوديكر دفترًا صغيرًا وقلمَ رصاصٍ من جيب قميصه، وتظاهر بأنه يدوّن عليه شيئًا ما، ثم قال:

- دعي عنك هذا الهراء وقولي لي ماذا تعرفين عنه؟

- هل أنا في ورطة؟

أدخلت خصلةً من شعرها في فمها، وبدأت تُجرُّ قدميها بعصبيةٍ جيئةً وذهابًا.

- لن تكوني في ورطةٍ إذا ما قلتِ الحقيقة. أليس كذلك؟

بعد أن استمعَ لي بوديكر للفتاة وهي تكررُ بضعًا من قصص كارل، نظرَ إلى ساعته ووقفَ. قال لها:

- سأكتفي بهذا القدرِ الآن.

أعادَ دفتره إلى جيِّبه وقال:

- لا يبدو أنه الشخص الذي نَبَحْتُ عنه.

فكَّر للحظةٍ، ثم نظرَ إلى الفتاة. كانت لا تزال تَقْضِمُ شَعْرَهَا.

- كمُ عُمرِكِ؟

- ستة عشر.

- هل طلب منك هذا المدعو بل أن تنهتني حتى يلتقط لك أي صور؟

احمر وجه الفتاة وأجابت بالنفي.

- عندما يياشر الحديث معك في موضوع التقاط الصور، أتصلي بي، تمام؟

لو لم يكن كارل هو الشخص الذي يُحاول الضحك على الفتاة، لما اُكثرت بوديكر بالأمر. ولكن ابن القعبة دمر حياة أخته. لم يستطع بوديكر نسيان ذلك، بصرف النظر عن عدد المرات التي باح فيها لنفسه بأن ذلك ليس من شأنه. كان الأمر يزنُّ عليه زناً، كمرض السرطان. أحسن ما يستطيع فعله الآن هو أن يُعلم ساندي بأمر هذه النادلة الصغيرة. ولكنه لا يزال يَرغبُ يوماً ما في جعل كارل يدفع ثمناً كبيراً جداً. لن يكون الأمر بتلك الصعوبة؛ الأمر لا يختلف اختلافاً كبيراً عن إخصاء خنزير.

غادرَ المطعم بعد أن استجوبَ الفتاة وساقَ سيارته إلى مرأب الولاية قُربَ السجن وانتظرَ تيتراون ليَجلبَ له بعض المال. زَعَقَ موظفَ المُقَسَمِ بكلماتٍ ما عَبَرَ المذيع عن حادثِ سيارَةِ وهروبِ سائقها في منطقة هنتنغتن بايك. مدَّ بوديكر يدهُ وأخفَضَ صَوْتِ المذيع. قَبْلَ بضعةِ أيام، أَدَّى مهمَّةَ أخرى خدمةً لتيترا، حيث استخدمَ صلاحياتِ مَنْصِبِهِ لإجبارِ شخصٍ يُدعى كُونرْد على الخروج من مَحْبِيئِهِ في كوخ قديم حيث كان يخبئُ في دهاليز بلدة بينت كريك. قَيَّده بالأصفاد ورَمَاهُ في المقعد الخلفي. ظنَّ بأنَّ أمرَ الشرطة سيأخذه إلى البلدة لاستجوابِهِ إلى



أن توقفت سيارته الكروزر على طريق مفروش بالحصى في أعلى منطقة ريوب هيل. لم ينس بوديكر بينت شفة، كل ما فعله أنه جذبته بقوة إلى خارج السيارة مُسكًا به بالأصْفَادِ المعدنيّة وَجَرَّهُ جَرًّا إلى الغابة لحوالي مائة ياردة أو نحوها. وما إن تحوّل صياح كُونرْد مُطالبًا بحقوقه إلى توَسِّل طلبًا للرحمة، حتّى خطا بوديكر خَلْفَهُ وأطلق عليه رصاصَةً في قفا رأسه. وبهذا يدين له تيتز الآن بخمسة آلاف دولار، أي أكثر بألف دولار مما قبض منه في المرّة الأولى. كان هذا السّادي، كُونرْد، قد ضَرَبَ واحدة من أفضل العاهرات العاملات في الغرف الواقعة في الطوابق العلوية في نادي التعري الذي يملكه تيتز، وحاول أن يَشْفَطَ رَحْمَهَا بشفاطة مراحيض. كلّفت تلك العمليّة رجل العصابات تيتز مَبْلَغَ ثلاثمائة دولار إضافية في المستشفى لإعادة كلّ ما شَفَطَ منها إلى داخل جسديها. الشّخص الوحيد الذي انتهى به الأمر لإبرام الصّفقة بنجاح كان بوديكر.

تنهّدت ساندي وقالت:

- طيب، يالي، ما هذا الهراء الذي تتحدّث عنه؟

أمال لي بوديكر كأسه، وبدأ يَمْضَغُ بعض الثلج الذي فيه، وقال:

- حسنًا، وفق ما قالته الفتاة، فإنّ زوجك اسمه بل، وهو مصوّر شهير ذائع الصّيت في كاليفورنيا. كما أنّه أخبرها بأنّه على صحبة جيّدة مع شلّة من نجوم السّينما.

استدارت ساندي وعادت إلى المجلّي. غمست مزيدًا من الكؤوس المتسخة في الماء الفاتر. ثمّ قالت:

- ربّما كان يتسلّى معها لا أكثر. يحبّ كارل أحيانًا الهذّر في الكلام مع النّاس للتسلية؛ فقط ليّرى كيف تكون ردود أفعالهم.

- حسناً، من خلال ما رأيته، فقد حَصَلَ منها على ردِّ فِعْلٍ في غاية  
الرَّوْعَة. من قُصَارَى القَوْلِ أَنِّي لم أَفكِّر إِطْلَاقاً بِأَنَّ ذلك الوغد  
السَّمِين يَمْتَلِكُ تلك المهارات.

رَمَتْ ساندي خرقة التَّنشيف والتَفَتَتْ صَوْبَهُ وقالت:

- ماذا تفعل بحقّ الجحيم؟ هل تتجسّس عليه؟

- هدّئي من رَوْعِكَ، لا أحاولُ إِغَاظَتِكَ. ولكنّي ظننتُ أنّك  
تَرغِبين في معرفة ما يجري.

- أنتَ لم تَفْعَلْ ما فَعَلَهُ كارل أبداً.

- يا يسوع المسيح! ساندي، جَعَلَكِ تمارسين الدّعارة من أَجْلِهِ.  
قلبت عينيها وقالت:

- وهل تظنّ نفسك سيّد الشرفاء؟

وضع بوديكر نظّارته الشّمسية على عينيه وابتَسَرَ ابتسامَةً، وبأنت  
لساندي أسنانه الكبيرة البيضاء وقال:

- ولكنّي أمثّل القانون في هذه المنطقة، يا فتاة. ستكتشفين أنّ  
ذلك هو ما يُجَدِّث الفَرْقَ برمته.

رمى ورقة نقدية من فئة الخمسة دولارات على نضد الشرب،  
وخرج وركب سيارته. جلسَ فيها بضع دقائق، مُحْمَلِقاً عَبْرَ الزّجاج  
الأماميّ إلى العربات القديمة المتهالكة في باراديس أيكروز، والمحكمة  
المتنقلة الجائمة جانب المطعم. أسنَدَ رأسه للخلف على المقعد. مرَّ أسبوعٌ  
ولم يُبلِّغ أحداً عن اختفاء الوغد كُونرْد، شفاط الفروج، حتّى الآن. فكّر  
بوديكر بأنّه ربّما يجبُ عليه أن يشتري لشارلوت سيارةً جديدةً بجزءٍ من  
ذلك المال الذي قبضه. كانت لديه رغبةٌ جامحة في إغماض عينيه بضع

دقائق، ولكنّ الخلود للنوم في الهواء الطلق لم يكن فكرةً جيّدة في هذه الأيام. كانت الأمورُ تزدادُ سوءاً. تساءل كم من الوقت سيحتاجُ قَبْلَ أن يَضْطَرَّ لِقَتْلِ تير أو قَبْلَ أن يُقرّر ابن عاهرة ما أن يَقْتُلَهُ.



في صباح يوم أحد، حضر كارل بعض الفطائر المحلاة لساندي. كانت تلك الفطائر أحبّ المأكولات إلى نفسها. الليلة الماضية عادت إلى البيت وهي ثملة في واحدة من أشنع حالات المزاج التي تمرّ بها. كلّما وقَعَتْ في شِرْك كلّ هذه المشاعر غير المجدية مرّة أخرى، ما كان بوسعه أن يقول أو يفعل سوى القليل من الأشياء لجعل الأمور تتحسن. كلّ ما في الأمر أنّه يجب عليها التغلّب على معاناتها بنفسها. ما هي إلاّ بضع ليالٍ من الشرب والنّحيب ثمّ يذهب عنها البلاء وتستعيد مزاجها. عرّف كارل ساندي أكثر من معرفتها نفسها. ليلة الغد، أو ربّما الليلة التي تليها، لن تجد نفسها إلاّ وهي تُضاجع واحدًا من زبائنها المعتادين بعد انتهاء دوامها في الحانة. كان الزبون هذه المرّة شابًا ريفيًا يميّز بقصّة شعر قصيرة، لديه زوجة وثلاثة أو أربعة أطفال جهلّة في البيت. كان يقول لساندي أنّه كان يمنيّ النفس لو أنّه التقاها قبل أن يتزوج تلك الخنزيرة الهرمة. لو حصل ذلك لكانت أحلى تحفة امتلكها في حياته، وأنّ كلّ شيء سيكون عندئذٍ على خيرٍ ما يرام حتّى المرّة التالية التي تدخل فيها ساندي في متاهة المشكلات.

وضع كارل مُسدّسًا من طراز 22 بجانب صحنها. كان قد اشتراه قبل بضعة أيام بعشرة دولارات من عجوز التقاه في حانة وايت كاو.

كان ابن العاهرة المسكين خائفاً من أنه سيطلق النار على نفسه لو احتفظ بالمسدس معه. ماتت زوجته الحريف الماضي. كان يُعاملها معاملة سيئة، حسب اعترافه، حتى عندما كانت تحتضر على سرير الموت. ولكنه الآن يشعر بالوحدة القاتلة، ولم يستطع تحمّل الأمر. قصّ كل ذلك على مسامع كارل والنادلة المراهقة بينما كان الثلج البارد يطرق النوافذ ذات الألواح الزجاجية للمطعم والرياح تهز اللوحة المعدنية في الخارج على ناصية الشارع. كان العجوز يرتدي معطفاً طويلاً تفوح منه رائحة دخان الحطب ورائحة مزهم فكس فابورب وكمة صوفية زرقاء مبقعة بالزغب مشدودة شداً مُحكماً على رأسه. بينما كان يعترف لكارل بسوء أفعاله مع زوجته، خطر في باله بأنه من مصلحة ساندي أن يكون معها سلاحها الخاص عندما يجزجان معاً في موسم صيد الرجال. سيكون ذلك إجراء احتياطياً في حال جرت الرياح على غير ما تشتهي سفينتها. تساءل لماذا لم يفكر بذلك من قبل، رغم أنه كان دائماً حذراً، لا بل إنه كان حذراً كأشد ما يكون الحذر أحياناً. شعر بالارتياح لأنه اشترى المسدس. وقال في مظنة نفسه إنه بدأ يغدو أكثر حكمة مما كان.

إن قتل شخص بمسدس الـ 22 يتطلب منك أن تطلق الرصاصة على عينه أو أن تطلقها مباشرة على أذنه حتى يموت، ولكن الكحل خير من العمى. فعل كارل ذلك مرة مع طالب جامعي، وضع المسدس في أذنه. كان وغداً أجد الشعر يدرس في جامعة بوردو، وقد ضحك مستهزئاً بساندي عندما قالت له بأنها كانت تحلم ذات مرة بدراسة فنون التجميل في الجامعة، بيد أن الأمر انتهى بها نادلة في الحانة وانقلب كل شيء عكس ما كان يُفترض له أن يكون. وجد كارل كتاباً في جيب معطف الطالب الجامعي بعد أن أحكم ربط وثاقه. عنوان الكتاب

قصائد جون كيتس. حاول أن يسأل الشاب اللعين بلطفٍ عن قوافي الشعر التي يُفضّلها على ما سواها. ولكن، في تلك اللحظة كان الوغد المغرور قد خلّع بنطاله وصعّب عليه التركيز. فتَح كارل الكتاب على قصيدة وبدأ بقراءتها في حين كان الفتى يصرخ متوسلاً لكي لا يموت. كان صوتُ كارل يعلو ويعلو ليُخفي ملامح صوتِ توسلاته حتى وصل إلى السطر الأخير من القصيدة، وهو سطرٌ نسيه الآن؛ كان سطرًا يحتوي بعض الهراء عن الحبّ والشهرة، وترك فيه أثرًا عظيمًا في حينها. ثم ضغط على الزناد وخرّجت حشوة رمادية رطبة من دماغ الفتى من الجهة الأخرى من رأسه. بعد أن خرّ صريعًا، تجمّعت الدماء في مججري عينيه كبرك نارٍ صغيرة. كان ذلك كنزًا هائلًا لا لتقاطِ صورٍ مذهلة، ولكنه قتلَه بمسدّس طراز 38، وليس دمىة الأطفال اللعينة طراز 22. كان كارل متأكدًا لو أنّه عرّض صورة الفتى المجددل على العجوز الغريب الأطوار ذي الرّائحة، فإنّ هذا الأرعن سيفكر مرتين قبل أن يقتل نفسه؛ على الأقلّ لن يفعلها بمسدّس. فكّرت النّادلة بأنّ كارل كان ماهرًا إلى حدّ ما في الطّريقة التي أخذ فيها المسدّس من العجوز قبل أن يؤذي به نفسه. كان بمقدوره مضاجعتها تلك اللّيلة على المقعد الخلفي لسيّارة الستيشن لو أراد. بدا ذلك سهلًا من خلال الطّريقة التي ما فتئت تعكس اندهاشها وإعجابها به. كان هناك حيزٌ من الزّمان قبل بضع سنوات كان يمكن أن يكون فيه حقّق مُرادَه من هذه العاهرة الصّغيرة، ولكنّ شيئًا مثل ذلك غدا أمرًا لا يستسيغه كثيرًا هذه الأيام.

قالت ساندي عندما رأت المسدّس بجانب صجّنها:

- ما هذا؟

- فقط في حالِ جَرَتِ الأمور على غَيْرِ ما يرام.

هزّت رأسها، ودَفَعَتِ المُسدّسَ إليه على الجانبِ الآخر للطاولة،

وقالت:

- تلك مهمّتك، مهمّتك أن تتأكّد من عَدَمِ حُصولِ أيّ خطأٍ  
إطلاقاً.

- أريدُ فقط أن أقول...

- اسمعني، إن لم تكن لديك الرُّجولةُ للقيام بذلك بَعْدَ الآن، فُلْها  
وانتهى الأمر. يا يسوع المسيح! على الأقلِّ دَعْنِي أُعْرِفُ ذلك  
قَبْلَ أن نَلْقَى مَضْرَعَنَا نحن الاثنينِ بِسَبَبِكَ.

- لقد قُلْتُ لِكَ ذلك مُسَبِّقاً، لا أحبُّ هذا الأسلوب في الحديث  
معي.

نظرَ إلى رزمة الفطائر المحلاة وهي تَبْرُد. لم تَلَمَسْها ساندي. ثم  
أضاف:

- وستأكلين هذه الفطائر الرّقيقة اللّعيّنة، أيضاً. أسمعْتِ ما أقول؟  
- اللّعيّنة عليك. سأكلُ ما أريد.

نهضت ساندي ونظرَ إليها وهي تأخذ قهوتها إلى غرفة الجلوس،  
وسمِعَ صَوْتَ التلفاز وهي تشغله. أمسك بمسدّس الـ 22 وَصَوَّبَهُ  
إلى الجدار الفاصل بين المطبخ والأريكة التي كانت بلا شك قد رَمَت  
مؤخّرتها التّحيفة عليها. وقفَ هناك لبضع دقائق، مُتَسائلاً ما إذا كان  
بإمكانه إطلاق النار، ثم وضعَ المُسدّسَ في الدُّرَج. أمضياً بقية الصّباح  
البارد يُشاهدان صامتينِ فِلمًا من سلسلة أفلام طرزان على القناة 10، ثم  
ذهب كارل إلى مطعم بِنغ بير واشترى غالوناً من بوظة الفانيلا وفطيرة



تَفَاح. الحَلْوَيَات حُبَّهَا الدَائِم. لو اضطرَّ، لَضَاجَعَهَا رَغْمًا عَنْهَا. هذا ما فَكَرَ فِيهِ وَهُوَ يَدْفَعُ لِلْبَائِعِ ثَمَنًا مَا اشْتَرَاهُ.

منذ عدّة سنوات خَلَّتْ، سمع أحدَ خَلَّانِ أُمَّةٍ يَقُولُ بِأَنَّهُ، فِي مَاضِي الأَيَّامِ، كَانَ يُمَكِّنُ لِلرَّجُلِ بَيْعَ زَوْجَتِهِ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِ الفَاقَةُ أَوْ سَيِّمَ مِنْهَا. كَانَ يَجْرُهَا مِنْ مَوْخَرَتِهَا إِلَى سَوَاقِ البَلَدَةِ بِلِجَامِ الحَيْلِ المَرْبُوطِ بِأَحْكَامِ حَوَلِ رَقَبَتِهَا القَدِيرَةِ. لَنْ يَحْتَاجَ الأَمْرَ كَبِيرَ عَنَاءٍ لِجَعْلِ سَانَدِي تَغَصُّ بِسَبَبِ بُوَظَةِ صَغِيرَةٍ. أحيانًا لَمْ يَكُونَا يَعْرِفَانِ مَا هُوَ أَصْلَحُ شَيْءٍ لَهَا. أُمَّةٌ بِالتَّأَكِيدِ لَمْ تَعْرِفْ أَيْضًا. كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يُدْعَى لِنُدُنْ لَانْغُفُورْدِ، وَهُوَ أَدهَى رَجُلٍ فِي الطَّابُورِ الطَّوِيلِ مِنَ الأَوْغَادِ الَّذِينَ عَاشَرْتَهُمْ أَثناءَ حَيَاتِهَا عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ. كَانَ عَامِلًا فِي مَصْنَعِ جَنْرَالِ مَوْتُورِزِ فِي مَدِينَةِ كُولومْبُوسِ، وَكَانَ يَقْرَأُ أحيانًا كُتُبًا مَفِيدَةً أَثناءَ مُحَاوَلَتِهِ التَّوَقُّفِ عَنِ شُرْبِ الكَحُولِ. هُوَ مِنْ عِلْمِ كَارِلِ الصَّغِيرِ دَرُوسَهُ الأَوَّلَى فِي التَّصْوِيرِ الفُوتُوغْرَافِيِّ. قَالَ لَهُ لِنُدُنْ ذَاتَ مَرَّةٍ بِأَن يَتَذَكَّرَ فَقَطْ بِأَن مُعْظَمَ النَّاسِ يُحِبُّونَ أَنْ تُلْتَقَطَ لَهُمْ صُورَةٌ. سَيَفْعَلُونَ أَيَّ شَيْءٍ تَقْرِيبيًا تُرِيدُهُ إِذَا مَا وَجَّهْتَ الكَامِرَا صَوْبَهُمْ. لَنْ يَنْسَى طِيلَةَ حَيَاتِهِ المَرَّةَ الأَوَّلَى الَّتِي رَأَى فِيهَا جَسَدَ أُمَّةِ العَارِيِّ فِي إِحْدَى صُورِ لِنُدُنْ، مَرْبُوطَةً بِسَرِيرِهَا بِأَسْلَافِ كَهْرِبَائِيَّةٍ، وَصَنْدُوقٍ مِنَ الكَرْتُونِ عَلَى رَأْسِهَا حُفِرَتْ فِيهِ فَجُوتَانِ لِعَيْنَيْهَا. وَمَعَ ذَلِكَ، كَانَ لِنُدُنْ رَجُلًا مُحْتَرَمًا بَعْضَ الشَّيْءِ فِي حَالِ الصَّحْوِ. قَضَى كَارِلُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خِلَالِ أَكْلِ شَرِيحَةِ لَحْمِ الخَنْزِيرِ المَعْلَبِ الَّذِي احْتَفَظَ بِهِ لِنُدُنْ فِي صَنْدُوقِ التَّبْرِيدِ لِأَكْلِهِ فِي اللَّيَالِي الَّتِي كَانَ يُمَضِيهَا عِنْدَهُمْ فِي البَيْتِ. وَحَتَّى أُمَّةٌ لَمْ تُسَاحَهِ أَبَدًا عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ.



عندما بدأ الدّفء والخُضرة يُجَلّان في أوصال أوهايو مرّةً أخرى، بدأ كارل بالتّخطيط الجِدّي للرحلة القادمة. كان يفكّر في التوجّه صَوْبَ الجنوب هذه المرّة، وإعطاء منطقة الغرب الأوسط استراحة. صرّف الأماسي وهو يستكشفُ أطلّس الطريق: جورجيا، ثمّ تينيسي، ففرجينيا، وأخيرًا كارولينا الشماليّة والجنوبيّة. ألف وخمسةائة ميل في الأسبوع؛ هذه هي المسافة التي خطّط لها دائميًا. رغم أنّها كانا في العادة يبيعان سيّارتهما القديمة ويشتريان بدلاً منها سيّارةً أخرى في حدود الوقت الذي تتفتّح فيه زهور عود الصّليب، إلّا أنّه كان قد قرّر بأنّ سيّارة الستيشن لا تزال في حالٍ جيّدة للخروج بها في رحلةٍ إضافيّةٍ واحدة. ساندي لم تكن تجلّبُ للمال الذي اعتادت على جنيّه من الدّعارة المنتظمة. اهتمّ بوديكر بذلك الأمر.

وهي مستلقية في السرير في آخر إحدى ليالي يوم خميس، قالت ساندي:

- لقد كنتُ أفكّر بموضوع المُسدّس يا كارل. ربّما أنتَ على حقّ. رغم أنّها لم تأتِ على ذِكْرِ ذلك، فقد كانت أيضًا تُطيل التفكير بموضوع النّادلة في حانة وايت كاو. لا بل إنّها ذهبت إلى هناك ذات مرّة، وطلّبت حليبيًا مخفوقًا بالفواكه، وراقبت الفتاة. تمنّت لو أنّ أباها

لي بوديكر لم يُخبرها بالقصة. فأكثر ما أزعجها كان السلوك الذي بدت به الفتاة؛ سلوكٌ ذكَّرها بنفسها قَبْلَ أن يَدْخُلَ كارل حياتها مباشرة. فقد كانت عصبيةً وَحَجُولاً و متحمسةً لإسعاد الآخرين. رغم بذلها الجُهدَ المطلوب لإسعاد الآخرين فقد حصلَ معها موقفٌ قَبْلَ بضعة ليالٍ، وهي تصبُّ كأساً لرجل ضاجعته مؤخرًا مجانًا، إذ لم تستطع أن تتحمل ما لاحظته من أنه لم يَنْظُرَ إليها حتى ولو نظرةً واحدة بَعْدَ أن حَدَثَ ما حدث. كانت ساندي تنظرُ إلى الرَّجُلِ وهو يغادرُ الحانة بعد بضعة دقائق صحبةً امرأة خرقاء بارزة الأسنان ترتدي معطفَ فروٍ مُقلِّدٍ، وخطرَ في بالها أنه ربّما كان كارل يبحثُ عن بديلٍ منها. ألمها أن تفكرَ بأنّه سينقلبُ عليها بتلك الطريفة، ولكن حينها ماذا سيختلفُ كارل عن أيٍّ من الأوغاد الآخرين الذين عَرَفْتَهُمْ من قَبْلُ؟ كانت تأملُ بأنَّ يَحْوَمَهَا حَدْسُهَا، ولكن امتلاكَ مُسدسٍ خاصٍّ بها لا يبدو فكرة سيئة.

لم يَنْبِسِ كارل بِبِنْتِ شفة. كان يُحْمَلِقُ ببؤسٍ في السقف، مُتَمَنِّياً الموت لصاحبة الشقة. فاجأه أن تأتي ساندي على ذكر المُسدس بعد كل هذا الوقت، ولكنها ربّما عادت إلى صَوَابِهَا وَمَنْطِقِهَا. من لا يريدُ بالله عليكم ألا يكونَ معه مُسدسٌ وهو يقومُ بما تقومُ به؟ تقلَّبَ في السَّرِيرِ، وَرَمَى الْقِسْمَ الَّذِي كان يُغَطِّيه من شرف السَّرِيرِ بساقيه السَّمِينَتَيْنِ. كانت درجة الحرارة في الخارج ستين درجة فهرنهايت<sup>(1)</sup> والساعة الثالثة فجراً، وصاحبة البيت اللعينة لا تزال ترفع عيار جهاز التدفئة. كان على يقينٍ من أنها كانت تفعل ذلك قصداً. تجادل معها مرّةً أخرى في ذلك اليوم بسبب غنائه في الليل. نهَضَ وَفَتَحَ النافذة، وَقَفَ هناك وَسَمَحَ للنسيم الخفيف بتهدئة روعه. سأل ساندي أخيراً:

(1) حوالي 15.5 درجة مئوية. (المترجم)

- ما الذي جعلك تعدلين عن رأيك؟

- أوه، لا أعرف. كما قلت أنت، لا يعلم المرء أبدًا ما الذي قد يحصل، صحيح؟

خَلَقَ صَوْبَ الخارج في العتمة، وفَرَكَ شَعْرَ لِحْيَتِهِ النَّابِتِ القصير على وجهه. خشي العودة للسرير. كان الجزء من السرير الذي ينام عليه مبللًا بالعرق. فكَّرَ بأنَّه ربَّما ينام على الأرض اللَّيْلَةَ قُرْبَ النافذة. اسْتَنَدَ إلى شَبَكِ النافذة المثقوب وسَحَبَ نفسًا عميقًا لعدَّة مرَّات. اللَّعْنَةُ على هذه الحال! شَعْرُ وِكَانَهُ يَحْتَنِقُ. ثم قال:

- إنَّها تفعل ذلك فقط بغرض الأذى، لعنة الله على هذه الحالة.  
- ماذا تقصد؟

- أقصد رَفَعَهَا لدرجة الحرارة اللَّعِينَةُ.

نَهَضَتْ ساندي واستندت إلى مرفقيها ونظرت إلى هَيْئَتِهِ المُعْتَمَةِ الجائمة قُرْبَ النافذة، كأنَّه وحشٌ أسطوري واجمُّ على وشك فَرْدِ جناحيه ومن ثمَّ الطيران.

- ولكنَّكَ ستعلِّمني كيفيَّة استخدام المُسدِّس، صحيح؟  
- بالتأكيد. الأمر ليس صعبًا.

سَمِعَهَا وهي تُشعلُ عود ثقابٍ خَلْفَهُ، وتَسْحَبُ سَحْبَةً من سيجارة. استدارَ نَحْوَ السرير وقال:

- سنأخذُ المُسدِّس ونخرجُ إلى مكانٍ ما في يوم عطلتك، وسأجعلك تُطلقينَ بضعَ رصاصات.

غادرا الشقة يوم الأحد قُرابة الظهر واتَّجها بالسيارة صَوْبَ أعلى

منطقة ريوب هِلز ونزلاً من الجانب الآخر. انعطفا يساراً صَوَّبَ مسارٍ  
مُوَحِّل، وتوقفاً عند وصولهما إلى مَطْمَر القمامة في آخر المسار.  
سألت ساندي:

- كيف اهتديت إلى هذا المكان؟

قَبْلَ أن يتعرَّف كارل عليها، أمضت عددًا لا بأس به من الليالي  
وهي تُضاجع رجالاً لا يهتمُّها أن تتذكَّركم الآن. كانت تأمل دائماً أن  
يُعاملها أيُّ منهم كعشيقتِه بَعْدَ أن يَقْضِي وَطْرَه منها، وربَّما سَيَصْطَحِبُهَا  
إلى الحفلات الرَّاقصة في ووتر غاردن أو أرمري، بَيِّنَ أن ذلك لم يَحْضُلْ  
أبداً. كان كلُّ شيءٍ ينتهي عندما يَقْضُونَ مَأْرِبَهُمْ منها. لا بل إن بعضهم  
سَلَبَهَا نَقُودَ الإكْرَامِيَّاتِ وَجَعَلَهَا تَرْجِعُ ماشيةً إلى البيت. نظرتُ من  
نافذة السيَّارة ورأت دولاباً مستعملاً مرمياً في القناة وعموداً فوق قنينة  
نيبذ من ماركة بونز فارم. اعتادَ من اصطحبها إلى هنا من الرِّجال على  
تسمية المكان باسم ترين لين. واستتجَّت من مظاهر الأشياء بأنهم لا  
يزالون يطلقون عليه التسمية ذاتها. على سيرة موضوع الرِّقص، تذكَّرتُ  
بأنها لم تذهب إلى حفلةٍ راقصةٍ في حياتها قطَّ.

قال كارل:

- رأيتُ هذا المكان فقط عندما كنتُ أسوق السيَّارة ذات يوم. هذا

المكان ذكَّرني بذلك المكان في ولاية أيوا.

- تقصدُ المكان الذي التقينا فيه بالفرَّاعة؟

- نعم، كاليفورنيا اللعينة، تذكَّرتُ الآن، نعم، أتذكَّر ذلك الحقير.

مدَّ جسده من فوقها وفتحَ درج السيَّارة، أخرج مُسدَّس الـ22

ومخزناً من الرِّصاص، وقال لها:

- هيا نرى مَهَارَاتِكَ .

لَقَمَ المُسَدَّسُ ووضَعَ بضعة علب من الزنك على سَجَادَة مبتلّة متسخة. مشى عائداً إلى واجهة السيّارة وأطلق ستّ طلقاتٍ على مسافة ثلاثين قدماً أو نحوها. أصابَ أربع عُلَب. بعد أن علّمها مرّة أخرى كيفية تلقيم المُسَدَّس، أعطاهما إيّاه وقال:

- هذا المُسَدَّس اللّعين يَنَحْرِفُ قليلاً إلى اليسار عند الإطلاق، ولكن لا بأس في ذلك. لا تحاولي أن تصوّبي وكأنك تؤشّرين بيدك، أيّ مثلما تفعلين عندما تشيرين بإصبعك. خذي نفساً فقط واضغطي على الزناد ثم أفلّتيه من يدك.

أمسكّت ساندي المُسَدَّس بِكِلْتَا يديها ونظرت باتجاه السَبْطَانَة. أغمضت عينها وسحبّت الزناد. قال كارل:

- لا نغمضي عينيك.

أطلقت الرصاصات الخمسة التالية بأسرع ما أمكنها ذلك. أحدثت طلقاتها عدّة ثقوب في السجّادة.

- طلقاتك تقتربُ من الهدفِ أكثرَ فأكثر.

سلمها مخزّن الرصاص وقال لها:

- لقمي المُسَدَّس أنتِ هذه المرّة.

أخرج سيجاراً وأشعله.

عندما أصابت العلبة الأولى، زعقت كطفلة صغيرة لحظة معرفتها بهديّة بيض عيد الفصح. لم تُصِبْ العلبة التالية، ثم ما لبثت أن أصابت رصاصتها علبةً أخرى.

قال كارل:

- لا بأس. أعطني المُسدّس حتّى ألقمه.

ما إن أنهى تلقيم المُسدّس للمرّة الثّانية حتّى سمعًا صوت بك أب يسيرُ بسرعةٍ عبر المسار باتّجاههما. توقّف البك أب توقّفًا مُترنحًا على بُعدٍ بضع ياردات منهما، وترجّل منه رجلٌ متوسّط العمر، شاحب الوجه. كان يرتدي بنطالَ بذلةٍ أزرقٍ وقميصًا أبيضَ وحذاءً أسودَ مُلمّعًا. فكّر كارل بأنّ الرّجل ربّما كان في الكنيسة طيلة الصّباح، جالسًا في مقعدٍ خشبيّ طويلٍ مع زوجته السّمينّة المؤخّرة. يؤهب نفسه الآن لأكلٍ بعض الدّجاج المُقلّي، والاسترخاء في قيلولةٍ في حال قامت زوجته، وهي ليست سوى شوالٍ كبيرٍ، بالكفّ عن الثرثرة لبضع دقائق. ثمّ يعود للعمل في الصّباح، والانهاك فيه أيّما انهاك. على المرء أن يُبدي إعجابه نوعًا ما بشخصٍ لديه الوسائل والمهارات اللاّزمة للقيام بأشياء كهذه. قال الرّجل:

- من أعطاكما الإذن بإطلاق النار في هذا المكان؟

كانت نبرةٌ صوته الفظةٌ تشي بأنّه في غاية الاستياء.

نظر كارل حوالبه ثمّ هزّ كتفيه وقال:

- لا أحد. اللّعنة، هذا المكان ليس سوى مطمّرٍ للقمامة.

- ليكن ما يكون، ولكنها أرضي.

- إنّنا نقوم بالتمرّن على إصابة الأهداف وحسب، هذا كلّ ما في

الأمر. أحاولُ تعليمَ زوجتي كيف تُدافع عن نفسها.

هزّ الرّجل رأسه وقال:



- أنا لا أسمح بإطلاق النار في أرضي. اللعنة، يا رجل، لديّ ماشية

هناك. بالإضافة إلى ذلك، ألا تعلمُ أنّ اليوم هو يوم الربّ<sup>(1)</sup>؟

تنهّد كارل وألقى نظره على الحقول البنية المحيطة بالمطمر. لم يكن هناك أيّ ماشية على مدّ النظر في أيّ مكان. السماء قُبّةً وطيفة من الألوان الرمادية اللامتناهية الثابتة في مكانها. حتّى وهو بعيدٌ عن البلدة، استطاع شمّ الرائحة الزنخة لمصنع الورق في الجوّ.

قال كارل:

- طيب. فهمتُ الرسالة.

نظرَ كارل إلى المزارع وهو يعودُ إلى بكّ أبه، وهو يهزّ رأسه الأسيب.

ناداه كارل فجأةً:

- أنت، يا سيّد!

توقف المزارع والتفت قائلاً:

- ماذا تريد الآن؟

قال كارل وهو يتقدّم بضع خطوات صوّبه:

- كنت أتساءل إن لم يكن لديك مانعٌ في أن ألتقط لك صورة؟

قالت ساندي:

- كارل...

ولكنّ كارل أشار لها بيده لتلتزم الهدوء.

قال المزارع:

---

(1) يقصد يوم الأحد؛ يوم الذهاب إلى الكنيسة. (المترجم)

- لماذا تريد أن تلتقط لي صورةً بحقّ الجحيم؟

- حسناً، أنا مصوّر فوتوغرافي. وأظنّ بأنك مادّة دسمة لصورةٍ جيّدة. من يدري؟ ربّما أتمكّن من بيعها إلى مجلّة أو ما شابه ذلك. أنا دائماً التّيّقظ وفي حالة بحثٍ دائمٍ عن شخصيّاتٍ رائعةٍ مثلك.

نظر المزارع متجاوزاً كارل صوّب ساندي الواقعة بجانب سيّارة الستيشن. كانت تُشعل سيجارة. لم ترق له فكرةُ النساء المدخّئات، فمُعظم من عَرَفهنّ من المدخّئات كنّ زباله، ولكنّه حسب أنّه من غير الوارد بالنسبة إلى رجلٍ يَلْتَقط الصّور ليكسِبَ قوتَ يومه أن يَحْظَى بامرأةٍ محتشمة. يَضْعُب أن يعرف المُرء أين عَثَرَ هذا الرّجل على هذه المرأة. فقبّل بضع سنوات، عَثَرَ على امرأةٍ اسمها مِلْدرد مكدونالد في حظيرة خنازيره. وجدها شبه عاريةٍ وتدخّن سيجارةً من التبغ. قالت له بأنّها كانت تنتظر رجلاً هناك؛ قالتها بكلّ أريحيّة وفقّ ما تجري عليه الأمور. ثمّ حاولت أن تُغريه بالنوم معها في ذلك المكان القَدِر. نظرَ المزارع إلى المُسدّس الذي كان كارل يَحْمِلُهُ في يده، لاحظ أن إصبعه كان لا يزال على الزناد. قال المزارع:

- الأفضل لك أن تتابع طريقك وتَنقَلِعَ من هنا.

ثمّ بدأ يمشي مُسرّعاً عائداً إلى سيّارته.

قال كارل:

- ماذا تريد أن تفعل؟ هل ستتصل بالشرطة؟

نظر إلى ساندي وغمزها.

فتح المزارع باب سيّارته ومدّ جسده داخلها، ثمّ قال:

- اللعنة يا رجل، لست بحاجة إلى أمر شرطة فاسد ليتولى أمرك.  
ضحك كارل بعد أن سمع ما قاله، ولكنه نظرَ بعد ذلك ورأى  
المزارع يقف وراء باب البك أب ويديه بندقيّة مُصوّبة إليه من النافذة  
المفتوحة. ارتسّمت عبر مساحة وجهه التي نالت منها قساوة المناخ  
ابتسامةٌ عريضة.

قال له كارل بصوتٍ اكتسى الجديّة:

- إنّ الفاسدَ الذي تتحدّث عنه هو شقيق زوجتي.

أدارَ المزارعُ رأسه وبصقَ وقال:

- من؟ لي بوديكر؟ لو كنتُ مكانك لما تفاخرتُ بهكذا قرابة.

وقفَ كارل هناك في وسط المسارِ مُحمّليًا في المزارع. سمِعَ صرير  
باب خلفه بعد أن دخلت ساندي إلى السيّارة وصرّقت الباب. لهنيهة،  
تخيّل نفسه يقومُ فقط برَفْعِ المُسدّس للأعلى وحسّم الأمر مع هذا  
الوَعْد، تخيّل حصولَ مُبارزةٍ نظاميّة بينهما. بدأت يده بالارتجاف قليلاً.  
سحبَ نفسًا عميقًا في محاولةٍ منه لتهدئة نفسه. ثم فكّر في المستقبل.  
كان هناك دائمًا في باله صيْدٌ قادم. ما هي إلا بضعة أسابيع ويكونان  
هو وساندي على الطريق يتربّصان بالضحايا مرّةً أخرى. منذُ أن سمِعَ  
المُحارِبَيْنِ الجمهوريَيْنِ يتحدّثان في حانة وايت كاو، لم تُغادر مخيلتهُ فكرةُ  
قتلٍ واحدٍ من طويلي الشعر هؤلاء. بحسب الأخبار التي شاهدها في  
التلفاز مؤخرًا، كانت البلاد مُقبلةً على الفوضى؛ وهو يريدُ أن يكون  
في قلبِ الحدّث ليرى ما سيحصل. لا شيء سيُدخل السرور على قلبه  
أكثر من رؤية البيت الأوسخ تأكله ألسنة اللهب يوماً ما. ناهيك عن  
أن ساندي بدأت مؤخرًا تأكل بطريقةٍ أفضل، وبدأ جسمها يكتنّزُ

مرّة أخرى. بدأت تُفقد ملامحها سريعاً - لم يذهبها مطلقاً لزيارة طبيب الأسنان لمعالجة أسنانها- ولكنّ حَفَنَةً من سنوات العمر السعيد ما زالت بانتظارهما. لا جدوى من التخلّي عن تلك الأشياء لمجرد قيام مزارع أحقّق بالانتعاض كالقضيب. حالماً اتّخذ قراره، توقفت يده عن الارتجاف. استدار واتّجه صوبَ سيّارة الستيشن.

- وإيّاك أن أمسك بك مرّة أخرى هنا، أتفهم؟

سَمِعَ كارل المزارع يرفعُ عقيرته بهذه الكلمات وهو يَصْعَدُ إلى مقعد السيّارة الأمامي. أعطى ساندي مُسدّسها. نظرَ حَوْلَهُ مرّةً أخرى وهو يُشغّل المحرّك، ومع ذلك كان لا يزالُ غير قادرٍ على مشاهدة أيّ ماشيةٍ لعينة في المكان.

الجزء الخامس  
الواعظ



أحياناً، إذا ما أحكمت الشرطه فَبَضَّتْها الأمنيّة أو نَالَ الجُوع منها، كانا يتوجّهان صَوْبَ الولايات الداخليّة، بعيداً عن المحيط الواسع الذي عَشِقَهُ ثيودور، بحيث يتسنى لروِي العثور على عملٍ هنا وهناك. بينما كان روي يَصْرِفُ بضعة أيام أو أسابيع في التقاط الفاكهة، كان ثيودور يجلسُ في أجمة شجرٍ منعزلةٍ أو يتفياً ظلّ بعض الشجيرات منتظراً عودة صاحبه كلّ مساء. أصبح جسده الآن أشبه بالصدفة. بشرته رمادية كلّوحِ كتابةٍ وعيناه واهنتان. كان يَفْقِدُ وَعْيَهُ دونها سببٍ، ويشتكى من آلام حادةٍ كانت تَبْعُثُ الخدرَ في ذراعيه، وأحسّ بثقلٍ يَجْثُمُ على صدره لدرجةٍ تجعله أحياناً يتفياً إبطاره المكوّن من اللحم والخبز ونصف دُنٍّ من النيذ الدافئ الذي كان روي يتركه له كلّ صباح ليسرّي عنه وخذته. ومع ذلك، كلّ ليلةٍ، كان يحاولُ استعادة نشاطه لبضع ساعات، محاولاً أن يَعْرِفَ الموسيقى، بالرغم من أن أصابعه لم تُعد تُسَعِفُه بنفس البراعة التي كان يَعْرِفُ بها سابقاً. كان روي يمشي حول نارٍ مُحَيِّمها ومعه إبريق وهو يُحاول أن يبدأ ببعض الكلمات، كلماتٍ من الذاكرة أحياناً، في حين كان ثيودور يُصغي ويُدنِّدُنْ على الغيتار. كانا يُارسان لبرهةٍ طقوسَ عودتهما الكبرى، ثمّ يسقط روي منهاراً على بطانيته، وقد نَالَ منه تَعَبُ عَمَلِ النهار في البستان. كان صَوْتُ شخيرِهِ يَنْطَلِقُ خلال دقيقةٍ أو اثنتين. لو

حَالَفَهُ حُسْنُ الطَّالِعِ، لَحَلَّمَ بَلِينُورًا. ابْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ. مَلَكَه. بَدَأَ يَفَكِّرُ فِيهَا  
مُؤَخَّرًا أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ، وَلَكِنَّ النُّومَ كَانَ أَفْضَلَ وَسِيلَةً لَهُ لِيَقْتَرِبَ مِنْهَا  
أَشَدَّ مَا اسْتَطَاعَ.

حَالِمًا تَحْمُدُ نَارَ الْمَوْقَدِ، يَبْدَأُ الْبَعُوضَ بِالتَّحْلِيْقِ ثَانِيَةً، وَهَنَا يُجِنُّ  
جَنُونَ ثِيودُورَ. لَمْ يُضَاقِ الْبَعُوضَ رُويَ عَلى الْإِطْلَاقِ، وَتَمَنَّى ثِيودُورُ  
الْكَسِيْحَ لو كَانَ دَمُهُ مِثْلَ دَمِ رُويَ. اسْتَيْقَظَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَالْبَعُوضُ يَطِنُّ  
فِي أُذُنِيهِ، وَكَانَ لَا يَزَالُ جَالِسًا فِي كُرْسِيِّهِ الْمُتَحَرِّكِ، وَغَيْتَارُهُ أَمَامَهُ عَلى  
الْأَرْضِ. كَانَ رُويَ مُتَكَوِّرًا فِي نَوْمِهِ كَالْكَلْبِ عَلى الطَّرْفِ الْآخَرَ مِنْ  
رَمَادِ الْمَوْقَدِ. انْقَضَى أُسْبُوعَانِ وَهُمَا مَخِيَّانِ فِي الْمَكَانِ ذَاتِهِ. انْتَشَرَتْ أَكْوَامُ  
صَغِيرَةٌ مِنْ غَائِطِ ثِيودُورِ وَقِيئِهِ عَلى الْعُشْبِ الدَّابِلِ. قَالَ رُويَ ذَلِكَ  
الْمَسَاءَ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْبَقَالَةِ الْوَاقِعَةِ عَلى الطَّرِيقِ:

- يَا رَبِّي، رَبِّمَا يَجِبُ أَنْ نَفَكِّرَ بِالرَّحِيلِ مِنْ هُنَا.

ذَبَّ بِيَدِهِ أَمَامَ وَجْهِهِ وَقَالَ:

- الرَّائِحَةُ تَكَادُ تَقْتُلُنَا هُنَا.

كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ بَضْعِ سَاعَاتٍ، فِي حَمَاءِ هَيْبِ النَّهَارِ. أَمَّا الْآنَ فَهَبَّ  
نَسِيمٌ بَارِدٌ، تَفُوحٌ مِنْهُ رَائِحَةٌ خَفِيفَةٌ لِمَاءِ الْمَحِيطِ الْمَالِحِ عَلى بَعْدِ أَرْبَعِينَ  
مِيْلًا؛ نَسِيمٌ يُدَاعِبُ بَرِّقِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ فَوْقَ رَأْسِ ثِيودُورِ الَّذِي أَنْحَى  
وَأَمْسَكَ دُنَّ النَّيِّدِ الْمَوْضُوعِ قُرْبَ قَدَمِيهِ. اِحْتَسَى شَرِبَةً وَأَغْلَقَ الدُّنَّ  
وَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ الْمَبْثُوثَةِ فِي السَّمَاءِ السَّوْدَاءِ كَشَطَايَا مَتْنَاهِيَةِ الصَّغْرِ  
مِنْ مَرَاةٍ تَنَاطَرَتْ أَجْزَاؤُهَا. ذَكَرْتَهُ النُّجُومَ بِالْبَرِّيقِ اللَّامِعِ الَّذِي اعْتَادَ  
فَلَابِجَاكَ نَثْرَهُ بَرِّقَةً عَلى جَفْنِي عَيْنِيهِ. هُنَاكَ فِي الْقَفَارِ الْمَحِيطَةِ بِبِلْدَةِ  
تَشَاتَاهُوتَشِي ذَاتَ مَسَاءٍ، تَسَلَّلَ هُوَ وَرُويَ عَائِدَيْنِ إِلَى فِرْقَةِ الْكَرْنِفَالِ



لبضع دقائق فحَسَب، بعدَ سَنَةٍ أو نَحْوِهَا على حادثة الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ.  
أخبرهما بائعُ دُغٍ بأنَّ فلابجاك لم يعد يَعْمَلُ معهم في الفِرْقَةِ. قال  
لها:

- كُنَّا قد نَصَبْنَا خَيْمَتَنَا خارجَ بلدةِ يَسْكُنُهَا الرِّيفِيُّونَ الجنوبيُّونَ  
البيض في ولاية أركنسس. وذات ليلةٍ اختفى فجأةً. اللَّعْنَةُ،  
قَطَعْنَا نِصْفَ الطريقِ عبرَ الولاية في اليومِ التَّالِي قَبْلَ أن يُلاحظَ  
أحدُ اختفائه. قال مُديرُ الفِرْقَةِ بأنَّه سيرجعُ في نهايةِ المطافِ،  
ولكنَّه لم يَرجعَ أبداً. تعرَّفونَ يا شبابَ طبيعةَ برادفور العجوزِ،  
كلُّ ما يفكِّرُ فيه هو نجاحُ الفِرْقَةِ تجارياً. قال بأنَّ فلابجاك بدأ  
يَفْقِدُ قُدْرَتَهُ على التَّسْلِيَةِ رُوَيْداً رُوَيْداً على أيِّ حال.

كان ثودور مُتعباً جداً، وقد سئمَ كلِّ شيءٍ. قال بصوتٍ عالٍ:  
- مع ذلك قَضِينَا بعضَ اللَّحظَاتِ الرائعةِ، أليس كذلك يا رُوي؟  
ولكنَّ رُوي الجاثم على الأرض لم يحرِّك ساكناً. احتسى ثودور  
شُرْبَةً أُخْرَى ووضعَ الدنَّ في حُضْنِهِ، وأعاد بصوتٍ خفيضٍ:  
- لحظاتٍ رائعةٍ.

زاغت النجوم وغابت عن عينيه. حلَّم بفلابجاك وهو يرتدي  
بذلة المهرج؛ حلَّم بالكنايس المتواضعة المضاعة بمصاييح ينبعثُ منها  
الدخان؛ حلَّم بحاناتِ الرقصِ الرَّخِيصَةِ الصَّاخبةِ وأرضياتِها التي  
تنتشرُ عليها نشارة الخشب. ثمَّ حلَّم بمياه المحيطِ الرقيقةِ تُضْرِبُ  
قدميه برفق. كان بمقدوره أن يشعر بها، بالمياه المنعشة. ابتسم ودفعَ  
نفسه للأمام وبدأ يطفو متحرِّكاً فوق سطح البحر، ماضياً إلى بقعةٍ  
أبعد من التي كان فيها قبلاً. لم يكن خائفاً؛ فالله كان يناديه للعودة

إلى موطنه، وستعودُ ساقاه للمشي ثانية في القريب العاجل. ولكن في الصّباح، استيقظ وهو على الأرض القاسية، خابَ أمله إذ وجد أنه ما زال على قيد الحياة. مدَّ يده للأسفل وتحسّس بنطاله. كان قد بال في سرواله مرّة أخرى. كان رُوي قد غادرَ مُسبقًا صَوْبَ البستان. استلقى وجانب وجهه مضغوط على التّراب. حَمَلَقَ في دِمْنَةٍ من غائطِهِ يَحُومُ حولها الذباب على بعد بضعة أقدام منه، وحاول الانسلاخ مرّة أخرى إلى النوم؛ راجعًا إلى مياه المحيط؛ إلى حيث كان في الحلم.

كانت الجدة إيمًا وأرفن واقفين أمام برّاد اللحوم في البقالة في ليوسبرغ. إنها نهاية الشهر، ولم يكن لدى الجدة كثير مال، ولكن الواعظ الجديد سيحطُّ رحالَه يوم السبت. كانت جمهرة المصلين قد حضّرت له ولزوجته عشاءً جماعياً في الكنيسة بما تجودُ به أنفسهم من طعام. بعد أن أجزت الجدة إيمًا بعض الحسابات الماليّة في عقلها، سألت أرفن:

- برأيك هل من المناسب أن نحضّر وجبة أكباد الدجاج؟

كانت أكباد الدجاج أرخص ما هو موجودٌ في البقالة.

أجاب أرفن:

- وما العيبُ في أكباد الدجاج؟

ما كان أرفن إلا ليوافق على أيّ شيءٍ حينئذٍ. فحتّى لو كانت الوجبة المقترحة خطوم الخنازير فلن يكون منه إلا أن يُوافق. كانت الجدة العجوز قد صرّفت عشرين دقيقة حتّى الآن وهي تُحمَلِقُ في صواني اللحم المدمى. ثمّ قالت:

- لا أدري. الجميع يقولون إنهم يُحبّون الطريفة التي أطبخها بها، ولكن...

- حسناً جداً. اطبخي لهم شريحة لحم كبيرة منها إذن.

- أف! أنت تعرف أنني لا أملك المال لشراء شريحة لحم كبيرة.

- فلتكن إذن أكباد الدجاج.

قال أرفن ذلك وهو يُشير للحام ذي المنزر الأبيض. ثم أضاف:

- جدتي! كفاكِ قلقًا بخصوص ذلك الأمر. هو واعظٌ ليس إلا.

أظنه يأكل مأكولاتٍ أسوأ بكثير من أكباد الدجاج.

مساء ذلك السبت، غطت الجدة إيما وعاء أكباد الدجاج بقطعة

قماشٍ نظيفة، ووضعه أرفن بكل ما أوتي من حرصٍ في أرضية المقعد

الخلفي في سيارته. كانت جدته ولينورا أكثر توترًا بقليل؛ فقد صرّفتا

النهار كله وهما تتمرّنان على كيفية الترحيب بالواعظ. كرّرتا عبارة

«سُررت بلقائك» كلّما مرّتا بجانب بعضهما في المنزل الصغير. جلس

أرفن والخال إيرسكل في الشرفة الأمامية للمنزل وهما يضحكان

ضحكات خفيفة، ولكن بعد برهة، بدأ الأمر يُصبح رتيبًا. قال الخال

إيرسكل أخيرًا:

- يا يسوع المسيح! يا بُني، لا أستطيع احتمال ذلك بعد الآن.

نهض من كرسيه الهزاز، وذهب صوب الجهة الخلفية للمنزل،

ومن ثمّ مضى إلى الغابة. احتاج أرفن عدّة أسابيع ليطرد تلك الكلمات

القليلة من رأسه؛ عبارة «سُررتُ بمعرفتك» اللعينة تلك.

عندما وصلوا الكنيسة في الساعة السادسة، كان المرأب المفروش

بالحصى ممتلئًا مسبقًا بالسيارات. حمل أرفن وعاء أكباد الدجاج ووضعه

على الطاولة قُرب بقية أوعية اللحم. كان الواعظ الجديد، وهو طويل

وجسيم، يقف في منتصف القاعة مصافحًا المصلّين وهو يكرّر عبارة

«سُررت بمعرفتك» مرّة تلو الأخرى. اسمه برستن تيغازدن. شعره

الأشقر الطويل بعض الشيء كان مُسْرَحًا إلى الخلف فوق رأسه بزيتٍ معطرٍ، والتَمَعَ حَجْرٌ خاتمٍ كبيرٍ يَبْضُوي الشكل على إحدى يديه المُشعرتين وخاتمَ زواجٍ ذهبي في اليد الأخرى. كان يرتدي بنطالاً أزرق سهاوياً لَمَاعاً مشدوداً شداً وحذاءً يتجاوزُ الكاحل وقميصاً مجعداً أبيض. رغم أن اليوم هو الأول من إبريل والجو لطيف في الخارج، إلا أن القميص كان مبللاً بالعرق. قدَّرَ أرفن عمره بثلاثين عاماً أو نحو ذلك، ولكن بدَّت زوجته أصغر منه سنّاً بشكلٍ لا لَبَسَ فيه؛ ربّما لا تزال في عقدها الثاني. كانت فتاةً نحيفة كالعود ذات شعرٍ كستنائيّ طويل، مفروقٍ في المنتصف، وبشرةٍ شاحبةٍ نمشاء. وقفت على مسافة بضعة أقدام من زوجها، تُطَقِّطُ عَلَكتها مُصدرةً صوتاً وهي تمدّ تنورتها الأرجوانية المُنقطة بالأبيض التي كانت تعلقو وتهبط من موضعها على مؤخرتها المدوّرة الرشيقة. ما فتى الواعظ يقدّمها لجمهور المُهنّئين بمقدّمِها مُكرِّراً عبارة «هذه عروسي التقيّة الحلوة من بلدة هوهنوالد من ولاية تينيسي».

مسح الواعظ تيغاردن العرق عن جبينه الناعم العريض بمنديلٍ مُطرّز، وأتى على ذِكْرِ كنيسةٍ كان يتعبّد فيها لبرهةٍ وتقعُ في مدينة ناشفل، وكانت مزوّدةً بمكيّفات هواءٍ حقيقيّة. واضحةٌ خبيّةٌ أمّله من ترتيباتِ زَوْجِ خالته الأب ألبرت. أيها الرّب، لا يوجد هنا ولو مروحةٌ واحدة. ما إن يجلّ منتصفُ الصّيف إلا ويتحوّل هذا الكونخ القديم إلى غرفة تعذيب. بدأت مَعنويّاته تَدوي، وبدأت علائمُ النعاس والمَلَلِ تَرْتَسِمُ على مُحيّاه، شأنه في ذلك شأن زوجته. ولكن لاحظَ أرفن حينها بأنّه بدأ يتصرّفُ بخفّةٍ وكياسةٍ كبيرتين عندما دخلت عبر الباب السيّدة المأريستر مع ابنتيها المراهقتين بِث آن وباملا سو؛ الأولى في الرابعة عشرة

والثانية في السادسة عشرة. بدا الأمر وكأن ملاكين زُفراً بأجنحتيهما داخل الغرفة وحطاً على كتفي الواعظ. حاول ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكنه لم يستطع أن يُشبح بنظره عن جسديهما المشدودين المشوبين بطلاوة سُمره خفيفة وهما مَضبُوبان في فستانين مُتساھين أبيضين تتخللها صفرة. جاءه الإلهام على حين غرّة، وشرع بالحديث مع جميع المحيطين به عن تشكيل فرّق شبابيّة، وهي فكرة رأى أنّها استُخدمت سابقاً وعادت بفائدة عظيمة في العديد من الكنائس في مدينة ممّفس. قال أنّه سيبدّل قُصارى جهده، وأقسم أنّه سيفعل، على جعل الشباب يشاركون فيها. إذ قال بأنّ الشباب هم «شريان حياة أيّ كنيسة». ثمّ تقدّمت زوجته إلى الأمام وهمست بشيء ما في أذنه، بينما كان هو يصبُّ بصره على فتاتي عائلة ريستر اللتين أثارته إثارة عظيمة بالتأكيد، وفق ما ظنّ بعض من جمهرة المصلّين، من خلال الطريقة التي زمّ بها شفّتيه الحُمرّوين وقَرَصَ بها باطن ذراع زوجته. كان من الصّعب على أرفن أن يُصدّق بأنّ هذا السمين؛ شَمّام فروج النّساء هذا، يُضاهي من قريبٍ أو بعيد الأب ألبرت سايكس.

انسلّ أرفن خارج الكنيسة ليدخّن قبل أن تتجاسر الجدّة إيما ولينورا على التعرّف إلى الواعظ الجديد. تساءل عن ماهيّة ردّة فعلها عندما ستُحيّيانه بعبارة «شُرتت بمعرفتك». وقَفَ أرفن تحت شجرة إجاّص مع بضعة مزارعين ارتدوا أفرولات وقمصاناً مشدودةً بإحكام بوساطة أزراٍ حوّل رقابهم. كان ينظرُ إلى بضعة أشخاص آخرين يهْمون مسرعين إلى داخل الكنيسة، وهو مُضغ للمزارعين وهم يتحدّثون عن ارتفاع أسعار العُجول الصّغيرة المخصّصة للذّبح. أخيراً، جاء أحدهم إلى الباب وصاح:

- الواعظُ جاهزٌ لتناولِ الطَّعامِ.

أصرَّ الحضور على أن يبدأ الواعظ تيقاردين وزوجته أولاً، وهكذا أمسك الواعظ السمين صَحْنَيْنِ وتقدَّم صَوَّبَ موائد الأكل. كان يَشُمُّ الأُطعمَةَ بِخِيفَةٍ وَيَفْتَحُ أوعية الطعام ويغمسُ إصبعه في هذه الوجبة وتلك لمجرَّد التذوق ليس إلّا، وهو يستعرضُ نفسه أمامَ الفتاتين من عائلة ريستر. فَهَقَّهَتُ الفتاتان وهمستا إحداهما للأخرى. ثم، ودون سابق إنذار، توقَّف الواعظ وأعطى الصَحْنَيْنِ اللَّذَيْنِ لا يزالان فارغين لزوجته. كان أُنْزِلَ القَرَصَةَ في ذراعها قد بدأ يكتسب لونا أزرَقًا. نظَرَ صَوَّبَ السَّقْفَ ويده مرفوعة للأعلى، ثم أشار إلى وعاء الطَّبْخِ الَّذِي أحضرته الجَدَّةُ إليها؛ وجبة أكباد الدجاج. باشر حديثه للجموع بصوت عالٍ جهوري:

- أيها الأصدقاء، ما من شكٍ بأننا جميعًا أناس متواضعون في كنيستنا هذه، وفي مسائنا هذا، وقد كنتم جميعًا في قَمَّة اللطف والكياسة معي ومع عروسي الحلوة الشابة. أشكركم من صميم قلبي على ترحيبكم الحارِّ. والآن، لا يوجد منا شخصٌ واحد يملك المال العظيم والسيَّارات الفارهة والحلى الصَّغيرة التافهة والثياب الفاخرة التي نرغب في امتلاكها، ولكن أيها الأصدقاء، ما حال هذه العجوز المسكينة التي أحضرت إلى هنا أكباد الدجاج في ذلك الوعاء المتهالك؟ حسنًا، لنُقل فقط بأنّه جاءني الإلهام لِكَيْ أعْظِمُكُمْ بخصوص ذلك لدقيقةٍ قَبْلَ أَنْ نَجلسَ لبَاشِرِ الطَّعامِ. تذكروا، ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، ما قاله يسوع للفقراء في النَّاصِرة قَبْلَ عدَّة قرون خَلَّتْ. بالتأكيد، بعضنا أيسرُ حالاً من البعض الآخر،

وأنا أرى وفرةً من اللّحوم البِيضاء والحمراء على هذه المائدة، وأنا أشكّ فيما إذا كان الناس الذين حَمَلُوا أطباقهم وأحضروها هنا يأكلون طعامًا مفتخرًا جدًّا في معظم الأوقات. ولكن يجب على الفقراء أن يُحضرُوا ما يناسب أوضاعهم، وهم أحيانًا لا يملكون سننًا واحدًا على الإطلاق؛ وهكذا فإنّ ضُمور أعضاء أجسادهم هو علامات بالنسبة إليّ، علامات تُبني بأنّه ينبغي لي، وأنا الواعظ الجديد في هذه الكنيسة، أن أقدم تضحيةً بحيث يتسنى لكل واحد منكم أن ينال نصيبًا من هذا اللّحم اللّذيذ اللّيلة. وهذا ما أنا فاعله، يا أصدقائي، سأكل هذه الأكباد، بحيث يمكن لكم جميعًا أن تنالوا نصيبًا من أطيب اللّحوم الموجودة هنا. لا تجزعوا، أنا فقط أتصرّف على سجيّتي. أنا أتمثّل في شخصيّتي شخصيّة يسوع المسيح الطيّب كلّما أعطاني الفرصة لذلك، وهذه اللّيلة بارَكَنِي بإعطائي فرصةً أخرى للسّير على خطاه. آمين.

ثمّ قال الواعظ تيغاردن شيئًا ما لزوجته الحمراء الشّعْر بصوتٍ خفيض. أنّجّهت مباشرةً صَوْبَ رُكن الحلويات، وهي تتمايل تمايلًا خفيفًا بكعبيها العالي المصنوع من كرتون مقوّى، وملأت الصّحّنين بفطيرة الكسّرد وكعكة الجزر وفطائر السّكر التي أحضرتها السيّدّة تومبسون، بينما حَمَلَتْ زوجها وعاءَ أكباد الدّجاج إلى مكانه على رياسة طاولة طويلة مصنوعةٍ من الخشب المضغوط كانت موضوعة في صدر الكنيسة لكي يُباشِر الأكل.

- آمين.

كرّر الحضور وراءه. بدا بعضهم مرتبكًا، في حين ابتسم آخرون،



وهم ممن أحضرَ معه بعض اللحم اللذيذ، ابتساماً تشي بالسرور. حُلِقَ بضعة منهم صَوَّبَ الجِدَّةَ إليها، الواقعة قُرْبَ آخر طابور الأكلَة مع لينورا. عندما أَحَسَّتْ بعيونهم تنظر إليها، بدأت تترنح وأغمي عليها. أمسكتها لينورا من مِرْفَقِهَا. اندَفَعَ أرفن للأمام من المكان الذي كان يقفُ فيه في مدخل الباب المفتوح وسَنَدَهَا حَتَّى تَخْرُجَ. أَجْلَسَهَا على بقعةٍ معشوشبةٍ تحت شجرةٍ، وأحضرت لها لينورا كأس ماء. ارتشفتُ الجِدَّةَ العجوز دَمْعَةً ماءٍ وبدأت البكاء. رَبَّتْ أرفن على كَتِفِهَا وقال:

- والآن، نعم الآن، لا تكثرني لذلك المتبجح صاحب الكرش الكبير. أغلب الظنّ أنه لا يملك دولارًا واحدًا؛ لا يملك حتى سنتين لِيُحَكِّمَهَا ببعضهما. أترغبين في أن أتحدّث معه؟

مَسَحَتْ عَيْنِهَا مرارًا بِطَرَفِ فستانها الجميل وقالت:

- لم أشعرُ بالإحراج في حياتي كلّها أبدًا مثل اليوم. كنتُ سأزحفُ تحت الطاولة من كثرة الإحراج.

- أتريديني أن آخذك للبيت؟

شَهَقَتْ بشدّةٍ أكبر، ثمّ تنهدت وقالت:

- لا أعرفُ ماذا أفعل.

نظرت صَوَّبَ باب الكنيسة ثمّ قالت:

- هذا بالتأكيد ليس الواعظ الذي كنتُ أترقبُ مجيئه إلى كنيسةنا.

- فليذهب إلى الجحيم، يا جدّتي، هذا الأحمق ليس بواعظ. هو

سيءٌ كسوء أولئك المتفقيّهين الذين يتسوّلون المال عبْرَ البرامح

الإذاعيّة.

قالت لينورا:

- أرفن، لا ينبغي لك أن تتكلم هكذا. ما كان الواعظ تيغاردن ليكون هنا لو لم يُرسله الرب.

أجاب أرفن وهو يهتم بمساعدة جدته على النهوض:

- نعم. صحيح. أرايت الطريقة التي كان يلتهم فيها أكباد الدجاج؟ كانت تلك نكتة في محاولة منه لجعلها تبسم.

تابع قائلاً:

- اللعنة، من المحتمل أن ذلك الرجل لم يملك طعاماً طيباً يأكله منذ زمنٍ طويل. هذا هو السبب الذي جعله يُريد كل الأكباد ليحظى بها لنفسه دون غيره.

كان برستن تيغاردن مُضطجعاً على الأريكة في المنزل الذي استأجره له رواد الكنيسة ليقيمَ فيه مع زوجته وهو يقرأ كتاباً قديماً في علم النفس من أيام دراسته الجامعية. كان المنزل كصندوقٍ مربعٍ صغيرٍ بأربع نوافذٍ متسخةٍ ومرحاضٍ خارجيٍّ تُحيط به أشجار صفصافٍ متهدلة الأغصان في نهاية ممرٍ ترابي. كان فُرُنُ الغاز الذي يُعاني من التَّسَرُّبِ مُزِيناً بالفئران المحنَّطة. فاحت من الأثاث القديم الذي رماه أصحابه وجُهِّز به المنزل رائحةً كرائحة الكلاب أو القطط أو مخلوقاتٍ قَدرةٍ أخرى. يا إلهي! بالنظر إلى الأسلوب الذي يعيش فيه الناس هنا فلن يستغربَ لو فاحت من الأثاث رائحة الخنازير. على الرَّغم من مرور أسبوعين فقط على قدومه إلى بلدة كول كريك، فقد ازدرى المكانَ أيَّما ازدراء. ولم يكفَّ عن محاولة النظر إلى هذه المهمة في هذه البلدة النائية الغافية بين الغابات نوعاً من الامتحان الرُّوحي الذي آتاه مباشرةً من الرب، ولكنَّ ما أرسله إلى هنا لم يكن سوى ما جَنَّتُهُ يدا أمه، أمه ولا أحدَ سواها. أوه، نعم، لقد جعلته يضرب أخماسه بأسداسه؛ جعلته يتصرَّف كالمجانين، تلك العجوز الحيزبون. لن تُعْطِيَهُ ولو سِتّاً واحداً إن لم يُثبِتْ علُو همته؛ قالت ذلك بعد أن اكتشفت أنه ترك الدراسة في كلية هيفنلي ريتش الإنجيلية في نهاية فصله الدراسي الأوَّل فيها؛ وفي

الأسبوع نفسه كانت تستعدّ لحضورِ حفْلِ التخرّج. ومن ثمّ، بعدَ مجرد مرور يومٍ أو نحوها فيما بعد، اتّصلتُ بها أختها وأخبرتها بأنّ الأب ألبرت مريض. يا للتوقيت المثالي! تطوّعت بإرسال ابنها ليحلّ محله حتّى دون أن تسأله عن رأيه في الأمر.

كان مُقرّرَ عِلْمِ النَّفسِ الَّذِي دَرَسَهُ على يد د. فيلب الشّيء الوحيد الجيّد الَّذِي استفادَهُ من تجربته في الجامعة. أيّ قيمةٍ تُساويها بحقّ الجحيم شهادة من مكان مثل كليّة هيفنلي ريتش اللاهوتية في عالمٍ يحوي بين ظهرانيّه جامعات أوهايو وكليات جامعة هارفارد؟ أضفْ إلى ذلك أنّه كان بإمكانه شراء شهادة من جامعةٍ من تلك الجامعات التي يُمكن طلبُ شهادتها بالبريد والتي تجد إعلاناتها على الغلاف الأخير لكتب القصص الكرتونيّة الكوميديّة المصوّرة. كان يُريدُ الالتحاقَ بجامعةٍ نظاميّة ودراسة الحقوق، ولكن لا، ليس بهال أمّه. أرادت له أن يكون واعظاً متواضعاً، مثل زَوْجِ أختها الأب ألبرت. خَشِيتُ أن تكونَ قد بالغت في دلاله، كما قالت. قالت كلّ أنواع الهُراء، الهُراء الجُتونيّ، ولكنّ ما أرادته حقّاً، وفَقَّ ما أدركه برستن ذاته، هو أن تُبقية مُعتمداً عليها، مربوطاً بخيوط مئزرها، بحيث يضطرُّ دائماً للخضوع لها خضوعَ العبد لسَيِّده. لطالما كان بارعاً في كَشْفِ معادن النَّاسِ؛ حاجاتهم ورجباتهم التافهة، وخصوصاً المراهقات.

سينثيا كانت إحدى طلائع نجاحاته العظيمة. كانت في الخامسة عشرة فقط عندما ساعد أحد أساتذته في كليّة هيفنلي ريتش اللاهوتية في تغطيسها في بلدة فلات فِش كريك أثناء مراسم التعميد.

في مساء اليوم ذاته، ضاجعها واستمتع بمؤخرتها الصّغيرة الشهيّة

تحت بعض شَجَرَاتِ الوَرْدِ في حدائق الكلية. لم يَمْضِ عامٌ واحدٌ إلا وكان قد تزوّجها بحيث يستطيع أن يؤثّر عليها كما يشاء دون أن يجسر والداها أنفيهما فيما لا يعنيهما. خلال السنوات الثلاثة الماضية، علّمها كلّ الفنون التي تخيّل أنّ بإمكان رجل أن يفعلها مع امرأة. لم يستطع أن يبدأ حساب الساعات التي استغرقها لفعل ذلك، ولكنها تدرّبت تدريياً شبه تدريب كلب أليف مطيع. كان يكفيه فقط أن يُطَقِّطَ بأصابعه مشيراً لها وسيبدأ فمها بالارتواء ممّا كان يجب أن يسميه «العصى التي بين ساقيه».

نظر إليها وهي مُرتدية ثَبَاتَهَا، متكورة في الكرسي الرّخو المتنن الذي جاء مع الأثاث الملهل من مَطْمَر القمامة، عانتها الحريّة الشعر مضغوطة بقوة على قماش ثَبَاتِهَا الأصفر الرقيق. كانت تُحدّق بعينين شبه مُغمضتين في مقالة تتحدّث عن فرقة ديف كلارك فايف<sup>(1)</sup> في مجلّة هت باريدر، وهي تُحاول أن تلفظ الكلمات. يوماً ما، قال لنفسه، إذا ما أبقاها في ذمته، سيضطرّ لتعليمها القراءة. اكتشف مؤخراً أنّه يمكن أن يستمرّ ضعفيّ المدّة أثناء المضاجعة فيما لو كانت فرائسه من الفتيات الشابات يقرأن من الكتاب المقدّس وهو يأتيهنّ من الخلف. أحبّ برستن الطريفة التي كانت تلهث فيها تلك الفتيات وهنّ يقرأن النصوص المقدّسة؛ أحبّ الطريفة التي كنّ يأتثن بها ويخنين مؤخراتهنّ حتّى لا يتزخزخن عن مكانهنّ - إذ أنّه قد يستشيط غضباً إذا ما لفظن الكلمات بشكل خاطئ - قبل أن تنفجر وديان نشوته. ولكن سيثيا؟ لعنة الله عليها! يمكن لفتاة معطوبة الدماغ، خريجة الصّفّ الثاني

(1) فرقة موسيقى روك إنكليزية تأسست عام 1957 في مدينة توتنهام البريطانية. (المترجم)

الابتدائي من أشدّ الأماكن جهلاً في منطقة أباليشيا أن تقرأ أفضل منها. كلّمَا ذكّرت أمّه أنّ ابنها، برستن تيغاردن؛ ابنها الذي في جعبته خبرة أربع سنوات في اللّغة اللاتينيّة في المدرسة الثانويّة، انتهى به الأمر إلى الزواج بفتاةٍ أُمّيّة من بلدة هوهنوالد، كادت تصاب تقريباً بانهيار آخر. إذن كان موضوع إبقاء سينثيا في ذمّته موضوعاً قابلاً للنقاش. كان ينظر إليها أحياناً، لثانية أو اثنتين، وهو غير قادر حتّى على تذكر اسمها. فاغراً فاه وخديراً من التجارب العديدة التي خاضها، ما كان ذات يوم يانعاً ومشدوداً غدا اليوم ذكري زاوية، وهكذا ذوت أيضاً المتعة التي ما فتئت تستثيرها فيه. مشكلته الكبرى مع سينثيا، على ذلك، هي أنّها لم تعد تؤمن بيسوع. يمكن لبرستن أن يتساهل مع أيّ شيء ما عدا ذلك. كان بحاجة لإمرأةٍ تعتقد بأنّها كانت ترتكب إثماً عندما تنام معه؛ لامرأةٍ كانت تحسّ بخطر خلودها الوشيك في الجحيم. كيف يمكن له أن يستثار جنسياً من أيّ امرأةٍ لا تفهم المعركة المستميتة المتأججة بين الخير والشر، بين الطهارة والشهوة؟ كان يشعر بالذنب في كلّ مرّة يُضاجع فيها صبيّةً من الصّبايا. كان يشعر كما لو أنّه كان يغرق في بحارِ الإثم؛ على الأقلّ كان يشعر بذلك لدقيقةٍ مديدة أو اثنتين. بالنسبة إليه، مثل هذه العاطفة تثبت بأنّه لا يزال لديه فرصة لدخول الجنّة، بغضّ النظر عن الفساد والقسوة التي قد يكون عليهما. أيّ أنّه قد يدخل الجنّة إذا ما تاب عن أساليبه العاهرة الشريرة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. تحوّل الأمر كلّهُ إلى مسألة وقت، وهذا، بالطبع، جعل الأمور على كلّ تلك الدرجة من المتعة والإثارة. ومع ذلك، لم يبدُ أنّ سينثيا كانت تكثرث مهماً حصل. أصبَحَتْ مُضاجعتها في هذه الآونة تشبه حشر عضوه في كعكة دونتٍ دهنيّة الملمّس لا حياة فيها.

يَبْدُ أَنَّهُ فَكَّرَ بِتِلْكَ الْفَتَاةِ مِنْ عَائِلَةِ لِيْفِرْتِي وَهُوَ يَقْلِبُ صَفْحَةَ أُخْرَى مِنْ صَفْحَاتِ كِتَابِ عِلْمِ النَّفْسِ وَيَفْرِكُ قَضِييَهُ شَبَهَ الْمُنْتَصِبِ دَاخِلَ الْبَيْجَامَا. يَا رَبِّي، تِلْكَ الْفَتَاةُ مُؤْمِنَةٌ. كَانَ قَدْ رَاقِبَهَا مِنْ كَثْبٍ فِي الْكَنِيسَةِ خِلَالَ يَوْمِي الْأَحَدِ الْمُنْصَرِّمِينَ. صَحِيحٌ أَنَّهُ لَا تَسْرُّ النَّازِرَ إِلَيْهَا، وَلَكِنَّهُ تَعَرَّفَ عَلَيَّ مِنْ هُنَّ أَسْوَأُ مِنْهَا فِي مَدِينَةِ نَاشْفَلٍ عِنْدَمَا تَطَوَّعَ فِي شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ لِلْعَمَلِ فِي مَأْوَى لِلْمَشْرَدِّينَ. مَدَّ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ بِسَكْوِيْتَةٍ مَمْلُوحَةٍ مِنْ عِلْبَةِ مَوْضُوعَةٍ عَلَيَّ طَاوِلَةِ الْقَهْوَةِ، وَحَشَا فَمَهُ بِهَا. اسْتَقَرَّتْ عَلَيَّ لِسَانُهُ مِثْلَ حَيَوَانَ طَفِيلِيٍّ ثُمَّ ذَابَتْ، تَحَوَّلَتْ إِلَى كُرَةٍ صَغِيرَةٍ رَطْبَةٍ لَا طَعْمَ لَهَا وَلَا مِذَاقَ. نَعَمْ، الْأَنْسَةُ لِينُورَا لِيْفِرْتِي سَتْفِي بِالْغَرَضِ الْآنَ؛ عَلَيَّ الْأَقْلَ إِلَى أَنْ يَجِيْنَ أَوْانَ ظَفْرُهُ بِأَحْدَى فِتَائِي عَائِلَةِ رِيْسْتِر. سِيْرَسْمُ ابْتِسَامَةٍ عَلَيَّ وَجْهَهَا الْحَزِينِ الْمْتَهَدِّلِ حَالِمًا يَعْرِبُهَا مِنْ عَنَاءِ فِسْتَانِهَا الْبَاهِتِ الْأَلْوَانِ. بِحَسَبِ الْقِيلِ وَالْقَالَ الْمْتَدَاوَلِيْنَ فِي الْكَنِيسَةِ، كَانَ وَالِدُهَا فِيمَا مَضَى وَاعْظًا فِي هَذَا الرَّيْفِ، وَلَكِنَّهُ حِينْذَاكَ - عَلَيَّ الْأَقْلَ وَفَقِي مَا وَصَلَهُ الْخَبْرُ - قَتَلَ أُمَّهَا وَاخْتَفَى. تَرَكَ لِينُورَا الصَّغِيرَةَ الْمَسْكِينَةَ طِفْلَةً مَعَ الْعَجُوزِ إِيْمَا الَّتِي كَادَتْ تَنْفَجِرُ بِسَبَبِ مَوْقِفِ وَجْبَةِ أَكْبَادِ الدَّجَاجِ. تَوْقِعُ بِأَنَّ تَكُونُ هَذِهِ الْفَتَاةُ صَيْدًا سَهْلًا.

ابْتَلَعَ قِطْعَةً مِنَ الْبَسْكَوِيْتِ، وَاجْتَاكَ جَسَدُهُ فَجَاءَ تِيَّارٌ خَفِيفٌ مِنَ السَّعَادَةِ، سَرَى مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ الْأَشْفَرِ حَتَّى سَاقِيهِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَقَدْ قَرَّرْتُ أُمَّهُ مِنْذُ تِلْكَ السَّنَوَاتِ الَّتِي مَرَّتْ بِأَنَّهُ سَيَصْبِحُ وَاعْظًا. يَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ تَحْمِلُ كُلَّ تِلْكَ الْأَجْسَادِ الشَّابَةِ الْغَضْبَةِ إِذَا مَا لَعِبَ الْأَعْيِيهِ بِالشَّكْلِ الصَّحِيحِ. لَفَّتْ أُمَّهُ الشَّمْطَاءُ شَعْرَهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَعَلَّمَتْهُ الْحَيَاةَ الصَّحِيحَةَ النَّظِيفَةَ وَجَعَلَتْهُ يَتَمَرَّنَ عَلَيَّ إِتْقَانِ تَعَابِيرِ الْوَجْهِ فِي الْمَرَاةِ. تَدَارَسْتُ مَعَهُ الْإِنْجِيلَ كُلَّ لَيْلَةٍ وَاصْطَحَبْتُهُ

بسيارتها إلى كنائس مختلفة وألبسته أجمل الثياب. لم يلعب برستن البسبول قط، ولكن كان بإمكانه أن يبكي في اللحظة المناسبة؛ لم يتورط قط في مشاجرة بالأيدي؛ ولكن كان بإمكانه تلاوة سفر الرؤيا في نومه. إذن، نعم، ملعون هذا الصبي، اعتاد أن يفعل ما تطلب منه؛ طلبت منه مساعدة زوج أختها المريض الأخرق لمدة قصيرة من الزمن. طلبت منه العيش في بالوعة المراحيض التي تُسمى منزلاً حيث كان يقيم؛ لا بل حتى أن يدعي أنه أحب المنزل. أظهر لها «علوّ همته» في علاقته مع الله. ومن ثم، عندما يعود الأب ألبرت صحيحاً معافى، سيطلب منها برستن أن تعطيه المال. على الأرجح سيضطرّ لخداعها، لأن يسرد لها قصة مفبركة خرقاء، ولكنه سيشعر على الأقل بتأنيب الضمير، ولا بأس في ذلك. سيفعل أي شيء للذهاب إلى الساحل الغربي. كان ذلك هاجسه الجديد. كان قد سمع مؤخراً بعض الأنباء في نشرات الأخبار. هناك شيء ما يحصل، وكان بحاجة لأن يشهد ما سيحصل. الجنس الشهواني المجاني والفتيات الهاربات اللاتي يعشن في الشوارع والزهور مثبتة على شعرهن المتلبّد صيد سهل لرجل موهوب القدرات.

علم برستن تيغاردن الموضوع الذي وصله في الكتاب بعلبة تبغ الأب ألبرت القديمة وأغلق الكتاب. علبة تبغ من ماركة فايف بروذرز؟ يا يسوع، أي نوع هؤلاء البشر الذين يؤمنون بعلبة تبغ؟ ضحك تقريباً في وجه ألبرت عندما أخبره بأن لها القدرة على الشفاء. نظر إلى سينثيا، كانت شبه نائمة حينئذٍ، وحبل لعابٍ يسيل من ذقنها. ما إن قرقع أصابعه حتى فتحت عينيها فجأةً. عبست وحاولت إغماض عينيها مرة أخرى، ولكن ذلك كان مستحيلاً. حاولت أقصى ما تستطيع أن تقاوم، ولكنها نهضت بعد ذلك من كرسيها وانحنت على طرف الأريكة. أنزل



تِغَارِدُنَ الْجِزءَ السِّفَلِيَّ مِنْ بِيْجَامَتِهِ، وَسَّعَ سَاقِيهِ السَّمِيْنَتَيْنِ الْمَشْعِرَتَيْنِ قَلِيْلًا. بَيْنَمَا بَدَأَتْ تَرْضَعُ لَهُ عَضْوَهُ، صَلَّى صَلَاةً قَصِيْرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ قَائِلًا:

- يَا رَبِّ، اْمْنَحْنِي فَقْطَ سِتَّةَ اَشْهَرٍ فِيْ كَالِيْفُوْرِنِيَا. ثَمَّ سَاعُوْدُ اِلَى بَلَدْتِيْ وَاَلْتَزِمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ. سَأَقِيْمُ مَعَ ثَلَاثَةِ مِنَ الصَّالِحِيْنَ. اُقْسِمُ عَلٰى ذٰلِكَ بِقَبْرِ اُمِّيْ. دَفَعْتُ رَاسَ سِيْنِيْثِيَا نَحْوَ الْاَسْفَلِ اَكْثَرَ، سَمِعْتُهَا وَهِيَ تَمَلَأُ فَمَهَا بِعَضْوِهِ وَتَكَادُ تَحْتَنُقُ. ثَمَّ اَرْتَحْتُ عَضَلَاتِ حَلْقِهَا وَكَفَّتْ عَنِ الصِّرَاعِ. اَبْقَاهَا عَلٰى تِلْكَ الْحَالِ حَتّٰى تَحْوَلَ لَوْنُ وَجْهَهَا اِلَى الْقَرْمِزِيِّ ثَمَّ الْاَرْجَوَانِيِّ بِسَبَبِ نَقْصِ الْهَوَاءِ. اَحَبُّ اَنْ يَجْرِيَ الْاَمْرُ بِتِلْكَ الطَّرِيْقَةِ، بِالتَّأَكِيْدِ اَحَبُّ ذٰلِكَ. اَحَبُّ اَنْ يَنْظُرَ اِلَيْهَا وَهِيَ تَنْتَشِيْ.



ذات يوم، وهي في طريق عودتها من المدرسة إلى المنزل، توقفت لينورا في كنيسة كول كريك، كنيسة الروح القدس. كان الباب الأمامي مفتوحاً على مصراعيه. سيارة الواعظ تيغاردن الرياضية الإنكليزية المتهالكة - وهي هدية تلقاها من أمه عندما ذهب لأول مرة إلى كلية هيفلي ريتش - جاثمة في الظل، مثلما كانت البارحة وأول البارحة. كانت ظهيرة دافئة في أواسط مايو. خفضت لينورا رأسها حتى لا يراها أرفن، وراقبته من داخل مبنى المدرسة حتى ملَّ الانتظار وغادر دونها. خطت إلى داخل الكنيسة وجعلت عينيها تتأقلمان مع العتمة. كان الواعظ الجديد جالساً على مقعد في منتصف الممر الفاصل بين صفّي المقاعد. بدا وكأنه كان يصلي. انتظرت إلى أن سمعته يقول «أمين» ثم بدأت المشي ببطء إلى الأمام.

شعر تيغاردن بوجودها خلفه. كان ينتظرها بفارغ الصبر منذ ثلاثة أسابيع حتى تأتي. كان يأتي إلى الكنيسة كل يوم تقريباً ويفتح الباب مع حلول وقت انصراف الطلاب من المدرسة. رآها معظم الأيام وهي تعود متجاوزة شارع الكنيسة في تلك السيارة الخرائية المسماة بل إير مع أخيها غير الشقيق أو مهما كانت صلته بها. ولكنه رآها مرة أو مرتين وهي تعود ماشية إلى البيت لوحدها. سمع وقع خطواتها الناعمة على الأرضية

الحشيشية الصلبة. أمكنه أن يشم رائحة نفسها المشوب برائحة علكة جوسي فروت مع اقترابها؛ كان له أنف كأنف الكلاب البوليسية عندما يتعلق الأمر بالنساء الشابات وروائحهن المختلفة. قال وقد رفع رأسه:

- من هناك؟

- أنا لينورا ليفرتي، أيها الواعظ تيغاردن.

رسم إشارة الصليب على صدره، ثم التفت إليها مبتسمًا:

- حسنًا، يا لها من مفاجأة.

ثم حدّق فيها من كتب أكثر وقال:

- يا فتاة! يبدو أنك كنت تبكين.

قالت وهي تهزّ رأسها:

- الأمر ليس بذي أهميّة. إنهم بعض الأولاد في المدرسة. يحبّون مضايقة الآخرين.

نظر إليها للحظة، باحثًا عن ردّ مناسب، ثم قال:

- أشكّ بأنّ ذلك ما هو إلّا لشعورهم بالغيرة. فالحسد يجعل البشر ينفثون أسوأ ما لديهم، وخاصّة أجيال الشّباب.

- وأنا أشكّ إنّ كان الحسد سبب أفعالهم.

- كم عمرك يا لينورا؟

- حوالي سبعة عشر عامًا.

- أتذكّر عندما كنتُ في مثل سنّك. كنت حينها مفعّمًا بحبّ الرّبّ،

والأولاد الآخرون يسخرون منّي ليل نهار. كان الأمر فظيعةً،

انهالوا عليّ بالعبارات المريعة التي اخترقت رأسي.

أومأت برأسها، ثم جلست على المقعد المقابل له، وسألته:

- وماذا فعلت إزاء تلك المضايقات؟

تجاهل سؤالها، وبدا بأنه يغوص عميقاً في أفكاره. ثم قال:

- نعم، كانت مرحلة صعبة.

ثم أضاف مع تنهيدة مديدة:

- الحمد لله أتمتها انتهت.

ثم ابتسم وقال:

- ألدريك مكان تذهيبين إليه خلال الساعات القليلة القادمة؟

- لا، لا يوجد مكان مُحَدَّد في الحقيقة.

نهض تيغاردن، أمسك بيدها وقال:

- حسناً، إذن، أظنّ أنّه آن الأوان لكِ ولي لكي نذهب في جولة بالسيّارة.

بعد عشرين دقيقة، ركنّا السيّارة في دربٍ يفضي إلى مزرعة قديمة ما فتى يتفحصه منذ وطأت قدماه بلدة كول كريك. كان الدرب يؤدّي ذات يوم إلى بعض حقول القشّ على مسافة ميل أو نحوه من الطّريق العامّ، ولكنّ الأرض الآن كانت مغطّاة بأعشاب جونسن وشجيرات كثيفة. كانت آثار عجلات سيّارته الأثر الوحيد الذي رآه على هذا الدّرب خلال الأسبوعين الماضيين. كانت بقعة آمنة لاصطحاب إحداهن إلى هنا. عندما أوقف محرّك السيّارة، صلّى صلاة قصيرة، ثمّ وضع يده الدافئة المكتنزة اللّحم على ركبة لينورا وأخبرها تماماً بما كانت ترغب في سماعه. سحقاً لذلك، كلّ واحدة منهنّ تريد أن تسمع إلى حدّ

مَا الشَّيْءَ نَفْسَهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ؛ حَتَّى النِّسَاءُ الْمُفْعَمَاتُ بِحَبِّ يَسُوعَ. تَمَنَّى لَوْ  
أَتَاهَا قَاوَمَتْ قَلِيلًا أَكْثَرَ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ سَهْلَةَ الْمَنَالِ، مِثْلَمَا تَوَقَّعَ بِالضَّبْطِ.  
وَمَعَ ذَلِكَ، وَرَعْمَ عِدَدِ الْمَرَّاتِ الَّتِي فَعَلَ فِيهَا الْفَعْلَةَ ذَاتَهَا، كَانَ بِإِمْكَانِهِ  
طِيلَةَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَعْرِئُهَا فِيهِ مِنْ مَلَابِسِهَا أَنْ يَسْمَعَ صَوْتِ كُلِّ طَيْرٍ،  
كُلِّ حَشْرَةٍ، كُلِّ حَيْوَانٍ يَتَحَرَّكُ فِي الْغَابَةِ مِنْ مَسَافَةِ أَمِيَالٍ. كَانَ الْأَمْرُ دَائِمًا  
يَشْبَهُ الْمَرَّةَ الْأُولَى مَعَ امْرَأَةٍ جَدِيدَةٍ.

بَعْدَ أَنْ قَضَى وَطْرَهُ مِنْهَا، مَدَّ تَيْغَارْدَنُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ تَبَاتُهَا الرَّمَادِي  
الْبَاهِتَ الْمَلْقَى عَلَى أَرْضِيَّةِ السَّيَّارَةِ. مَسَحَ بِهِ مَا عَلِقَ بِهِ مِنْ دَمٍ وَأَعْطَاهَا  
إِيَّاهُ. ذَبَّ بِيَدِهِ ذَبَابَةً طَنَّتْ حَوْلَ شِعْبِيهِ، ثُمَّ شَدَّ بِنَطَالِهِ الْفَضْفَاضَ الْبَنِيَّ  
وَزَرَ قَمِيصَهُ الْأَبْيَضَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهِيَ تَنْكَفِي مَرْتَدِيَةً فَسْتَانَهَا  
الطَوِيلَ. قَالَ لَهَا:

- لَنْ تَخْبِرِي أَحَدًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

كَانَ قَدْ تَمَنَّى سَلْفًا لَوْ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الْبَيْتِ وَقَرَأَ كِتَابَهُ الْأَثِيرَ فِي عِلْمِ  
النَّفْسِ؛ لِأَنَّ تَمَنَّى حَتَّى لَوْ أَنَّهُ حَاوَلَ جَزَّ الْعَشْبَ بِجَزَازَةِ الْعَشْبِ  
الْمُتَحَرِّكَ الَّتِي أَرْسَلَهَا الْأَبُ أَلْبَرْتُ بَعْدَ أَنْ دَاسَتْ سَيْنِثِيَا عَلَى أَفْعَى سَوْدَاءَ  
مُتَكَوِّرَةٍ عَلَى نَفْسِهَا أَمَامَ الْمَرْحَاضِ الْخَارِجِيِّ. لِسُوءِ الْحِظِّ، لَمْ يَرَ قَطَّ أَيًّا  
مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ مَاهِرًا فِي الْأَعْمَالِ الْبَدْنِيَّةِ. مَجْرَدُ التَّفَكِيرِ بِدَفْعِ تِلْكَ  
الْجَزَازَةِ مَرَّةً تَلُو الْأُخْرَى حَوْلَ تِلْكَ السَّاحَةِ الْوَعْرَةِ جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالْغَثِيَانِ.  
- لَا، لَنْ أَخْبِرَ أَحَدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. أَعْدُكَ بِذَلِكَ.

- جَيِّدٌ. بَعْضُ النَّاسِ قَدْ لَا يَفْهَمُونَ. وَأَنَا أَعْتَقِدُ بِأَمَانَةٍ بِأَنَّ  
عِلَاقَةَ شَخْصٍ مَا مَعَ وَاعِظَ كَنِيسَتِهِ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَةٌ  
خُصُوصِيَّةً.

ثم سأله على استحياء:

- هل كنت تعني ما قلته؟

حاول جاهداً تذكّر الجملة اللعينة التي قالها لها، ثم قال:

- حسناً، بالتأكيد كنت أعني ما قلته.

جفّ حلقه. ربّما عليه أن يمضي بسيّارته إلى ليوسبرغ ويحتسي بيرة

باردة ليحتفل بفض بكاراة عذراء أخرى.

قال لها:

- في الوقت الذي فرغنا فيه ممّا فعلناه، لن يكون بمقدور الصبيان

في مدرستك أن يشيحوا أبصارهم عنك. المسألة تتلخّص في أنّ

بعض الفتيات سيأخذن استراحة الآن من هؤلاء الصبيّة، ذلك

كلّ ما في الأمر. ولكن يمكنني القول بأنّ إحدى تلك الفتيات

قد زادت جمالاً منذ لحظات في الوقت الذي هَرَم فيه غيرها.

ينبغي لك أن تشكري الرّبّ على ذلك. أجل، تنتظر ك بعض

الأيام السعيدة في المستقبل، يا آنسة لينورا ليفرتي.





في نهاية مايو، تخرّج أرفن من مدرسة كول كريك الثانوية، مع تسعة طلاب آخرين. في يوم الإثنين التالي، ذهب ليعمل في فريق يضمّ عمّال بناء كانوا يضعون طبقة جديدة من الإسفلت على طريق غرينبرير كاونتي المتفرّع عن الطريق رقم 60. ألحقه بالعمل جارّ يقيم في الجهة المقابلة من التلة اسمه كلّفورد بيكر. اعتاد والده ووالد أرفن على إثارة المشكلات معاً قبل اندلاع الحرب. رأى بيكر بأنّ الصبي أرفن يستحقّ استراحة أكثر من أيّ شخص آخر. كانت عملاً مجزيًا، وكانت الأجرة تعادل الأجور التي تطالب بها النقابات العمالية تقريبًا. رغم أنّه عيّن بوظيفة عامل، وهي أسوأ وظيفة ضمن فريق العمّال من الناحية الافتراضية، فقد شغلّ الخال إيرسكل أرفن في أعمال أكثر صعوبة في الحديقة ذات المساحة الصغيرة خلف المنزل. في اليوم الذي تقاضى فيه أوّل راتب له، اشترى قنيتين من الوسكي الجيدة النوعية من آلة البيع الآلية للخلال العجوز. وطلب للجدّة إيما غسّالة دوّارة من كاتالوج شركة سيرز، واشترى للينورا فستانًا جديدًا لتذهب به إلى الكنيسة من محلّ ميفيرز، أعلى المحلّات في البلدات الثلاث المتجاورة.

بينما كانت لينورا تحاول إيجاد ما يناسبها من ثياب، قالت الجدّة إيما:

- يا إلهي! لم ألاحظ ذلك من قبل، ولكنّ جسمك بالتأكيد بدأ  
بالاكتناز.

التفتت لينورا ناظرةً في المرآة وابتسمت. لطالما كانت مستقيمة  
الشكل من قمة رأسها حتى أخصص قدميها، لم يكن لها أوراك ولا صدر.  
في الشتاء الماضي، ألصق أحدهم صورة من مجلّة لايف فيها كومة من  
ضحايا معسكرات الاعتقال النازية على خزانتها في المدرسة، وكتب  
بالحبر «لينورا ليفرتي» ورسم سهمًا يشير إلى الجثة الثالثة من اليسار. لو لم  
يكن الأمر لأرفن، لما اكرثت لإزالة الصورة من مكانها. ولكنها بدأت  
أخيرًا تبدو كامرأة، تمامًا كما وعدّها الواعظ تيغاردن. كانت تلتقيه  
ثلاث، أو أربع، وأحيانًا خمس مرّات في الأسبوع بعد الظهر. شعرت  
بشعور سيء في كلّ مرّة فعلاها معًا، ولكنها لم تستطع أن ترفض. كانت  
تلك المرّة الأولى التي أدركت فيها القوّة التي قد تحملها الخطيئة بين  
ثناياها. لا عجب في أنّه من الصعوبة بمكان على البشر دخول الجنة.  
في كلّ مرّة التقيا فيها، كان في جعبة تيغاردن شيئًا ما جديدًا يودُّ تجريبه.  
البارحة، أحضر معه قلم حمرة من مكياج زوجته. قالت لينورا بوجَل:

- أعرف أنّ الأمر يبدو سخيّفًا، أقصد ما نفعله يبدو سخيّفًا.  
ولكنّي لا أظنّ أنّه ينبغي لامرأة أن تدهن وجهها بأحمر الشفاه.  
أنت لست مجنونًا، أليس كذلك؟

- حسنًا، تَبَّالْمُحْك! لا، يا عزيزتي، لا تقلقي. تَبَّ، تعجبني معتقداتك.  
ياليت زوجتي تحبّ يسوع كحبّك له!

ثمّ عبس ورفع فستانها، حشر إبهامه في أعلى تَبَّانها وسحبه للأسفل.  
ثمّ أضاف:

- أضيفي إلى ذلك، كنت أفكر بدهن شيء ما آخر غير وجهك على أي حال.

ذات مساء، بينما كانت الجدة إيمًا تغسل صحون العشاء، نظرت عبر النافذة ورأت لينورا قادمة من الغابة عبر الطريق الذي يصلها بالمنزل. كانوا قد انتظروها لبضع دقائق، ثم أكلوا دونها. قالت الجدة:  
- تلك الفتاة بالتأكيد تصرف كثيرًا من الوقت في الغابة في الآونة الأخيرة.

كان أرفن مسترخيًا في كرسيه يشرب آخر ما تبقى من فنجان قهوته، وهو ينظر إلى الخال إيرسكل وهو يحاول أن يلفّ سيجارة. كان الخال العجوز منحنيًا فوق الطاولة، تسود وجهه المجعد نظرة من التركيز. راقب أرفن أصابع يديه وهي ترتعش، متسائلًا فيما إذا كان خال أبيه قد بدأ يفقد توازنه بعض الشيء.

قال أرفن:

- تعرفين طبعًا. من المرجح أنها تذهب إلى الغابة لتكلم الفراشات. راقبت الجدة لينورا وهي تتسلق بمناكبها مذعورة الضفة متوجهة صوب الشرفة الأمامية للمنزل. بدت كما لو أنها كانت تركض؛ بدا ذلك من طريقة احمرار وجهها. لاحظت الجدة تغيرًا كبيرًا طرأ على الفتاة في الأسابيع القليلة الماضية. في يوم ما تكون سعيدة، وفي يوم آخر يملؤها اليأس. فسرت الجدة ذلك بأن الكثير من الفتيات يطير صوابهن لبرهة عندما يبدأ دم الدورة بالخروج، بيد أن لينورا اجتازت تلك المرحلة منذ سنتين. لا تزال تراها تقرأ في إنجيلها، رغم ذلك؛ وبدا أنها تحب الذهاب إلى الكنيسة أكثر مما كانت تفعل قبلاً، رغم أن الواعظ تيغاردن

لا يعادلُ شِسْعَ نعل الأَب ألبرت سايكس عندما يتعلّق الأمر بإلقاء موعظة جيّدة. أحياناً، كانت الجِدَّة إيما تتساءل إذا ما كان الرّجل حقاً يكثرث من أساسه لإلقاء موعظة عن الرُّسل، وذلك بالنظر إلى الطّريقة التي كان يفقد فيها تسلسل أفكاره وكأنّه مشغول البال في قضايا أخرى. أدركت أنّها تأثّرت تأثراً شديداً بسبب حادثة أكباد الدّجاج مرّة أخرى. التفتت ونظرت إلى أرفن وقالت:

- ألا تظنّ بأنّها ربّما تعرّفت إلى صاحب، أليس كذلك؟

- مَنْ؟ لينورا؟

تعجّب أرفن ثمّ قلب عينيه وكأنّ ما قالته الجِدَّة كان أسخف الأشياء التي سمعها في حياته. ثمّ قال:

- لا أظنك بحاجة لأنّ تقلقي بخصوص ذلك، يا جدّتي.

نظر ورأى أنّ الخال إيركسل قد نشر الفوضى في المكان بسبب سيجارته، كان فقط جالساً هناك فاغراً فاه، محمّلاً بالتبغ وأوراق سجائر اللّف المتناثرة على الطاولة. مدّ أرفن يده صوب كيس التبغ الصّغير وأوراق اللّف، وبدأ يلفّ سيجارة جديدة للخال العجوز.

قالت الجِدَّة إيما بعدة:

- شكل الإنسان ليس كلّ شيء.

هدر أرفن، وقد شعر بالخجل من سخريته من لينورا:

- لا أقصد أن أقول ذلك.

هناك أصلاً العديد من النّاس الذي يسخرون منها. تكدر مزاجه فجأة إذ تذكّر أنّه لن يكون في المدرسة بعد الآن ليدرأ عنها تنمر المتنمرين.

كانت مقبلة على موقف صعب لا تحسد عليه في الخريف القادم. تابع  
أرفن قائلاً:

- لا أظنّ أنّه يوجد أيّ فتیان في هذه المنطقة حتّى تغرم بهم، هذا  
ما أعنيه.

فُتِحَتْ سدفة الباب المشبّكة وأُغْلِقَتْ مصدره صريراً، ومن ثمّ  
سمعوا لينورا تدندن أغنية. أصغت الجدّة إيما عن كذب، وعرفت أنّها  
كانت تردّد ترنيمة «الحاج المسكين المشوب بالأسى». بعد أن برّدت  
قلبها لما قاله أرفن، غمست يديها في الماء الفاتر، وبدأت بفرك المقلاة  
وتنظيفها. أعاد أرفن تركيز اهتمامه صوب السيجارة. لعق ورقة اللّف  
وثناها ثنيّة أخرى، ثمّ ناوّها للخال إيرسكل. ابتسم الخال العجوز  
وتحمّس داخل جيبه باحثاً عن علبة أعواد ثقاب. بحث لمُدّة طويلة قبل  
أن يعثر على واحدة.



بحلول منتصف أغسطس، عرفت لينورا بأنها في ورطة. لم تأتها  
الدورة مرتين، ولم يعد الفستان الذي اشتراه لها أرفن يناسبها بعد الآن.  
أنهى تيغاردن علاقته بها قبل بضعة أسابيع. قال لها بأنه يخشى إذا استمرَّ  
في لقائها، فإنَّ زوجته ستكتشف الأمر، بل حتى جمهور المصلين في  
الكنيسة سيكتشفون الأمر. وقال لها:

- لا يريد أي منّا أن ينكشف أمرنا، صحيح؟

مرّت بجانب الكنيسة لعدّة أيام قبل أن تجده هناك ذات يوم. الباب  
كان مفتوحًا ومسنودًا وسيارته الصغيرة جاثمة في ظلال الشجرة. كان  
جالسًا في الظلال قُرب مقدّمة الكنيسة، رأسه منحني عندما دخلت،  
تمامًا كما كان في ذلك اليوم الذي جاءت فيه أوّل مرّة إليه منذ ثلاثة  
أشهر. الأمر المختلف هذه المرّة هو أنّه لم يتسم عندما التفت ورأى مَنْ  
الدّاخِل. قال لها:

- لا يفترض بك أن تأتي إلى هنا.

على أنّه لم يتفاجأ بمجيئها تفاجؤًا كليًا، فبعضهنّ لا يستطعن مجرّد  
هجر ذلك الهوس كاملاً مرّة واحدة.

لم يفته أن يلاحظ الطّريقة التي انضغط فيها نهداها على أعلى فستانها

في تلك اللحظة. رأى ذلك مرّة تلو الأخرى، رأى الطريقة التي تمتلئ بها أجساد النساء حالما يبدأن بالتعوّد على المضاجعة المنتظمة. نظر إلى ساعة يده، تبيّن له أنّه ما زال أمامه بضع دقائق إضافية. خَطَرَ في باله أنّه ربّما عليه أن يودّعها بمضاجعةٍ أخيرةٍ رائعةٍ عندما بدأت تُلقِي الكلام على عواهنه. قالت بصوتها الهستيرى المنكسر بأنّ الذي تحمله في أحشائها ما هو إلاّ ابنه هو. وثب جافلاً، ثم ركض صَوَّب الباب الأمامي للكنيسة وأوصده. نظر إلى يديه، يدان سميكتان ولكنها ناعمتان كيدي امرأة. تساءل، في الوقت الذي استغرقه ليرسل نفساً عميقاً، تساءل فيما إذا كان بإمكانه أن يخفّضها بكلتا يديه، ولكنه كان يعرف تمام المعرفة بأنّه لا يمتلك الجرأة للإقدام على هذا الصنف من الأعمال. بالإضافة إلى ذلك، إذا ما قُبِض عليه مصادفةً فإنّ السّجن، وخصوصاً السّجن الرّهيب الواقع تحت الأرض في فرجينيا الغربيّة، سيكون في غاية القسوة بالنسبة إلى شخص رقيق مثله. لا بدّ من وجود طريقةٍ أخرى. على ذلك يجب عليه التفكير بسرعة. تأمل حالتها، فتاة يتيمة مسكينة حبلَى وشبه فاقدة لصوابها بسبب القلق الذي يعتريها. جالت كلّ تلك الأفكار في باله في الوقت الذي استغرقه لإقفال الباب. ثمّ مشى إلى مقدّمة الكنيسة حيث كانت جالسة على أحد المقاعد، الدّموع تسيل على وجهها المرتجف. قرّر أن يبدأ الحديث معها، فالحديث هو أفضل ما كان يُجيده. قال لها بأنّه سمع بحالات مثل حالتها، حيث يتعرّض فيها المرء للتضليل ويتملكه الهمّ والغمّ بسبب شيء ما اقترفه. ثمّ اقترفه، ثمّ رهيب جدّاً، إلى درجة أنّه يبدأ بتخيّل حصول أحداث. يا للهول! لقد قرأ عن أناس، مجرد أناس عاديين، بعضهم بالكاد يستطيع كتابة اسمه، ممّن اقتنعوا بأنهم أصبحوا رئيس الولايات المتحدة أو بابا روما أو حتّى بعض نجوم



السينما المشهورين. حذرها تيغاردن بصوت حزين بأن هذه الأنماط من الناس عادة ما ينتهي بهم الأمر إلى مستشفى الأمراض العقلية، حيث يغتصبهم الممرضون ويُجبرون على أكل فضلاتهم.

في تلك اللحظة كانت لينورا قد كفت عن النحيب. مسحت عينيها بكمّ فستانها وقالت:

- لا أفهم عمّا تتحدّث. أنا حبلى والطفل طفلك.

رفع يديه، تنهّد وقال:

- عدم الفهم هو جزء من المسألة، هذا ما ورد في الكتب. ولكن فكّري بالأمر. كيف يمكن أن أكون أنا والدة الطفل؟ فأنا لم أملك قط، ولا حتى مرّة واحدة. أنت مجنونة حتى تتهميني بذلك؟ لديّ بيت وزوجة أجمل منك بمائة مرّة، وهي مستعدة لفعل أيّ شيء أطلبه منها. وأقصد بأيّ شيء أيّ شيء فعلاً.

نظرت إليه وقد أرتجّ على ملامح وجهها من شدّة الذّهول:

- أنت تقول بأنك لا تتذكّر كلّ الأشياء التي فعلناها في سيّارتك؟

- ما أقوله هو أنك لا شكّ مجنونة لتأتي إلى بيت الرّب وتنطقي بهذه

الترّهات. أتظنين أنّ أحداً ما سيصدق ما ترميني به من باطل؟

أنا واعظ الكنيسة.

يا يسوع! فكّر بينه وبين نفسه وهو واقف هناك. ناظرًا إلى هذه الحيزبون الصغيرة، الحمراء الأنف، المتمسكة. لماذا لم يصطبر ويتنظر حتى ينال مبتغاه من إحدى بنتي عائلة ريستر؟ فقد أثبتت باملا ريستر بأنّها أشهى قطعة سكرّ تذوقها منذ الأيام الخوالي التي قضاها مع سينثيا.

قالت لينورا بصوت ناعم خدير:

- ولكنك والد الطفل. أنت لا أحد سواك.

نظر تيغاردن إلى ساعة يده مرّة أخرى. يجب عليه أن يتخلّص من هذه القحبة سريعاً، وإلاّ فإنّ ما بقي من يومه برمته سيصبح هباءً منثوراً. قال وصوته يتحوّل إلى نبرة خفيضة بغیضة:

- نصيحتي لك يا فتاة أن تجدي وسيلة للتخلّص من الجنين، أقصد، إن كنت حقاً حبلٍ كما تقولين. لن يكون سوى وغد صغير ابن عاهرة إن احتفظت به في أحشائك. إن لم يكن هناك أيّ سبب يدعوك لذلك، فكّرني بالعجوز المسكينة التي ربّتك، العجوز التي تصطحبك معها إلى الكنيسة كلّ أحد. ستموت من العار الذي سيلحق بها. والآن اخرجي من هنا قبل أن تُسبّي مزيداً من المشاكل.

لم تنبس لينورا بينت شفة. نظرت إلى الصليب الخشبيّ المعلق على الجدار خلف المذبح، ثمّ وقفت. حلّ تيغاردن قفل الباب وفتحته، والعبوس ينقش في وجهه نقوشاً، مرّت من جانبه مطأطئة رأسها. سمعت صوت الباب يغلق بسرعة وراءها. رغم أنّها شعرت بالدوخة، استطاعت السير لبضعة مئات من الياردات قبل أن تنهار وتسقط تحت شجرة تبعد بضعة أقدام عن حافة الطريق المفروش بالحصى. كان ما يزال بإمكانها أن ترى الكنيسة، الكنيسة التي قضت جلّ حياتها وهي ترتادها. شعرت بوجود الله في الكنيسة عدّة مرّات، وليس مرّة واحدة. شعرت بذلك الشّعور الآن، منذ وصول الواعظ. بعد بضع دقائق، شاهدت باملاً ريوستر تدلف من الجهة الأخرى من الطريق وتمضي داخل الكنيسة، ونظرة من السعادة ترتسم على وجهها الجميل.

ذلك المساء، وبعد العشاء، اصطحب أرفن جدّته إيبا إلى الكنيسة لحضور صلاة ليلة الخميس. تذرّعت لينورا بالمرض، وقالت بأنّها تشعر بأن رأسها يكاد ينفجر. لم تقرب طعامها. قالت الجدّة إيبا وهي تتحسّس حدود لينورا للتأكد من حرارتها:

- حسناً، لا تبدين بحالة جيّدة. هذا أمر أكيد. استريحى وابقى في المنزل هذه اللّيلة. سأطلب منهم أن يدعوا لك بالشفاء.

انتظرت لينورا في غرفتها حتّى سمعت صوت انطلاق سيّارة أرفن، ثمّ تأكّدت أنّ الخال إيرسكل لا يزال نائماً في كرسيه المهزّاز على الشّرفة الأماميّة للمنزل. خرجت إلى حجرة تقديد الأسماك واللّحوم وفتحت الباب. وقفت وانتظرت حتّى تأقلمت عيناها مع مستوى العتمة في الدّاخل. وجدت حبلاً ملفوفاً في الزاوية خلف مصائد سمك المِنوة وربطت في إحدى نهايتيه أنشودة كيفما اتفق. ثمّ أزاحت برميلاً فارغاً صوبَ منتصف الحجرة الصّغيرة. اعتلّت البرميل ولقّت الطرف الآخر للحبل سبع أو ثماني لفّات حول إحدى دعائم الحجرة. ثمّ وثبت من البرميل وأغلقت الباب. سادت العتمة الحجرة.

صعدت مرّة أخرى على البرميل المعدني، وضعت الأنشودة حول عنقها وشدّتها بإحكام. سألت على وجهها قطرات من العرق، ووجدت نفسها تفكّر بأنّه ينبغي لها أن تفعل ذلك في الخارج في ضوء الشّمس، في جوّ الصّيف الدافئ، أو أنّها ربّما تتريّث يوماً آخر أو يومين. ربّما يغيّر تيغاردن رأيه. فكّرت أنّ ذلك ما ينبغي لها فعله: التريّث. لا يمكن أن يقصد ما قاله. كان في نوبة غضب، ذلك كلّ ما في الأمر. بدأت تُرخي الأنشطة وبدأ البرميل المعدنيّ بالتّمايل. زلّت قدمها وتدحرج البرميل

بعيدًا وبقيت معلقةً في الهواء. سقطت لبضعة إنشات فقط، ليس بمسافة تكفي لكسر رقبتها. استطاعت تقريبًا لمس أرضية الحجر بأصابع رجليها، الفرق كان إنشًا واحدًا أو نحوه. رفت برجليها، وأمسكت بالحبل. بذلت أقصى جهودها لترفع جسدها نحو دعامة السقف، ولكن لم يكن لديها القوة الكافية لفعل ذلك. حاولت أن تصرخ، ولكن الأصوات المختنقة لم تتجاوز عتبة باب الحجر. استمر ضغط الحبل ببطء وانغلق مجرى التنفس لديها، أصبحت أكثر احتياجًا، وهي تخرمش بأظافر أصابع يديها على رقبتها. غدا وجهها أرجوانيًا. كانت واعية نوعًا ما بالبول المنساب بين ساقها. بدأت الأوعية الدموية في عينيها بالتفجر، وأصبح كل شيء معتمًا أكثر فأكثر. قالت في قرارة نفسها:

- لا، لا. يمكنني أن أنجب هذا الطفل، يا الله. كل ما أريده هو أن أترك هذا المكان؛ يمكنني أن أهرب كما فعل والدي. كل ما أريده هو أن أختفي لا شيء غير ذلك.

بعد مرور أسبوع أو نحوه على الجنازة، كان تكُ تومبسن، أمر الشرطة الجديد في بلدة غرينبرير كاوتني، ينتظر سيارة أرفن بعد عودته من العمل. قال تومبسن لأرفن:

- أريد أن أكلّمك في موضوع. الأمر يتعلّق بلينورا.

كان أرفن أحد الرّجال الذين ساعدوا في حمل جثمانها خارج حجرة تقديد الأسماك واللّحوم بعد أن رأى الخال إيرسكل سقّاطة الباب وقد أزيحت من مكانها. ومن ثمّ عثر على جثتها. استدعي أمر الشرطة إلى بضعة حوادث انتحار خلال سنوات عمله. كان معظم المتحررين رجالاً على أيّ حال. أطلقوا النّار على رؤوسهم بسبب امرأة أو صفقة تجارية خاسرة. لم يحدث أبداً أن شنقت فتاة شابة نفسها. عندما سأل أمر الشرطة الجدّة إيما وأرفن مباشرة بعد ذهاب سيارة الإسعاف في ذلك المساء أفادا بأنّها بدت فعلاً أكثر سعادة في الآونة الأخيرة. هناك شيء ما في هذه القضية لا يمكن تفسيره. لم ينم أرفن إلاّ سويعات قليلة طيلة الأسبوع.

رمى أرفن علبة طعامه في المقعد الأماميّ لسيّارته اليل إير، ثمّ قال لأمر الشرطة:

- ما بها لينورا؟

- أرى بأنه ربّما من الأفضل أن أخبرك أنت بدلاً من جدّتك.  
حسبما سمعت، فهي لا تأخذ الأمور بحسن نيّة أبداً.  
- أخبرني ما الأمر؟

نزع أمر الشرطة قبعته عن رأسه وأمسكها بيديه. انتظر مرور بضعة  
رجال آخرين لكي يصعدوا في سيّارتهم، ثمّ تنحّج وقال:

- حسناً، لا حول ولا قوّة. لا أعرف كيف أقول ذلك يا أرفن  
سوى بشكلٍ صريح. هل تعلم بأن لينورا كانت حاملاً بطفلك؟  
حَمَلتُ أرفن فيه لدقيقةٍ مديدة، ونظرة الدهشة مرتسمة على محيّاها.  
ثمّ قال:

- ما هذا الهراء!

ثمّ قال أخيراً:

- ما هذه إلاّ كذبة فبركها ابن قحبة.

- أعرف حقيقة مشاعرك، أنا أعرف حقّاً، ولكنّي جئت للتوّ من  
عيادة الطيب الشرعيّ. رغم أنّ الطيب، دذليّ العجوز، ربّما  
يكون ثملاً، ولكنّه ليس كذّاباً. وفق تقديراته التّقريبية كانت  
حاملاً في حدود شهرها الثالث.

أشاح أرفن بوجهه عن أمر الشرطة، ومدّ يده إلى جيّبه الخلفيّ  
وأخرج خرقة متسخة. مسح بها عيونه وقال وهو يصارع لمنع شفّته  
العليا من الارتجاف:

- يا يسوع!

- أتظنّ أنّ جدّتك على علمٍ بالموضوع؟

وهو يهز رأسه، أخذ أرفن نفساً عميقاً ثم أخرج به ببطء وقال:

- حضرة الأمر، جدّتي ستموت لو سمعت بذلك.

- حسناً، هل كان لدى لينورا صاحب؛ شخص كانت تلتقيه؟

فكر أرفن بتلك الليلة، منذ بضعة أسابيع فحسب، عندما سألته

الجدّة إيما السّؤال ذاته حينها. ثمّ أجاب:

- لا أعرف أيّ صاحبٍ لها. يا إلهي! كانت من أتقى الناس الذين

رأيتهم في حياتي.

أعاد أمر الشرطة ارتداء قبّعته. ثمّ قال:

- اسمعني، هذا هو تفسيري للأمر: يجب ألاّ يعرف أحد بالأمر

سوى أنت وأنا والطبيب دّكلي. دّكلي لن يبوح بأيّ شيء، أنا

أضمن لك ذلك. ولذا سنبقي الأمر سرّاً الآن. ما رأيك بذلك؟

وهو يخبط عينيه مرّة أخرى، أوماً أرفن برأسه وقال:

- أنا ممتنٌّ لك على ذلك. كان يكفيننا سوءاً معرفة الجميع بنبأ

انتحار لينورا. تّباً، لم نتمكّن حتّى من دعوة ذلك الواعظ الجديد

لكي...

اكفّه وجهُ أرفن فجأةً، ونظرَ بعيداً صوّبَ جبل مدي كريك

البعيد الممتدّ في الأفق.

- ما الأمر، يا بني؟

أجاب أرفن وهو ينظر مجدّداً إلى أمر الشرطة:

- لم نستطع دعوته للجنّازة حتّى يتلو عليها بعض الصلوات، ذلك

كلّ ما في الأمر.

- حسنًا، بعض الناس لديهم حجج دامغة حول أشياء من قبيل ذلك.

- نعم، أظنهم كذلك.

- إذن، ليس لديك أي فكرة عن الشخص الذي كانت على علاقة معه؟

- لينورا كانت تبقى لوحدها معظم الوقت. ثم ما الذي يمكنك فعله حيال ذلك بكل الأحوال؟

هزَّ أمر الشرطة رأسه وقال:

- أتوقع أنه ليس بوسعنا فعل الكثير. ربّما ما كان يجب عليّ قول ذلك.

- أنا آسف، لم أقصد إظهار عدم الاحترام لجهودك، وأنا مسرور أنك أخبرتني بالأمر. على الأقلّ أنا أعرف الآن لماذا انتحرت.

أعاد المنديل إلى جيبه وصافح تكّ وقال له:

- وشكرًا لاهتمامك بكتّم الأمر عن جدّتي، أيضًا.

نظر أرفن إلى أمر الشرطة وهو يغادر بسيّارته، ثم ركب سيّارته وساقها لمسافة خمسة عشر ميلاً عائداً إلى بلدة كول كريك. شغلّ المذياع ورفع صوته إلى أعلى درجة ممكنة وتوقّف في عُشّة بائع المشروبات المهزّبة في هنغري هولر وابتاع قنّيتي وسكي. عندما وصل للبيت، دخل واطمأن على الجدّة إيما. لم تبرح سريرها طيلة الأسبوع على حدّ علمه. بدأت تفوح منها رائحة سيّئة. أعطاها كأس ماء وشربت منه قليلاً. ثم قال:



- اسمعي يا جدتي، أتوقّع منك أن تنهضي من السرير في الصّباح  
وتحضّري الإفطار لي وللخال إيرسكل. اتّفقنا؟
- دعني أبقى هنا. قلبت على جنبها ثمّ أغمضت عينيها.
- ستبقين في السرير ليوم واحد فقط، انتهى الأمر. أنا لا أمزح  
معك.

ذهب إلى المطبخ وقلّى بعض البطاطا. حضّر سندويشات البّلوني<sup>(1)</sup> له وللخال إيرسكل. بعد أن أكلا، جلى أرفن المقلاة والصحون وعاد ليطمئنّ على الجدّة مرّة أخرى. ثمّ أخذ قنيتي الوسكي إلى الخارج إلى الشّرفة الأمامية وأعطى واحدة للخال العجوز. جلس في كرسي حيث واتته الفرصة أخيراً ليفكّر بالكلام الذي قاله له أمر الشّرطة. حاملٌ منذ ثلاثة أشهر. بالتأكيد الفاعل الذي حبّل لينورا ليس من أهل المنطقة. فأرفن كان يعرفهم فرداً فرداً، كما كان يعرف النظرة التي يعاملونها بها. المكان الوحيد الذي كانت تحبّ الذهاب إليه هو الكنيسة. عاد بذاكرته إلى المرحلة التي وصل فيها الواعظ الجديد إلى البلّدة للمرّة الأولى. لا شكّ أنّه كان شهر إبريل، أي منذ أكثر من أربعة أشهر بنيّف. تذكّر الطّريقة التي انفردت بها أسارير تيغاردن عندما دخلت ابنتا عائلة ريستر في ليلة العشاء الترحيبيّ بالواعظ. لم ينتبه أحد من الحاضرين لاهتمام الواعظ بالفتاتين سوى أرفن وزوجة الواعظ. حتّى إنّ لينورا نزعت عنها قلنسوتها، ليس بمدّة زمنيّة بعيدة بعد مجيء تيغاردن. فكّر بأنّها أخيراً سئمت من السّخرية التي تنهال عليها في المدرسة، ولكن ربّما كان لديها سبب آخر لتفعل ما فعلت.

(1) وجبة معروفة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا. وهي نقانق كبيرة الحجم من لحوم الخنزير أو غيرها من اللّحوم، وتقدّم مقطّعة وباردة. (الترجم)

هزَّ سيجارتين لتخرجا من علبته وأشعلهما، وأعطى إحداهما للخال إيرسكل. في اليوم الذي سبق الجنازة، قال تيغاردن لبعض رواد الكنيسة بأنه لا يشعر بالراحة وهو يلقي عظة في حادثة انتحار. وبدلاً من ذلك، طلب من خاله المريض المسكين أن يقول بضع كلمات بالنيابة عنه. حمل رجلان الأب ألبرت على كرسي مطبخ خشبي. كان ذلك اليوم أشدَّ الأيام حرًّا في ذلك العام، والكنيسة كانت كالفرن، ولكن ألبرت العجوز أوفى الجنازة حقَّها. بعد بضع ساعات، ساق أرفن سيَّارته على الطرق الخلفيَّة، وهي عادة أدمنها دائماً عندما كانت الأمور تجري على غير ما يرام. مرَّ بمنزل تيغاردن، ورآه يمشي صوبَ المرحاض الخارجي للمنزل في خفَّين منزليين وقبَّعة وردية متهدِّلة كتلك التي ترتديها النساء. كانت زوجته تأخذ حماماً شمسياً بالبكينى، وتمدَّد جسمها على بطانيَّة في ساحة البيت التي غزتها الأعشاب والشجيرات غير المشدَّبة.

قال الخال إيرسكل:

- اللعنة، الجوَّ حارّ.

قال أرفن بعد دقيقة أو اثنتين:

- نعم. ربّما ينبغي لنا أن ننام هنا في الخارج هذه الليلة.

- لا أعرف كيف تتحمَّل إيما البقاء في غرفتها. الجوَّ فيها كالفرن.

- ستنهض في الصُّباح وتحضّر لنا الإفطار.

- حقاً؟

- نعم، حقاً.

وهذا ما حصل فعلاً. كان البسكويت والبيض وصلصة مرق

اللحم جاهزةً قبل ساعة من موعد انسلاهما من بطانيّتهما على الشرفة.

لاحظ أرفن بأنّها غسلت وجهها وبدّلت ملابسها، وربطت منديلاً نظيفاً حول شعرها الأشيب الرقيق. لم تنبس بينت شفة، ولكن عندما جلست وبدأت تسكب لنفسها الطعام، عرف بأنّه يمكنه ألاّ يقلق بعد الآن بشأنها. في اليوم التالي، عندما خرج رئيس مجموعة العمّال من سيّارته البك أب وأشار إلى ساعته بأن الوقت قد تأخّر، هرع أرفن إلى سيّارته على عجل ومرّ بجانب منزل تيغاردن مرّة أخرى. جالسًا في شُعب شجرة خرّوب، راقب بيت الواعظ حتّى موعد غروب الشّمس. لم يكن يعرف عمّا كان يبحث حتّى تلك اللّحظة، ولكنّه كان يعرف المكان الذي سيجد فيه مراده.



بعد ثلاثة أيام ومع نهاية الدوام، أبلغ أرفن رئيسه في العمل بأنه لن يعود. قال رئيس مجموعة العمال:

- أوه، تعال يا ولد. اللعنة على هذه الحال، أنت أفضل عامل لدي. بصق كتلة سميكة من البصاق المشوب بالتبغ على الإطار الأمامي لسيارته البك أب ثم أضاف:

- أيمكنك البقاء معنا لأسبوعين آخرين؟ سنكون قد انتهينا من العمل بحلول ذلك الوقت.

أجاب أرفن:

- ليس لدي مشكلة في العمل يا توم. المسألة وما فيها أن هناك أشياء أخرى علي الاهتمام بها في الوقت الحالي.

يَمُّم بسيارته شطر بلدة ليوسبرغ، واشترى علبة طلاقات مسدّس من عيار 9 ملم، وتوقّف في المنزل واطمأنّ على جدّته. كانت في المطبخ تفرك الأرضية المشمّعة وهي جاثية على يديها وركبتيها. دلف إلى غرفته وأحضر مسدّس اللوغر الألماني من دُرْج خزانته السفلي. كانت هذه أوّل مرّة يلمسه فيها منذ أن طلب منه الخال إيرسكل أن يخبئه قبل سنة. بعد أن أبلغ جدّته بأنه سيعود إلى المنزل قريباً، ذهب إلى بلدة ستوني

كريك. أمضى وقتًا لا بأس به وهو ينظف المسدّس، ثمّ ذخّره بثمانِ رصاصات وصفّ بعض العلب المعدنية والقناني. أعاد تذخير المسدّس أربع مرّات إضافية خلال الساعة التّالية. حينها أعاد المسدّس إلى دُرج السيارة، شعر وكأنّه امتداد عضوي ليدّه مرّة أخرى. فشل فقط ثلاث مرّات في إصابة العلب والقناني.

في طريق عودته للبيت، توقّف أرفن في المقبرة. دُفنت لينورا بجانب قبر أمّها. لم يكن حفّار القبور قد وضع صوّة القبر بعد. وقف أرفن ناظرًا إلى التراب البنيّ الجافّ الذي يشير إلى مكان دفنها. تذكّر آخر مرّة جاء فيها معها إلى هنا لإلقاء نظرة على قبر أمّها. استطاع نوعًا ما أن يتذكّر كيف حاولت لينورا، بأسلوبها الأخرق الذي يميّزها، مغالزته في تلك الظهيرة، وهي تتحدّث عن اليتامى والعشاق المنحوسين، تذكّر أيضًا أنّه أغلظ لها القول. فكّر في قرارة نفسه لو أنّه أعارها قليلاً من الاهتمام، لو أنّ هؤلاء القوم لم يسخروا منها ويهزؤوا بها كلّ الهزء، لربّما ما حصل ما حصل.

في صباح اليوم التّالي، غادر المنزل في الوقت المعتاد، وتصرّف كما لو أنّه كان ذاهبًا إلى الشغل. رغم أنّه كان على يقين في أعماقه بأنّ تيغاردن هو الفاعل، كان يجب عليه أن يقطع الشكّ باليقين. بدأ تتبّع كلّ أثر للواعظ في حركاته وسكناته. خلال أسبوع، رأى هذا الوغد وهو يُضاجع بامِلا ريوستر ثلاث مرّات في درب يؤدّي إلى مزرعة قديمة، درب متفرّع من طريق رَعْد رَج. مشت عبر الحقول من منزل أهلها لتلتقيه هناك مرّة كلّ يومين عند حلول الظّهر تحديداً. جلس تيغاردن في سيّارته الرّياضيّة وتأمّل نفسه في المرآة حتّى وصولها. بعد المرّة الثالثة التي رآهما أرفن

يلتقيان أحدهما الآخر، صرف فترة الظهيرة وهو يكوّم الأغصان اليابسة وأعشاب نبتة بقلة الأوجاع ليشكّل منها مخبأً للمراقبة يبعد مجرد بضع ياردات عن المكان الذي ركن فيه الواعظ سيّارته في ظلّ شجرة بلوط باسقة. كان من عادة تيغاردن أن يدفع الفتاة حالما يقضي وطره منها. كان يحبّ صرف الوقت وهو يتسلّى وحيداً تحت الشجرة، حيث يبول ليريح مثنائه ويستمتع إلى موسيقى البوب من نمط الببّل غم من مذياع السيارة. أحياناً، سمعه أرفن وهو يكلم نفسه، ولكنه لم يستطع فهم ما كان يقول. بعد عشرين أو ثلاثين دقيقة، كان تيغاردن يشغلّ السيارة ويمضي لينعطف راجعاً عند نهاية الدرب ويرجع إلى منزله.

في الأسبوع التالي، أضاف الواعظ أخت باملا الصغرى، بثّ أنّ، إلى قائمة صاحباته، ولكن اللقاءات معها كانت تجري داخل الكنيسة. لم يعد يساور أرفن آنثذ أيّ شكوك. عندما استيقظ صباح الأحد على صوت أجراس الكنيسة وهي تفرع في أرجاء الوادي، قرّر بأنّه آن الأوان. فلو انتظر أكثر، لخشي على نفسه من فقدان أعصابه. كان يعلم بأنّ تيغاردن كان يلتقي الأخت الكبرى دائماً أيام الإثنين. على الأقلّ فإنّ ابن العاهرة القوّاد هذا كان منتظماً فيما يمارسه من عادات.

حسب أرفن المال الذي تمكّن من توفيره في السنوات الأخيرة. كان قد وفرّ 315 دولاراً في علبة القهوة الموضوعة أسفل سريره. ساق سيّارته إلى آلة بيع المشروبات بعد عشاء يوم الأحد واشترى قنيّة وسكي حجمها ثلاثة أرباع اللتر. صرف الأمسية وهو يشرب مع الخال إيرسكل على الشرفة الأمامية للمنزل. قال له الخال:

- أنت بالتأكيد طيبّ معي يا ولد.

اضطرّ أرفن لأن يكبت مشاعره عدّة مرّات حتّى يمنع نفسه من البكاء. كان يفكّر بما سيفعله في الغد. هذه آخر مرّة يحتسيان فيها مشروبًا معًا.

كان مساءً جميلًا؛ مساءً ألطف ممّا كان عليه الجوّ منذ عدّة شهور. دخل إلى المنزل واصطحب جدّته إلى الشّرفة. جلست معها لبرهة وهي تحمل إنجيلها وكأسًا من الشاي المثلّج. لم ترجع إلى كنيسة الرّوح القدس في بلدة كول كريك منذ ليلة انتحار لينورا. قالت وهي تعلّم الموضوع الّذي وصلته في الإنجيل بإصبعها الهزيل وهي تُحمَلُ عَبْرَ الطريق صَوْبَ أوراق الشّجر الّتي بدأت سلفًا بالتحوّل إلى اللّون البنيّ الّذي يشبه لون الصّدأ:

- أعتقد أنّ الخريف سيحلّ باكراً هذا العام. يجب أن نبدأ بالتفكير بجلب بعض الحطب بأسرع وقتٍ ممكن، أليس كذلك يا أرفن؟  
نظر إليها. كانت لا تزال تحدّق في الأشجار على سفح التلّة. قال لها:

- نعم، على المرء الاستعداد للبرد قبل قدومه.

كره نفسه لأنّه كان يخدعها؛ لأنّه كان يتظاهر بأنّ كلّ شيء يسير إلى وضعه الطبيعي. استبدّت به رغبة جامحة بأن يكون قادرًا على توديعها. ولكن الأفضل لهما ألاّ يعرفا أيّ شيء في حال جاءت الشرّطة للبحث عنه. في تلك اللّيلة، بعد أن خلدت الجدّة إيها والخال إيرسكل للنوم، حزم أرفن بعض الملابس في حقيبة رياضيّة ووضعها في صندوق سيّارته. استند على درابزون الشّرفة وأصغى إلى الوجيف الخافت لقطار محمّل بالفحم يجتاح فضاء الممرّ الضيّق من التلال القريبة، وهو متّجه صَوْبَ



الشمال. رجع إلى داخل المنزل، وضع مائة دولار في العلبة المعدنية التي كانت الجدة تحتفظ فيها بعدة الخياطة من إبرٍ وخيوط. لم يغمض له جفن تلك الليلة. في الصباح اكتفى باحتساء بعض القهوة على الإفطار. كان قد مضى على جلوسه في المخبأ ساعتان عندما جاءت بامِلا ريوستر راكضة عبر الحقل، ربّما جاءت أبكر من المعتاد بخمس عشرة دقيقة. بدت مضطربة؛ وما انفكت تنظر إلى ساعة يدها. عندما جاء تيغاردن، وأثناء ركنه سيّارته ببطء على الطريق المخدّد، لم تثب إلى السيّارة مثلما اعتادت أن تفعل دومًا في الماضي. بدلاً من ذلك، وقفت على بعد بضعة أقدام وانتظرته حتّى يطفئ محرّك السيّارة.

سمع أرفن الواعظ وهو يقول لها:

- حسنًا يا عشوّتي، اصعدي. سأغرّقك اليوم.

- لن أبقى. نحن في ورطة.

- ماذا تقصدين؟

- كان يفترض بك أن تترك أختي وشأنها.

- أوه، اللّعة يا بامِلا. ذلك لا يعني شيئًا.

- لا، أنت لا تفهم. لقد أخبرتُ أمي بالأمر.

- متى؟

- منذ ساعة. اعتقدتُ أنني لن أقدر على المجيء من المنزل إلى هنا.

سبّ تيغاردن قائلاً:

- القحبة الصغيرة. بالكاد لمستها.

- ولكنّها لم تقل نفس هذا الكلام الذي تقوله.

نظرتُ بامِلا إلى الطّريقِ بعصيّة.

- ما الذي قالته بالضبط؟

- صدّقني يا برستن، لقد حكّت كلّ شيء. أصابها الذّعر لأنّ  
النّزيف لم يتوقّف.

أشارت الفتاة بإصبعها إليه وقالت:

- من الأفضل لك أن تتمنى ألا يكون ما فعلته لها سيمنعها من  
إنجاب الأطفال مستقبلاً.

قال تيغاردن:

- تَباً لهذا الوضع.

خرج من السيّارة ومشى جيئةً وذهاباً لعدّة دقائق، كانت يده  
مشبوكتين خلف ظهره كجنرال في خيمته يخطط لشنّ هجوم مضاد.  
أخرج منديلاً حريريّاً من جيب بنطاله وربّت على فمه. قال أخيراً:

- ماذا تظنين أن أمك ستفعل؟

- حسناً، أنا أعرف أمي، بعد أن تأخذ أختي بثّ أن إلى المستشفى.  
فإنّ أوّل خطوة ستقدّم عليها هي الاتصال بأمر الشرطة اللّعين.  
فأنت تعرف تمام المعرفة أنّه أحد أقاربها.

وضع تيغاردن يديه على كتفي الفتاة ونظر في عينيها ثمّ قال:

- ولكنك لم تقولي أي شيء عن علاقتنا، صحيح؟

- أتظنني مجنونة؟ أموت قبل أن أفعل ذلك.

تركها تيغاردن تذهب واستند على سيّارته. نظر صوب الحقل  
المتدّ أمامهما وتساءل لماذا لم يعد أحد يحرثه منذ زمن. تخيل منزلاً قديماً

من طابقين، منزلاً مهذباً، بعض القطع الصّدئة لآلات عتيقة مرمية بين الأعشاب الضّارة، وربما بثراً محفورة يدويّاً من الماء البارد النّظيف، مغطّاة في أعلاها بألواح نخرها السّوس. للحظة واحدة فحسب، تخيل نفسه وهو يرتّب المكان ويبعث فيه الحياة، وأن يستقرّ فيه ليحيا حياة بسيطة؛ يعظ أيام الأحد ويعمل في المزرعة بيدين مخشوشتين طيلة الأسبوع؛ يقرأ كتباً مفيدة وهو جالس على الشّرفة الأمامية للمنزل في الأمسيات بعد تناول عشاء شهّي، وبعض الأطفال الذين يفيضون نعومة يلعبون في الساحة المظلمة. سمع تيغاردن الفتاة وهي تقول بأنّها ستغادر. عندما التفت أخيراً لينظر إليها، كانت قد مضت في سبيلها. ثم فكّر باحتمالية أن تكون باملاً كذبت عليه، في محاولة منها لبث الخوف في نفسه حتّى يرتدع ويدع أختها الصغيرة وشأنها. ما كان ليفضّل أحدًا على باملاً، ولكن إن كان ما قالته صحيحاً، فلديه فقط ساعة أو اثنتان في أفضل الأحوال لحزم متاعه والخروج من بلدة غرينبير كاوتني. كان على أهبة الاستعداد لتشغيل سيّارته حالما يسمع أحدهم يقول له:

- أنت لست واعظاً ولا علاقة لك بالوعظ، أليس كذلك؟

قال تيغاردن:

- ما الذي تفعله بالله عليك؟

- كنت أراقبك وأنت تُصّاجع ابنة عائلة ريستر التي غادرت للتوّ. وإذا ما حاولت تشغيل سيّارتك، فإني سأفجّر رأسك التنن.

ترك تيغاردن مفتاح السيّارة من يده وقال:

- أنت لا تعرف ما الذي تقوله يا فتى. أنا لم ألمسها. لم نفعل شيئاً سوى تجاذب أطراف الحديث.

- ربّما لم تلمسها هذا اليوم، ولكنك ما فتئت تضاجعها بشكلٍ دوريٍّ ومنتظمٍ.

- ماذا؟ أكنتَ تتجسّس عليّ؟

ظنّ تيغاردن بأنّ هذا الفتى قد يكون واحدًا من هؤلاء المصابين بهوس التلصّص الشهوانيّ، وقد تذكّر ذلك المصطلح من مجموعة مجلّات التعري التي كان يفتنيها.

- عرفتُ كلّ حركاتك وسكناتك الخبيثة خلال الأسبوعين الماضيين.

نظر تيغاردن عبر الزجاج الأماميّ لسيّارته إلى شجرة البلوط الكبيرة في نهاية الدّرب. تساءل فيما إذا كان ما قاله أرفن صحيحًا. بينه وبين نفسه، حسب عدد المرّات التي جاء فيها إلى هنا مع باملا خلال الأسابيع القليلة الماضية. كانت على الأقلّ ستّ مرّات. كان ذلك يحمل ما يحمله من السوء، ولكنه في الوقت نفسه شعر بالراحة بعض الشيء. فالتفتى على الأقلّ لم يراقبه وهو يضاجع أخته لينورا. من الصّعوبة التنبؤ بما كان سيفعله فتى الغابات المجنون لو أنّه رآه يفعل ذلك بأخته.

قال تيغاردن:

- المسألة ليست كما تبدو عليه.

قال أرفن بعد أن نزع زر أمان المسدّس:

- ما القصة إذن؟

بدأ تيغاردن يشرح له بأنّ تلك الساقطة الصغيرة لم تكن لتتركه وشأنه. ولكنه ذكّر نفسه بعد ذلك بأن يتوخّى الحذر أثناء اختيار كلماته.

فكّر باحتمالية أن يكون هذا السفّاح مغرمًا حتّى الجنون بياَمِلا. ربّما كان ذلك كلّ ما في الأمر. إنّها الغيرة. حاول أن يتذكّر ما كتبه شكسبير حول الغيرة، بيّد أنّ الكلمات خانته. ثمّ سأله تيغاردن:

- قل لي، ألسنتَ حفيد السيّدّة إيما رَسِلَ؟

نظر إلى ساعة تابلو السيّارة. كان يمكن أن يكون في منتصف طريق عودته للمنزل في هذه اللّحظة لو لم يعترضه الفتى. بدأت جداول العرق المدهن تسيل على وجهه الحليق النظيف الورديّ اللّون.

- صحيح. كما أنّ لينورا ليفرتي هي أختي.

أدار تيغاردن رأسه ببطء. عيناه تركّزان على إِبزيم حزام أرفن. حتّى إنّ أرفن استطاع أن يلاحظ بأنّه كان يحاول أن يضيّع الوقت في كلام جانبي، وراقبه وهو يبلع ريقه عدّة مرّات. قال تيغاردن:

- يا للعار! ما فعلتته تلك الفتاة من قتل نفسها أمر يندى له الجبين.  
أنا أصليّ لراحة نفسها كلّ ليلة.

- ألا تصليّ لراحة نفس الطّفل أيضًا؟

- الآن أنت تخلط الأمور وتقلب عاليها سافلها يا صديقي. أنا لا علاقة لي بذلك الأمر.

- لا علاقة لك بهاذا؟

تلوّى تيغاردن مرتبكًا في مقعد السيّارة الضيّق. نظر إلى مسدّس اللوغر الألماني. ثمّ قال:

- هي التي جاءتُ إلي. قالت إنّها أرادت أن تعترف، وقالت لي بأنّها حامل بطفل. وعدتها ألا أخبر أحدًا بالأمر.

تراجع أرفن خطوة إلى الوراء وقال:

- وأنا أراهن أنك الفاعل، يا ابن العاهرة السمين.

أطلق أرفن ثلاث رصاصات. حيث فجر برصاصتين إطاري السيارة الواقعين في جهة مقعد السائق وأطلق الرصاصة الأخيرة على الباب الخلفي.

صاح تيغاردن وهو يحرك يديه للأعلى:

- توقف! توقف! اللعنة.

- كفاك كذبًا.

تقدم أرفن للأمام ووضع المسدس على صدغ الواعظ وقال:

- أعرف أنك أنت السبب فيما آلت إليه حالها.

نفض تيغاردن رأسه بعنف مبتعدًا عن المسدس وقال:

- حسنًا.

أخذ نفسًا عميقًا ثم أضاف:

- أقسم أنني كنت سأحل المشكلة، أقسم لك فعلاً، ومن ثم...

ومن ثم عرفت أنها قتلت نفسها. لقد كانت مجنونة.

- لا لم تكن مجنونة. كل ما في الأمر أنها كانت وحيدة.

ضغظ أرفن سبطانة المسدس على قفا رأس تيغاردن وأضاف:

- ولكن لا تقلق. لن أجعلك تعاني مثلما فعلت أنت بها.

- والآن هدئي من روعك، يا إلهي! يا يسوع المسيح! يا رجل، لن

تقتل واعظًا، أليس كذلك؟

- أنت لست بواعظ، أيها النكرة التافه.

بدأ تيغاردن البكاء، سألت دموع حقيقة على وجهه للمرة الأولى منذ كان طفلاً صغيراً.

قال وهو ينشج بالبكاء:

- دعني أصلي أولاً.

وهمّ بشبك يديه مع بعضهما.

- صليتُ من أجلك مسبقاً. ودعوت الله طالباً منه طلباً خاصاً ما

فتتّم أيها القحاب تتحدّثون عنه دائماً؛ طلبت من الله أن يرسلك

على الفور إلى جهنّم.

قال تيغاردن قبل أن ينطلق الرّصاص من المسدّس:

- لا.

خرجت شظية من الرّصاصة وخرجت من فوق أنفه بالضّبط

واستقرت على التابلو مصدرة قرقعة. ترنح جسمه الضخم للأمام،

وارتطم وجهه بالمقود. رفست قدمه اليسرى بدّالة الفرامل بضع مرّات.

انتظر أرفن حتّى توقّف تيغاردن عن الحراك، ثمّ مدّ جسده داخل السيّارة

وأخرج شظية الرّصاصة العالقة من التابلو ورماها بين الأعشاب البرية.

شعر بالأسف لأنّه استهلك تلك الرّصاصات قبل قتل الواعظ، ولكن

لا يوجد وقت للبحث عنها الآن في العشب. أزال على عجل المخبأ

الذي بناه وأمسك بالعلبة التي كان يستخدمها لوضع أعقاب السّجائر.

في غضون خمس دقائق، كان أرفن قد عاد إلى سيّارته. رمى علبة أعقاب

السّجائر في القناة. بينما كان يدسّ مسدّس اللوغر الألماني تحت التابلو،

فكّر فجأةً بزوجة تيغاردن الشابة. من المرجّح أنّها جالسة هناك في بيتها

الصّغير الآن، منتظرة عودته إليها، تماماً كما كانت جدّته تنتظره اللّيلة.

أسند ظهره داخل الكرسيّ وأغمض عينيه للحظة، حاول أن يفكر بأشياء أخرى. شغل محرك السيارة وساق حتى نهاية رَغْدِ رَج، ثم انعطف يسارًا باتجاه الطريق رقم 60. وفق حساباته، يمكنه أن يصل إلى بلدة ميد في أوهايو في وقت ما الليلة إن ساق دون توقّف. لم يخطّط لما سيفعله بعد أن يحطّ رحاله هناك.

بعد أربع ساعات، وعلى مسافة حوالي خمسين ميلاً خارج تشارلستون في فرجينيا الغربيّة، بدأت سيّارة البل إير تصدر صوتاً مزعجاً من الأسفل. استطاع السير بها خارج الطريق السريع والوصول إلى موقف في محطة وقود قبل أن يتعطلّ ناقل الحركة بشكل نهائيّ. نزل على يديه وركبتيه ورأى آخر قطرة من السائل تتسرّب من علبة ناقل الحركة ثم قال مخاطباً السيّارة:

- يا بنت الحرام.

بينما كان يهّم بالوقوف، جاءه رجل نحيل يرتدي أفرولاً أزرق فضفاضاً، وسأله ما إذا كان يحتاج إلى أيّ مساعدة.

قال أرفن:

- لا أحتاج مساعدتك إلا إذا كان عندك ناقل للحركة يمكن تركيبه في هذه السيّارة.

- تعطلت بك، أليس كذلك؟

- لقد انتهى عمرها.

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى ميشيغن.



- أهلاً وسهلاً بك إذا أردت استخدام الهاتف للاتصال بأحد ما.

- لا يوجد أحد لاتصل به.

حالما قال أرفن ذلك، أدرك أن تلك العبارة صحيحة بالفعل. فكّر لدقيقة. رغم أنه كان يكره فكرة التخلي عن سيارة البلب إير، فيجب عليه أن يتابع رحلته. كان عليه أن يضحّي بشيء ما. التفت صوب الرجل وحاول أن يتسم، وقال:

- كم ستدفع لي ثمناً لهذه السيارة؟

نظر الرجل إلى السيارة وهز رأسه قائلاً:

- ليس لي حاجة بها.

- محرّكها جيّد. وقد بدّلت مسنناتها وشمعات احتراقها منذ بضعة أيام..

مشى الرجل صوب السيارة واقترب منها وهو يضرب إطاراتها برجليه، ويتفحص ثبات زجاج نوافذها. ثم قال وهو يفرك الشعر القصير النابت على ذقنه:

- لا أعرف.

- ما رأيك أن تشتريها مني بخمسين دولاراً؟

- لا ترتفع حرارتها، أليس كذلك؟

- وهي مسجلة باسمي.

- سأدفع لك ثلاثين دولاراً.

- أهذا أفضل سعر تستطيع دفعه؟

- يا بني، لدي خمسة أطفال في البيت.

- حسنًا، هي لك. دعني فقط أُخرج أغراضي منها.

نظر إلى الرّجل وهو يعود إلى داخل السيّارة. أخذ أرفن حقيبته من الصّندوق الخلفي، ثمّ جلس في السيّارة للمرّة الأخيرة. في اليوم الذي اشتراها فيه، استهلك هو والخال إيرسكل صفيحة كاملة من البنزين وهما يتجولان بها، ساقها ذهابًا وإيابًا إلى بلدة بكي. اعتراه شعور مفاجئ بأنّه مُقبلٌ على خسارة الكثير قبل أن تزول هذه الأزمة. وهو يمدّ يده تحت التابلو، أمسك بالمسدّس، ودسّه في حزام بنطاله. ثمّ أخذ أوراق الملكية وعلبة من الرّصاص من دُرج أغراض السيّارة. عندما دخل السيّارة، وضع الرّجل ثلاثين دولارًا على الكاونتر. وقّع أرفن أوراق الملكية ودوّن عليها التاريخ، ثمّ وضع المبلغ في محفظة نقوده. اشترى حلوى زاغنت وعبوة آر. سي. كولا. كانت أوّل مرّة يأكل أو يشرب فيها منذ أن احتسى القهوة ذلك الصّباح في مطبخ جدّته. نظر عبر النافذة إلى الخط اللامتناهي من السيّارات العابرة على الطريق السريع بينما كان يقضم قطعة الحلوى. ثمّ سأل أرفن الرّجل:

- هل سبق لك وسافرت في السيّارات العابرة على الطرقات؟

فرغ روي من قطاف البرتقال ذلك اليوم في حوالي الساعة الخامسة وتقاضى أجرته؛ ثلاثة عشر دولارًا. ذهب إلى البقالة عند تقاطع الطرق وابتاع نصف باوند من شرائح اللحم الممزوجة بالمخلل المقطّع ونصف باوند من الجبنة ورغيف خبز من دقيق الشَّيْلَم وعلبتي سجائر تِسْتَرْفيلدس وثلاث قنانٍ من نبيذ وايت بورت. ما أجل أن يتقاضى المرء أجرته يوميًا! شعر كأنه غنيّ من الأغنياء وهو عائدٌ إلى البقعة التي كان يجيّم فيها مع ثيودور. كان رئيسه في الشَّغل أفضل شخصٍ اشتغل معه، وواظب روي على قطاف البرتقال بلا كللٍ أو مللٍ لثلاثة أسابيع. أخبره صاحب العمل اليوم بأنّه ربّما تكون هناك فقط أربعة أو خمسة أيامٍ أخرى باقية من العمل. سيُدخِل هذا النبا السرورَ على قلب ثيودور. فقد أراد أن يعود ليرى مياه المحيط، وكان يتحرَّق شوقًا لرؤيتها. وفّرًا تقريبًا مائة دولار في الشهر الماضي، وهو مبلغ لم يجمعا مثله منذ وقت طويل جدًّا. كانت خطّتها تقضي بأن يشتريا بعض الملابس المحترمة ويمتھنا الوعظ مرّة أخرى. فكّر روي بأنّه يمكن لهما العثور على بذلتين في محلاتٍ عُذُول بمبلغ عشرة أو اثني عشر دولارًا. لم يعد ثيودور يعزف على الغيتار بذات البراعة التي عزف بها في الأيام الخوالي، ولكن يمكنها أن يتدبّرًا أمرهما على أحسن وجه.

عبر روي قناةً للصرْف الصَّحِّي واتَّجِهَ إلى حيث كانا يَحْيِيَانِ تحت عُشَّةٍ صغيرة من أشجار المغنوليا الواطئة. وجد ثيودور نائماً على الأرض بجانب كرسيِّه المتحرِّك، وغيتاره بجانبه. هزَّ روي رأسه وأخرج قنينة من قناني النبيذ وعلبة سجائر. جلس على قُرْمَةٍ شجرة واحتسى شربة نبيذ قبل أن يشعل سيجارة. كان قد أتى على نصف القنينة عندما لاحظ أخيراً النمل يزحف على وجه ثيودور الكسيح. اندفع روي إلى جانبه، وقلبه على ظهره وقال:

- ثيودور؟ هيَّا، هيَّا يا حبيبي، استيقظ.

توسَّل إليه بأن يستيقظ وهو يهزُّه ويزيح التَّمَل عن وجهه:

- ثيودور؟

حالما حاول روي أن يرفعه، أدرك أنه ميت. ولكنه مع ذلك بذل جهده طيلة خمس عشرة دقيقة ليُجْلِسَه في الكرسيِّ المتحرِّك. بدأ يدفعه على التربة الرملية باتجاه الطريق السريع، ولكنه قطع فقط بضعة أقدام قبل أن يتوقف. فكَّر في قرارة نفسه بأن السلطات ستسأل الكثير من الأسئلة وهو ينظر إلى سيَّارة فاخرة تعبر بعيداً عنه. نظر إلى موقع المخيم. ربَّما من الأفضل البقاء هنا. أحبَّ ثيودور المحيط، ولكنه أحبَّ الظلَّ أيضاً. أجمه الأشجار هذه كانت بالنسبة إليهما كالبيت أكثر من أيِّ مكان آخر أقاما فيه منذ أيام عملهما مع فرقة كرنفال استعراض برادفورد.

افترش روي الأرض بجانب الكرسيِّ المتحرِّك. اقترفا الكثير من الموبيقات على مرِّ السنين، وصرَّف روي عدَّة ساعات تالية وهو يصليُّ لروح ثيودور الكسيح. كان يأمل في أن يقوم أحدٌ بالصلاة لروحه هو

عندما يموت. مع حلول المساء، نهض روي أخيرًا وحضر سندويشة لنفسه. أكل قسمًا منها ورمى الباقي بين الأعشاب. وهو يدخن سيجارة أخرى وقد فرغ من نصفها، أصبح جليًا أمام عينيه أنه ما من حاجة إلى الهرب بعد الآن. يمكنه العودة إلى بيته الآن، وبدء حياته من جديد. يمكنه أن يفعل وابنته لينورا ما يشاءان، طالما أنه سيراهما مرة أخرى. لم يكن ثيودور قادرًا البتة على استيعاب ذلك. كيف يمكن لروي أن يشترك لشخص لا يعرفه فعليًا. صحيح أنه بالكاد يستطيع تذكر شكل وجه ابنته الصغيرة، بيد أنه سأل نفسه آلاف المرات كيف أصبحت حياتها. في اللحظة التي فرغ فيها من تدخين السيجارة، بدأ يتمرن على بعض الكلمات التي سيقولها لها.

في تلك الليلة، ثمل مع صديقه القديم لآخر مرة. أوقد نارًا وتحدث مع ثيودور كما لو أنه لا يزال حيًا يرزق. حكى له الحكايا نفسها مرة أخرى، حكايا فلاجك، وسيدة الفلامنغو، وأكل الدامل، وحكايا كلّ الأرواح الهائمة الأخرى التي التقياها في الدروب. في العديد من المرات وجد نفسه ينتظر ثيودور حتى يضحك أو يضيف شيئًا للحكاية نسيه هو. بعد بضع ساعات، لم تبقَ في جعبته أية حكايات يحكيها. شعر روي بالوحدة أكثر مما شعره من قبل طيلة حياته. آخر جملة قالها قبل أن ينام على بطانيته كانت:

- رحلة صعبة جدًا وطريق طويلة من بلدة كول كريك، أليس كذلك، يا رجل؟

استيقظ بالضبط قبل الفجر. بلل خرقة ببعض الماء من غالون الماء الذي ربطاه دائمًا في مؤخرة الكرسي المتحرك. مسح القذارة عن

وجه ثيودور ومشط شعره، أغمض له عينيه بإبهامه. كان هناك قليل من النيذ في القنينة الأخيرة، وضعها في حوض ثيودور، ووضع قبعته القشبية الرثة على رأسه. ثم لفّ أغراضه القليلة في بطانية ووقف ووضع يده على كتفه. أغمض روي عينيه وتلفّظ ببضع كلمات إضافية. أدرك بأنه لن يُلقَى المواعظ الكنسية مرّة أخرى، ولكن لا بأس في ذلك. فهو لم يكن بارعًا فيها على أيّ حال. كان معظم الناس يرغبون بسماع عزف ثيودور الكسيح وليس مواعظ روي. قال روي:

- أتمنى لو أنّك تذهب معي يا ثيودور.

كان قد قطع مسافة ميلين مبتعدًا عن المخيم على الطريق قبل أن تتوقّف له سيارة عابرة ويصعد فيها.

الجزء السادس  
التعبانان





حمداً لله، ها هو شهر يوليو يقترب من نهايته. لم يعد كارل يطيق الانتظار ليخرج إلى الطرقات مجدداً. حمل كارل القطرميزين المليئين بالإكراميات التي جمعها ساندي من شغلها في الحانة، وذهب بهما إلى البنك، وصرف محتوياتهما إلى عملة ورقية ثم أمضى الأيام القليلة التالية وهو يجهز للرحلة بشراء مستلزماتها. اشترى لساندي زَيْنَ جديدين وبعض التبابين المكشكشة الأطراف من محل جي. سي. بيني، وغالوناً من زيت المحركات، وشمعات اشتعال احتياطية، ومنشاراً صغيراً لقطع المعادن وجد عليه تخفيضاً واشتراه بفعل رغبة فجائية دهمته، وحبلاً طوله خمسين قدماً، ومجموعة من خرائط طرق الولايات الجنوبية حصل عليها من مكتب الجمعية الأمريكية للسيارات، وكرتونتين من سجاثر سيلم، ودسته سيجارات. كان كل ما بقي معها 134 دولاراً بعد أن فرغ من التسوق والذهاب إلى الميكانيكي لتركيب مجموعة من وسادات الفرامل للسيارة. ولكن هذا المبلغ سيمكّنهما من قطع مسافة طويلة. فكّر كارل في قرارة نفسه، وهو جالس إلى طاولة المطبخ وهو يعدُّ النقود المتبقية مجدداً نادباً حظّه بأنّه يمكن لهما أن يعيشا كالمملوك بهذا المبلغ الكبير من المال لمدة أسبوع. تذكّر الصيف الذي مرّ منذ سنتين، عندما غادرا بلدة ميد ومعها 40 دولاراً. كان طعامها حينها

اللحم المقدّد ورقائق البطاطا. شفاط البنزين من صفيحة الوقود لتعبئة السيارة. كانا ينمان في السيارة في الحرّ الخانق طيلة الطريق، ولكنها استطاعا البقاء لمدة ستة عشر يوماً معتاشين على المال الذي سلباه من موديلات التصوير بعد قتلهم. إذا ما قارنًا الأمر باليوم، فهم في حالة جيّدة هذه المرّة.

ومع ذلك هناك شيء ما لا يزال يقض مضجعه. ذات مساء، وبينما كان ينظر إلى الصّور التي التقطها، وهو يحاول أن يلهب الحماس في نفسه تأهبًا لرحلة الصّيد الموشكة، ما كان منه إلى أن وقع على صورة من صور ساندي وهي تتشبّث بالمجنّد الذي صادفاه الصّيف الماضي. أدرك نوعًا ما بأنّها لم تمثّل دورها على النّحو الصّحيح بنفس المهارة منذ أن قتل ذلك المجنّد. بدا له الأمر وكأنّه سلبها شيئًا ثمينًا تلك الليلة عندما قتله. ولكن في الصّورة التي بيده كانت هناك نظرة من القرف وخيبة أمل تموجان في وجهها؛ نظرة لم يرها قبل ذلك. بينما جلس هناك محدّدًا في الصّورة، راودته الأمنيات أن ياليتها لم يشتري لها ذلك المسدّس. ناهيك عن أنّا يجب ألا ننسى أيضًا حكايته مع النّادلة في حانة وايت كاو. كانت ساندي قد بدأت تسأله عن المكان الذي كان يذهب إليه في المساءات التي تكون فيها في عملها. رغم أنّها لم تبقّ البحصّة مباشرة أبدًا وتتهمه بأيّ تهمة، فقد بدأت الهواجس تنال منه متسائلًا ما إذا كان تناهى إلى سمعها أيّ شيء حول ذلك. كما أنّ النّادلة لم تعد تتصرّف بالودّ ذاته الذي اعتادت إتيانه، أيضًا. من المحتمل أنّه مصاب بالصّدمة لا شيء أكثر، ولكن كان من الصّعب التّعامل مع موديلات التصوير دون إبداء القلق على الطّعم الذي قد ينقلب عليه. ذهب في اليوم التّالي إلى محلّ معدّات في سنترال سنتر. بعد أن خلدت ساندي للنوم

تلك الليلة، أفرغ مسدسها من الطلقات - إذ كانت قد بدأت تحمله في حقيبة يدها - واستبدل الطلقات الحقيقية بأخرى فارغة. كلما زاد تفكيره في المسألة قلَّ احتمال تصوره لحصول حالة ستضطرَّ فيها ساندي لاستخدام المسدس على أيِّ حال.

إحدى الأشياء الأخيرة التي فعلها استعدادًا للرحلة كانت طبع نسخة جديدة من أكثر صورة أثيرة على نفسه. طواها ودسَّها في محفظة نقوده. لم تعلم ساندي بالأمر، ولكنَّه حمل دائمًا نسخة معه عند عودتها إلى الطرقات. كانت صورة لها وهي تضم بحنان رأس أحد الضحايا في حضنها. كان فتى قتلاه في أوَّل رحلة صيد لهما. حصل ذلك في الصَّيف الَّذي تلا قيامها بقتل الفتى المدعو إيليس الجنس في كولورادو. لم تكن من أفضل ما التقطه من صور، ولكنَّها صورة لا بأس بها بالنسبة إلى شخص لا يزال في بداية مشوار تعلُّم التصوير. ذكَّرتَه الصَّورة بإحدى اللوحات التي تصوِّر مريم العذراء والطفل يسوع. الطَّريقة التي كانت تنظر بها ساندي إلى الفتى ونظرة ناعمة بريئة ترسم على محيَّاها؛ نظرة استطاع التقاطها بضع مرَّات خلال السنة الأولى أو الثانية من تجوالهما. لم ير تلك النَّظرة بعد ذلك على الإطلاق. وماذا عن الفتى؟ تذكَّر كارل بأنَّهما أمضيا حينئذٍ خمسة أيام دون أن يُشير لهما ولو شخص واحد على الطريق ليصعد معهما. كانا مفلسين ويمجادل أحدهما الآخر. أرادت ساندي العودة إلى البيت فيما أصرَّ كارل على متابعة البحث. ثمَّ وصلا إلى منعطف في مسار محفَرٍ ذي اتِّجاهين على مقربة من شيكاغو. ها هو صيدهما هناك يشير بيده لهما ليقفاله. كان أعطيةً مباشرة من السَّماء. كان الفتى صاحب مقالب رهيبة، فكبَّها وبركانًا من النكات السَّمجة. لو أن كارل أمعن التَّحديق في الصَّورة بما يكفي، لأمكنه رؤية علامات سوء

الطّبع مرتسمةً على وجهه. في كلّ مرّة نظر فيها كارل إلى تلك الصّورة،  
كان هناك شيء ما أيضًا يذكّره بأنّه لا يمكن له أبدًا أن يجد فتاة أخرى  
يعمل معها وتتميّز ببراعةِ كبراعةِ ساندي.

كان صباحًا حارًا في يوم الأحد، الأوّل من أغسطس. كان قميصُ كارل مبللاً عرقًا. جلس في المطبخ وهو يتأمل الأشغال الخشبيّة القذرة وطبقة الدّهون المتنتنة المتشكّلة على الجدار خلف الموقد. نظر إلى ساعته، كان الظّهر قد حلّ. كان ينبغي لهما أن يكونا على الطريق منذ أربع ساعات، ولكن ساندي عادت إلى البيت في اللّيلة الماضيّة ورائحة الخمر تفوح منها. ولجت الباب بطريقةٍ خرقاء وملامح بشعة مرتسمة على وجهها الأحمر، وهي تعيد مرارًا وتكرارًا بأنّها ستكون آخر رحلة تخرج معه فيها. بقيت نائمة طيلة الصّباح إلى أن صحت. عندما خرجا ليصعدا في السيّارة، توقّفت وتلمّست داخل حقيبة يدها باحثة عن نظارتها الشمسيّة. قالت:

- يا يسوع المسيح! لا أزال مريضة.

قال كارل متجاهلاً ما قالت:

- يجب أن نتوقّف ونملاً صفيحة البنزين قبل أن نغادر البلّدة.

كان قد اتّخذ قراره، وهو ينتظرها لتهيّء نفسها، بأنّه لن يدعها تنغص عليه الرحلة. إنّ لزم الأمر، سيكون فظًا معها. حالما يتعدان عن بلدة رُس كاونتي وعن أخيها الفضولي القدر.

قالت ساندي:

- تَبَّأ، كنتَ متفرغًا لأسبوعٍ كاملٍ ولم تملأَ صفيحة البنزين بعد!  
- اسمعي يا فتاة، الأفضل أن تتبهي لما تقولين.

في محطة وقود تكساكو على الطريق الرئيس، خرج كارل من السيارة وبدأ ملء صفيحة البنزين. ما إن اخترق الجوَّ صوتٌ مرتفعٌ ومدوٌّ لصفارة إنذار سيارة حتى نَفَرَ شبه قافزٍ من أمام سيارة موستانغ كانت تهمّ بمغادرة مضخة البنزين. استدار ورأى لي بوديكر جالسًا في سيارته الكروزر وراء سيارتهما. أوقف أمر الشرطة، بوديكر، صوت صفارة الإنذار وخرج من سيارته ضاحكًا وقال:

- يا ويلي يا كارل! أمل بأنك لم تُبل في بنطالك.

نظر إلى داخل سيارتهما وهو يقترب منها ماشيًا. رأى أغراضهما مكوّمة في الخلف. سألهما:

- أنتما ذاهبان في رحلة؟

فتحت ساندي الباب ونزلت من السيارة وقالت:

- ذاهبان في إجازة.

- إلى أين؟

أجابه كارل:

- إلى مدينة فرجينيا بيتش.

شعر كارل بشيء ما رطب، نظر إلى الأسفل، اكتشف بأنه بلل إحدى فردي حذائه بالبنزين.

- ظننتكما ذهبتما إلى هناك العام الماضي.

تساءل لي بوديكر في قرارة نفسه إذا ما كانت أخته عادت سيرتها الأولى لممارسة الدعارة. إن كانت قد عادت، فمن الواضح أنها أصبحت أكثر حذرًا إزاء ذلك. إذ أنه لم يسمع أيّ شكواٍ عنها منذ تلك المكالمة الهاتفية التي تلقاها من المرأة الصّيف الماضي.

نظر كارل إلى ساندي، ثم قال:

- نعم، إتنا نحبّ الذهاب إلى هناك.

قال لي بوديكر:

- كنت أفكر بأن أكافئ نفسي باستراحة من العمل. إذن فرجينيا بيتش مكان يستحقّ الزيارة، أليس كذلك؟

أجابت ساندي:

- إنه مكان جميل.

- ما الذي يعجبكما في ذلك المكان؟

رمقت ساندي كارل بنظرة وهي تأمل أن يساعدها في الرّد، ولكنه كان قد انحنى على صفيحة البنزين مرّة أخرى، لكي يستكمل تعبّتها. كان بنطاله متهدّلاً، وكانت ساندي تأمل ألاّ يلاحظ أخوها مفرق مؤخرته البيضاء الظاهر. وأردفت:

- إنه مكان جميل، هذا كلّ ما في الأمر.

أخرج لي بوديكر نكّاشة أسنان من جيب قميصه وقال:

- كم ستبقيان هناك؟

شبكت ساندي ذراعيها أمام صدرها ورمقت بنظرة اشمئزاز،

وقالت:

- وَلِمَ كُتِبَ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ لِلْعَيْنَةِ؟

بدأ رأسها يثقل مرّة أخرى. ما كان ينبغي لها أن تشرب بيرة مخلوطة بالفودكا.

- لا يوجد سبب، يا أُخِيَّة. ليس سوى الفضول.

حَمَلَتْ بِهِ لَهْنِيهِةً. حاولت أن تتخيّل النظرة التي سترتسم على وجهه المتبجّح في حال باحت له بالحقيقة. ثمّ أجابت:

- سنبقى حوالي أسبوعين.

وقفا ونظرا إلى كارل وهو يحكم تثبيت غطاء صفيحة البنزين. عندما مضى إلى داخل محطة الوقود ليسدّد ثمن البنزين، سحب لي بوديكر نكّاشة الأسنان من فمه وشخر قائلاً:

- قال إجازة قال!

أجابت ساندي:

- كفك يا لي. إنّ ما فعله أمر يخصّنا وحدنا.



«كان جيمي جوهانسن أول شخص من هذا النوع يقتنصانه بسيّارتهما على الإطلاق. شعره يتدلّى فوق كتفيه، وقُرطان ذهبيّان يتدلّيان من شحمتي أذنيه». هذا ما قالتها ساندي لجوهانسن حالما صعد في سيّارتهما القذرة، وكأنه أكثر الأشياء المبهجة التي حصلت معها في حياتها. هرب جيمي من البيت في ماساشوستس السنة الفائتة. كانت تلك السنة أيضًا آخر مرّة يدخل فيها صالون حلاقة. لم يكن يحسب نفسه هيّيا، فالقلة القليلة من الهبيّين الذين صادفهم في الشوارع كانوا يتصرّفون كالمعتوهين. ولكن ما المشكل في ذلك؟ فلتظنّ هذه المرأة ما تشاء به من الظنون. عاش في الأشهر الستة الماضية مع عائلة من المُخنّثين في منزل مُهلّهل مملوء بالقطط في فيلادلفيا. قرّر الرّحيل أخيرًا عندما قرّرت اثنتان من الأخوات الكبيرات بأنّه يجب عليه أن يدفع لهما حصّة من المال الذي كان يجنيه من عمله في حمّات محطة الباصات في كلارك ستريت. كان رأيه أن تبا لهاتين الحيزيونتين؛ ليستا سوى عصابة تضمّ خائبتين تضعان مكياجًا قميئًا وباروكة شعر رخيصة. قرّر وقتئذٍ الذهاب إلى ميامي ليجد شريكًا شاذًا غنيًا سيأخذه الجدل والفرح لمجرد مداعبة شعره الجميل الطويل والتباهي به أمام الخلق على الشاطئ. نظر جيمي عبر نافذة السيّارة ورأى شاخصة طريقته ورد فيها شيء ما عن

لِكِسْفَتْنِ. لم يستطع حتّى أن يتذكّر كيف وصل معها إلى كِتْكِي.  
أوجد عاقلٌ ويأتي إلى كِتْكِي؟

ثم، ما بال هذين الزوجين اللذين توقفا بسيّارتهما ليصعد معها فيها! ليسا سوى زوجين خائبين. إذ بدت المرأة وكأّتها تظنّ نفسها مثيرة أو ما شابه ذلك، فهي لم تكفّ عن التبسّم الدائم له في المرأة ومصمصّة شفّتها. ولكن مجرّد النظر إليها ما كان ليصيبه إلا بالذعر. انبعثت رائحة فوّاحة كرائحة السّمك من مكان ما في السيّارة. ظنّ أنّها لا شكّ رائحتها. يمكن له القول بأنّ الرّجل السّمين كان مستقتلاً على أن يمتصّ له قضيبه، فكارل لم يفوّت فرصة إلاّ والتفت فيها من المقعد الأماميّ وطرح أسئلة غبيّة حتّى يتسنّى له أن يلقي نظرة أخرى على حوضه وشعبه. بعد أن قطعاً خمسة أو ستّة أميال بيّت جيمي النية في أن يسرق سيّارتهما إن سنحت له الفرصة. فحتّى قطعة الخردة هذه التي يسوقانها ستكون أفضل من الوقوف على ناصية الطرقات واستجداء العابرين للّصعود معهم. فالرّجل الذي توقّف له على الطريق وأصعده في سيّارته الليلة الماضية، ويرتدي قبّعة سوداء متيّسة، وله أصابع بيضاء طويلة، زرع فيه الرعب، وهو يحكي له عن عصابات المزارعين البيض الجنوبيّين المسعورين، ومجموعات المرشدين شبه المتضوّرين جوعاً والممارسات الفظيعة التي كانوا يقومون بها ضدّ اللّقطاء واليتامى المرشدين الصّغار اللّطفاء الذين يقبضون عليهم على الطرقات. بعد سرد عدد من القصص التي سمعها - عن أولاد يدفنون أحياء، ويحشرون أجسادهم من جهة الرّأس في حفر ضيقة ويصبّحون كأعمدة أسوار الحدائق، وآخرون حوّلوا إلى حساء يخنّه لزوج ومتبلّ بالبصل البري والتفاح المتساقط بفعل الريح - عرض عليه الرّجل مبلغاً محترماً

من المال ومبيت ليلة في نُزُل أنيق مقابل نوع خاص من الحفلات، حفلة قال إتهم سيلعبون فيها لعبة تعبئة كرات القطن في قمع والعيون مغطاة. ولكن وللمرّة الأولى منذ مغادرته البيت، رفض جيمي المبلغ المالي المحترم، بعد ما تراءى له بأن الخادمة ستعثر عليه صباح اليوم التالي منزوع الأحشاء كيقطينة ليلة الهالوين في بانيو الحّمّام. أمّا هذان الزوجان الرّاكبان معه في السيّارة الآن فليسا سوى مثل شخصيتي ما وبا كيتل<sup>(1)</sup> مقارنة بذلك الوغد المجنون.

ومع ذلك، أخذته المفاجأة على حين غرة عندما انعطفت المرأة بالسيّارة عن الطريق السريع وسأله الرّجل مباشرة ما إذا كانت لديه الرغبة في مضاجعة زوجته في حين سيلتقط هو بضع صور لهما. لم يسبق له أن تلقى مثل هذا العرض الصريح من قبل، ولكنه تعامل مع الأمر بروية وبرود. فجيمي لم يكن مولعًا بالنساء حقًا، وخصوصًا القبيحات منهن، ولكن لو تحدّث مع الرّجل السمين لكي يخلع ثيابه هو أيضًا، ستكون سرقة السيّارة وهما على تلك الحال في غاية السهولة. لم يقتنِ سيّارة خاصّة به من قبل. قال للرّجل بأنّه راغب بالطّبع في قبول هذا العرض، ولكن شريطة أن يدفع له مبلغًا من المال مقابل ذلك. نظر صوب الرّجل من خلال الرّجاج الأمامي المتسخ بأحشاء الحشرات الميتة. كانت السيّارة الآن على طريق مفروشٍ بالحصى. أبطأت المرأة سرعة السيّارة إلى سيرٍ وثيد. كان من الواضح أنّها تبحث عن مكان تركنها فيه.

---

(1) شخصيتان هزلتان، زوج وزوجة من سكان الغابات الجبلية، في سلسلة أفلام تحمل اسمها ظهرت في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. (المترجم)

قال الرجل:

- ظننتك من النوع الذي يؤمن بذلك الهراء من المضاجعة المجانية.  
هذا ما تحدث عنه وُلِّتْ كرونكايت في الأخبار في إحدى الليالي.

قال جيمي:

- على المرء أن يكسب قوت يومه، صحيح؟

- أظن أن ذلك أمر لا لبس فيه. ما رأيك بعشرين دولارًا؟

ركنت المرأة السيارة وأطفأت المحرك. كانوا قرييين من طرف  
حقل من حقول فول الصويا.

قال جيمي وابتسامة تعلقو محيَّاه:

- اللعنة. سأضاجعكما معًا مقابل عشرين دولارًا.

التفت الرجل السمين ونظر إليه بعينين باردتين قاتمتين وقال:

- نحن الاثنان؟ يبدو وكأنك تظنني جميلًا.

صدرت عن المرأة قهقهة خفيفة.

هزَّ جيمي رأسه. تساءل ما إذا كانا سيستمرَّان في الضحك عندما

يسوق سيارتهما ويهرب بها. ثم قال:

- مرَّ على رأسي من هم أقبح منك.

قال الرجل وهو يفتح باب سيارته بعنف:

- أوه، أشك في ذلك.

سألته ساندي:

- أحضرت قميصًا واحدًا فقط؟

مضى على رحلتها على الطرقات ستة أيام. وقعا على عابري سبيل؛ الفتى ذو الشعر الطويل ورجلٌ معه هارمونيكا حسب نفسه ذاهبًا إلى مدينة ناشفل ليصبح نجمًا من نجوم الموسيقى الشعبية. قال لهم ذلك قبل أن يستمعا لصوته بدقائق. ما إن استمعا لصوته إلا وبدأ ينشئ نشارًا يندى له الجبين وهو يغني أغنية جوني كاش «دائرة نار الحب». للمصادفة كانت هذه الأغنية أكثر أغنية يحبها كارل في ذلك الصيف.

أجاب كارل:

- نعم أحضرتُ قميصًا واحدًا.

قالت ساندي:

- حسنًا. يجب علينا غسل بعض الملابس.

- لماذا؟

- لأن رائحتك مقرفة. هذا هو السبب.

عثرا على مغسل ثيابٍ في بلدة صغيرة في كارولينا الجنوبيّة بعد بضع ساعات. أمرته ساندي بخلع قميصه. حملت كيسَ تسوّق فيه ملابس

متسخة ووضعتة في الغسّالة. جلس هو على مقعد في الخارج أمام المغسل، مراقبًا حركة مرور السيّارات الاعتيادية ومدخّنًا سيجاره. ثدياه المتهدلان متدليان حتّى وصلا إلى كرشه الأبيض المتتن. خرجت ساندي من السيّارة وجلست على الطرف الآخر للمقعد وأخفت عينيها وراء نظّارتها الشمسيّة. كانت كنزتها ملتصقة بظهرها بسبب العرق. أراحت رأسها على جدار المغسل وأغمضت عينيها.

قال كارل:

- ما فعلناه له كان أفضل شيء يمكن أن يحصل له.

يا يسوع! فكّرت ساندي بينها وبين نفسها. لم يكف كارل حديثه عن ذلك العاهر عازف القيثارة النفخية<sup>(1)</sup>.

لم يكفّ عن الثرثرة والحديث عنه طيلة الصّباح. قالت له:

- سمعتُ هذه الأسطوانة من قبل.

- فقط أردت القول، أنه لمرة واحدة، لم يستطع أن يغني سوى بتلك الطّريقة المقرّفة. ولديه، ماذا لديه؟ ربّما ثلاثة أسنان قميّة في فمه. أنظرت من قبل إلى هؤلاء؛ إلى نجوم الموسيقى الشعبيّة؟ هؤلاء القوم لديهم أسنان غالية الثّمن. أما هذا، فكانوا سيضحكون عليه ويطرده من البلّدة، ومن ثمّ سيعود للبيت ويضاجع زوجته الغيبية، وينجب منها مجموعة من الصّبية المشاغبين الذين سيرتبط بهم طول عمره، وسوف تكون تلك هي النهاية.

(1) تقصد الهارمونيكا. (المترجم)

- نهاية ماذا؟

- نهاية حلمه. تلك هي النهاية. ربّما لم يرَ حلمه اللّيلة الماضية، ولكنني أسديت لذلك الفتى معروفاً عظيماً. مات وذلك الحلم لا يزال حيّاً في رأسه.

- يا يسوع المسيح! ماذا دهاك يا كارل؟

سمعتُ عاملة التنظيف وهي تتوقّف وتنهض، مدّت يدها وقالت:  
- أعطني ربع دولار أجرة التّشيف.

أعطاها كارل بعض الفكّة، ثمّ انحنى وحلّ أنشودة حذائه، وخلعها برفسة من رجليه. لم يكن يرتدي أي جوارب. كلّ ما يرتديه الآن بنطاله فقط. أخرج مطواته، ثمّ بدأ ينظّف تحت أظافر أصابع قدميه. أقبل صبيّان صغيران، ربّما في التاسعة أو العاشرة من عمرهما، مسرعين من الزاوية على دراجات هوائية بينما كان هو يمسح كتلة من مادة لزجة رمادية عن دكّة المقعد. لوح الطفلان بأيديهما وابتسما عندما نظر إليهما. رغم أنّها أمنية لم تدُم سوى للحظة خاطفة؛ فقد جعلاه يتمنى لو أنه كان شخصاً آخر، وهما يمرّان مسرعين بجانبه بعد أن زادا من سرعة دراجتيهما وهما يدوسان برجليهما على الدوّاسات متضاحكين كأنّهما لا يكثران بالعالم.





في يومها الثاني عشر على الطرقات، هربت منها إحدى الفرائس. لم يحدث أن حصل ذلك من قبل البتة. الفريسة الهاربة كانت سجيناً سابقاً اسمه داني مردوخ، وهو الفتى الرابع الذي يلتقيانه في هذه الرحلة. دقّ مردوخ على ساعده الأيمن وشماً لشعبانين كثيري الحراشف ومُلتفتين حول صُوة قبر، وقد تخيلها كارل يقومان بشيء ما خاصّ عندما سيوضع داخل القبر. صرفا طيلة ما بعد الظّهر وهما يتجولان بالسيارة ويشربان البيرة، كما أكلوا ثلاثتهم من كيس كبير فيه شرائح لحم جلد الخنزير في محاولة من كارل وساندي لبثّ الراحة والطمأنينة في نفسه. وجدا مكاناً لركن السيارة على ضفة بحيرة طويلة ضيقة على بعد ميل أو نحوه داخل غابة سمّتر الوطنية. حالما أطفأت ساندي المحرّك، فتح داني الباب بقوة وخرج من السيّارة. بدأ يتمطى ويتشاءب، ثم طفق يمشي الهوينى صوب الماء، وهو ينزع ملابسه.

صاح به كارل:

- ما الذي تفعله؟

رمى داني قميصه على الأرض واستدار لينظر إليهما وقال:

- اسمع، لا مشكلة لديّ في مضاجعة زوجتك، ولكن دعني أغتسل أولاً.

ثم أضاف وهو يُنزل سر واله الداخلي:

ومع ذلك، فليكن بمعلوماتك، يا صاحبي، بأنني سأريها فنوتنا جديدة، ولن يسرّها أن تضاجعك بأساليبك القديمة بعد أن ترى أفعالي.

قالت ساندي وهي تمشي صوبَ مقدمة سيّارة الستيشن:

- يا رجل، يا له من فتى ثرثار! أليس كذلك؟

استندت إلى وافي إطارات السيّارة ونظرت إليه وهو يقفز في الماء.

وضع كارل الكاميرا على سقف السيّارة وابتسم، ثم قال:

- ولكنّه لن يستمرّ في الثرثرة لمُدّة طويلة، لن يبقى كذلك.

فتحاعلبة بيرة أخرى ونظرا إليه وهو يسبح، ضاربًا بذراعيه ورافسًا بساقيه، حتّى وصل إلى منتصف البحيرة ومن ثمّ قلب على ظهره.

قالت ساندي:

- لا بدّ من القول أن ذلك يبدو مسليًا.

خلعت صندلها بقوة ومدّت البطانيّة على العشب.

قال كارل:

- تباله، لا أدري ما الذي أعجبه في حفرة الطين تلك حتّى يسبح

فيها؟

فتح قنيّة بيرة أخرى. حاول أن يستمتع بوجوده خارج السيّارة المنتنة لهذه البرهة القصيرة. ومع ذلك لم يلبث أن عيل صبره من ذلك السباح في آخر الأمر. مرّت ساعة ومازال الرّجل يلعب هناك في الماء. ذهب كارل إلى حافة البحيرة وبدأ بالصياح والإشارة لداني لكي يخرج. كلّما ناداه كارل، كان داني يغوص في الماء ومن ثمّ يصعد للسطح وهو

يهتف ويطرطش الماء كتلاميذ المدارس. زاد امتعاض كارل. عندما خرج داني أخيراً من البحيرة مبتسماً ابتساماً عريضة وقضيبه يتللى واصلاً حتى منتصف المسافة الواقعة فوق ركبتيه وشمس الغروب تلتمع فوق كل شبر من بشرته المبللة، سحب كارل المسدّس من جيبه وقال:

- هل شبعت من النظافة الآن؟

- ماذا هناك بحق الجحيم؟

أشار كارل له بالمسدّس وقال:

- قَبَّحك الله، اخرج من الماء واذهب إلى هناك حيث البطانيّة مثلما اتفقنا. اللّعة عليك، حل المساء وبدأ الضوء يختفي.

نظر كارل إلى ساندي وأوما لها برأسه. ما كان منها إلا أن مدّت يدها خلف رأسها وحلّت شعرها المربوط بشكلٍ ذيل الفرس.

سمع كارل الرّجل وهو يصيح:

- إلى جهنم وبئس المصير!

حالما أدرك داني مردوخ الذي يحدث، فرّ هارباً إلى الغابة على الجهة الأخرى من الطريق. أطلق كارل رصاصتين وقد جُنَّ جنونه، ثمّ تبعه حيث ذهب. فيما هو يتعثّر ويترنّح، أوغل داخل الغابة، إلى أن أصابه الذّعر من أنّه لن يعرف طريق العودة أبداً ليرجع إلى السيّارة. وقف وأصاخ بسمعه، ولكنه لم يتمكّن من سماع سوى صوت أنفاسه الخشنة. كان سميناً جداً وبطيء الحركة إذا ما أراد مطاردة أحد ما، ناهيك عن أنّ ذلك الوغد كان طويل السّاقين. وما انفكّ يتبجّح أمامها طيلة الظهيرة بإفلاته وهو يركض على قدميه من ثلاث سيّارات شرطة وسط بلدة سبارتنبرغ الأسبوع الفائت. في تلك اللّحظة، قرّب

المغيّب، وأدرك كارل فجأةً بأنّ الرّجل ربّما استدار عائداً إلى حيث كانت ساندي تنتظر بجانب السيّارة. ولكن حتّى مع وجود طلقات فارغة في مسدّسها، لا بدّ أنّه سيسمع صوت الإطلاق، أي بعبارة أخرى، سيسمع صوت الطلقة في حال لم يباغتها مردوخ العاهر ويأخذها على حين غرّة. كره أن يعود إلى السيّارة خالي الوفاض. لن تكف ساندي عن الشّاتة بفشله أبد الدّهر. تردّد للحظة، ثمّ وجّه مسدّسه في الهواء وأطلق رصاصتين.

كانت ساندي واقفة بجانب باب السائق المفتوح وهي تحمل مسدّس الـ22 في يديها عندما جاء كارل مسرعاً عبر الشجيرات الواقعة على حافة الطريق، محمراً الوجه لاهثاً. صاح بها:

- يجب أن نذهب من هنا.

للم البطانيّة التي مدّاها على الأرض خلف السيّارة ومضى مسرعاً ورفع ثياب الرّجل وحذاه عن العشب. رمى الأغراض في المقعد الخلفي للسيّارة وصعد ليجلس في المقعد الأمامي.

قالت ساندي وهي تشغل السيّارة:

- يا يسوع! ماذا حصل يا كارل؟

- لا تقلقي. نلّتُ من ذلك الوغد. أفرغت رصاصتين في رأسه الغبي.

نظرت إليه وقالت:

- هل طاردت ذلك العاهر إلى الغابة؟

سمع نبرة التشكّك في صوتها. ثمّ قال:

- اهدأي دقيقة. يجب أن أفكر أين سذهب.

أخرج خريطة وتأملها لدقيقة أو نحوها، ممّرًا إصبعه عليها جيئةً  
وذهابًا. ثم أضاف:

- وفق ما يبدو لي فنحن بعيدان عشرة أميال عن الحدود. فقط  
ارجعي واتّجهي لليسار من حيث أتينا، وسنصل بعدها إلى  
الطريق السريع.

- أنا لا أصدّقك.

- ماذا؟

- لقد انطلق الرّجل كالغزال. يستحيل أن تكون قد أمسكت به.  
سحب كارل بضعة أنفاس عميقة ثمّ قال:

- كان مختبئًا تحت جذع شجرة. كدت أدوس عليه.

- لم العجلة إذن؟ لنرجع ونلتقط بعض الصّور.

وضع كارل مسدّس الـ38 على التابلو وسحب قميصه للأعلى  
ومسح به العرق عن وجهه. كان قلبه لا يزال يدق كمطرقة في صدره.

- ساندي، سوقي السيّارة اللعينة فقط، مفهوم؟

- لقد أفلّت منك، أليس كذلك؟

نظر عبر نافذته صوّب الغابة المعتمة وقال:

- نعم، لقد أفلّت الوغد.

انطلقت بالسيّارة وقالت:

- لا تكذب علي مرّة أخرى يا كارل. وهناك شيء آخر أود قوله،  
طالما أننا لا زلنا في موضوع الكذب، إذا ما سمعتُ بأنك تلعب

بذيلك مع تلك القحبة الصغيرة في حانة وايت كاو مرّة أخرى،  
فسوف تندم على ذلك.

ثمّ ضغطت بقدمها على دواسة البنزين. بعد عشرين دقيقة، عبرا  
الخط الفاصل مع ولاية جورجيا.

لاحقًا في تلك الليلة، ركنت ساندي سيّارتهما في طرف موقف شاحنات على بعد بضعة أميال جنوب أثلنتا. أكلت قطعة من لحم العجل المجفّف وتسلّلت إلى المقعد الخلفيّ حتّى تنام. حوالي الثالثة فجراً، بدأ المطر يهطل. جلس كارل في الأمام وأصغى لحبّات المطر وهي تطرق سقف السيّارة. فكّر بداني مردوخ، السّجين السّابق. قال في نفسه بأنّ هناك درسًا ينبغي تعلّمه ممّا حصل. غفل عن سيرة ذلك العاهر الجبان لهنيهة، ولكنّ ما فعله به كان كافيًا ليقلب ظهر المجنّ لكلّ شيء. سحب ثياب مردوخ من تحت المقعد وبدأ تفتيشها. وجد مطوأة تعمل بضغط زرّ فيها، وعنوانًا مدوّنا على علبة أعواد ثقاب يشير إلى موضع في غرينود في كارولينا الجنوبيّة وأحد عشر دولارًا في محفظة نقوده. كتّب تحت العنوان عبارة «شخص طيّب». وضع كارل النقود في جيبه وكوّر كلّ ما بقي من أغراضه. سار عبر مرأب السيّارات ورماها في حاوية القمامة.

كان المطر لا يزال يهطل عندما استيقظت ساندي صباح اليوم التّالي. بينما كان كارل يتناول الإفطار معها في موقف الشاحنات، تساءل فيما إذا كان أي من السائقيّن الجالسين حولهما قد توقّف على الطريق لمسافرٍ ما وأصعده بشاحنته ثمّ قتله. من الرائع قتل هؤلاء المسافرين المنتشرين في الطرقات إذا ما كان المرء ميّالاً لفعل أشياء كهذه. وهما

يباشران احتساء كوب قهوتها الثالث، توقف هطل المطر وبزغت الشمس ككتلة سائل كبير ملتهب في كبد السماء. عندما دفعا الفاتورة، تصاعدت نتف من البخار من مرأب السيّارات المُسفلت.

قال كارل وهما يسيران صوب السيّارة:

- بالنسبة إلى ما حصل البارحة. ما كان ينبغي لي أن أفعل ما فعلت.  
- كما قلتُ لك، لا تكذب عليّ مرّة أخرى. سيقبضون علينا معًا.  
أنا وأنت مصيرنا واحد.

فكّر كارل مرّة أخرى بالطلقات الفارغة التي ذخر بها مسدّسها، ولكنه رأى أنّه من الأفضل ألاّ ييوح لها بأيّ شيء إزاء ذلك. إذ سيصلان إلى البيت عمّا قريب، ويمكنه استبدال الطلقات دون أن تعرف. قال لها:  
- لن يقبض علينا أحد.

- نعم، حسنًا، ومن المحتمل أنّه لم يخطر في بالك أن أحدهم  
سيتمكّن من الهرب منّا، أيضًا.

- لا تقلقي، لن يحصل ذلك مرّة أخرى أبدًا.

سارا بالسيّارة في أرجاء أتلنتا، ثمّ ما لبثا أن توقّفا في مكان يُدعى روسول لتعبئة البنزين. كان معها أربعة وعشرون دولارًا وبعض الفكّة عسى أن يوصلهما ذلك المبلغ للبيت. حالما صعد كارل السيّارة بعد أن دفع ثمن البنزين للمحاسب، اقترب منه، بوجّل، رجلٌ هزيل يرتدي بذلة رثة سوداء وقال:

- هل لي أن أعرف إن كنتما ذاهبين شمالًا؟

تابع كارل سيره وأخذ سيجاره من منفذة السجائر قبل أن يلتفت لينظر إلى الرّجل. كانت بذلة الرّجل أكبر من حجمه بعدة قياسات.



وُثِنَتْ طَيَّاتُ بِنطاله عدّة مرّات لمنعه من الجرّجرة على الأرض. رأى كارل بطاقة السعر الصغيرة الحجم التي لا تزال مثبتة على كُمّ سترة البذلة. كان الرّجل يحزم معه فرشّة نوم رقيقة وملفوفة؛ رغم أنّه لا شكّ كان في الستينيّات من عمره، إلّا أن كارل قدّر بأنّ عابر السّبيل هذا أصغر من ذلك ببضع سنوات على الأقلّ. لسبب ما، ذكره هذا الرّجل بأحد القساوسة. قسيس حقيقي من أولئك الذين قلّمًا تصادفهم هذه الأيام. لا ينتمي لزمرّة أولئك القساوسة الجشعين؛ القساوسة الأوغاد ذوي الابتسامات الحلوة الذين جُلّ اهتمامهم سلب النّاس أموالهم وكسب قوت يومهم المجزي على حساب خدمة الله. ولكنه قسيس آمن حقًا بتعاليم يسوع. بيّد أنّ كارل قلب الأمر على وجوهه، فرأى أنّه يبالغ مبالغة كبيرة في ظنّه بالنّاس، فهذا الرّجل، على الأرجح، ليس سوى متسكّع كغيره من القوم.

قال كارل:

- ربّما نذهب شمالاً.

نظر كارل إلى ساندي ليحصل منها على إشارة ما علّمها أدركت مغزى الحوار، ولكنها اكتفت بهزّ كتفيها وأعدت وضع نظّارتها الشمسيّة على عينيها. ثمّ سأله كارل:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى بلدة كول كريك في فرجينيا الغربيّة.

فكّر كارل بداني مردوخ الذي هرب منه اللّيلة الماضيّة. هروب ابن العاهرة ذاك، العظيم القضيب، سيقمى غصّة في جلق كارل لمُدّة طويلة. قال للرّجل:

- ممتاز، ولم لا؟ اصعد في الخلف.

حالما انطلقت السيارة على الطريق السريع، قال الرجل:

- يا سيّد، أقدر لك هذا المعروف. فأقلامي المسكينة على وشك الاهتراء من المشي.

- واجهت صعوبات كثيرة في التنقل، أليس كذلك؟

- إن أردت أن أصدقك القول فقد مشيتُ على قدمي أكثر ممّا ركبت في سيارات.

- نعم. لا أفهم لماذا لا يتوقف هؤلاء القوم الذين يسوقون سيارات للغرباء. هو عمل صالح في نهاية الأمر؛ أقصد مساعدة الآخرين.

- يبدو من حديثك أنّك مسيحيّ متديّن.

منعت ساندي نفسها من ضحكة أو شكت على الانطلاق من عقالها، بيد أن كارل تجاهلها وقال:

- بطريقة ما، أفترض أنّي كذلك. ولكن يجب أن أعترف بأنني لا ألتزم بتعاليم الدين عن كثب كما اعتدت على ذلك من قبل في غابر أيامي.

أوماً الرجل برأسه وحدّق من خلال النافذة وقال:

- يشقّ على المرء أن يحيا حياة صالحة. يبدو وكأنّ الشيطان لا يدع أحداً وشأنه.

ثمّ سأله ساندي:

- ما اسمك، يا حبيبي؟

نظر كارل إليها وابتسم، ثم مدَّ يده ولمس ساقها. كلَّ ما كان يخشاه كارل، بعد الحادثة المهينة التي حصلت معها الليلة الفائتة، بأنها ستغدو عاهرةً من العاهرات اللاتي لا يُشَقُّ لهنَّ غبار أثناء ما تبقى من الرّحلة.

- اسمي روي؛ روي ليفري.

سألته ساندي:

- ولم أنت ذاهب إلى فرجينيا الغربية يا روي؟

- عائدٌ إلى البيت لأرى ابنتي الصغيرة.

- جميل. ومتى رأيتها آخر مرّة؟

فكّر روي لبرهة. يا ربي! لم يشعر أبدًا بمثل هذا التعب من قبل،

ثمّ أجاب:

- منذ سبع عشرة سنة تقريبًا.

ركوبه في السيّارة أصابه بالنّعاس. كره أن يُظْهَرَ عدم التأدّب، ولكنّه،

ورغم محاولاته الحثيثة قدر استطاعته، لم يستطع مقاومة إغماض عينيه.

ثمّ سأله كارل:

- وماذا كنت تفعل طيلة كلّ تلك السنوات بعيدًا عن بيتك؟

بعد دقيقة أو نحوها من انتظار إجابة الرّجل على سؤاله، التفت

كارل ونظر إلى المقعد الخلفيّ ثمّ قال لساندي:

- تَبًّا. لقد نام.

- فليكن ذلك الآن. أما بالنسبة لموضوع قيامي بمضاجعته، فعليك

أن تنسى الموضوع. فرائحته أزنخ من رائحتك.

قال كارل وهو يسحب خريطة الطريق السريع في جورجيا من  
دُرجِ السيّارة:  
- طيّب، طيّب.

بعد ثلاثين دقيقة، أشار كارل إلى مخرج فرعي وطلب منها أن  
تسلكه. سارا بالسيّارة مسافة ميلين أو ثلاثة على طريق تراي معفر،  
ووجدت أخيراً موقفاً جانبيّاً رميت فيه نفايات حفلة وبيانو مكسور عفا  
عليه الزمن.

قال كارل وهو نازل من السيّارة:

- هذا سيفي بالغرض. فتح الباب من جهة روي وهزّه من كتفه  
قائلاً:

- أنت هنا، يا صاحبي. تعال، أريد أن أريك شيئاً.

بعد مرور بضع دقائق، وجد روي نفسه على عشة من شجر  
الصنوبر الأمريكي الطويل. الأرض تحتها مكسوة بإبر الصنوبر البنية  
الجافة. لم يستطع أن يتذكر بالضبط كم هي المدة التي قضاها مرتحلاً؛  
ربّما ثلاثة أيام. لم يحالفه حسن الطالع في صعوده بسيّارات الآخرين.  
مشى ثم مشى حتى أدمت التقرّحات قدميه. على أنّه لم يفكر في إمكانية  
المشي ولو لخطوة أخرى، فهو لم يرد أن يتوقّف أيضاً. تساءل إذا ما  
كانت وحوش الغابة قد نالت من جثة ثيودور أم لا. ثم رأى المرأة وقد  
بدأت تخلع ثيابها. زرع ذلك المشهد الاضطراب في نفسه. نظر حواليه  
باحثاً عن السيّارة التي كان راكباً فيها، ثم رأى الرجل السمين يصوّب  
المسدس إليه. كان هناك كامرا سوداء معلقة بخيط تتدلّى من عنقه،  
وسيجار مطفأ محشورٌ بين شفّتيه الغليظتين. ظنّ روي أنّه ربّما كان في

حلم، ولكن، اللعنة، بدا حلمًا حقيقيًا. كان بإمكانه أن يشم النسغ ينزُّ من الأشجار في لهيب الحر. رأى المرأة تستلقي على بطانية حمراء مقلّمة، تشبه البطانيات التي يستخدمها البشر الطيبون ليجلسوا عليها في النزاهات. ثم قال له كارل كلمات جعلته يستيقظ من نومه.

قال روي مندهشًا:

- ماذا؟

- قلتُ بأني سأهديك هذه الهدية الرائعة. فهي تحبّ الشبان الطوال النحاف أمثالك.

- ما الذي يجري هنا، يا سيّدي؟

صدرت عن كارل تنهيدة ثمّ قال:

- يا يسوع المسيح! يا رجل، انتبه لما أقوله لك. كما قلتُ لك، ستضاجع زوجتي، وسألتقط أنا بعض الصّور. هذا كلّ ما في الأمر.

- زوجتك؟ لم أسمع في حياتي بشيء مثل هذا. ظننتك رجلًا صالحًا.

- اخرس فقط واخلع هذه البذلة الفخمة.

نظر روي إلى ساندي، وهو يرفع يديه وقال:

- يا سيّدي. أنا آسف، ولكنني قطعت عهدًا على نفسي عندما مات ثيودور بأن ألزم الاستقامة في حياتي منذ تلك اللحظة، وأنا أنوي الالتزام بعهدي.

قالت له ساندي:

- أوه، لا عليك، يا حبيبي. كل ما في الأمر أننا سنلتقط بضعة صور ومن ثم ستركنا هذا الوغد المغفل الكبير لوحدها.

- يا امرأة، انظري لحالي. لقد مررتُ بمحن صعبة. يا إلهي! بل إنني لا أعرف حتى نصف الأماكن التي هُمتُ على وجهي فيها. أتريدين حقًا من هاتين اليدين أن تلمسكِ؟

قال كارل:

- أنت يا ابن القحبة. ستفعل ما أقوله لك.

هزّ روي رأسه وقال:

- لا، يا سيدي. آخر امرأة عشتُ معها كانت طائرًا، وسأبقى محافظًا على العهد الذي قطعته على نفسي. كان ثيودور يخاف منها، لذلك لم أكشف سرّها، ولكن برسيلاً كانت فعلاً طائر فلامنجو. ضحك كارل ووضع سيجاره من فمه. يا يسوع المسيح! ما هذا الجنون؟. قال:

- حسنًا. يبدو أنّ مَنْ وقع بأيدينا ليس سوى مجنون.

وقفت ساندي وبدأت بارتداء ملابسها، ثم قالت:

- لنذهب من هذا المكان بحقّ الجحيم.

في اللحظة التي استدار فيها روي ونظر إليها وهي تمشي صوب السيارة المركونة على جانب الطريق، أحسّ بسبطانة مسدّس تضغط على جانب رأسه، وكارل يقول له:

- لا تفكّر حتى في الركض.

أجاب روي:

- لستَ في حاجةٍ إلى القلق بهذا الشأن. إذ ولتَ الأيامَ التي كنتَ  
أركضُ فيها. ولتَ ولن تعود.

رفع عينيه وشرع باحثًا عن بقعة صغيرة من السماء الزرقاء ظاهرة  
من خلال الأغصان الخضراء الكثيفة لأشجار الصنوبر. عبرت السماء  
نتفة من غيمة بيضاء. قال لنفسه بأن هذا هو شكل الموت. الموت ليس  
سوى طفوٍ في الهواء. لا ضيرَ في ذلك. ابتسم ابتسامة خفيفة وقال:

- لا أظنُّ أنك ستتركني أرجع إلى السيّارة، أليس كذلك؟  
- أصبتَ في ذلك.

همَّ كارل بالضغط على الزناد.  
قال روي وصوته مثقلٌ بالإلحاح:  
- هناك أمر واحد فقط.

- ما الأمر؟

- اسمها لينورا.

- من هي بحق الجحيم؟

- ابنتي الصغيرة.





شقّ عليها تصديق ذلك، ولكن الوغد المجنون صاحب البذلة القذرة كان يحمل معه مائة دولار تقريباً في جيبه. أكلاً لحماً مشويّاً وسلطة الكرنب في كويخ يبيع لحم الخنازير في منطقة يقطنها السود في نوكرفل، ونزلا تلك الليلة في فندق هولندي إن في جونستُن سيتي في ولاية تينيسي. كدأبها المعتاد، تلكأت ساندي واستغرقت وقتاً طويلاً لتجهّز نفسها صباح اليوم التّالي. عندما أعلنت أنّها مستعدّة للذهاب، كان كارل غارقاً في مزاج سيّء. فباستثناء صور الفتى في كِتكتي، كانت غالبية الصّور الأخرى التي التقطها هذه المرّة في رحلته صوراً غير متقنة. لم يكن هناك أيّ شيء جرى على ما يرام. أمضى طيلة اللّيل وهو على حالته الكئيبة تلك جالساً في كرسي بجانب نافذة الطابق الثالث، وهو ينظر للأسفل صوبَ مرأب السيّارات وهو يدحرج سيجاراً قديماً بين أصابعه إلى أن تكسّر. ما فتى يفكر بنذر الشؤم التي تظهر له، أمعن التّفكير في احتماليّة أن يكون قد أغفل شيئاً ما. بيّد أنّه لم يتذكّر سوى موقف ساندي السيّء في معظم الأحيان وكذلك داني مردوخ، السجين السابق الذي فرّ منه. أقسم ألا يذهب إلى اقتناص ضحاياه في الجنوب مرّة أخرى.

دخلا جنوب ولاية فرجينيا الغربيّة مع الظّهر. قال كارل:

- اسمعيني، لا يزال لدينا بقية هذا اليوم. إن كانت هناك آية  
وسيلة لعينة، أريد أن أصور فلما آخر قبل أن نصل للبيت، أريد  
أن أصور لقطات مميزة.

توجّها إلى موقف في إحدى الاستراحات بحيث يتسنى له فحص  
زيت السيارة.

قالت ساندي وهي تشير عبر النافذة:

- تابع التصوير. هناك شتى الأشياء التي يمكنك تصويرها هناك.  
أترى؟ ذلك طائر أزرق حطّ للتوّ على تلك الشجرة.  
- هذا مضحك. تعرفين أيّ صور أقصد.

ضغطت على الفرامل وقالت:

- لا يهمني ما تفعله يا كارل، ولكنني أريد النوم في سريري في  
البيت هذه الليلة.  
- يكفي بالله عليك.

في الساعات الأربع أو الخمس التالية، لم يقعا ولو على مسافر  
واحد تقطعت به السبل على الدروب. كلما اقتربا من أوهايو، زاد كارل  
اضطراباً. لم يكف عن الطلب من ساندي أن تبطئ سرعتها، وجعلها تقف  
وتمدّرجليها وتشرب القهوة بضع مرّات فقط ليبقي على آماله قائمة لمُدّة  
زمنية أطول قليلاً. عندما اجتازا بلدة تشارلستون وتوجّها صوب بلدة  
بوينت بلزانت، كان يجتاحه طوفان من خيبة الأمل والشكّ. ربّما كان  
داني مردوخ، السجين السابق، نذير شؤم فعلاً. إن كان الحال كذلك،  
فإنّ ذلك يمكن أن يعني شيئاً واحداً لا ثاني له: ينبغي لهما أن يتركا هذا  
العمل عندما يعودان إلى البيت. هذا ما كان يفكّر به كارل وهما يقتربان

من الطابور الطويل من السيّارات المنتظرة عبور الجسر المعدنيّ الفضيّ المؤديّ إلى أوهايو. ثمّ حدث أن رأى كارل ذلك الفتى الوسيم الدّاكن الشّعْر وهو يحمل حقيبة رياضيّة ويقف على الممشى الواقع على مسافة سبع أو ثمان سيّارات أمامها. انحنى كارل للأمام، واخترقت أنفاسه رائحة عوادم السيّارات والعفن المنبعث من النّهر. تحرّكت السيّارات بضعة أقدام، ثمّ ما لبثت أن توقّفت مرّة أخرى. نبهتها السائق خلفها في الطابور مستخدمًا بوق سيّارته. التفت الفتى حينئذٍ ونظر للخلف صوب آخر الطابور، وعيناه تغمضان بسبب شدّة ضوء الشّمس.

قال كارل:

- هل رأيت ذلك؟ رأيت ذلك؟

- ولكن ماذا بخصوص قواعدك الحازمة. تَبّأ، فنحن عائدان إلى أوهايو.

لم تبارح عينا كارل الفتى، ودعا ربّه ألاّ يقوم أحد غيرهما بعرض توصيله في سيّارته قبل أن يقتربا المسافة الكافية لكي يصعد في سيّارتهما.

ثمّ قال:

- دعينا فقط نستطلع وجهته. اللّعة على هذه الزحمة، لا ضير إن سألناه فحسب. أليس كذلك؟

أزاحت ساندي نظّارتها الشّمسيّة، ورمقت الفتى بنظرة أكثر تركيزًا. كانت تعرف كارل تمام المعرفة؛ لن يكتفي بمجرد اصطحاب الفتى معها. ولكن لما وقعت عينها على الفتى، رأت أنّه لربّما كان أفضل من كلّ الفتيان الذين قتلاهم من قبل. بالتأكيد لم يصادفها أيّا من الملائكة في رحلتها هذه. قالت:

- أظنتني أوافقك الرّأي.

- ولكنني أريدك أن تتجاذبي معه أطراف الحديث، مفهوم؟  
عاجليه بابتسامتك القويّة، أغريه بالرغبة في الحصول عليها.  
أكره أن أوضح لك ما يعتمل في بالي، ولكنك ارتكبت العديد  
من الأخطاء والسّخافات في هذه الرّحلة. لا أستطيع إقناعه  
بالصعود معنا بمفردي.

- بالتأكيد يا كارل. اللّعة على هذه الحالة! سأعرض عليه أن  
أمصّ له قضيبه حالما يرمي بمؤخّرته في المقعد الخلفي. هذا ما  
ينبغي لي فعله.

- يا يسوع! يا لقدارة أفاظك!

- ربّما يكون هذا هو واقع الحال، ولكن جَلّ ما أريده هو أن أنتهي  
من هذا الأمر.

١

٤

الجزء السّابع  
أوهايو



بدا من المؤكّد أنّ هناك حادث سيّارة جدّد على الطريق أمامهما نظرًا لحركة السيّارات البطيئة. كان أرفن قد حزم أمره للتوّ وقرّر عبور الجسر ماشيًا عندما توقّفت السيّارة بجانبه وسأله الرّجل السّمين إذا ما كان يحتاج إلى سيّارة توصله إلى وجهته. بعد أن باع أرفن سيّارة البل إير، مشى صوب الطريق السّريع وصعد في بلدة تشارلستن مع بائع أسمدة -يرتدي قميصًا مجعدًا أبيض، وربطة عنق ملطّخة بصلصلة اللّحم، والرّائحة التّنتة لكحول اللّيلة الفاتئة تنزّ من مساماته الكبيرة- كان في طريقه إلى معرض للأعلاف والبنّار في إنديانابوليس. أنزله البائع على الطريق رقم 35 في نيترو. بعد بضع دقائق، صعد في سيّارة أخرى مع عائلة من السّود في بك أب حيث أوصلوه إلى بوينت بليزانت. جلس في الصّندوق الخلفيّ مع دسّته من سلال الطماطم والبازلاء الخضراء. أشار الرّجل الأسود له بأن يمضي باتجاه الجسر، وبدأ أرفن المشي. استطاع أن يشم رائحة نهر أوهايو من مسافة بعيدة قبل أن يرى سطحه الملوّث الأزرق الرّمادي. أشارت ساعة أحد البنوك إلى الخامسة والدقيقة السّابعة والأربعين. لم يسعه أن يصدّق بأنّه يمكن للمرء أن يسافر بهذه السّرعة معتمدًا على الصّعود بسيّارات الآخرين والثوب بها من قارعة الطرقات. عندما صعد في سيّارة الستيشن، نظرت المرأة الجالسة وراء المقود

إليه وابتسمت. بدت وكأنتها شبه سعيدة برؤيته. عرّفه الرّجل السّمين على اسميهما؛ كارل وساندي. ثمّ سأله كارل:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى بلدة ميد في أوهايو. أسمعتُ بها من قبل؟

باشرت ساندي الحديث قائلة:

- نحن...

قاطعها كارل:

- بالتأكيد أعرفها. إن لم أكن مخطئًا، أظنّها بلدةٌ فيها مصنع للورق.

أخرج سيجاره من فمه ونظر إلى المرأة. ثمّ أضاف:

- في الواقع، نحن سنمرّ بالضبط من هناك في هذه الرّحلة، أليس

كذلك، يا حبيبتي؟

رأى كارل بأنّ هذا، لاشكّ، فال حسن. فكيف لهما أن يصعد معها

بالسيّارة فتى حسن المنظر كهذا الذاهب إلى بلدة ميد من هذا المكان

بالذات وسط جردان النّهر.

قالت ساندي:

- نعم.

بدأت السيّارات المزدحمة بالتحرك مرّة أخرى. كان تأخر حركة

المرور ناجمًا عن حادث وقع من جهة أوهايو. سيّارتان محطّمتان وقد

تناثر منها الزجاج المكسور على الرّصيف. أطلقت سيّارة إسعاف

صافرتها وتقدّمت أمامهما، كانت على وشك الاصطدام بسيّارتهما. أطلق

شرطيّ صافرته، ورفع يده مشيرًا لساندي بالتوقف.



قال كارل وهو يتحرّك في مقعده:

- يا يسوع المسيح! انتبهي!

قالت ساندي وهي تضغط على الفرامل ضغطًا عنيفًا:

- هل تريد أن تتولّى القيادة؟

توقفًا في مكانها بضع دقائق أخرى بينما مسح رجل يرتدي أفرولاً الزجاج المتشظّي على الأرض بعجالة. عدّلت ساندي وضعيّة مرآة الرؤية الخلفيّة، وألقت نظرة أخرى على الفتى. سرّها أنّها اضطّرت إلى أن تستحمّ هذا الصّباح. فذلك سيبقيها جميلة ونظيفة إكرامًا لعينيه. عندما مدّت يدها داخل حقيبة يدها لتخرج علبة جديدة من السّجائر، لمست يدها المسدّس لمسا خفيفًا. بينما كانت تتابع الرّجل وهو ينهي تنظيف الطريق، تخيلت لو أنّها تقتل كارل وتهرب مع الفتى. من المرجّح أنّه يصغرها فقط بستّ أو سبع سنوات. بإمكانها أن تجعل خيالاً من هذا القبيل يؤتي أكله. لا بل ربّما يمكنها أن تنجب عددًا من الأطفال. ثمّ أغلقت الحقيبة وبدأت بنزع الغلاف المحيط بعلبة سجائر من ماركة سيلم. لن تحوّل ما تخيلته إلى حقيقة أبدًا، بالطبع، ولكن ما أجمل أن يفكّر المرء بالإقدام على خطوة كهذه.

سألّت الفتى، بعد أن أشار لهم الشرطيّ بيده لكي يتقدّموا للأمام:

- ما اسمك، يا حبيبي؟

تنهّد أرفن تنهيدة تنمّ عن شعوره بالرّاحة. فكّر بالتأكيد بأنّ المرأة هي من ستسوق السيّارة بهم. نظر إليها مرّة أخرى. كانت امرأة نحيفة كالعود وذات منظر قذر. وجهها معجون بالكثير الكثير من المكياج، وأسنانها ملطّخة بلون أصفر داكن من فرط التدخين والإهمال. فاحت

رائحة قويّة من العرق الممزوج بالقذارة من المقعد الأمامي للسيّارة،  
ورأى أرفن بأثمتها، أي الرّجل والمرأة، في حاجةٍ ماسّةٍ إلى الاستحمام.

أجابها أرفن:

- اسمي بيلي بيرنز.

ذاك كان اسم بائع الأسمدة.

- اسم جميل. من أين أنت؟

- من تينيسي.

ثمّ سأله كارل:

- ولم أنتَ ذاهب إلى ميد؟

- أوه، مجرد زيارة، هذا كلّ ما في الأمر.

- أليديك عائلة هناك؟

- لا، ولكنّي كنت أعيش هناك منذ زمن طويل.

- ربّما لم تتغيّر ميد كثيرًا. معظم هذه البلّدات الصّغيرة لا تتغيّر  
مطلقًا.

- ومن أين أنتما؟

- نحن من بلدة فورت وين. كنّا في إجازة في فلوريدا. نحبّ

التعرّف إلى أناس جدد، أليس كذلك يا حبيّ؟

قالت ساندي:

- بكلّ تأكيد.

حالما عبرا إشارة الطريق التي تشير إلى حدود بلدة رُس كاونتي،

نظر كارل إلى ساعة يده. من المرجّح أنّه كان ينبغي لهما التوقف قبل أن

يقطعا كل هذه المسافة الطويلة، ولكنه يعرف مكاناً آمناً قريباً يمكنهما أن يصطحبا الفتى إليه. مرَّ كارل من هنا الشتاء الماضي في إحدى جولاته بالسيارة. لم تكن بلدة ميد تبعد عنهم الآن سوى عشرة أميال، والساعة تجاوزت السادسة مساءً. وهذا يعني بأنّ لديها فقط تسعين دقيقة أو نحوها من ضوء النهار الكافي. لم يخرج كارل عن أيّ من القواعد الرئيسة من قبل، ولكنه كان قد حزم أمره واتّخذ قراره مسبقاً. الليلة إذن، كارل سيقتل رجلاً في أوهايو. اللعنة، لو نفذت تلك المهمة، لربّما ألغى القاعدة التي تمنع قتل أشخاص في أوهايو. ربّما كان هذا الفتى هو أفضل صيد وقعا عليه، وربّما لا. لم يكن هناك وقتٌ كافٌ للتفكير بذلك. تحرّك في مقعده وقال:

- بيلي، مثنائي لم تعد كما كانت في ماضي عهدها. ستوقّف هنا حتى أتبول، تمام؟

- نعم. بالتأكيد. أنا ممتنٌّ لكم لأنكما اصطحبتماي بسيّارتكما.  
قال كارل لساندي:

- هناك طريق على اليمين.  
سألته ساندي:

- وكم يبعد من هنا؟  
- ربّما ميل واحد.

انحنى أرفن إلى الأمام قليلاً، ونظر فيما وراء رأس كارل عبر الزجاج الأمامي للسيارة. لم يرَ أيّ أثر يدلّ على وجود طريق، وظنّ أنّه من الغرابة أن يعرف الرجل بأنّ هناك طريقاً في الأمام لو لم يكن من أبناء هذه المنطقة. حسب أرفن في مظهره أنّ الرجل ربّما لديه خريطة.

أسند ظهره إلى مقعده مرّة أخرى وشاهد المناظر على جانبي السيّارة. باستثناء التلال التي كانت أصغر وأكثر استدارة، بدا المكان وكأنّه فرجينيا الغربيّة. تساءل عمّا إذا عثر أحدهم على جثة تيغاردن حتّى الآن. انعطفت ساندي بالسيّارة من الطريق رقم 35 باتجاه طريق مكسوّ بالتراب والحصى. مضت متجاوزة مزرعة كبيرة في الزاوية. بعد أن قطعت ميلاً آخر أو نحوه، أبطأت من سرعتها وسألت كارل:

- هنا؟

- لا، تابعي إلى الأمام.

استقام أرفن ونظر حواليه. لم يمرّاً بمنزل آخر منذ تجاوزا المزرعة. كان مسدّس اللوغر يضغط على أزرنيّه<sup>(1)</sup>. عدّل من وضعيته قليلاً. قال كارل أخيراً وهو يشير إلى ما بقي من المعالم غير الواضحة لطريق مركبات يؤدّي إلى منزل خرب:

- يبدو هذا المكان مناسباً.

كان واضحاً أنّ المكان قد هجر منذ زمن. النوافذ القليلة مكسورة وشرفة المدخل مهدّمة في إحدى جانبيها. الباب الأماميّ مفتوح، ومعلّق بشكلٍ مائل من مفصلة واحدة. امتدّ على طول الطريق حقل ذرة؛ حيث كانت سوقها ذابلة مصفّرة من أثر الطقس الحار المُمجّل. حالما أطفأت ساندي محرّك السيّارة، فتح كارل دُرَج السيّارة. أخرج منه كاميرا بديعة المنظر، ورفعها للأعلى ليراها أرفن وقال له:

- أراهن أنّك لم تحسبني مصوّراً أبداً، أليس كذلك؟

(1) أصل الفخذ تمايلي البطن (قاموس المعاني الجامع).

هزَّ أرفن رأسه وقال:

- ربّما لم يخطر ذلك في بالي.

كان يسمع طنين الحشرات خارج السيّارة في الأعشاب الجافة.  
كانت بالآلاف.

- ولكن ليكن في بالك، أنا لستُ واحدًا من هؤلاء الحمير المغفلين  
الذين يلتقطون صورًا خرقاء كتلك التي تراها في الجرائد. أنا  
مثلهم يا ساندي؟

أجابت وهي تنظر إلى أرفن:

- لا. كارل ليس مثلهم. كارل مصوّر بارع بالفعل.

- هل سمعتَ بمايكل أنجلو أو ليوناردو...؟ أوه، تَبًّا، لقد نسيت  
اسمه الثّاني. أتعرف عمّن أتحدث؟  
- نعم، أظنّ ذلك.

تذكر أرفن ذات مرّة بأن لينورا عرّفته بلوحة اسمها *الموناليزا* في  
أحد الكتب. سألته وقتئذٍ ما إذا كان يراها شبيهةً بتلك المرأة الشّاحبة  
في اللّوحة. ارتسمت علائم السرور على محيّاّه وهو يقول لها بأنّها أجمل  
من سيّدة الموناليزا.

- حسنًا، أحبُّ أن أتخيّل بأنّه ذات يوم سيّشاهد النّاس الصّور التي  
ألتقطها وأظنّ بأنّها على الدرجة ذاتها من الجودة التي تميّز بها  
لوحات هؤلاء الفنّانين الكبار. فالصّور التي ألتقطها، يا بيلي،  
هي كاللّوحات الفنّيّة، كاللّوحات التي تراها في المتاحف. هل  
سبق لك وأن زرتَ متحفًا؟

- لا. لم أزر متحفًا في حياتي.

- حسنًا. ربّما ستزور متحفًا يومًا ما. ما رأيك إذن؟

- رأيي بماذا؟

- لم لا نخرج من السيّارة حتّى ألتقط لك بعض الصّور مع ساندي؟

- لا، يا سيّدي. أفضل ألا أفعل ذلك. كان يومًا طويلًا بالنّسبة إليّ، وسأواصل رحلتي قريبًا. أريد فقط الوصول إلى بلدة ميد.

- بالله عليك، تعال يا بني، لن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق. ما رأيك بالفكرة التّالية: ماذا لو تعرّث ساندي إكرامًا لعينيك؟ مدّ أرفن يده نحو مقبض باب السيّارة وقال:

- حسنًا جدًّا. كلّ ما سأفعله هو العودة فقط إلى الطريق السريع. وأنتما ابقيا هنا والتّقطا ما تشاءان من الصّور.

- والآن تريّث بالله عليك. لم أقصد أن أثير غضبك كلّ هذا القدر. ولكن اللّعنة، هناك مشكلة في أيّ طلبتُ منك ذلك؟ هناك مشكلة؟

وضع الكاميرا على المقعد وتنهّد قائلاً:

- حسنًا. دعني فقط أذهب للتبوّل، ومن ثمّ سنغادر هذا المكان.

رفع كارل بجهد جهيد جسده الضخم خارجًا من السيّارة، ومشى إلى الخلف. أخرجت ساندي سيجارة من علبتها. وهو ينظر إليها، شاهد أرفن يديها وهما ترجفان وهي تحاول عدّة مرّات إشعال عود الثّقاب. اخترق داخل أرفن على حين غرّة شعور لا يمكن للمرء أن يجد

له اسمًا دقيقًا؛ شعور اخترقه كالسكين. كان قد سحب مسدّسه الألماني  
من حزام خصر أفروله عندما سمع كارل يقول:

- اخرج من السيّارة أيها الفتى!

كان الرّجل السّمين واقفًا على مسافة خمسة أقدام من الباب الخلفي  
للسيّارة، مصوّبًا مسدّسًا ذا سبطانة طويلة باتجاه أرفن.

قال أرفن:

- إنّ كان المال هو ما تريد، فليس معي سوى القليل منه.

ثمّ هيأ مسدّسه على وضعية الإطلاق وقال:

- يمكنك أن تأخذ كلّ ما لديّ من مال.

قال كارل:

- ها أنت تصبح حملاً وديعًا الآن، أليس كذلك؟

بصق كارل على العشب وقال:

- دعني أخبرك شيئًا، أيها العاهر الصغير، احتفظ بمالك معك الآن.

أنا وساندي سننظر في أمر المال بعد أن ألتقط صوري اللّعينة.

قالت ساندي:

- الأفضل لك يا بيلي أن تطيعه وتفعل ما طلبه منك. يمكنه أن

يحتاج إن لم تجر الأمور معه على غير ما يرام.

عندما رمقته بنظراتها مرّة أخرى وندّت عنها ابتسامة شفّت عن

كلّ أسنانها المتعقّنة، أو ما أرفن برأسه وفتح الباب الواقع من جهته فتحًا

عنيفًا. قبل أن يترسخ في رأس كارل ما الذي كان الفتى يحمله في يده،

كانت الطلقة الأولى قد انطلقت واستقرت في بطنه. جعلته قوّة الرّصاصة

يبدأ بالدوران. رجع جَفَلًا إلى الوراء ثلاثة أو أربعة أقدام ولملم نفسه. حاول رفع مسدّسه والتصويب إلى الفتى، ولكن طلقة أخرى تبعت رفيقتها الأولى وأصابته في صدره. خرَّ صريعًا على ظهره فوق الأعشاب مُحدِّثًا ارتطامًا مدويًا. على أنّه لا يزال يشعر بوجود مسدّس الـ38 في يده، فإنّ أصابعه لم تسعفه في الضَّغْط على الزناد. في مكان ما ناء، استطاع سماع صوت ساندي. بدا وكأُنها كانت تنادي عليه باسمه المرّة تلو الأخرى: كارل، كارل، كارل. أراد أن يردَّ عليها، وفكّر فيما لو استراح لدقيقة، فإنّ بإمكانه أن يصلح الأمر وينهي هذه المأساة. بدأ شيء ما يبرد بالترّحف عبر جسده. شعر وأنّ جسده بدأ يغرق في حفرة بدت وكأُنها مفتوحة تحته في جوف الأرض. ومما بثّ الرّعب فيه، ذلك الشّعور الذي اعتراه، تلك الطّريقة التي سحبت فيها الحفرة أنفاسه من جسده. وهو يكرّ أسنانه، كابد لكي يصعد قبل أن يغرق عميقًا عميقًا. شعر بنفسه يرتفع. نعم، قسمًا بالله، لا يزال بإمكانه إعادة الأمور إلى نصابها، ومن ثمّ سيهجران هذه المهنة. تراءى له الصبيّان الصّغيران على دراجتيهما الهوائيتين يمرّان ويلوّحان له محيئين. أراد أن يقول لساندي بأنّ زمان الصّور قد ولى، ولكنّه ذاق المرّ وهو يبحث عن هواء يتنفسه. ثمّ حصل أن حطَّ على رأسه شيء ما ذو أجنحة سوداء عملاقة؛ شيءٌ سحبه للأسفل مرّة أخرى. رغم أنه تشبّث تشبُّثًا هستيريًا بالعشب وحبّات التّراب بيده اليسرى ليدرأ عن نفسه الانزلاق، فإنّه لم يفلح في منع نفسه من السقوط هذه المرّة. عندما بدأت المرأة بالصّراخ منادية باسم الرّجل، التفت أرفن ورآها في المقعد الأمامي تدسّ يدها مخرجة شيئًا من حقيبة يدها. قال لها وهو يهزُّ رأسه:

- لا تفعل ذلك.



خطا للوراء مبتعدًا عن السيّارة ووجّه مسدّسه اللوغر صوبها وهو

يقول:

- أرجوكِ لا تفعلي.

خطوط المسكرا السوداء كانت تسيل على وجهها. صاحت باسم كارل مرّة أخرى، ومن ثمّ توقّفت. وهي تتنفس عدّة أنفاس عميقة، حدّقت بنعال حذاء كارل وهي تحاول أن تتمالك نفسها. لاحظت أنّ نعل إحدى فرديّ حذائه كان مثقوبًا ثقبًا بحجم يقارب حجم قطعة نقدية من فئة الخمسين سنتًا. لم يأت كارل على ذكر ذلك طيلة الرحلة برمتها. قال أرفن عندما رآها تبتسم:

- أرجوكِ يا سيّدي.

قالت بهدوء: اللّعنة!

ثمّ سحبت مسدّسها فوق المقعد وأطلقت النار. رغم أنّها سدّدت مباشرة إلى وسط جسم الفتى، فقد بقي واقفًا في مكانه. سحبت باهتياج قاذح المسدّس مرّة أخرى بإبهامها، ولكن، وقبل أن تطلق الرّصاصة الثانية، أصابها أرفن في عنقها. سقط منها مسدّس الـ 22 وارتطم بأرضية السيّارة وأطاحت بها الرّصاصة لتصطدم بالباب المحاذي لها. ضغطت بيديها على رقبتها وحاولت إيقاف السّيل الأحمر المنبجس من الجرح. بدأت تحتنق بأنفاسها، وسعلت سيلاً من الدّماء على المقعد. استقرّت عيناها على وجهه وتوسّعتا لوضع ثوانٍ ثمّ أغمضتها ببطء. أصغى أرفن لها وهي تتنفس بضعة أنفاس محشجة تلاها سقوط أخير مضرّج بالدّماء. لم يكن لأرفن أن يصدّق بأنّ المرأة لم تُصبه. يا يسوع المسيح! كانت قريبة جدًّا منه.

جلس أرفن على طرف المقعد الخلفي وتقياً قليلاً فوق العشب بين قدميه. بدأ يأسٌ خدير يتسرّب إليه. حاول أن يتخلّص منه. تقدّم باتجاه الطريق الترابي ومشى بشكلٍ دورانيّ. أعاد مسدّس اللّوغر إلى بنطاله وانحنى بجانب الرّجل. مدّ يده تحته وسحب محفظة نقوده من جيبه الخلفيّ ونظر إلى ما فيها بسرعة. لم يجد أيّة شهادة سياقة، ولكنّه وجد صورة مدسوسة تحت بعض الأوراق التّقديّة. هاله ما رآه فجأةً مرّة أخرى. كانت صورة للمرأة وهي تهدد رجلاً ميتاً بين ذراعيها كطفل. كانت ترتدي فقط حمالة صدر وتبّاناً أسودين. كان هناك ما يبدو أنّها فجوة أحدثتها رصاصة فوق العين اليمنى للرجل الميت. كانت تنظر باتجاهه وعلائم الأسى مرتسمة على محيّاها.

دسّ أرفن الصّورة في جيب قميصه، ورمى محفظة النّقود على صدر الرّجل السّمين. ثمّ فتح دُزج السيّارة. لم يجد سوى خرائط طريقية وبكرات من الأفلام الفوتوغرافيّة. أصاخ السّمع مرّة أخرى ليرى ما إذا كانت هناك سيّارات قادمة، ثمّ مسح العرق عن عينيه وقال لنفسه: - فكّر يا أرفن، اللّعنة، فكّر بما ستفعله يا أرفن.

ولكنّ الشّيء الوحيد الذي كان متأكّداً منه هو أنّه يجب عليه مغادرة هذا المكان سريعاً. حمل حقيبتيه الرياضيّة، وانطلق ماشياً غرباً عبر خطوط حقول الذرة المتعطّشة للماء. كان قد قطع عشرين ياردة داخل الحقل عندما توقّف واستدار إلى الوراء. عاد مسرعاً إلى السيّارة وأخذ علبتين من علب الأفلام من دُزج السيّارة، ودسّها في جيب بنطاله. ثمّ أخرج قميصاً من حقيبتيه ومسح كلّ شيء شكّ في أنّه قد لمسه. في هذه الأثناء تابعت الحشرات طنينها.

قرّر أرفن المشي بعيدًا عن الطّرق. وصل أخيرًا بعد منتصف الليل إلى بلدة ميد ماشيًا على قدميه. في وسط البلدة، وعلى يمين الشارع الرئيس، وجد نُزلًا صغيرًا مبنياً من القرميد يدعى سايتو إن ولافتة «يوجد غرف شاغرة» لا تزال مضاءة. لم ينم أرفن في نُزلٍ قبل الآن قطّ. كان الموظّف، وهو فتى لا يكبره بسنين عديدة، يشاهد بسأم فلما قديماً عنوانه «آبت وكوستيلويقابلان المومياء». كان يشاهده على تلفاز صغير بالأسود والأبيض مركون في الزاوية. كانت أجرة الغرفة خمسة دولارات لليلة الواحدة. قال له الموظّف:

- نبذل الشراشف كلّ يومين.

بعد أن دخل إلى غرفته نزع أرفن ملابسه ووقف تحت رشاش الحمام لمدة طويلة محاولاً أن ينعم بالنظافة. نال منه التوتّر والإجهاد. استلقى على مفرش السرير واحتسى قنينة من الوسكي. كان في غاية السرور لأنّه تذكّر أن يجلب القنينة معه. رأى على الجدار صورة صغيرة ليسوع معلقاً على الصليب. عندما نهض لكي يبول، قلب الصورة على وجهها. ذكرته هذه الصورة بشكل كبير بتلك الصورة المعلقة في مطبخ جدّته إيما. في الساعة الثالثة فجراً، أتمله الشُّرب وخلد للنوم.

استيقظ في حوالي العاشرة صباح اليوم التّالي بعد أن حلم بتلك

المرأة. في الحلم، أطلقت عليه النار من مسدسها مثلما فعلت بعد ظهر البارحة، بيد أنها في هذه المرة أصابته إصابة مباشرة في جبهته، ومات هو بدلاً منها. التفاصيل الأخرى كانت مبهمه، ولكنه يتذكر أنها ربّما أخذت الصورة التي بحوزته. كان يتمنى تقريباً لو حصل ذلك السيناريو وهو يمضي صوب النافذة ويزيح الستارة. كان يتوقع بدرجة كبيرة أنه سيجد مرأب السيارات يعجّ بسيارات الشرطة. راقب السيارات وهي تمضي في طريقها في شارع برج ستريت بينما كان يدخن سيجارة، ثم استحم مرة أخرى. بعد أن ارتدى ملابسه، ذهب إلى مكتب موظف النزل واستفسر عن إمكانية البقاء في الغرفة ليوم آخر. كان الموظف ذاته لا يزال في الدوام منذ الليلة الماضية. كان شبه نائم، وهو يمضغ بهمة فاترة كتلة من علكة وردية اللون. قال له أرفن:

- لا شك أن دوامك طويل.

تساءب الفتى وأوماً برأسه موافقاً على ما قاله، ثم أضاف حجز ليلة أخرى لأرفن على آلة حساب النقود وقال:

- أنا أعلم ذلك. ولكنّ أبي هو صاحب هذا النزل، ولذا فإنّي أتحوّل إلى عبدٍ عنده عندما لا أكون مداوماً في الجامعة.

أعاد لأرفن باقي العشرين دولاراً التي أعطاه إياها، وأردف:

- ومع ذلك فالعمل هنا أفضل من أن يشحنوني إلى فيتنام.

- نعم، أظنّ ذلك.

ثم وضع أرفن النقود الورقية المرتخية في محفظة نقوده وسأل:

- كان هناك مطعم قريب من هنا اسمه وودن سبون. ألا يزال

قائماً؟

- بالتأكيد.

مشى الموظف نحو الباب وأشار عبر الشارع وقال لأرفن:

- ما عليك سوى المشي إلى هناك حيث ترى الضوء، ومن ثم اتجه يسارًا. سترى المطعم أمامك مقابل محطة الباصات. يقدمون وجبة شهية من اللحم والفلفل.

وقف أرفن خارج باب مطعم وودن سبون لوضع دقائق، وهو ينظر صوب محطة الباصات محاولاً أن يتخيّل أباه وهو ينزل من باص سفريات شركة غريهاوند ويرى أمّه للمرة الأولى قبل أكثر من عشرين سنة. حالما دخل طلب لحم خنزيرٍ وبيضًا وخبزًا محمّصًا. رغم أنه لم يأكل منذ أن أكل قطعة الحلوى بعد ظهر البارحة، تبين له بأنه لم يكن جائعًا كثيرًا. وأخيرًا جاءت التادلة المسنّنة التي تكسو التجاعيد وجهها، وأخذت صبحنه دون أن تبس بينت شفة. لا بل إنها بالكاد نظرت إليه. ولكن عندما نهض ترك لها دولارًا واحدًا إكرامية على أي حال.

حالما مشى خارج المطعم، مرّت ثلاث سيارات كروزر بسرعة وتجاوزته متجهة شرقًا بأضوائها الملتمعة وصفاراتها الزاعقة. بدا أن قلبه توقّف عن النبض للحظة في صدره، ومن ثم بدأ يدق بسرعة. استند إلى طرف المبنى القرميديّ وحاول إشعال سيجارة، ولكنّ يديه كانتا ترتجفان بشكلٍ كبيرٍ لكي يتسنّى له إشعال عود الثّقاب. كانتا ترتجفان كيدي المرأة مساء البارحة. تلاشى صوت صفارات السيارات الثلاث وهي تتبعد، واسترخى ليتمكن من إشعال السيجارة. أقبل باصٌ إلى الحارة المجاورة لمحطة الباصات في تلك اللحظة بالذات. رأى دسّته أو نحوها من الناس يخرجون من الباص. بضعةٌ منهم كانوا يرتدون

بمّزات عسكريّة. استرخى سائق الباص في كرسيه، وأنزل طاقيته لتغطّي عينيه. كان رجلاً عظيم اللغدين، حاد المزاج بغيضه، ويرتدي قميصاً رمادياً وربطة عنق سوداء.

طفق أرفن راجعاً إلى النّزل، وصرف ما بقي من يومه وهو يصول ويجول على السجّادة الخضراء البالية. ليست سوى مسألة وقتٍ فقط حتّى تكتشف الشرطة بأنّه هو من قتل برستن تيغاردن. أدرك بأنّ مغادرة بلدة كول كريك على ذلك النّحو المفاجئ كانت أكثر التّصرّفات رعونة؛ ستشكّل مغادرته البلدة علامة واضحة وضوح الشّمس على علاقته بمقتل الرّجل. كلّما زاد مشيه على الأرضيّة، زادت الصّورة اتّضاحاً له: إنّ قتله للواعظ قد أطلق شعوراً معيّناً من عقاله، وسيبقى يلاحقه لبقية أيام عمره. عرف في أعماق نفسه بأنّه ينبغي له محاولة مغادرة أوهايو فوراً، ولكنّه لم يستطع تحمّل فكرة مغادرتها دون رؤية المنزل القديم وجذع الصّلاة لمرة واحدة أخيرة. بصرف النّظر عن الأشياء الأخرى التي حصلت، قال لنفسه بأنّه يجب عليه محاولة تقويم ما يعتمل داخل نفسه من مشاعر بخصوص أبيه؛ تلك الأفكار التي لا تزال تؤرّق قلبه ألماً. وإلى أن يحقّق ذلك المراد، فإنّه لن يكون متحرّراً من قيودها على أيّ حال.

تساءل فيما إذا كان سيعاوده الشّعور بالصفاء مرّة أخرى. لم يكن في غرفة النّزل تلفاز؛ كان فيها مذياع فقط. المحطّة الإذاعيّة الوحيدة التي استطاع الاستماع إليها دون تشويش كانت إذاعة الأغاني الرّيفيّة والغربيّة. ثبتّ المؤشر على تلك المحطّة، وأخفض الصوت لترسل أغانيها بصوت خفيض ناعم بينما حاول الخلود للنّوم. بين الفينة

والأخرى، كان أحدهم يسعل في الغرفة المجاورة. جعله صوت السعال  
يتذكر المرأة وهي تلفظ أنفاسها مضرّجةً بدمائها. كان لا يزال يفكّر فيها  
عندما طلع الصّبح عليه.





قال هاوسر بينما كان لي بوديكر قادمًا صَوْبَهُ:

- أنا آسف يا لي. هذا كلُّه هراءٌ في هراء.

كان واقفًا بجانب سيّارة كارل وساندي. كان يوم ثلاثاء حوالي الظهرية. وصل لي بوديكر منذ لحظات. عثر مزارعٌ على جثّتيهما قبل ساعة تقريبًا، وقد أوقفت شاحنته الوُنْدِرِ بَرِد على الطريق السّريع كعلامة على حصول الواقعة. كان هناك أربع سيّارات شرطة من طراز كروزر مركونة إحداهما وراء الأخرى على الطريق، وكان رجال الشرطة بزيهم الرّمادي واقفين وهم يذّبون الهواء عن وجوههم بقبعاتهم منتظرين صدور الأوامر لهم. لم يكن هاوسر سوى نائب أمر الشرطة لي بوديكر. كان الرّجل الوحيد الذي يستطيع الاعتماد عليه في آية قضية تتجاوز قضايا السرقات الصّغيرة وإصدار مخالفات المرور الخاصّة بتجاوز السرعة. بالنّسبة إلى أمر الشرطة، لي بوديكر، كان بقيّة أفراد الشرطة غير مناسبين حتّى ليكونوا منظمّين لحركة مرور السيّارات أمام مدرسة مكوّنة من قاعة واحدة لا غير.

نظر لي بوديكر إلى جثة كارل، ثمّ إلى جثة أخته. كان نائبه هاوسر قد أخبره مسبقًا على جهاز الاتّصال بأنّها ماتت.

قال بصوت تخنقه العبرات:

- يا يسوع، يا يسوع المسيح!

أردف هاوسر:

- أعلم فظاعة المشهد.

سحب لي بوديكر عدّة سحبات عميقة من الهواء حتى يتمالك نفسه  
ودسّ نظّارته الشمسيّة في جيبه ثمّ قال:

- اتركني بضع دقائق لوحدي مع جثتها.

قال النائب هاوسر:

- حاضر.

مشى إلى حيث كان الرّجال الآخرون واقفين، وقال شيئاً ما  
لأحدهم بصوت خفيض.

وهو مقرّضٌ بجانب الباب الأماميّ المفتوح، تأمّل لي بوديكر  
ساندي عن كثب، الخطوط التي في وجهها، الأسنان المتعفّنة، الرضوض  
المتلاشية على ساقها. لطالما كانت عاهرة صغيرة، ولكنها تبقى أخته.  
أخرج منديلته ومسح عينيه. كانت ترتدي شورتاً قصيراً وكنتزة ضيّقة.  
قال في نفسه إنّها لا تزال تتبع في ملابسها أسلوب العاهرات. صعد في  
المقعد الأماميّ، سحبها قريباً منه، ونظر إلى كتفها. اخترقت الرّصاصة  
عنقها وخرجت من أعلى ظهرها، إلى اليسار تماماً من عمودها الفقريّ،  
على بعد بضعة إنشات أسفل الموضع الذي دخلت منه. دخلت  
الرّصاصة بعد ذلك في البطانة الداخليّة للباب الواقع على يسار السائق.  
استخدم مطواته ليخرج الرّصاصة. بدت وكأَنَّها من عيار 9 ملم. رأى  
مسدّساً موديل 22 ملقّى قرب دوّاسة الفرامل. نادى على هاوسر قائلاً:

- هل كان الباب الخلفيّ مفتوحاً عندما وصلتكم إلى هنا؟

ترك هاوسر الرجال على الطريق وهرول باتجاه سيّارة الستيشن وقال:

- لم نلمس شيئاً يا لي.

- وأين المزارع الذي عشر عليهما؟

- قال بأنّ لديه عِجَلَةٌ مريضة عليه الاعتناء بها. ولكنني لم أترك سؤالاً إلاّ وسألته إياه قبل أن يغادر. لا يعرف أيّ شيء عن الحادثة.

- هل التقطتم صوراً للحادثة؟

- نعم. فرغنا من التقاط الصّور لحظة وصولك.

أعطى هاوسر الرّصاصة، ثمّ انحنى عبر المقعد الأمامي مرّة أخرى، وأخرج مسدّس الـ22 بمنديله. شمّ سبطاته، ثمّ حرّرها، وتبيّن له أنّه أطلقت منه رصاصة واحدة. شدّ الساحب للخلف، سقطت منه خمس رصاصات في يده. كانت رؤوسها مثنية. صاح قائلاً:

- يا إلهي. هذه رصاصات فارغة!

- فارغة؟! لماذا يقوم شخص بتذخير مسدّسه برصاصات فارغة

بحقّ الجحيم يا لي؟

- لا أدري. ولكنّه خطأ فادح. ذلك أمر مؤكّد.

وضع المسدّس على المقعد بجانب حقيبة اليد والكامرا. ثمّ خرج من السيّارة ومشى إلى حيث كانت جثة كارل. لا يزال الرّجل الميت ممسكاً بمسدّس الـ38 بيده اليمنى، وبيعض العشب والتراب باليد الأخرى. بدا متشبّثاً بالأرض بأظافره. كانت عدّة ذبابات تزحف داخل

جروحه فيما استقرت ذبابة أخرى على شفته السفلى. تفحص لي بوديكر  
مسدس كارل ثم قال:

- وهذا العاهر لم يطلق ولا رصاصة من مسدسه.

- إحدى هاتين الطلقتين اللتين تلقاهما في جسده ستفسر ما حصل.

- ليس هناك حاجة للكثير من الرصاص لقتل كارل على أي حال.

قال لي بوديكر ذلك وأدار رأسه ثم بصق وقال:

- لن تجد في الكون من يفوقه تفاهة.

أمسك بمحفظة النقود الملقاة فوق الجثة وأحصى وجود أربعة

وخمسين دولارًا. حك لي بوديكر رأسه وقال:

- حسنًا، أظن أنها لم تكن عملية سرقة، ما رأيك؟

- أهنأك احتمال لأن يكون لتيتير براون يدٌ بهذه الجريمة؟

احمرَّ وجه لي بوديكر وقال:

- ما الذي يدعوك لهذا الاعتقاد بالله عليك؟

هزَّهاوسر رأسه وقال:

- لا أدري. أنا فقط ألقى الكلام على عواهنه. أقصد، ومن غيرُه

يمكن أن يقوم بهذا العمل الشنيع في منطقتنا؟

هزَّ لي بوديكر رأسه وهو واقف وقال:

- لا. هذا النمط من الجرائم العلنية أكبر من مستوى ذلك العاهر

المتملق. لو كان هو من فعلها، لما كنا عثرنا على الجثث بهذه

السهولة. لو كان تيتير براون هو الفاعل لعمل جاهدًا على إخفاء

الجثث حتى تأكلها الديدان لبضعة أيامٍ قبل أن نعثر عليها.

- نعم، أظنّ ذلك.

- وماذا عن الطبيب الشرعيّ؟

- يفترض أن يكون في طريقه إلى هنا.

أوماً لي بوديكر برأسه باتجاه أفراد الشرطة الآخرين وقال:

- مُرهم أن يبحثوا في حقل الذرة هناك. وانظر إن كانوا سيعثرون على شيء، ثم أعر انتباهك للطبيب الشرعي.

مسح العرق عن رقبتة بمنديله. انتظر هاوسر حتّى يتعد، ثمّ جلس في المقعد المحاذي لمقعد السائق في سيّارة الستيشن. كانت هناك كامرا ملقاة بجانب حقيبة يد ساندي. دُرُجُ السيّارة كان مفتوحاً. أسفل بعض الخرائط الملفوفة كان هناك عدّة بكرات أفلام وعلبة طلاقات مسدّس الـ 38. وهو ينظر حوله لكي يتأكّد من أنّ هاوسر لا يزال يتكلّم مع أفراد الشرطة، دسّ لي بوديكر الفلم في جيب بنطاله، وفتّش حقيبة اليد. وجد فيها فاتورة صادرة عن فندق هوليدي إن في بلدة جونسن سيتي في ولاية تينيسي يرجع تاريخها إلى يومين سالفين. استعاد في ذاكرته اليوم الذي رأهما فيه في محطة الوقود. مرّ على ذلك اليوم ستّة عشر يوماً حسبما يظنّ. كان يفترض، وفقاً لحساباته، أن يكونا قد وصلا إلى البيت. لاحظ أخيراً ما بدا أنّه قيء ناشف على العشب، والنمل يدبّ فوقه. جلس على المقعد الخلفيّ وأسند قدميه خارج السيّارة على الأرض، تحيطان بالقيء من جهتيه. نظر إلى المكان الذي كانت فيه جثّة صهره كارل على العشب. ثمّ قال متحدّثاً مع نفسه:

- الشّخص الذي تقيّاً كان جالساً هنا تماماً في هذا المقعد عندما تقيّاً. إذن، كان كارل واقفاً خارج السيّارة ومعه المسدّس وكانت

ساندي في المقعد الأمامي، وشخص آخر في المقعد الخلفي. حُلِقَ في القياء لبضع ثوانٍ إضافية. لم يحظَ كارل حتى بفرصة لإطلاق النار قبل أن يقوم شخص آخر بإطلاق ثلاث رصاصات. وفي لحظة ما هناك، من المرجح أنها لحظة تلت انتهاء إطلاق النار، تقياً شخص ما بسبب هول المنظر. عاد بذاكرته إلى أول مرّة قتل فيها إنساناً إكراماً لعيون تيتو. ألمّ به ما يشبه المرض تلك الليلة. إذن ربما يكون الشخص الذي فعل هذا غير متعود على القتل. ولكن هذا القاتل الوغد بكل تأكيد شخص يعرف كيفية استعمال المسدّسات.

نظر لي بوديكر إلى أفراد الشرطة وهم يعبرون القناة ويبدوون التحرك ببطء عبر حقل الذرة، وبدتْ ظهور قمصانهم داكنة بسبب العرق. سمع صوت سيّارة قادمة، التفت ورأى هاوسر يخبُّ خباً على الطريق ليلتقي الطبيب الشرعي. قال لي بوديكر مخاطباً جثة ساندي:

- اللّعة يا ساندي، ما الذي كنت تفعلينه هنا بحقّ الجحيم؟

مدّ جسده عبر المقعد، أزال على عجل بضعة مفاتيح معلقة في الحلقة المعدنية لمفتاح السيّارة، وضعها في جيب قميصه. سمع هاوسر والطبيب الشرعي وراءه. وقف الطبيب عندما اقترب مسافة كافية ليرى جثة ساندي في المقعد الأمامي، ثمّ قال:

- عفوك أيها الرّبّ العظيم!

قال له لي بوديكر:

- لا أظنّ أنّ الرّبّ له أيّ علاقة بهذا يا بني.

نظر لي بوديكر إلى هاوسر وقال:

- فلياتِ الشَّرطيّ ويلس إلى هنا ليساعدك في رفع البصمات من  
السيّارة قبل أن نقلها. افحص المقعد الخلفيّ بشكلٍ دقيقٍ جدًّا.  
سأله الطيب الشرعيّ قبل أن يضع حقيبته السوداء على سقف  
السيّارة:

- في رأيك، ما الذي حصل؟

- يبدو لي بأنّ كارل أصيب بطلق نارٍ أطلقه شخص ما يجلس  
في الخلف. ثمّ تمكّنت ساندي من إطلاق رصاصة واحدة من  
مسدّس الـ22، ولكن، ولسوء الحظّ، لم يكن لديها أيّ فرصة  
لإصابته. فذلك المسدّس اللّعين مذخّر بطلقات فارغة. وأظنّ،  
من خلال مكان خروج الطلقة من جسدها، بأنّ مَنْ أطلق النّار  
عليها كان واقفًا عندما فعل فعلته.

ثمّ أشار إلى الأرض على مسافة بضعة أقدام من الباب الخلفيّ  
وقال:

- من المحتمل أنّه كان واقفًا هنا بالضبط.

- طلقات فارغة؟

تجاهل لي بوديكر ما قاله الطيب وسأله:

- وما هي المدّة الزمّنيّة التي انقضت منذ مقتلها برأيك؟

جثا الطيب الشرعيّ على ركبة واحدة، ورفع ذراع كارل، حاول  
أن يحركها قليلاً، وضغط بأصابعه على بشرته المبقّعة بالأزرق والرّماديّ  
وقال:

- أوه، مساء البارحة، أو لنقل بحدود ذلك الوقت على أيّ حال.

وقفوا جميعًا وهم ينظرون إلى جثة ساندي بصمتٍ لدقيقةٍ أو نحوها، ثم التفت لي بوديكر صوب الطبيب الشرعي وقال له:

- تأكد من أن تولوا جثتها الاهتمام المطلوب، تمام؟

- بالتأكيد سنفعل.

- عندما تنتهي من مهمتك، أبلغ الشرطي وبستر حتى يأخذ الجثة. وأخبرهم بأنني سأعود لاحقًا لترتيب إجراءات الدفن. سأعود إلى المكتب الآن.

ثم سأل الطبيب لي بوديكر وهو يهيم بالمغادرة:

- وماذا عن الجثة الأخرى؟

وقف أمر الشرطة، بوديكر، وبصق على الأرض، ثم نظر إلى جثة

الرجل السمين وقال:

- على أي حال يجب عليك دفنها يا بني، تأكد من أن تدفنه في قبر

كقبور الشحاذين؛ قبر بلا صوة، بلا اسم، وبلا أي شيء.



قال موظف المقسم:

- لي، تلقيتُ مكالمة هاتفية من آمر الشرطة مُبْسُن في بلدة ليوسبرغ في فرجينيا الغربية. يريدك أن تعاود الاتصال به في أقرب وقتٍ ممكن.

ثم أعطى لي بوديكر قصاصة ورقية مكتوب عليها رقمٌ بطريقةٍ أقرب منها إلى الخربشة.

- أهذه خمسة أم ستة يا ويلس؟

نظر موظف المقسم إلى القصاصة وقال:

- لا، هذه تسعة.

أغلق لي بوديكر باب مكتبه وجلس، فتح دُرَج المكتب، وأخرج منه قطعة من الحلوى القاسية. بعد أن رأى ساندي ميتة، كان أوّل شيءٍ خطر في باله كأسٌ من الوِسكي. فتح الحلوى بأسنانه واتّصل بالرقم المدوّن على قصاصة الورق:

- أهذا آمر الشرطة مُبْسُن؟ أنا لي بوديكر وأتحدّث من أوهايو.

ردّ مُبْسُن بنبرة ذات أحرف مرتخية تميّز سكّان الغابات والجبال:

- شكرًا للمعاودة الاتصال بي، حضرة الأمر. كيف حالكم جميعًا في

أوهايو؟

- لم أتصل لأسأل عن الأحوال فحسب.  
- إن سبب اتصالي، حسناً، ربّما لا يكون الأمر على تلك الأهميّة،  
ولكن أحدهم قتل شخصاً آخر هنا في وقت ما صباح البارحة،  
الضحية هو واعظ، والفتى الذي نشته بارتكابه للجريمة كان  
يعيش في بلدتكم.

- أصحيح ما تقول؟ وكيف قتل الواعظ؟

- أطلق عليه رصاصة في رأسه بينما كان يجلس في سيارته. رفع  
المسدس بمحاذاة قفا رأسه وأطلق عليه النار. لكنّه على الأقل لم  
يسبّب له آية معاناة.

- أيّ نوع من المسدّسات استخدم القاتل؟

- مسدّس صغير، على الأرجح أنّه مسدّس لوغر، وهو مسدّس  
ألماني. معروفٌ عن الفتى امتلاكه لهذا المسدّس. فقد جاء به أبوه  
من الحرب.

- ذلك مسدّس من عيار 9 ملم، أليس كذلك؟

- صحيح.

- هل لك أن تُعيد اسمه مرّة أخرى؟

- لم أقل لك أيّ اسم، ولكن اسم الفتى أرفن ريسل. اسم أبيه  
إيوجين. حسبها فهمت، والداه ميتان. أظنّ أنّ والده ربّما قتل  
نفسه. والفتى يعيش مع جدّته هنا في بلدة كول كريك ربّما منذ  
حوالي سبع أو ثمان سنوات.

اكفهّر وجه لي بوديكر، ونظر عبر أرجاء الغرفة إلى الصور والإعلانات الملتصقة على الجدار. كرّر لنفسه قائلاً: «رَسِل. رَسِل؟ أظنني سمعت بهذا الاسم؟» ثم ما لبث أن سأل تُمبُسُن عبر الهاتف:

- وكم عمره؟

- أرفن في الثامنة عشرة. اسمعني! الفتى ليس سيء السيرة، فأنا أعرفه منذ مدّة طويلة. ومّا سمعته أن هذا الواعظ ربّما يستحقّ القتل. يبدو أنّه كان يلعب بذيله مع الفتيات الصغيرات. ومع ذلك أظنّ أنّه لا يجب معالجة ذلك الفعل بالقتل.

- وهل يستطيع سياقة السيّارات؟

- عنده سيّارة شيفروليه زرقاء من طراز بل إير طراز سنة 54.

- وكيف يبدو شكله؟

- أوه، متوسّط القامة، شعره داكن، حسن المنظر. أرفن شابّ هادئ، ولكنه ليس من النّمط الذي يسكت على الضيم أيضًا. ثمّ، اللعنة، ربّما لا يكون لا ناقة له ولا جمل في هذه الجريمة، ولكنّي لا أستطيع العثور عليه الآن، وهو رأس الخيط الوحيد الذي أملكه في هذه القضية.

- أرسل لنا أيّة معلومات لديك بخصوص أرقام لوحة السيّارة وغيرها من المعلومات، وسنرسل أفراد الشرطة للبحث عنه. وما رأيك أن تبلغني في حال ظهر مرّة ثانية في بلدتكم، تمام؟

- سأفعل ذلك.

- هناك أمر آخر. ألدّيك صورة له؟

- ليس بعد، ما عندي صورته. ولكنني متأكد أن لدى جدته عدّة صور له، ولكنها ليست في مزاج يسمح لها بالتعاون معنا الآن. حالما أحصل على صورته، سأعمل جاهداً على إرسال نسخة لك.

حالما أغلق لي بوديكر سَماعة الهاتف، عادت كلّ الأشياء إلى ذاكرته؛ جذع الصّلاة والحيوانات الميتة والفتى الصّغير ذو الوجه الملطّخ ببقايا الفطيرة. نعم اسمه أرفن إيوجين رَسِل. قال بوديكر محدّثاً نفسه:  
- تذكّرُك الآن أيّها الفتى.

مشى صَوْبَ خريطة كبيرة للولايات المتّحدة معلقة على الجدار. عثر على بلدتي جونسن سيتي وليوسبرغ. ثم مرّر إصبعه عبر فرجينيا الغربيّة وصولاً إلى أوهايو على الطريق رقم 35 في بلدة بوينت بلزانت. أوقف حركة إصبعه في المكان العام المقابل للطريق السّريع في المكان الذي قُتل فيه كارل وساندي. إذن، إذا ما كان القاتل هو أرفن رسل، فلا بدّ أنّه التقى بهما في مكان ما على طول هذه المسافة. ولكن ساندي قالت له بأنّها ذاهبان إلى مدينة فرجينيا بيتش. تأمّل الخريطة مرّة أخرى. ليس من المنطقيّ أن يكونا بقيا في مدينة جونسن سيتي. إن حصل ذلك فسيحتاجان قطعاً مسافة طويلة للوصول إلى البيت. ثمّ، ما هو الشّيء الذي كانا يفعلانه حتّى يحملا هذين المسدّسين؟

توجّه بسيّارته إلى شقّتها ومعه المفاتيح التي انتزعها من حلقة مفتاح السيّارة. داهمته رائحة القمامة المتعفّنة عندما فتح باب الشقّة. بعد فتح بضعة نوافذ، بحث داخل الغرف، ولكنه لم يجد أيّ شيء غير عادي. فكّر في قرارة نفسه:

- ما الذي أبحث عنه هنا على أيّ حال؟

جلس على الأريكة في غرفة الجلوس. سحب علبة من علب الأفلام التي أخذها خلسة من دُرَج سيارة ساندي، وبدأ بتقليبها في يده. كان قد انقضى على جلوسه هناك حوالي عشر دقائق عندما خطر في باله أخيرًا بأنّ هناك شيئًا ما غير طبيعي في الشقة. عاد إلى الغرف مرّة أخرى، ولم يستطع أن يعثر حتّى على صورة فوتوغرافيّة واحدة. لماذا لم يعلّق كارل أيّة صورة على جدران الشقة؟ أو على الأقلّ لماذا لم يضع فيها صورًا هنا وهناك؟ فالصّور كانت الشغل الشاغل لابن العاهرة عاشق التصوير ذاك. بدأ البحث مرّة أخرى، بحماسة هذه المرّة، وجد على الفور صندوق أحذية تحت السرير. كان مخبئًا خلف بعض البطانيّات الإضافيّة في الشقة.

جلس بوديكر إثر ذلك على الأريكة وهو يُحمَلِقُ بحالٍ من الخدر والذهول إلى فجوة في السقف كان المطر يتسرّب منها. تناثرت تحتها قطع من الملاط في كومة على سجادة صغيرة مجذولة. عادت به الذاكرة إلى يومٍ من أيام ربيع عام 1960. حينئذٍ، كان قد أمضى سنتين تقريبًا بمنصب نائب أمر الشرطة. ونظرًا لأنّ أمّه وافقته أخيرًا على إخراج ساندي من المدرسة فقد كانت تعمل بدوام كامل في مطعم وودن سبون. ممّا استطاع أن يستنتجه أنّ عملها هناك لم يساهم سوى مساهمة قليلة في إخراجها من قوقعة خجلها. بدت متخلّفة ويائسة كما كان عهده بها. ولكنّه سمع قصصًا عن أشخاص يأتون مع اقتراب موعد إغلاق المطعم ليقنعوها بالذهاب معهم إلى سيّاراتهم لمُضاجعة خاطفة، ومن ثمّ يتركونها في الغابة لتتلمّس طريق العودة إلى البيت. في كلّ مرّة

عَرَّجَ فيها على المطعم ليتقَصَّى أحوالها، بحث عنها ليجدها مع وغد من الأوغاد على قارعة الطريق. وظنَّ أنَّها لم تكن إلا مع أحدهم في اليوم الذي قتلت فيه، ولكن الشَّخص الذي كانت معه يوم مقتلها مختلف عن غيره ممَّن اعتادت اللِّقاء بهم.

كان ذلك اليوم يوماً مخصَّصاً للوجبات البحريَّة. قالت له ساندي وهي تمضي مسرعة بطبق آخر مليء حتَّى الثمالة بأفراخ السمك النهريَّة لتقدِّمه للدكتور ليذم:

- سأعود في الحال. هناك شيء سأخبرك به.

كان الدكتور ليذم طبيباً مختصَّاً في علاج القدمين، وقد اعتاد المجيء للمطعم كلَّ يوم جمعة، وحاول أن يقضي على نفسه وهو يأكل الأسماك المقلية. كان ذلك الوقت الوحيد الذي اعتاد فيه المجيء للمطعم. ما انفكَّ ينصح مرضاه بأن تناول كلَّ ما يخطر ببالهم من طعام ليس سوى فكرة خرقاء تفتتت عنها ذهنيَّة أصحاب المطاعم.

أمسكت بإبريق القهوة وصبَّت كوباً لي لي بوديكر، ثمَّ همست له:

- ابن العاهرة السمين أتعبني أيَّما تعب.

التفت لي بوديكر ونظر إلى الطبيب وهو يلتهم قطعة من السمك المدلوكة بنشارة الخبز في فمه ويبلعها، ثمَّ قال:

- يا إلهي، يأكلها دون مضغ، أليس كذلك؟

- وهو يستطيع القيام بذلك طيلة اليوم.

- إذن، ما الأمر الذي توذِّين إخباري به؟

أزاحت عن وجهها خصلة شعر مرتخية وقالت:

- حسنًا. أظنّ أنه يجب عليّ إخبارك بالأمر قبل أن تسمع به من شخص آخر.

قال في قرارة نفسه أنّها لاشكّ حامل بطفل، ولن يكون هذا الخبر سوى عبءٍ ثقيلٍ آخر يزيد من آلام قرحته المعدية. بل من المرجّح أنّها لا تعرف اسم والد الطفل الذي تحمله في أحشائها. قال لها:

- أنتِ لست في ورطة، أليس كذلك؟

- ماذا؟ أعني أنّي حامل؟

أشعلت سيجارة ثم أردفت:

- يا يسوع! أنت حتّى لم تمنحني استراحة لكثرة ما طرحتَ من الأسئلة.

- حسنًا. ما القصة إذن؟

نفثت دائرة من الدخان فوق رأسه وغمزت قائلة:

- لقد خطبْتُ نفسي بنفسي.

- أتقصدين أنّك تزوّجت؟

أجابت بضحكة خفيفة:

- حسنًا. نعم. أ يوجد مسمّى آخر لذلك؟

- يا لها من مفاجأة! ما اسمه؟

- كارل. كارل هندرسُن.

كرّر بوديكر الاسم وهو يضيف بعض القشدة إلى قهوته من إبريق معدني صغير:

- هندرسُن. أليس واحدًا من الطلاب في مدرستك؟ أقصد شلّة

الطلاب في منطقة بَلْغ رَنْ؟

- أوه، تَبًّا يا لي. هؤلاء الأولاد شبه معتوهين، وأنت تعرف ذلك.  
كارل حتّى ليس من هذه المنطقة. لقد نشأ في الأحياء الجنوبيّة  
من مدينة كولومبُس.

- ماذا يعمل؟ أقصد كيف يكسب قوت يومه؟

- يعمل مصوّرًا فوتوغرافيًا.

- أوه، إذن عنده استديو للتصوير؟

أطفأت السيجارة في منفضة السجائر وهزّت رأسها وقالت:

- ليس عنده استوديو الآن. فتجهيزات الاستديو ليست رخيصة  
الثلّمن.

- حسنًا، وكيف يكسب المال إذن؟

قلبت عينيها، وتنهدت ثمّ قالت:

- لا تقلق عليه من هذه الناحية. يستطيع تدبير أموره.

- بعبارة أخرى، هو عاطل عن العمل؟

- لقد رأيتُ كامرته وكلّ شيء.

- تَبًّا يا ساندي. فلورنس لديها كامرا، ولكنّي بالتّأكيد لن أقول

عنها إنّها مصوِّرة فوتوغرافيّة.

ثمّ نظر بوديكر إلى داخل مطبخ المطعم، حيث كان الشوّاء واقفًا  
بمحاذاة برّاد مفتوح وقميصه مرفوع، وهو يحاول تبريد نفسه من  
الحرّ. لم يستطع لي بوديكر سوى أن يتساءل فيها إذا كان هنري الشوّاء  
قد ضاجعها أيضًا. إذ لطالما قال القوم بأنّ له قضيبيًا عظيمًا كخيول



سْتَلَانْد<sup>(1)</sup>. ثم سألتها:

- وأين تعرّفتِ عليه؟

قالت ساندي، وهي تشير إلى طاولة في زاوية المطعم:

- هناك بالضبط.

- منذ متى؟

- الأسبوع الماضي. لا تقلق يا لي. هو شخص لطيف.

ثم تزوّجا خلال شهر.

بعد أن قضى ساعتين في شقتها، عاد لي إلى مخفر الشرطة. كان يحمل زجاجة وسكي في كيس ورقي بنيّ. وضع صندوق الأحذية المليء بالصّور الفوتوغرافية وبكرات الأفلام في صندوق سيارته الكرّزور. أغلق الباب على نفسه في المكتب، وصبّ لنفسه صبةً من الوسكي في كوب قهوة. هذه أوّل كأس وسكي يشربها منذ أكثر من عام، ولكنّه لم يستطع القول إنّهُ تَلذَّذَ بشربها. اتّصلت به فلورنس في اللّحظة التي كان يهّم فيها باحتساء كأس أخرى. قالت له:

- لقد سمعتُ بما حدث. لماذا لم تتّصل بي وتُخبرني؟

- أعرف أنّه كان يجب عليّ الاتّصال بك وإبلاغك بما حصل.

- الخبر صحيح إذن؟ ساندي ماتت؟

- ماتت ومات معها ابن العاهرة الخبيث.

- يا إلهي. يصعب تصديق ذلك. ألم يكونا في إجازة؟

---

(1) سلالة خيول إسكتلندية. (المترجم)

- أظنّ أنّ كارل أسوأ بكثير ممّا ظننت.
- لا تبدو على خير ما يرام يا لي. لماذا لا تعود إلى البيت؟
- لا يزال لديّ عمل يجب القيام به. وربّما يتواصل ذلك طيلة الليل. هكذا يبدو لي من المعطيات التي لدي.
- ألدّيك أيّة فكرة عمّن فعلها؟
- قال وهو ينظر إلى قنينة الوسكي الموضوعة على مكتبه:
- لا. حقيقة ليس لديّ أيّة فكرة.
- لي؟
- نعم يا فلو.
- أنت لا تشرب الآن، أليس كذلك؟

رأى أرفن الجريدة في المُسند المخصّص للصحف الموضوع خارج محلّ كعك الدونت عندما أراد أن يبتاع بعض القهوة صباح اليوم التالي. اشترى نسخة من الجريدة، وأخذها إلى غرفته وقرأ نأ العثور على أخت أمر الشرطه المحلّي وزوجها مقتولين. قال الخبر بأنّها كانا عائدتين من إجازة في مدينة فرجينيا بيتش. لم يأت الخبر على ذكر أيّ مشتبه فيه، ولكن كانت هناك صورة لأمّ الشرطه لي بوديكر مع الخبر. ميّز أرفن من الصّورة بأنّه الشّخص ذاته الذي كان مناوبًا في ذات اللّيلة التي انتحر فيها والده. همس لنفسه: «يا للهول!»

حزم متاعه بسرعة ومضى خارج الباب. وقف وعاد للدخل. أنزل لوحة الصليب عن الجدار، لفّها بالجريدة ودسّها في حقيبتة.

بدأ أرفن السير غربًا في الشارع الرئيس. عند طرف البلدة، صعد في شاحنة محمّلة بجذوع أشجار متوجّهة صوب بينبرج حيث أوصلته إلى الزاوية المتشكلة بين الطريق رقم 50 وطريق بلين السريع. عبّر ماشيًا على قدميه بلدة بينت كريك عند جسر سكوت، وبعد ساعة، وصل إلى مشارف بلدة نوكمستيف. بدا كلّ شيء على حاله لم يتغيّر كما هو محفور في ذاكرته، اللهم ما خلا بضعة منازل جديدة مصمّمة على طراز يشبه المزارع منتصبه في ما كان ذات يوم حقلاً من حقول الذرة. مشى قليلاً

إلى الأمام، وانتهى به الأمر في التلة الصغيرة وسط الوادي. لا تزال بقالة مُود باقية على حالها في الزاوية ومن خلفها مقطورة التخييم ذاتها التي كانت هناك قبل ثماني سنوات. سرّه أن رآها.

كان البقال لا يزال جالسًا على كرسيّ لا مسند له ولا ذراعان خلف خزانة الحلوى عندما دخل أرفن البقالة. كان البقال هانك لا يزال على حاله، ولكنه كبر قليلاً الآن، وغداً أكثر حنقًا مما كان عليه من قبل. قال هانك وهو ينظر إلى حقيبة أرفن الرياضية:

- كيف حالك؟

أوماً أرفن برأسه، وضع الحقيبة على الأرضية الخرسانية. فتح باب برّاد المشروبات من الأعلى، وبحث فيه عن قنينة بيرة الجذور والأعشاب. فتحها واحتسى رشفةً مديدة.

أشعل هانك سيجارة وقال:

- يبدو من هيئتك أنك على سفر.

أجاب أرفن وهو يستند إلى جهاز التبريد:

- نعم.

- وإلى أين أنت ذاهب؟

- لست متأكدًا بالضبط. أذكر أنّه كان هناك منزل في أعلى التلة

خلف هذا المكان، وكان صاحبه محام. أتعرف هذا المنزل الذي

أتحدّث عنه؟

- بالتأكيد أعرف. المنزل الواقع في حيّ ميتشل فلاتس.

- كنتُ أعيش هناك.

حالما تفوّه أرفن بهذه الجملة، تمنّى لو أنّه لم يقلها.

تفحصه هانك للحظة ثمّ قال:

- إن لم أكن كاذبًا فأنت ابن عائلة رسل، أليس كذلك؟

- نعم أنا هو. خطر في بالي أن أتوقف فقط وأشاهد المنزل القديم مرّة أخرى.

- يا بني، يؤسفني أن أخبرك ذلك، ولكن ذلك المنزل احترق قبل بضع سنوات. يظنون أنّ بعض الصّبية فعلوا ذلك. لم يسكنه أحد منذ ذلك الحين بعدك أنت وأسرتك. أُودِعَت زوجة المحامي وعشيقها الأسود السّجن بتهمة قتله، وحسب معلوماتي، فالمنزل وضع تحت تصرّف المحكمة منذ ذلك الحين.

اجتاحت أرفن موجة من خيبة الأمل. ثمّ قال وهو يحاول أن يحافظ على ثبات صوته:

- ألم يبقَ منه أيّ أثر على الإطلاق؟

- لم يبقَ سوى الأساسات تقريبًا. وأظنّ أنّ الحظيرة لا تزال قائمة هناك، جزء منها على أيّ حال. المكان برّمته أصبح أثرًا بعد عين.

حَمَلَق أرفن عبر النافذة ذات الألواح الزّجاجيّة الكبيرة باتجاه الكنيسة بينما أتى على قنيّة البيرة. تذكّر اليوم الذي مرّغ فيه والده أنف الصياد بالوخل. بعد كلّ ما جرى معه في الأيام القليلة الماضية، لم تبدُ تلك الحادثة ذكرى طيّبة الآن. وضع أرفن بعض البسكويت المالح على طاولة البيع، وطلب شريحتين من اللحم والجبن. ثمّ اشترى علبة سجائر ماركة الجمل وعلبة ثقاب وقنيّة أخرى من البيرة. بعد أن فرغ البقال من وضع الأغراض في كيس، قال أرفن:

- حسنًا. أظنّ أنّني سأمشي إلى هناك بكلّ الأحوال، خصوصًا  
وأنّني قطعت كلّ هذه المسافة الطويلة إلى هنا. ألا يزال ممكناً  
الوصول إلى المنزل عبر الغابة الواقعة خلف البقالة؟

- نعم. كلّ ما عليك فعله المرور عبر مراعي كليرنس. لن يُبانع إذا  
ما مررت من أرضه.

وضع أرفن الكيس في حقيبته الرياضيّة. استطاع من مكان وقوفه  
أن يرى قمة منزل فاغنر العتيق. ثمّ سأل:

- ألا تزال فتاة اسمها جيني فاغنر تسكن هنا؟

- جيني؟ لا، تزوّجت قبل بضع سنوات. وهي تعيش الآن في  
بلدة ماسيفل حسب آخر ما سمعته عنها.

أوماً أرفن برأسه وحثّ السَّير باتجاه الباب، ثمّ توقّف. التفت  
وراءه ونظر إلى هانك وقال:

- لم تسنح لي الفرصة أبدًا حتّى أشكرك في تلك اللّيلة التي مات  
فيها أبي. كنتَ في غاية الطيبة معي، وليكن بمعلومك أنّني لن  
أنسى معروفك ذلك.

ابتسم هانك. وبدا من ابتسامته أنه فقد سنّين من صف أسنانه  
السفليّة. ثمّ قال:

- كان هناك بقايا فطيرة على وجهك. وظنّها بوديكر اللّعين دماءً.  
أتذكّر ذلك؟

- نعم، أتذكّر كلّ كبيرة وصغيرة حصلت معي تلك اللّيلة.

- سمعت للتوّ عبر المذياع أنّ أخته قُتلت.

مدَّ أرفن يده صَوَّبَ قبضة الباب وقال:

- أذلك صحيح؟

- أنا لا أعرفها. ولكنني أرجح أنه ينبغي لأخيها أن يكون المقتول وليس هي. إنه شخص سيء إلى أبعد الحدود، ومع ذلك فهو يمثل القانون في هذه البلدة.

قال أرفن وهو يفتح الباب:

- طيب. ربّما سأراك لاحقاً.

- عدُّ إلى هنا هذا المساء. سنجلس في الخارج بجانب مقطورة التّخيم ونحتسي البيرة.

- سأعود.

- انتظر. دعني أسألك سؤالاً. هل سبق لك الذهاب إلى مدينة سينسِناتي؟

هزَّ أرفن رأسه وقال:

- لم أزرها حتّى الآن، ولكنني سمعت الكثير عنها.





بعد أن أنهى لي بوديكر مكالمته الهاتفية مع زوجته ببضع دقائق، جاء هاوسر بظرفٍ ورقّيّ مصنوع من ألياف المانيل، وفيه الرصاصات التي استخرجها الطيب الشرعيّ من جثة كارل. كانتا رصاصتين من عيار 9 ملم. قال النائب هاوسر:

- نفس عيار الرصاص التي أصابت ساندي.

- لم يجب ظنيّ. قاتلها واحد.

- هكذا إذن، أبلغنيّ وليس بأنّ أحدًا من قسم الشرطة في فرجينيا الغربية اتصل بك. هل لذلك الاتصال أيّ علاقة بحادثة القتل هذه؟

نظر بوديكر إلى الخريطة المعلقة على الجدار. فكّر بالصّور الفوتوغرافية التي وضعها في صندوق سيّارته. أراد أن يصل إلى ذلك الفتى قبل أن يصل إليه أحدٌ غيره. ثمّ أجاب:

- لا، ليس للمكالمة علاقة بهذه الجريمة. المكالمات لم تكن سوى هراءٍ يتعلّق بواعظ. وحتىّ أكون صادقًا معك، لا أدري بالضبط لماذا أراد أمر الشرطة هناك التحدّث معنا.

- حسنًا.

- هل رفعتم البصمات من السيّارة؟

هزّ هاوسر رأسه وقال:

- يبدو أنّ البصمات في المقعد الخلفيّ مُسِحّت بالكامل. كافّة

البصمات الأخرى التي رفعناها تخصّ كارل وساندي.

- هل وجدتم أيّ شيءٍ آخر؟

- ليس هناك ما يستحقّ الذكر. ولكننا وجدنا فاتورة تعبئة

بنزين صادرة في بلدة مورهد في كنتكي؛ وجدناها تحت المقعد

الأماميّ، وعددًا كبيرًا من الخرائط في دُرج السيّارة. كما وجدنا

العديد من المتفرّقات، مخدّات، بطانيّات، صفيحة بنزين، وما

شابه ذلك.

أوما بوديكر برأسه وفرك عينيه وقال:

- اذهب إلى البيت حتّى ترتاح. يبدو الآن بأن كلّ ما يمكننا فعله

هو أن نأمل حصول شيءٍ ما.

أنهى شرب قنينة الوِسكي في مكتبه تلك الليلة، واستيقظ صباح

اليوم التّالي وهو على أرضيّة المكتب بحلقٍ ناشف وصداع رهيب.

استطاع أن يتذكّر أنّه حلم أحيانًا خلال اللّيل بأنّه يمشي في الغابة مع

فتى عائلة رَسِل ويمضيان إلى كلّ تلك الحيوانات الميّتة. ذهب إلى دورة

المياه وغسل وجهه، ثمّ طلب من موظّف المقسم أن يحضر له الجريدة

وبعض القهوة وبضع حبّاتٍ من الأسبرين. وهو خارج في طريقه إلى

مرأب السيّارات، رآه هاوسر واقترح عليه التّحقيق في الأنزال<sup>(1)</sup> ومحطّة

(1) جمع نُزل: فندق صغير أو مطعم أو نادٍ ليلي على طريق خارج المدينة. (قاموس المعاني

الجامع).

الباصات. ففكر بوديكر للحظة. رغم أنه أراد أن يتولى حل هذه المعضلة بنفسه، لم يستطع أن يكون واضحًا وضوح الشمس إزاء رغبته تلك. فما كان منه إلا أن قال:

- تلك ليست فكرة سيئة. تابع الأمر وأرسل الشرطيين تايلر وكالدول للقيام بذلك.

ردّ هاوسر وقد اكفهرّ وجهه:

- أُرْسِل مَنْ؟

- تايلر وكالدول. تأكد فقط من أن يفهمًا بأن ابن العاهرة المجنون يمكنه أن يفجر رأسيهما بمجرد أن يراهما.

ثم استدار ومضى خارج الباب قبل أن يعترض هاوسر، إذ أن الشرطيين المذكورين جبانان كدجاجتين. ظنّ بوديكر بأنهما لن يجروا حتى على الخروج من سيارة الشرطة بعد سماعهما تكليفهما بتلك المهمة. ثم اتجه بوديكر بسيارته إلى محلّ الخمر، وابتاع قنينة من نبيذ جاك دانييلز. ثم توقف في حانة وايت كاو ليشتري قهوة. توقف كلّ رواد الحانة عن الكلام لحظة دخوله. فيما كان يستدير ليغادر الحانة، حدثته نفسه بأنه ربّما ينبغي له أن يقول شيئًا؛ شيئًا من قبيل أنهم يبذلون كافة الجهود الممكنة للإيقاع بالقاتل، ولكنه ما لبث أن تخلّى عن تلك الفكرة. صبّ بعض الوسكي في قهوته وشدّ الرّحال بسيارته صوب مطمر القمامة القديم على طريق ريوب هيل. وهو يفتح صندوق سيارته، أخرج صندوق الأحذية المليء بالصّور الفوتوغرافية وتفحص الصّور مرّة أخرى. أحصى ستّة وعشرين رجلاً مختلفًا بحسب ظهورهم في الصّور. كان هناك على الأقلّ بضع مئات من اللّقطات المختلفة، وربّما أكثر من

ذلك، مجمّعة مع بعضها بأربطة مطاطية. وضع الصندوق على الأرض، ثم انتزع بضعة صفحات متسخة ومجمّعة من كاتالوج شركة فريدريك أف هولبود وجده ملقى في كومة القمامة وحشرها في الصندوق. ثم أسقط علبة بكرات الأفلام الثلاثة فوق صفحات الكاتالوج وأشعل عود ثقاب. واقفاً هناك في حرّ الشمس، شرب ما بقي من قهوته وراقب الصّور وهي تتحوّل إلى رماد. عندما احترقت آخر صورة من الصّور، أخرج بندقيّة من طراز إيثاكا 37 من صندوق السيّارة. تفحصّ البندقيّة ليتأكد من أنّها مذكّرة، ثمّ وضعها على المقعد الخلفي. كان بإمكانه أن يشمّ رائحة الوسكي التي شربها اللّيلة الفائتة وهي تنزّ من مسام جلده. مرّر يده فوق لحيته. هذا أوّل صباح ينسى فيه حلقةً لحيتته منذ أيام الجيش.

عندما رأى هانك سيّارة الكروزر تتوقّف في المرأب المفروش بالحصى، طوى الجريدة ووضعها على الطاولة. رأى بوديكر وهو يميلّ القنيّة. تذكّر هانك أنّ المرّة الأخيرة التي رأى فيها أمر الشرطة لي بوديكر في بلدة نوكمستيف كانت في ذلك المساء الذي ورّع فيه على الأطفال تفاحاً تسرح فيه الديدان أمام الكنيسة عندما ترشّح للانتخابات. مدّ هانك يده وأطفأ مذياعه. انتهت المقطوعة الأخيرة من أغنية صّيني جيمس «أنت العالم الوحيد الذي أعرفه» مع لحظة دخول بوديكر عبر الجزء المشبّك من الباب. قال لهانك:

- كنت آمل أنّك لا تزال تعمل هنا.

- ولم ذلك؟

- أو تذكّر عندما قتل الوغد المجنون من عائلة رسل نفسه في الغابة

الواقعة خلف هذه البقالة؟ كان ابنه جالسًا عندك تلك الليلة.  
أرفن كان اسمه.

- أذكر ذلك.

- ذلك الفتى جاء إلى هنا ربّما الليلة الماضية أو صباح اليوم؟  
نظر هانك إلى الطاولة وقال:

- يؤسفني ما سمعته عمّا حصل لأختك.

- سألتك سؤالاً أريد الإجابة عنه. اللّعة على هذه الحالة.

- وماذا فعل أرفن؟ هل تورّط في بعض المشاكل؟

- يمكنك قول ذلك.

رفع بوديكر الجريدة الموضوعة على الطاولة، وأمسك بالصفحة  
الأولى أمام وجه هانك.

دُهِسَ البقال عندما قرأ العناوين المكتوبة بالأسود مرّة أخرى، ثم  
قال:

- ليس هو من فعلها، أليس كذلك؟

رمى بوديكر الجريدة على الأرض وسحب مسدّسه، ووجّهه  
صوب هانك وقال:

- ما عندي وقت للهراء، أيها الوغد الأحمق. هل رأيته؟

غصّ هانك وأشاح بعينه صوب النافذة. رأى سيّارة تالبرت  
جونسن الكلاسيكية وهي تبطئ سرعتها أثناء مرورها بجانب البقالة.  
ثمّ قال:

- ماذا ستفعل؟ هل ستقتلني؟

- لا تظنّ أنّي لن أفعلها. بعد أن أفجّر دماغك الصّغير وأجعله يتناثر فوق خزانة الحلوى، سأضع تلك السكّين الكبيرة في يدك وأنت مرميّ هناك بجانب قرّامة اللّحم القذرة. سيكون الأمر دفاعًا مسوِّغًا عن النفس. وسيحكم القاضي بأن ابن العاهرة المجنون كان يحاول حماية قاتل.

سحب بوديكر قاذح المسدّس للخلف استعدادًا لإطلاق النار  
وقال:

- أنقذ نفسك بنفسك من الموت. الموضوع يتعلّق بأختي وليس بأحدٍ سواها.

قال هانك على مضض:

- نعم، رأيته. كان هنا منذ مدّة قصيرة. اشترى قنيّنة بيرة وبعض السجائر.

- أي سيّارة كان يسوق؟

- لم أر معه أيّة سيّارة.

- كان ماشيًا إذن.

- ربّها، حسب ظنيّ.

- أي طريق سلك بعد أن ذهب من عندك؟

- لا أعرف. لم أنتبه.

- لا تكذب عليّ. ماذا قال لك؟

نظر هانك إلى خزانة المشروبات حيث وقف الفتى وشرب بيرة

الجزور والأعشاب، ثمّ قال:

- ذكر شيئاً عن المنزل القديم الذي عاش فيه، هذا كلّ ما قاله لي.

أعاد بوديكر المسدّس إلى جعبته وقال:

- أرايت؟ لم يكن قول ذلك صعباً عليك، أليس كذلك؟

خرج من الباب وهو يقول:

- ستكون ذات يوم من خيرة المخيرين الصّغار.

راقبه هانك وهو يصعد إلى سيّارة الكروزر وينطلق على طريق بلاك رنّ. ثمّ وضع كلتا يديه على الطاولة وطأ رأسه. وراءه، وبصوتٍ خافت كالهمسات، أرسل مذياع الإذاعة أمنياته القلبيّة مرّة أخرى للمستمعين.





بعد وصوله إلى أعلى حي فلاتس، توجّه أرفن جنوبًا. كانت الشجيرات أشدّ كثافة الآن على طول طرف الغابة، ولكنه لم يحتج إلا لبضع دقائق حتى يجد درب الغزلان الذي سار عليه صحبة أبيه وهما في طريقهما إلى جذع الصّلاة. رأى السقف المعدنيّ للحظيرة، ومن ثمّ حثّ الخطى مسرعًا. أصبح المنزل أثرًا بعد عين؛ بالضبط كما أنبأه البقال. ألقى حقيبتيه ومشى إلى الموضع الذي كان يوجد فيه الباب الخلفي. تابع سيره عبر المطبخ فالقاعة وانتهاءً بالغرفة التي حضّرت فيها أمّه الوفاة. رفس برجله بقايا الفحم الأسود المحترق وقطع الخشب المتفحّمة، وهو يمنيّ النفس بالعثور على أثر من آثار أمّه أو كنزٍ من الكنوز الصّغيرة التي كان يحتفظ بها في نافذة غرفته. بيدّ أنّه لم يبق شيء باستثناء مقبض باب صدئ ودفتر مذكّراته. كانت بعض قناني البيرة الفارغة مرتّبة في صفّ أنيق في زاوية من زوايا الأساسات الحجرية للمنزل حيث جلس أحدهم يحتسي المشروب ذات مساء.

لم يبق من الحظيرة الآن سوى هيكلها. انهارت كافّة جدرانها الخشبيّة الجانبيّة، وغزا الصّدأ السقف، وبهت الدهان الأحمر وتقرّش بفعل العوامل الجويّة. ولج أرفن إلى الداخل هاربًا من حرارة الشّمس، وهناك في زاوية من الزوايا جثم سطل العلف الذي خصّصه أبوه ولارد

ذات يوم لحمل دماء قرابينه النفيسة. نقل أرفن السطل إلى موضع قريب من الجهة الأمامية للحظيرة واتَّخذه كرسيًّا يجلس عليه وهو يتناول غداءه. رأى صقرًا أحر الذيل يحوم في السماء في حركات دائرية متثاقلة. أخرج صورة المرأة والرجل الميت. لماذا يُقدِّم البشر على أشياء كهذه؟ لم يفته أيضًا أن يتعجَّب مرّة أخرى من أنّ رصاصتها لم تصب منه مقتلًا وقد أطلقتها من مسافة لا تتجاوز خمسة أقدام أو ستّة؟ في أوج الهدوء، سمع صوت أبيه يقول له:

- يوجد علامة هنا، يا بني. من الأفضل لك الانتباه لها.

وضع الصورة في جيبه وخبأ السطل خلف حزمة من القش المتعفن. ثم طفق عائداً عبر الحقل.

وجد درب الغزلان مرّة أخرى ووصل في الحال إلى البقعة المقلوعة الشجر التي عمل فيها ولارد بكلّ ما أوتي من قوّة. كانت في معظمها مغطّاة الآن بنباتات عِرْق الحية والسرخس البري، لكنّ جذع الصّلاة لا يزال في مكانه. خمسة صلبان لا تزال منتصبه أيضًا، يحزّها لون أحر باهت وصدأ أحدثته المسامير فيها. أما الصلبان الأربعة الأخرى فقد اتخذت الأرض مستقرًّا لها، واعتشنت حولها أشجار الكرمة البوقية البرتقالية الزهور. وجف قلبه للحظة عندما وقعت عيناه على بعض من بقايا الكلب لا تزال تتدلّى من أوّل صليب نصبه والده هناك. توكأ على شجرة، وعادت به الذاكرة إلى تلك الأيام الخوالي التي سبقت وفاة أمّه. تذكّر إصرار أبيه على أن تتعافى أمّه من صميم قلبه. كان يجب عليه أن يفعل أيّ شيء لإنقاذ حياتها؛ وسحقًا للدم، للعفونة، للحشرات، وللحرارة المرتفعة. كان يجب عليه أن يفعل كلّ شيء من أجلها؛ هكذا

قال أرفن في قرارة نفسه. ومن ثم أدرك فجأة، وهو واقفٌ مرّةً أخرى في كنيسة أبيه، بأنّ أباه كان بلا شكّ في حاجةٍ لأنّ يرحل إلى المكان الذي رحلت إليه أمّه، بحيث يتسنى له مواصلة رعايتها. طيلة كلّ تلك السّنوات، لم يفتأ أرفن يزدري أباه بسبب ما فعله، وكأنّ أباه لم يكثرث قيد أنملة بما سيحصل لابنه بعد وفاتها. ثمّ قفزت أفكاره مستذكراً المرّة التي اصطحبه فيها أبوه بالسيّارة وهما عائدان من المقبرة، وحديث أبيه عن زيارة الجدّة إيها في بلدة كول كريك. لم يسبق أن حصل معه ذلك من قبل، ولكنّ حديث أبيه وقتئذٍ لم يكن سوى نبوءة عن رحيله الوشيك هو أيضاً، وبأنّه آسف لما سيحصل. قال له أبوه في ذلك اليوم:

- ربّما ستبقى عند جدّتك لبرهةٍ قصيرة. وسوف تعجبك الإقامة هناك.

مسح أرفن بعض الدّموع عن عينيه ووضع حقيبته الرياضيّة على الجذع، ثمّ مشى وركع أمام الصّليب الذي علّق عليه كلبه. أراح بعض أوراق الشّجر الميتة. كانت جمجمة الكلب نصف مدفونة في الأطفال الرّمليّ، الثقب الصّغير الذي أحدثته طلقة بندقية الـ22 لا تزال واضحة بين محجري العينين الفارغين. كما عثر على الطوق المتعفن، وخصلة صغيرة من الشّعرا لا تزال عالقةً بالجلد المحيط بالإبريم المعدني الصّدئ. قال أرفن:

- كنتَ كلباً طيباً يا جاك.

جمع كلّ بقايا كلبه التي استطاع العثور عليها على الأرض -الأضلاع الهزيلة، عظام الحوض، ومخلب واحد- وسحب القطع الهشّة التي لا تزال معلّقة بالصليب. كوّمها برفق في كومة صغيرة.

مستعينًا بالطرف الحادّ لغصن شجرة ومستخدمًا يديه، حفر حفرة في التراب الأسود الرّطب تحت الصّليب. حفر لمسافة قدم أو نحوه، ورثب أعضاء الكلب بكلّ عناية وحرص أسفل القبر. ثمّ ذهب إلى حيث وضع حقيبته، وأخرج لوحة الصّلب التي أخذها من النُّزل وعلّقها على أحد المسامير المغروسة في الصليب.

عاد إلى الجانب الآخر للجذع، ركع في الموضع ذاته الذي كان يصلّي فيه في غابر الزّمن بجانب أبيه. سحب مسدّس اللوغر من بنطاله الجنزي ووضعه فوق الجذع. كان الهواء ثقيلًا وهامدًا بسبب الحرارة والرطوبة. نظر إلى صورة يسوع المعلّق على الصليب وأغمض عينيه. بذل أقصى ما استطاع إليه سبيلًا ليتخيّل صورة الله، ولكنّ أفكاره سرحت وهامت على وجهها. استسلم في نهاية المطاف، وجد أنّه من الأسهل عليه أن يتخيّل صورة والديه وهما ينظران إليه بدلاً من ذلك. بدا وكأنّ حياته برمتها، كلّ ما رآه أو قاله أو فعله، قد أدّت به إلى هذه اللّحظة: وحيدًا أخيرًا مع أخيلة طفولته. بدأ الصّلاة، وهي أوّل مرّة يصلّي فيها منذ وفاة أمه. همس عدّة مرّات قائلاً: «قل لي ماذا أفعل». بعد بضع دقائق، هبّت نفحة ريح مفاجئة عبر التلّة وراءه، بدأت بعض العظام التي لا تزال معلقة على الأشجار تطرق بعضها بعضًا كأنّها مجموعة من أنابيب الريح المتراقصة.

انعطف بوديكر باتجاه المسار الترابي الذي يؤدي إلى المنزل الذي عاشت فيه عائلة رسل. عجلات سيارته الكروزر تضرب أخاديد الأرض بخفة. هيأ مسدسه بوضعية الإطلاق ووضعه على المقعد. خفف سرعته وسار ببطء فوق فسائل النباتات الواهية والأجمات الطويلة من أعشاب بقلة الأوجاع. ثم ما لبث أن توقف بسيارته على مسافة حوالي خمسين ياردة من الموضع الذي كان فيه المنزل قائماً ذات يوم. كل ما استطاع رؤيته كان الجزء العلوي من الأساسات الحجرية المتناثرة فوق أعشاب جونسن. الجزء اليسير الباقي من الحظيرة كان يبعد مسافة أربعين قدماً أخرى إلى اليسار. فكّر بأنه ربّما سيشتري هذا العقار حالما ينتهي من أمر هذه القضية اللعينة. إذ يمكنه أن يبني منزلاً آخر، وينشئ بستاناً. وليهنأ ماثيوز بمنصب أمر الشرطة اللعين. ستحبّ فلورنس تلك الفكرة، فتلك المرأة مدمنة على القلق. مدّ يده تحت المقعد وأخرج القنينة وشرب منها شربة. يجب عليه أن يتخذ إجراءً ما بخصوص علاقته مع تيتز، ولكن ذلك لن يكون صعباً جداً. بالإضافة إلى ذلك، ربّما يكون فتى عائلة رسل الموسوغ المناسب تماماً الذي يحتاجه للفوز بانتخابات أخرى. فمن يقتل واعظاً لقيامه بمطاردة الفتيات الصغيرات لا شكّ مختل عقلياً، بصرف النظر عمّا

قاله أمر الشرطة الجلف في فرجينيا الغربية. من السهولة أن نجعل هذا الشاب المشاكس يتحوّل إلى مجنون بارد الأعصاب؛ فالناس يحبون انتخاب الأبطال. رشف رشفة أخرى من القنينة، ثم وضعها تحت المقعد. قال بصوت مرتفع:

- الأفضل أن أوّجّل قلقي حول هذه الأمور إلى وقت لاحق.

الآن لديه مهمّة يجب إنجازها. وحتى وإن لم يترشّح لمنصب أمر الشرطة مرّة أخرى، فلن يستطيع أن يتحمّل فكرة أن يعرف القوم حقيقة ساندي. عجز عن إيجاد الكلمات اللازمة لوصف الأفعال التي كانت تقترفها في بعض من تلك الصّور.

حالما خرج من السيّارة، أعاد مسدّسه إلى جعبته ومدّ يده إلى المقعد الخلفي ليأتي بالبندقية. ثم رمى قبّعته على المقعد الأمامي. معدته كانت تخضّ من أثر السُّكر، وانتابه شعور بالوهن. هيأ زرّ أمان البندقية وبدأ يمشي ببطء على الطريق المخصّص للسيّارات المفضي إلى المنزل. توقّف عدّة مرّات وأصاخ السّمع، ومن ثمّ تابع سيره. ساد الهدوء المكان ما خلا زقزقة بضعة عصافير. في الحظيرة، وقف في الظلّ، ونظر باتجاه بقايا المنزل. لعق شفّتيه ومنّى النّفس برشفة مشروب أخرى. حام دُبّور حول رأسه، فما كان منه إلا أن سحقه بيده، وداس عليه بنعل بوطه. بعد بضعة دقائق، تقدّم في الحقل، وحافظ على بقائه قريباً من صفّ الأشجار. مشى عبر مساحات من الأرض تغطيها أعشاب يابسة من حشيشة اللّبن والقُرّاص والأرقطيون. حاول أن يتذكّر المسافة التي قطعها عندما تبع الفتى في تلك اللّيلة قبل أن يصل إلى الدّرب المؤدّي إلى الموضع الذي كان فيه أبوه سابقاً في دمائه. نظر إلى الخلف باتجاه

الحظيرة، ولكنه لم يستطع التذكّر. فكّر بأنّه كان يجب عليه أن يحضر معه هاوسر إلى هنا. فهاوسر اللّعين يحبّ مطاردة المجرمين.

كانت فكرة ضرورة تجاوز الحظيرة قد بدأت تراوده عندما مرّ ببعض الأعشاب التي عليها آثار دوس أقدام. تسارعت دقات قلبه قليلاً، ومسح العرق عن عينيه. وهو منحني، حَمَلَقَ بنظره متجاوزاً الأعشاب والشجيرات ومركزاً بصره على الغابة. رأى ملامح أثر درب الغزلان على مسافة بضعة أقدام فقط داخل الغابة. التفت برأسه للخلف ورأى ثلاثة غربانٍ تنقُصُ، ناعقةً، انقضاضة واحدة على ارتفاع منخفض في الحقل. خفض رأسه ليتجنّب بعض الجنبات الشائكة لشجيرات التوت البري وتقدّم بضع خطوات، ثم وجد نفسه على ما تبقى من آثار الدرب. وهو يسحب نفساً عميقاً، بدأ المشي ببطء على التلّة. بندقيته على أهبة الاستعداد. شعر بنفسه وهو يرتجف من الداخل، ارتجاف خوفٍ وإثارة. الشّعور ذاته الذي اعتراه عندما قتل الرّجلين خدمة لمصالح تير. كان يأمل أن خصمه هذه المرّة سيكون سهل المنال كحال الرّجلين.





تلاشى النسيم وتوقفت العظام عن الخشخشة. أصوات أخرى شرعت تطاول أسماع أرفن؛ الأصوات اليومية الخفيفة المرتحلة من الوادي: صوت صفق سدفة باب، صراخ الأطفال، وأزيز جزازة العشب. ما لبثت أزياز الحصاد أن أوقفت طينها المدوّي النبرة لهنيهة لا أكثر، ومن ثمّ فتح عينيه. التفت برأسه التفاتة خفيفة، ظنّ بأنّه سمع ضجيجًا خافتًا وراءه، صوت ورقة شجر يابسة تتكسّر تحت الأقدام، ربّما غصن ناعم انكسر. لم يكن متأكّدًا. عندما عاودت الأزياز طينها مرّة أخرى، أمسك بالمسدّس الموضوع على الجذع. وهو جاثم على ركبته، تقدّم عبر أجمة من الورود البريّة إلى اليسار ممّا بقي من البقعة المقلوعة الشجر، وشرع بصعود التلّة. لم يكن قد قطع ثلاثين أو أربعين قدمًا عندما تذكّر حقيقته الرياضيّة الموضوعه بجانب جذع الصّلاة. ولكن في تلك اللّحظة كان الأوان قد فات.

سمع صوتًا عاليًا ينادي عليه:

- أرفن رَسِلْ؟

طأطأ رأسه وراء شجرة جوزٍ أمريكي ووقف ببطء. وهو يسحب أنفاسه، نظر من وراء جذع الشجرة ورأى بوديكر، وبندقيته في يديه. في بادئ الأمر، أمكنه فقط أن يرى جزءًا من قميصه البنيّ وبوطه. ثمّ ما

لبث بوديكر أن خطا مزيدًا من الخطوات إلى الأمام، واستطاع أرفن أن يرى معظم ما خفي من وجهه الأحمر. صاح بوديكر:

- يا أرفن؟ أنا أمر الشرطه بوديكر، يا بني. لم آتِ إلى هنا لإيذائك، أعدك بذلك. أريد فقط أن أطرح عليك بعض الأسئلة.

رآه أرفن وهو يبصق ويمسح بعض العرق عن عينيه. تقدّم بوديكر بضع خطوات أكثر. طار طائر طيهوج برّي من مخبئه واخترق فضاء الأرض المقلوعة الشجر مرفرفاً بأجنحته باهتياج. ارتجت بندقيّة بوديكر فجأةً وأطلق منها طلقة، ثمّ لقمها بسرعة طلقة أخرى في حجرة الإطلاق. صاح بوديكر:

- اللعنة، يا رجل، آسف بشأن ذلك. هذا الطائر اللعين أفرعني. تعال الآن لكي نتحدّث.

تقدّم بوديكر بحذر، ثمّ توقف عند طرف الأرض المقلوعة الشجر المستورة بالشجيرات. رأى الحقيبة الرياضيّة على الأرض، ولوحة يسوع المؤطرة معلقة على الصليب. فكّر بأن ابن العاهرة ذاك ربّما يكون مختلاً بالفعل. استطاع أن يرى من خلال الصّوء المتناثر في ظلّ الأشجار بعضًا من العظام المعلقة بالأسلاك. ثمّ قال له:

- توقعتُ أنّ هذا هو المكان الذي ستأتي إليه. أتذكر ليلة أحضرتني إلى هنا؟ كان ما فعله أبوك عملاً شنيعاً.

فتح أرفن زرّ أمان مسدّسه اللوغر وأمسك قطعة من غصن شجرة يابس عند قدمه. رماها إلى الأعلى عبر فتحة بين الأغصان. عندما اصطدم الغصن بشجرة وارتد ليسقط تحت جذع الصّلاة، أطلق بوديكر طلقتين إضافيتين في تعاقب سريع. ثمّ أرسل طلقة أخرى إلى حجرة

الإطلاق. سبحت في الهواء قطعاً من أوراق الأشجار ولحائها. ثم صاح بوديكر:

- اللعنة أيها الفتى، كفاك عبثاً معي.

دار حول نفسه، ومخلق يبصره في كافة الاتجاهات، ثم تحرك قليلاً واقترَب من الجذع.

تسلل أرفن خلسة إلى الدرب الواقع وراءه. ثم قال له:

- الأفضل أن تلقي البندقية أرضاً، يا أمر الشرطة. مسدسي مسدّد مباشرة إليك.

تسمّر بوديكر ورجله لم تكمل خطواتها بعد. ثم تابع إنزال قدمه ببطء. نظر إلى الأسفل صوب الحقيبة الرياضية المفتوحة، رأى النسخة الصادرة صباح اليوم من جريدة ميد غازيت، موضوعة على بنطال من الجينز. حدّقت فيه صورته الموجودة في الصفحة الأولى للجريدة. من نبرة الصوت، قدّر بأن الفتى وراءه مباشرة، وربّما يبعد عنه عشرين قدماً. ما زالت معه طلقتان في بندقيته. لعمرى إنَّ بندقية بطلقتين أمضى من مسدّس. أجاب بوديكر:

- يا بُني، أنت تعرف أنّه لا يمكنني أن أرمي سلاحي. يا إلهي، تلك أولى القواعد التي يُعلّمونك إيّاها لفرض القانون؛ لا تتخلّى عن سلاحك أبداً.

- لا يهمني ما تعلّمته. ضع البندقية على الأرض وابتعد عنها.

شعر أرفن بقلبه يخفق تحت قميصه. بدا وكأنّ شيئاً ما امتصّ فجأة كلّ الرطوبة في الجوّ.

- ماذا؟ إذن تريد قتلي كما قتلت أختي وذلك الواعظ في فرجينيا الغربية؟

بدأت يد أرفن ترتجف قليلاً عندما سمع بوديكر يذكر الواعظ تيغاردن. ففكر لهنيهة ثم قال له:

- لديّ في جيبتي صورة لها وهي تحضن رجلاً ميتاً. دَعْ عنك تلك البندقية، وسأريك الصورة. ما إن رأى أرفن ظهر بوديكر يتيبس خوفاً، إلّا وأحكم قبضته على مسدّسه.

قال بوديكر بصوتٍ خافت:

- لست سوى ابن عاهرة صغير!

نظر للأسفل إلى صورته في الجريدة مرّة أخرى. التقت تلك الصورة مباشرة بعد انتخابه في منصبه. وقد أقسم على الالتزام بالقانون. كان على وشك إطلاق ضحكة. ثم رفع البندقية وبدأ الدوران. أطلق الفتى النار.

انطلقت طلقة من بندقية بوديكر، أحدثت الطلقة فجوةً مثلثة الأطراف في الورود البرية الواقعة على يمين أرفن. جفل الفتى وضغط على الزناد مرّة أخرى. صرخ بوديكر صرخة شديدة وسقط على بطنه على أوراق الأشجار. انظر أرفن دقيقة أو اثنتين، ثم اقترب منه على حذر. كان بوديكر ملقى على جنبه وهو ينظر إلى الأرض. هسّمت الرصاصة الأولى رسغه، أمّا الثانية فقد أصابته تحت ذراعه. بدا من المكان الذي دخلت فيه أنّها اخترقت إحدى رتتيه بلا شك. مع كلّ نفسٍ متناقل تنفّسه بوديكر، كانت انبجاسة أخرى من الدّم الأحمر القاني تبلّل الجزء الأمامي لقميصه. عندما رأى بوديكر بوط أرفن البالي، حاول أن

يسحب مسدّسه من جعبته، ولكنّ أرفن انحنى وأمسك به، ورماه على مسافة بضعة أقدام.

وضع مسدّس اللوغر فوق الجذع، وقلّب بوديكر، بكلّ ما أوتي من رفقٍ وأناة، على ظهره. قال أرفن:

- أعرف أنّها أختك، ولكن انظر هنا.

أخرج أرفن الصّورة من محفظة نقوده وأمسك بها ليراها بوديكر. أضاف أرفن:

- لم يكن لديّ أيّ خيارٍ آخر. وأقسم على ذلك، رجوتها أن ترمي المسدّس.

نظر بوديكر إلى وجه الفتى، ثمّ أشاح ببصره لينظر إلى صورة ساندي والرّجل الميتّ الذي كانت تحضنه بين ذراعيها. كسّر وحاول أن يختطف الصّورة بذراعه السّليمة، ولكنّه كان من الضّعف بحيث لم يتمكّن من فعل أيّ شيء سوى بذل جهدٍ فاطر الهمة لا يغني ولا يسمّن من جوع. استلقى وبدأ يسعل دمًا، تمامًا كما سعلت أخته دمًا قبل موتها. على أنّه بدا لأرفن وكأنّ ساعات مرّت بينها كان يستمع إلى بوديكر وهو يصارع للبقاء على قيد الحياة، ففي واقع الأمر لم تكن إلاّ بضعة دقائق فقط وفارق بوديكر الحياة. فكّر أرفن بأنّه ما من طريق للعودة الآن. ولكنّه أيضًا لا يستطيع المتابعة على هذا المنوال. تحيّل وجود بابٍ يفضي إلى حجرة حزينّة، خاوية على عروشها يمكن إغلاقها بنقرة ناعمة، ولا يمكن لها أن تفتح بعد ذلك قط، وهذا ما هدأ من روعه قليلًا. عندما سمع بوديكر وهو يلفظ نفسه الأخير المخضّل دمًا، اتّخذ أرفن قراره. أمسك مسدّسه اللوغر وسار صوبَ الحفرة التي حفرها ليدفن رفات

كلبه جاك. وهو جاثٍ على ركبتيه على التراب النديّ. فرك بيده ببطء السبطانة المعدنية الرمادية، وتذكّر أباه الذي جلب معه هذا المسدّس إلى المنزل منذ كلّ تلك السنوات الطوال. ثمّ وضعه في الحفرة بجانب عظام الكلب. أهال بيديه كلّ التراب مرّة أخرى في الحفرة ثمّ سوّى سطحها. غطّى كلّ آثار القبر بأوراق شجر يابسة وبضعة أغصان. أنزل صورة يسوع المخلّص ولفّها ووضعها في حقيته الرياضية. ربّما سيجد يومًا ما مكانًا يعلقها فيه. سيحبّ والدّه تلك الفكرة. دسّ صورة ساندي وبكرتيّ الفلم في جيب قميص بوديكر.

ألقي أرفن نظرة أخرى على الجذع المغطّى بالطحالب ونظر إلى الصّلبان الرماديّة المتعفّنة. لن يرى هذا المكان مرّة أخرى البتّة؛ ناهيك عن أنّه قد لا يرى أبدًا مرّة أخرى الجدّة إيما أو الخال إيرسكل. التفت وبدأ يحثّ السير على درب الغزلان. عندما وصل أعلى التلّة، نحّى عن طريقه شبكة عنكبوت وخطا خارجًا من الغابة المعتمّة. السّماء الصّافية الخالية من أيّ غيوم بدّت مزرقّة ازرقاقًا لم ير أشدّ منه في حياته، وبدأ الحقل متوهّجًا بالضّوء. بدا وأنّ ذلك المشهد سيستمرّ إلى أبد الأبدين. بدأ السير شمالًا صوبَ بلدة بينت كريك. إنّ هو أسرع، فسيصل إلى الطريق رقم 50 في غضون ساعة. وإنّ لازمه حسن الطّالع، فسيقلّه أحدهم معه في سيّارته.



# دُونَالِد رِي بُولوك شَيْطَانُ أَبَدِ الدَّهْرِ

في رواية «شيطان أبد الدهر»، يكشف دونالد رِي بُولوك عن خيبة جيل كامل في «الحلم الأمريكي» بعد أن عرّت فترة الستينيات من القرن العشرين زيف الدعاية الرسمية. لذا لم يكن من الغريب أن تلتقي في هذه الرواية القاسية والسوداء، مصائر الأمريكيين، في رحلة سقوط الشعارات الكبرى.

محاربٌ قديمٌ لم يتخلص من كوابيس الحرب التي شارك فيها، وزوجان اختاراً حياة الطرقات السريعة، ورجل دين مسيحي مقتنع بقدرته على إحياء الموتى، وموسيقي مُقعد يرافقه في جولاته، سخرهم دونالد رِي بُولوك للكشف عن المناطق المعتمة داخل النفس البشرية ونصيبها من الشر المحض، ذلك الشر الذي سيتحكّم في مصيرها إلى النهاية.

في لعبة المصائر تلك يحمل الكاتب القارئ إلى متاهة سردية سوداوية، بل ووحشية، في لعبة آسرة ترفض تقديم التنازلات، وهو يعمل مشرطه في جسد مجتمع أمريكي مريض بشعاراته وأوهامه...

وليد أحمد الفرشيشي

ISBN: 978-9938-24-052-8



9 789938 240528

